

الفرج بعد الشدة

للقاضى أبى على المحسن بن أبى القاسم التنوخى

(٣٢٧ - ٣٨٤)



الأصل مأخوذ عن نسخة خطية محفوظة
بدار الكتب المصرية



الجزء الأول

النشر بمكتبة النخاعى بالقاهرة

الطبعة الأولى
١٣٧٥ هـ - ١٩٥٥ م
الطبعة الثانية
١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م

حقوق الطبع محفوظة لمكتبة الخانجي

ترجمة المؤلف

قال ابن خلكان : هو أبو علي المحسن بن أبي القاسم علي بن محمد بن أبي الفهم داود التنوخى . ولد ليلة الأحد لأربع بقين من شهر ربيع الأول سنة سبع وعشرين وثلاثمائة بالبصرة . وسمع بها من أبي العباس الأشرم ، وأبي بكر الصولى ، والحسين بن محمود بن عثمان . ونزل ببغداد وأقام بها وحدث إلى حين وفاته .

وكان : سماعه صحيحا وأول سماعه الحديث فى سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة ، وكان من العلماء الحفاظ ، والشعراء المجيدين وفيه يقول أبو عبد الله ابن الهجاء الشاعر :

إذا ذكر القضاة وهم شيوخ تخيرت الشباب على الشيوخ
ومن لم يرض لم اصفعه إلا بحضرة سيدى القاضى التنوخى
وله ديوان شعر أكبر من ديوان أبيه .

له مؤلفات منها : كتاب الفرج بعد الشدة ، وكتاب نشوان المحاضرة ، وكتاب المستجاد من فعلات الأجواد . وتولى القضاء من قبل أبي السائب عتبة بن عبيد الله فى بابل والقصر وما والاها فى سنة تسع وأربعين وثلاثمائة ، ثم ولاه الإمام المطيع لله القضاء بعسكر مكرم وايدج ورامهرمز وتقليد بعد ذلك أعمالا كثيرة فى أماكن مختلفة ومن شعره قوله :

قل للليحة فى الحمار المذهب أفسدت نيك أخى التقى المترهب
نور الحمار وور خدك تحته عجباً لوجهك كيف لم يتلهب
وحملت بين المذهبيين فلم يكن للحس عن مذهبهما من مذهب
فاذا أتت عين لتسرق نظرة قال الشعاع لها اذهبي لاتذهبي

وكتب رحمه الله تعالى إلى بعض الرؤساء في شهر رمضان :
نلت في ذا الصيام ما ترتجيه وكفاك الإله ما تنقيه
أنت في الناس مثل شهرك في الأشهر بل مثل ليلة القدر فيه
ومن شعره في بعض المشايخ وقد خرج ليستقي ، وكان في السماء سحب
فلما دعا أصحت السماء فقال أبو علي
خرجنا لئلا نستقي بيمن دعائه وقد كان هدب الغيم أن يلحق الأرض
فلما ابتدأ يدعو تكشفت السماء فما تم إلا والغمام قد انقضا
وكانت وفاته رحمه تعالى ببغداد ليلة الاثنين لخمس بقين من المحرم
سنة أربع وثمانين وثلاثمائة

بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وماتوفيقى إلا بالله، عليه توكلت، وإليه أنيب

الحمد لله الذى جعل بعد الشدة فرجا، ومن الضيق سعة ومخرجا، ولم يخل محنة من منحة، ولا نقمة من نعمة، ولا نكبة ورزية، من موهبة وعطية، وصلى الله على سيد المرسلين، وخاتم النبيين، وعلى آله الطيبين الطاهرين.

﴿ أما بعد ﴾ : فانى لما رأيت أبناء الدنيا متقلبين فيها بين خير وشر، ونفع وضر، ولم يكن لهم فى أيام الرخاء، أنفع من الشكر والثناء، ولا فى أيام البلاء، أنجع من الصبر والدعاء، لأن من جعل الله عمره أطول من محنته، فانه سيكشفها عنه بطوله ورأفته، فيصير ماهو فيه من الأذى، كما قال بعض من مضى، ويروى للأغلب العجلى أو غيره :

الغمرات ثم ينجلينا ثم يذهبن فلا يجينا

وطوبى لمن وفق فى الحالين، للقيام بالواجبين. وجدت من أقوى ما يفزع اليه، من أناخ الدهر بمكرهه عليه، قراءة الأخبار التى تلين عن تفضل الله عز وجل على من حصل قبله فى محصله، ونزل به مثل بلائه ومعضله، بما أتاحه الله تعالى له من صليح أسهل به الارزاق، ومعوثة حل بها الخناق، ولفظ غريب نجاه، وفرج عجيب أنقذه وتلافاه، وإن خفيت من ذلك الأسباب، ولم يبلغ ماحدث منه الفكر والحساب، فان فى معرفة الممتحن بذلك تشجيد بصيرته للصبر، وتقوية عزيمته على التسليم لله مالك كل أمر، وتصويب رأيه فى الاخلاص، والتصويب إلى من بيده ملك النواص، وكثيراً إذا علم الله تعالى من واهيه وعنده، انقطاع آماله إلا من

عنده ، لم يكله إلى سعيه وجهده ، ولم يرض له باحتماله وطوقه ، ولم يحمله من عنايته ورفقه ، وأنا بمشيئة الله تعالى جامع في هذا الكتاب ، أحبا آ من هذا الجنس والباب ، أرجو به انشراح صدور ذوي الآباب ، عند ما يدهمهم من شدة ومصاب ، إذ كنت قد قاسيت من ذلك في محي دفعت إليها ما يحنو بي على المتحنيين ، ويحدو بي على بذل الجهد في تنج غموم المكروبين ، وكنت قد وقفت في بعض محي على خمس أو - أو - ، جمعها أبو الحسن علي بن محمد المدائني ، وسمها : « كتاب الفرج بعد الشدة والضيق » ، وذكر فيها أخباراً تدخل جميعها في هذا المعنى فوجدتها حسة وأنها لقلتها نموذج صغير ، ولم يأت بها مؤلفة ، ولا سلك بها سبيل الكتب المسماة ، ولا الابواب الواسعة المؤلفة ، مع اقتداره على ذلك ، ولا أعلم غرضه في التفسير ، ولعله أراد أن ينهج طريق هذا الفن من الأخبار ، ويسقي إلى فتح الباب فيه بذلك المقدار ، وينقل جميع ما عنده فيه من الآثار .

ووقع إلى كتاب لأبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا قد سماه : « كتاب الفرج بعد الشدة » . في نحو عشرين ورقة والغالب فيه أحاديث عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ، وأخبار عن الصحابة والتابعين رحمهم الله تعالى يدخل بعضها في معنى طلبته ، ولا يفرج عن قصده وبشبهه وباقيها أحاديث وأخبار في الدعاء والصبر ، والارزاق ، والنوكل ، والتعرض ، للشدائد بذكر الموت ، وما يجري مجرى التمازي ويتسلى به من طوارق الهموم ، ونوازل الاحداث والغموم ، ويستحق عليها من الثواب في الاخرى ، مع التمسك بالحزم في الأولى . وهو تندي خال من ذكر فرج بعد شدة ، غير مستحق أن يدخل في كتاب مقصور على هذا الفن ، ومنه الكتاب نبذاً قليلة من الشعر ، وروى فيه شيئاً يسيراً جداً مما ذكره المدائني ، إلا أنه جاء به بلا اسناد له الا عن المدائني .

وقرأت أيضاً كتاباً للفاضي أبي الحسين عمر بن القاضى أبي عمر ومحمد بن يوسف القاضى رحمهم الله في مقدار خمسين ورقة قد سماه : « كتاب الفرج بعد الشدة » . أودعه أكثر مارواه المدائني وجمعه وأصاف إليه أخباراً أخر

أكثرها حسنة وفيها ما هو غير مماثل عندى لما عناه ، ولا مشاكل لما نحاه ، وأتى في أثنائها بأبيات شعريسية ، من معادن لامبالهاجمة كثيرة ، ولم يلم بما أورده ابن أبي الدنيا ، ولا أعلم تعدد ذلك أم لم يقف على الكتاب ؟ وجدت أبا بكر ابن أبي الدنيا والقاضي أبا الحسين لم يذكر المدائني كتاباً في هذا المعنى ، فان لم يكونا عرفا هذا فهو طريف ، وان كانا تعددا ترك ذكره تثقيفاً لكتائيهما وتغطية على كتاب الرجل فهو أطرف ، ووجدتهما قد استحسننا استعارة لقب كتاب المدائني على اختلافهما في الاستعارة ، وحيدهما عن أن يأتيا بجميع العبارة ، فتوهمت أن كل واحد منهما لما زاد على قدر ما أخرجه المدائني اعتقد أنه أولى منه بلقب كتابه ، فان كان هذا الحكم ماضياً ، والصواب به قاضياً ، فيجب أن يكون من زاد عليهما أيضاً فيما جمعهما أولى منهما بما تبعاً في تصديقه ووضعاه ، فكان هذا من أسباب نشاطي لتأليف كتاب يحتوي من هذا الفن على أكثر مما جمعه القوم ، وأبين للمعنى ، واكشف وأوضح وان خالف مذهبهم في التصليف ، وعدل عن طريقهم في الجمع والتأليف ، فانهم نسقوا ما أوعده كتيبهم جملة واحدة ، وربما صادفت مللاً من سامعها ، أو وافقت سامة من الناظرين فيها ، فرأيت أن أنواع الأخبار واجعلها أبواباً ، ليزداد من يقف على الكتب الأربعة بكتابي من بينها إعجاباً ، وأن أضع ما في الكتب الثلاثة في مواضعه من أبواب هذا الكتاب ، إلا ما اعتقد أنه يجب ان لا يدخل فيه ، وأن تركه وتعديه أصوب وأولى . والتشاغل بذكر غيره مما هو أدخل في هذا المعنى ولم يذكره القوم أليق وأحرى ، وأن أعزو ما أخرجه بما في الكتب الثلاثة إلى مؤلفيها تأدية للأمانة ، واستيثاقاً في الرواية ، وتبييناً لما آتى به من الزيادة ، وتنبيهاً على موضع الإفادة ، فاستخرت الله عز وجل ذكره ، وبدأت بذلك في هذا الكتاب ولقبته بكتاب : « الفرج بعد الشدة » .

تيمنا لقارئه بهذا المقال ، وليستسعد في ابتدائه بهذا القول ، ولم أستبشع إعادة هذا اللقب ، ولم احتشم تكريره على ظهور الكتب . لأنه قد صار جارياً مجرى تسمية رجل ابنه محمداً أو محموداً ، أو سعداً ، أو مسعوداً ، وليس لقائل مع التداول لهذين الاسمين أن يقول لمن سمي بهما الآن : انك انتحلت هذا

الاسم أو سرقة . ووجدتني متى أعطيت كتابي هذا حقه من الاستقصاء ، وبلغت به حده في الاستيناء ، جاء في ألوف أرواق لطول ماضى من الزمان وإن الله سبحانه وتعالى بحكمته أجرى فيه أمور عباده منذ خلقهم ، وإلى أن يقبضهم على القلب بين شدة ورخاء ، ورغد وبلاء ، وأخذ وعطاء ، ومنع وصنع وضيق ورحب ، وفرج وكرب ، علماً منه تعالى بعواقب الأمور ، ومصلحة الكافة والجمهور ، فأخبار ذلك كثيرة المقدار ، عظيمة الترداد والتكرار ، وليست كلها بمستحسنة ولا مستفادة ، ولا مستطابة الذكر والإعادة ، فاقصرت على أحسن ما رويته من هذه الأخبار ، وأصح ما بلغني في معانيها من الآثار ، وأملح ما وجدت في فنونها من الأشعار ، وجعلت قصدى إلى الإيجاز والاختصار ، واسقاط الحشو وترك الاكثار وإن كان المجتمع من ذلك جملة يستطيعها الملول ، ولا يفرغ لقراءتها المشغول ، وأنا راغب إلى من يصل كتابي هذا إليه ، وينشط للوقوف عليه ، أن يصنع عما يعثر به من زلل ، ويصلح ما يجد فيه من خطأ أو خلل ، والله أسأل السلامة من المعاب ، والتوفيق لبلوغ المحاب والارشاد إلى الصواب ، ويفعل الله ذلك بكرمه إنه جواد وهاب .

الباب الأول

فيما أنبأ الله تعالى به في القرآن من ذكر الفرج بعد البؤس والامتحان

قال الله تعالى وهو أصدق القائلين وقوله الحق اليقين بسم الله الرحمن الرحيم : (ألم نشرح لك صدرك : ووضعنا عنك وزرك : الذي انقض ظهرك : ورفعنا لك ذكرك : فإن مع العسر يسراً إن مع العسر يسراً فإذا فرغت فانصب ، وإلى ربك فارغب (١)) فهذه السورة كلها نصيحة بأذكار الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم منته عليه في شرح صدره بعد الغم والضيق ووضع وزره عنه ، وهو الأثم بعد انقاض الظهر ، وهو الثقل الذي أثقله لنقض العظام كما ينتقض البيت إذا صوت للوقوع . ورفع جل جلاله ذكره بعد أن لم يكن بحيث جعله مذكوراً معه ، والبشارة له في نفسه عليه الصلاة والسلام وفي أمته بأن مع اليسر الواحد يسرين إذا رغبوا إلى الله تعالى ربهم وأخلصوا له طاعاتهم ونياتهم وقال الله تعالى : (سيجعل الله بعد عسر يسراً (٢)) (ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه (٣)) وقال جل ثناؤه : (أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال أنى يحيى هذه الله بعد موتها فأماته الله مئة عام ثم بعثه - إلى قوله - اعلم أن الله على كل شيء قدير (٤)) فأخبر الله تعالى أن الذي مر على القرية استبعد أن يكشف الله عنها وعن أهلها البلاء بقوله : (أنى يحيى هذه الله بعد موتها ، فأماته الله مئة عام ثم بعثه) إلى آخر القصة فلا شدة أشد من الموت والخراب ، ولا فرج أفرج من الحياة أو العمارة . فأعلمه الله تعالى بما فعله به أنه لا يحب أن يستبعد فرجاً من الله وصنعاً كما عمل به ، وأنه قادر على أن يحيى القرية وأهلها كما أحياه الله تعالى فأراه ذلك آياته ومواضع صنعته وقال جل ثناؤه : (أليس الله بكاف عبده ويخوفوك بالذين من دونه (٥))

(١) الشرح ١ - ٨ . (٢) و (٣) الطلاق ٧ و ٢ - ٣ . (٤) البقرة ٢٥٩

(٥) الزمر ٣٦

وقال سبحانه : (وإذا مس الإنسان الضر دعانا لجنبه أو قاعداً أو قائماً فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا إلى ضره منه كذلك زين للسرفين ما كانوا يعملون (١)) وقال جل من قائل : (هو الذى يسيركم فى البر والبحر حتى إذا كنتم فى الفلك وجرين بهم برىح طيبة وفرحوا بها جاءتها رىح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين (٢)) وقال جل من قائل (قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعاً وخفية لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين * قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ثم أنتم تشركون (٣)) وقال جل ثناؤه : (وقال الذين كفروا لرسولهم لنخرجنكم من أرضنا أو نتعودن فى ملتنا فأوحى إليهم ربهم لنهلكن الظالمين * ولنسكننكم الأرض من بعدهم ذلك لمن خاف مقامى وخاف وعيد (٤)) وقال جل ذكره : (وزيد أن ممن على الذين استضعفوا فى الأرض ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين * ونمكن لهم فى الأرض ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون (٥)) وقال جل من قائل : (أمن يجب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض ءأله مع الله قليلاً ما تذكرون (٦)) وقال تعالى : (وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين (٧)) وقال تعالى : (وأفوض أمري إلى الله إن بصرى بالعباد * فوqاه الله سيئات ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب (٨)) وقال تعالى : (وإذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لى وليرؤنوا بى لعلمهم يرشدون (٩)) وقال تعالى : (ولنبلونكم بشىء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين * الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون * أولئك عليهم صلوات من

(١) و (٢) يونس ١٢ و ٢٢ (٣) الانعام ٦٣ و ٦٤ (٤) إبراهيم ١٣ و ١٤
 (٥) القصص ٥ و ٦ (٦) النحل ٦٢ (٧) المؤمن ٦٠ (٨) المؤمن ٤٤ و ٤٥
 (٩) البقرة ١٨٦

ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون (١) وقال عز من قائل : (الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ۖ فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم (٢))

وروى عن الحسن البصري رضى الله تعالى عنه أنه قال : عجبا لمكروب غفل عن خمس وقد عرف ما جعل لمن قالهن . قوله : (ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع إلى - قوله - هم المهتدون (٣)) وقوله تعالى : (وأفوض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد ۖ فوفاه الله سيئات ما مكروا (٤)) وقوله تعالى : (وإذا النون إذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين (٥)) وقوله : (الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم - إلى قوله - والله ذو فضل عظيم (٦)) وقوله تعالى : (وأيوب إذ نادى ربه أنى مسنى الضر - إلى قوله - وذكرى للعابدين (٧)) وروى عن الحسن البصري رضى الله عنه أيضاً أنه قال : من لزم قراءة هذه الآيات في الشدائد كشفها الله تعالى عنه ، لأنه قد وعد وحكم فيهن بما جعله لمن قالهن وحكمه تعالى لا يبطل ، ووعد لا يخلف . وقد ذكر تعالى فيما قصه من أخبار الأنبياء شدائد ومحناً استمرت على جماعة منهم وضروباً جرت عليهم من البلاء فأعقبتها بفرج وتخفيف ، وتداركهم منها بصنع جليل لطيف .

* * *

فأول تمتحن منهم آدم عليه السلام أبو البشر فإن الله جل جلاله خلقه في الجنة وعلمه الأسماء كلها وأسجد الملائكة له ، ونهاه عن أكل الشجرة . فوسوس له الشيطان ، فكان منه ما قاله الرحمن في محكم القرآن : (وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتباها ربه فتاب عليه وهدى (٨)) هذا بعد أن أهبطه من الجنة إلى الأرض

(١) البقرة ١٥٥ - ١٥٧ (٢) آل عمران ١٧٣ و ١٧٤ (٣) البقرة ١٥٥
(٤) المؤمن ٤٤ و ٤٥ (٥) الأنبياء ٨٧ (٦) آل عمران ١٧٣
(٧) الأنبياء ٨٣ (٨) طه ١١٨

وأفقدته لئذ ذلك الخفض ، فانتقضت عادته ، وعلظت محنته ، وقتل أحد ابنيه الآخر ، وكان أول أولاده . فلما طال حزنه وبكاؤه ، واتصل استغفاره ودعاؤه ، رحم الله تذلله وخشوعه ، واستكانته ودموعه ، فتاب عليه وهداه وكشف ما به ونجاه فكان آدم صلى الله عليه وسلم أول من دعا فأجيب ، وامتنحن فأثيب ، وخرج من ضيق وكرب ، إلى سعة ورحب ، وسكن . همومه ، ونسى غمومه ، وأيقن بتجديد الله تعالى له النعم ، وإزالته عنه النقم ، وأنه تعالى إذا استرحم رحم ، فأبدله الله تعالى هذا بتلك الشدائد ، وعوضه بدل الابن المفقود والابن العاق الموجود نبي الله شيداً عليه السلام وهو أول أولاده البررة بالوالدين ، ووالدائنين والصالحين ، وأبو الملوك الجبارين وجعل ذريته هم الباقين وخصهم من النعم بما لا يحيط به وصف الواصفين وقد جاء في القرآن من الشرح لهذه الجملة والبيان ، ما لا يحتمل ذكره هذا المكان ، وقد روى فيه من الأخبار ، ما لا وجه للإطالة به والاكتفاء .

ثم نوح عليه السلام فانه امتحن بخلاف قومه عليه ، وعصيان ابنه له ، والطوفان العام ، وركوب السفينة وهي تجري بهم في موج كالجبال ، واعتصام ابنة بالجبل وتأخره عن الركوب معه . فقاسى نوح بذلك الشدائد ، فأعقبه الله تعالى الخلاص من تلك الأهوال بالتمكين له في الأرض ، وبغيض الطوفان وجعله شبه آدم عليه الصلاة والسلام ، لأنه أنشأ منه نانياً جميع البشر كما أنشأهم أولاً من آدم فلا ولد لآدم إلا من نوح عليه الصلاة والسلام ، قال الله تعالى : (ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون . ونجيناه وأهله من الكرب العظيم) وجعلنا ذريته هم الباقين . وتركنا عليه في الآخرين (١) . (ونوحاً إذ نادى من قبل فاستجبنا له ونجيناه وأهله من الكرب العظيم) (٢)

ثم إبراهيم صلى الله عليه وسلم ، وما وقع له من كسر الأصنام ، وما لحقه من قومه من محاولة احراقه ، فجعل الله النار عليه برداً وسلاماً .

وقال تعالى : (ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنابه عالمين (١)) ثم اقتصر قصته في قوله تعالى : (قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين * قلنا : يا مازكونى برداً وسلاماً على إبراهيم * وأرادوا به كيداً فجعلناهم الأخسرين * ونجيناه ولو طأ إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين * - إلى قوله تعالى - وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا (٢)) وما كافه الله تعالى إياه من مفارقة وطنه بالشام لما غارت عليه سارة من أم ولده هاجر ، فهاجر بها وبابنه منها اسماعيل الذبيح عليه السلام فأسكنهما بواد غير ذى زرع ، نازحين بعيدين منه ، حتى أتبع الله عز وجل لهما الماء ، وتابع عليهما النعماء ، وأحسن لإبراهيم فيهما الصنيع ، والفائدة النفع . وجعل لإسماعيل النسل والنبوة والعدد والملك هذا بعد أن كان أمر سبحانه وتعالى إبراهيم عليه السلام أن يجعل ابنه اسماعيل لسبيل الذبح . قال الله تعالى فيما اقتضه من ذكره في سورة الصافات :

(فبشرناه بغلام حليم * فلما بلغ معه السعى قال يا بنى لئن أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى ، قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى إن شاء الله من الصابرين * فلما أسلما وتلها لحيان * وناديتاه أن يا إبراهيم * قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزي المحسنين * إن هذا لهو الملاء الممين . وفديناه بذبح عظيم * وتركنا عليه فى الآخرين (٣)) فلا بلاء أعظم من بلاء شهد الله جل ثناؤه أنه بلاء مبین ، وهو تكليف إنسان أن يجعل سبيل الذبح ابنه وتكليفه هو والمذبح أن يؤمنا ويصبرا ويسلما ويحتسبا . فلما أديا ما كافا من ذلك وعلم الله جل جلاله منهما صدق الإيمان ، والصبر ، والتسليم ، والاذعان ، فدى الابن بذبح عظيم ، وخلصهما من تلك الشدائد الهائلة

• • •

ومن هذا الباب قصة لوط عليه السلام لما نهى قومه عن الفاحشة فعصوه وكذبوه ، وتضييقه الملائكة عليهم السلام فطالبوه بما طالبوه

(١) الأنبياء ٥١ (٢) الأنبياء ٦٨ - ٧٢ (٣) الصافات ١٠١ - ١٠٨

نفس الله تعالى بهم أجمعين ، ونجى لوطاً وأثابه ثواب الشاكرين ، وقد نطق بهذا كلام الله العظيم في مواضع من الذكر الحكيم

ويعقوب ويوسف عليهما السلام ، فقد أفرد الله تعالى بذكر شأنهما وعظم بلوآهما وامتحنهما سورة محكمة بين فيها حسد إخوة يوسف له على المنام الذي بشره الله فيه بغاية الإكرام ، حتى طرحوه في الجب فخلصه الله تعالى منه بمن أدلى الدلو ثم استعبد ، فألقى الله عز وجل في قلب من صار إليه إكرامه واتخاذهم ولداً ، ثم مراودة امرأة العزيز إياه عن نفسه ، وعصمة الله له منها وكيف جعل عاقبته بعد الحبس إلى ملك مصر ، وما لحق يعقوب من العمى لفرط البكاء وما لحق إخوة يوسف من التمريق وحبس أحدهم نفسه حتى يأذن له أبوه ، أو يحكم الله له ، وكيف أنفذ يوسف عليه السلام إلى أبيه عليه السلام قيصه حتى رده الله عز وجل به بصيراً ، وجمع بينهم وجعل كل واحد منهم بالنعمة مسروراً .

وأيوب عليه السلام وما امتحن به من الأسقام وعظم اللآواء ، والدرد ، والادواء ، وقد جاء القرآن الكريم بذكره ، ونطقت الأخبار بشرح أمره قال الله تعالى : (وأيوب إذ نادى ربه أنى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين • فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين (١))

ويونس عليه السلام وما اقتض الله عز وجل من قصته في موغير موضع من كتابه العزيز ذكر فيها التقام الحوت له وتسييحه في بطنه وكيف نجاه الله تعالى وأعقبه بالرسالة والصنع قال الله تعالى : (وإن يونس لمن المرسلين • إذ ابق إلى الفلك المشحون • فسأهم فكان من المدحضين - إلى

قوله - فمتعنهم إلى حين (١)) ومنها قوله (وذا النون إذ ذهب مغاضباً فظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين * فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين (٢)) قال بعض المفسرين معنى : أن لن نقدر عليه أى نضيق عليه وهذا مثل قوله تعالى : (ومن قدر عليه رزقه (٣)) أى من ضيق عليه رزقه ومثل قوله تعالى : (قل) إن ربى يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين (٤)) وقد جاء قدر فى القرآن بمعنى ضيق فى مواضع كثيرة . ومن هذا قيل للفرس الضيق الخطوف فرس أقدر . لأنه لا يجوز أن يهرب من الله تعالى نبي من أنبيائه ، ومن ظن أن الله تعالى لا يقدر عليه أى لا يدركه ، وأنه يعجز الله هرباً فقد كفر . والأنبياء عليهم السلام أعلم بالله سبحانه من أن يظنوا فيه هذا الظن الذى هو كفر . وقد روى أنه من أدام قراءة (وذا النون إذ ذهب مغاضباً فظن أن لن نقدر عليه فنادى فى الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين - إلى قوله - ننجي المؤمنين (٥)) فى الصلاة وغيرها فى أوقات شدائده عجل الله له الفرج ، وأنا أحد من واطبتها فى نكبة عظيمة لحقتنى يطول ذكرها عن هذا الموضع وقد كنت حبست وهددت بالقتل ، ففرج الله سبحانه وتعالى عني وأطلقت فى اليوم التاسع من حين قبضت .

وموسى بن عمران عليه الصلاة والسلام فقد نطق القرآن بقصصه فى غير موضع منها قوله تعالى : (وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه فى اليم ولا تخافى ولا تحزنى إنا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين * - إلى قوله - ولكن أكثرهم لا يعلمون (٦)) فلاشدة أعظم من أن يبتلى الناس بملك يذبح أبناءهم ، حتى ألفت أم موسى ابنها فى البحر ،

(١) الصافات ١٣٩ - ١٤٨ (٢) الانبياء ٨٧ (٣) الطلاق ٧

(٤) سبأ ٣٩ (٥) الانبياء ٨٨ (٦) القصص ٧ - ١٣

ولا شدة أعظم من حصول طفل في بحر فكشف الله سبحانه ذلك عنه بالتقاط آل فرعون له ، وما ألقاه في قلوبهم من الرأفة عليه حتى استحبوه ، وحرم عليه المراضع حتى رده إلى أمه وكشف عنها الشدة في فراقه وعنه الشدة في حصوله في البحر . ومعنى قوله تعالى : (لئلا يكون لهم عذرا وحزنا (١)) أى يصير عاقبة أمره معهم إلى عداوته لهم وهذه لا العاقبة كما قال الشاعر :

لدى الموت وابنوا للخراب وكألكم يصير إلى ذهاب

وقد علم أن الولادة لا يقصدها الموت ، والبناء لا يقصده الخراب وإنما عاقبة الأمر فيهما أن يصيرا إلى ذلك . وعلى الوجه الأول قوله تعالى : (ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس (٢)) أى عاقبة أمرهم وفعلهم واختيارهم لأنفسهم يصيرهم إلى جهنم فيصرون لها ، لا أن الله جل ثناؤه خلقهم لقصد تعذيبهم بالنار في جهنم عز الله تعالى عن الظلم . وقال عز وجل في تمام هذه القصة : (وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى قال يا موسى إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج إني لك من الناصحين) فخرج منها خائفا يترقب قال رب نجني من القوم الظالمين (٣)) فهذه شدة أخرى كشفها الله تعالى عنه وقال سبحانه وتعالى : (ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون - إلى قوله - من خير فقير (٤)) فهذه شدة أخرى لحقته بالاعتراب والحاجة إلى الاضطراب في المعيشة والاكتساب فوق الله له شعبيا عليه السلام وزوجه ابنته قال الله تعالى في تمام القصة : (فجاءته إحداهما تمشي على استحياء قالت إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا فلما جاءه وقص عليه القصص قال لا تخف . نجوت من القوم الظالمين (٥))

ثم أخبر الله تعالى في هذه القصة كيف زوجه شعيب ابنته بعد أن استأجره ثمانى حجج ، وأنه خرج بأهله من عند شعيب فرأى النار فضى ليقبس منها فكلمه الله تعالى وجعله نبيا وأرسله إلى فرعون ، فسأله أن

(١) القصص ٨ (٢) الاعراف ٢٣ (٣) القصص ٢٠ و ٢١

(٤) القصص ٢٣ و ٢٤ (٥) القصص ٢٥

يرسل معه أخاه هارون فشد الله عضده به وجعله نبياً معه ، فأى فرج أحسن من فرج من أتى خائفاً هارباً فقبراً قد آجر نفسه ثمانى حجج لجوزى بالنبوة والملك قال الله تعالى : (وقال الملأ من قوم فرعون أتذر موسى وقومه ليفسدوا فى الأرض ، ويذرك وآلكتك . قال سنقتل أبناءهم ونستحيي نساءهم وإنا فوقهم قاهرون (١)) فهذه شدة أخرى لحقت بنى إسرائيل فكشفها الله تعالى عنهم . قال الله تعالى : (وقال موسى لأخيه هارون اخلفنى فى قومى وأصلح (٢)) . (وقال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ه قالوا أؤذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم فى الأرض فينظر كيف تعملون (٣)) وقال تعالى : (وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى إسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون (٤)) . فأخبر تعالى عن صنعه لهم وقلقه البحر لبنى إسرائيل حتى عبروه يديساً ، واغراقه فرعون لما تبعهم فكل ذلك أخبار عن محن عظيمة انجلت بمنح جليلة لا يؤدى شكر الله عليها ويجب على العاقل تأملها ليعرف كنه تفضل الله بكشف الشدائد وإغاياته بإصلاح كل فاسد لمن تمسك بطاعته ، وإخلاص فى خشيته . وأصلح من نيته ، ليسلك من هذه السبيل ، فانها إلى النجاة من المكاره أوضح طريق وأهدى دليل . وذكر سبحانه وتعالى فى (والسماء ذات البروج (٥)) أصحاب الاخدود ، وروى قوم من أهل الملل المخالفة للإسلام عن كتبهم أشياء فى ذلك فذكرت اليهود : ان أصحاب الاخدود كانوا ادعاة إلى الله تعالى وإن ملك بلدهم أضرم لهم ناراً وطرحهم فيها ، فاطلع الله على صبرهم ، وخلوص نياتهم فى دينهم وطاعتهم له فأمر النار أن لا تحرقهم فشوهدها فيها قعوداً وهى تضرع عليهم ولا تحرقهم ونجوا منها ، وجعل الله دائرة السوء على الملك فأهلكه .

(١) الاعراف ١٢٧ (٢) الاعراف ١٤٢ (٣) الاعراف ١٢٨ و ١٢٩

(٤) الاعراف ١٣٧ (٥) البروج ١

(٢ - الفرج - أول)

وذكر هؤلاء القوم أن نبياً كان في بني إسرائيل بعد موسى عليه الصلاة والسلام بزمان طويل يقال له دانيال ، وإن قومه كذبوه فأخذهم ملكهم بختنصر فقدمه إلى أسدين كان يجوعهما في جب فلما علم الله تعالى حسن اتكاله عليه ، وصبره طلباً لما لديه . أمسك هذه أفواه الأسدين حتى قام على رؤسهما برجليه وهى مذلة له غير ضارة فبعث الله تعالى أرميا من الشام حتى خلص دانيال من هذه الشدة وأهلك من أراد هلاك دانيال .

وعضدت روايتهم أشياء رواها أصحاب الحديث منها : ما حدثوني عن عبد الله بن أبي الهذيل قال : إن بختنصر جوع أسدين وأطلقهما في جب وجاء بدانيال فألقاه عليهما فلم يبيجاها فكشك ماشاء الله ، ثم انتهى ما يشتهي الآدميون من الطعام والشراب فأوحى الله تعالى إلى أرميا وهو بالشام أن اعدد طعاماً وشراباً لدانيال . فقال يارب : أنا بالأرض المقدسة ، ودانيال بأرض بابل من أرض العراق . فأوحى الله إليه أن اعدد ما أمرتك به فأسرسل إليك من يحمل ما أعددت ففعل ، فأرسل الله إليه من حملة وحمل ما أعد حتى وقف على رأس الجب . فقال دانيال : من هذا ؟ قال : أنا أرميا . قال ما جاء بك ؟ قال : أرسلنى إليك ربك . قال : وقد ذكرنى ؟ قال : نعم . قاله دانيال :

والحمد لله الذى لا ينسى من ذكره ، والحمد لله الذى لا يخيب من دعاه ، والحمد لله الذى من توكل عليه كفاه ، والحمد لله الذى من وثق به لم يكله إلى غيره ، والحمد لله الذى يحزى بالصبر نجاة ، والحمد لله الذى هو يكشف ضرنا وكربتنا ، والحمد لله الذى هو يقيمنا ورجاؤنا حين تنقطع الخيل عنا ، والحمد لله الذى هو ثقتنا حين تسوء ظنوننا بأعمالنا ،

• • • • •

وقد ذكر الله تعالى فى محكم التنزيل الشدة التى جرت على سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الأخيار فيما اقتضه من قصة الغار فقال سبحانه وتعالى : (إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثانياً

اثنتين إذ هما في الغار — إلى قوله — والله عزيز حكيم (١)) وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم لما خاف أن تلحقه المشركون حين سار عن مكة دخل الغار هو وأبو بكر الصديق رضي الله عنه فاستخنيا فيه فأرسل الله تعالى منكبوتاً ففسج في الحال على باب الغار ، وحمامة عشتت وباعثت وأفرخت للوقت ، فلما انتهى المشركون إلى الغار ورأوا ذلك لم يشكوا أنه غار لم يدخله أحد منذ حين ، وإن النبي صلى الله عليه وسلم ، وأبا بكر رضي الله عنه ليران أقدامهم ويسمعان كلامهم ، فلما انصرفوا وبعثوا وجاء الليل خرجوا فصاروا نحو المدينة فوردوها سالمين .

وروى أصحاب الحديث أيضاً في شرح حال النبي صلى الله عليه وسلم في المحن التي لحقته من المشركين من شق الفرت عليه ، ومحاولة أبي جهل ، وشيبة وعتبة ابني ربيعة ، وأبي سفيان بن حرب ، والعاص بن وائل ، وعقبة ابن أبي معيط وغيرهم لعنهم الله تعالى قتله وما كانوا يكشفونه به من السب ، والتكذيب ، والاستهزاء ، وانتأيب ورميهم له صلى الله عليه وسلم بالجنون ، وقصدهم إياه غير دفعة بأنواع الأذى ، والفضيحة والاقتراء ، وحصرهم إياه صلى الله عليه وسلم وجمعهم بنى هاشم في الشعب وتخوينهم إياه ، وتديبرهم أن يقتلوه حتى بعد ، وبيت علي بن أبي طالب رضي الله عنه في مكانه وعلى فراشه ما يطول ذكره واقتصاصه ، ويكثر شرحه ، ثم أعقبه الله عز وجل من ذلك بالنصر والتمكين ، وإعزاز الدين وإظهاره على كل دين ، وقمع الجاحدين والمشركين ، وقتل أولئك الكفرة المعادين والمعاندين ، وغيرهم من المكذبين الكاذبين الذين كانوا عن الحق ناكثين ، وبالدين مستهزئين ، وللهزمين ناصيين متوعدين ، وللنبي صلى الله عليه وسلم مكاشفين محاربين ، وأذل من بقي منهم بعز الإسلام ، بعد أن عاد بإظهاره ، وأضمر الكفر في إسراره ، فصار من المنافقين الملعونين ، والحمد لله رب العالمين .

فهذه أخبار جاءت في آيات من القرآن . . نفع الله بها وينفع بها غير إنسان . وهي تجري في هذا الباب وتنضاف إليه ، وروى عن أبي ذر رضى الله عنه أنه قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يتلو هذه الآية (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ، ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدرا (١)) ثم يقول : يا أبا ذر : « لو أن الناس كلهم أخذوا بذلك لكفاهم » .

حدثنا علي بن أبي طالب بإسناده قال : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : إن بني فلان أغاروا على فذهبوا يا بني وإيلي ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن آل محمد لكذا وكذا ما في بيتهم مد من طعام فاسأل الله تعالى . فرجع إلى امرأته فقالت له : ما قال لك ؟ فأخبرها . فقالت : نعم ماردك إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم . فمالث أن رد الله عليه إبله أو فرءا ، كانت وابنه ، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فصعد النبي صلى الله عليه وسلم المنبر فحمد الله وأثنى عليه وأمر الناس مسألة الله عز وجل والرجوع إليه والرغبة وقراءة (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ، ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدرا (١)) .

وسئل أبو الدرداء عن هذه الآية (كل يوم هو في شأن (٢)) فقال : سئل عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : من شأنه يغفر ذنباً ، ويكشف كرباً ، ويرفع أقواماً ، ويضع آخرين .

وأخبرني محمد بن الحسن بإسناد طويل قال ، سمعت سعيد بن عنبسة يقول : بينما رجل جالس وهو يعبت بالحصا ويحذف به إذ رجعت حصاة منها عليه فصارت في أذنه فجهدوا بكل حيلة فلم يقدرُوا على إخراجها فبقيت الحصاة في أذنه مدة وهي تؤلمه فبينما هو ذات يوم جالس إذ سمع قارئاً يقرأ

(١) الطلاق ٢ و ٣

(٢) الرحمن ٢٩

(أمن يجيب المضطر إذا دعاه (١) الآية . فقال الرجل يارب أنت المجيب وأنا المضطر ، فاكشف عني ضر ما أنا فيه . فنزلت الحصاة من أذنه في الحال . وروى أن أبا عبيدة حصر فكتب إليه عمر رضى الله عنه : مهما نزل بامرئ من شدة يجعل الله له بعدها فرجا ، وإنه لن يغلب عسر يسرين ، وأنه يقول عز وجل : (اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون (٢)) .

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : إن يونس عليه السلام حين بدا له أن يدعو الله بالكلمات حين ناداه وهو في بطن الحوت فقال : « اللهم لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين » فأقبلت الدعوة نحو العرش فقالت الملائكة : يارب هذا صوت ضعيف مكروب من بلاد غريبة . قال أما تعرفون ذلك ؟ قالوا : لا يارب . قال : ذلك عبدى يونس ، قالوا : عبدك يونس الذى لم يزل نرفع له عملا صالحا متقبلا ودعوة مستجابة ؟ قال : نعم . قالوا يارب : أفلا ترحم ما كان يصنع فى الرخاء فننجيه من البلاء ؟ قال : بلى ، فأمر الحوت فطرحه بالعراء ، وقال أبو صخر : فأخبرنى أبو سقيط وأبوه حديثه بهذا الحديث أنه سمع أبا هريرة يقول : طرح بالعراء فأثبت الله عليه اليقطينة . قلنا : وما اليقطينة ؟ قال شجرة الدباء . قال أبو هريرة : وهى الله له أرنبه وحشية تأكل من حشائش الأرض وتجيء فتفشيح عليه وترويه من لبنها كل عشية وبكرة حتى نبت جلده ، وقال أمية بن أبى الصلت قبل الإسلام فى ذلك شعرا :

فأثبت يقطينا عليه برحمة من الله لولا الله القى ضاحيا

وروى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أنه قال : لما ابتلع الحوت يونس عليه السلام أهوى به إلى قرار البحر فسمع يونس عليه السلام تسبيح الحصا وهو فى ظلمات ثلاث : ظلمة بطن الحوت ، وظلمة البحر ، وظلمة الليل (فنادى فى الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من

الظالمين (١) قال الله عز وجل : (فنبذناه بالعراء وهو سقيم (٢)) قال : كهيئة الفرخ الممعوط الذى ليس له ريش .

حدثني قتي من الكتاب البغداديين يعرف بأبى الحسن بن أبى الليث وكان أبوه من كتاب الجند يتصرف مع اشكرون بن سهلان الديلمي أحد الأمراء فى عسكر معز الدولة بن أحمد بن بويه قال : قرأت فى بعض الكتب إذا دهمك أمر تخافه فبت وأنت طاهر ، على فراش طاهر ، وثيابك كلها طاهرة ، وقرأ : (والشمس وضحاها (٣)) إلى آخر السورة . سبعا (والليل إذا يغشى (٤)) إلى آخر السورة سبعا ثم قل : اللهم اجعل لى فرجا ومخرجا من أمرى « فانه يأتيك فى الليلة الأولى ، أو الثانية إلى السابعة آت فى منامك فيقول لك : المخرج منه كذا وكذا . قال فحبست بعد ذلك بسنتين حبسة طالت حتى أيست من الفرج - وكنت قد أنسيت هذا الخبر فذكرته يوما وأنا فى الحبس ففعلت ذلك . فلم أر فى أول ليلة ، ولا فى اثنائية ، ولا فى اثنائية شيئا . فلما كان فى الليلة الرابعة فعلت ذلك على الرسم فرأيت فى منامى كأن قائلا يقول لى خلاصك على يدى على بن إبراهيم . فأصبحت من غد متعجبا ولم أكن أعرف رجلا يقال له على بن إبراهيم ، فلما كان بعد يومين دخل على شاب لا أعرفه فقال : قد كفلت ماعليك فقم ، وإذامعه رسول إلى السجن بتسليمى اليه ، فقممت معه فحملنى إلى منزلى وسلمنى فيه وانصرف . فقلت لهم : من هذا ؟ قالوا رجل من أهل الاهواز يقال له على بن إبراهيم يسكون فى الكرخ . قيل لنا انه صديق للذى حبسك فطرحنا أنفسنا عليه فتوسط فى أمرك وضمن ماعليك وأخرجك .

قال مؤلف هذا الكتاب : فلما كان بعد يسير جاءنى على بن ابراهيم هذا وهو معاملى فى سنين كثيرة فذاكرته بالحديث فقال : نعم كان هذا عبدوس الذى حبسه هو ابن أخت أبى على النصرانى خازن معز الدولة ، فلما طالبه بالمبلغ الذى كان عليه من الضمان الذى ضمنه منه وكان عبدوس صديق لجاءنى من سألتنى خطابه فى أمره فجرى الأمر على ما عرفت .

(١) الانبياء ٨٨ (٢) الصافات ١٤٥ (٣) الشمس ١ (٤) الليل ١

قال مؤلف الكتاب وجدت في كتاب محمد بن جرير الطبري الذي سماه بكتاب « الآداب الحميدة والأخلاق النفيسة » حدثني محمد بن عمار الأسدي ، عن روح بن الحارث بن حبيش الصنعاني . عن أبيه ، عن جده أنه قال لبنيه : إذا دهمكم أمر فلا يبيتن أحدكم إلا وهو طاهر ، على فراش طاهر ، ولا يبيتن معه امرأة وليقرأ (والشمس وضحاها (١)) إلى آخر السورة سبعا (والليل إذا يغشى (٢)) إلى آخر السورة سبعا ثم يقل : « اللهم اجعل لي من أمري فرجاً ومخرجاً » فإنه يأتيه آت في أول ليلة ، أو في الثالثة ، أو في الخامسة وأظنه قال : أو في السابعة يقول لك : مخرج ، أنت فيه كذا قال أنيس : وأصابني وجمع شديد فلم أدر ما علاجه فبيت على هذه الحالة فأتاني في أول ليلة اثنتان جلس أحدهما على رأسي وجلس الآخر عند رجلي فقال أحدهما لصاحبه : جسسه . فليس جسدي كله فلما بلغ موضعاً من رأسي قال : احجم هذا ولا تحمله ولكن اغسله بمخطمية ، ثم التفت إلى أحدهما أو كلاهما وقال لي : فكيف لو ضمت إليهما (والتين والزيتون (٣)) فلما أصبحت سألت لم أمرت بالخطمية فقبل لتمسك المحجمة فبرأت وأنا إلى اليوم لا أحدث بهذا الحديث أحداً فيعالج به من تلك العلة إلا وجد الشفاء بإذن الله تعالى وأختم إليهما قراءة (والتين والزيتون (٣)) .

وحدثت عن أحمد بن أبي داود قال : حدثني الوائلي قال : حدثني المعتصم أن قوماً ركبوا البحر فسمعوا هاتفاً يهتف بهم من يعطيني عشرة آلاف دينار حتى أعلمه كلمات إذا أصابه غم أو أشرف على هلكة فقالوا انكشفت عنه ؟ . فقام رجل من أهل المركب معه عشرة آلاف دينار فصاح أيها الهاتف : أنا أعطيك حتى تعلمني . فقيل له ارم بالمال في البحر فرمى بالمال . فسمع الهاتف يقول : إذا أصابك غم أو أشرفت على هلكة فاقرأ : (ومن يتق الله يجعل له مخرجاً) ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدراً (٤)) فقال جميع من في المركب للرجل

(١) الشمس ١ (٢) الليل ١ (٣) التين ١ (٤) الطلاق ٢ و ٣

لقد ضيعت مالك . فقال : كلا إن هذه لفظة ما أشك في نفعها . قال : فلما كان بعد أيام كسر بهم المركب فلم ينج منهم أحد غير ذلك الرجل على لوح فحدث بعد ذلك قال : طرحني البحر على جزيرة فصعدت أمشي فيها فإذا بقصر منيف فدخلته فإذا فيه من كل ما يكون من الجواهر التي في البحر وغيرها وإذا بامرأة لم أر قط أحسن منها فقلت لها : من أنت ، وأى شيء تعملين هاهنا ؟ قالت أنا ابنة فلان بن فلان التاجر بالبصرة ، وكان أبي عظيم التجارة ، وكان لا يصبر عني ، فسافر بي في البحر معه فأنكسر مركبنا فاختلفت حتى حصلت في هذه الجزيرة ، ولأنه يخرج إلى شيطان من البحر فيتلاعب بي سبعة أيام من غير أن يطأني إلا أنه يلامسني ويؤذيني ويتلاعب بي وينظر إلى ثم ينزل إلى البحر سبعة أيام وهذا يوم موافاته فاتق الله في نفسك وأخرج قبل موافاته وإلا أتى عليك . فما انقضى كلامها حتى رأيت ظلمة هائلة عظيمة قد أقبلت . فقالت : قد جاء والله وسيلكك ، فلما قرب مني وكاد يغشاني قرأت الآية فإذا هو قد خر كقطعة جبل إلا أنه رماد محترق . فقالت المرأة هلك والله وكفيت أمره من أنت يا هذا الفتى الذي من الله على بك ؟ فقممت أنا وهي وانتخبنا ذلك الجوهر حتى حملنا كل ما فيه من نفيس وفاخر ولزمنا ساحل البحر نهارنا أجمع ، فلما كان الليل رجعنا إلى القصر . قال : وكان فيه ما يؤكل فقلت لها من أين لك هذا ؟ قالت وجدته هاهنا . فلما كان بعد أيام رأينا مركباً يبين عن بعد ، فلوحنا إليهم فدخلوا فحملونا وسلبنا الله عز وجل إلى البصرة . فوصفت لي منزل أهلها فأتيهم فقالوا : من أنت ؟ قلت رسول فلانة بنت فلان ، فارتفعت الواغية . وقالوا يا هذا : لقد جددت علينا مصيبتنا . فقلت أخرجوا ثم أخذتهم ورجعت حتى جئت بهم إلى أبنيتهم فكادوا يموتون فرحاً وسألوها عن خبرها فقصة عليهم وسألهم أن يزوجوني بها ففعلوا وجعلنا هذا الجوهر رأس مال بيني وبينها وأنا اليوم أيسر من بالبصرة وهؤلاء أولادى منها .

وذكر أبو عبد الله محمد بن عبدوس في كتاب الوزراء : أن عبد الله

ابن المعلی بن آیوب حدثه عن أبيه قال : قال المعلی بن آیوب : أعتنى الفضل ابن مروان ونحن في بعض الأسفار فطالبني بعمل بعيد يعمل في مدة بعيدة واقتضانيه في كل يوم مراراً إلى أن أمرني عن المعتصم أن لا أبرح إلا بعد الفراغ منه . ففعدت في ثيابي وجاء الليل فجعلت بين يدي زفاطة وطرح غلاني أنفسيهم حولي وورد على أمر عظيم لأنني قلت ما تجاسر على أن يوكل بي إلا وقف على سوء رأي في من المعتصم . قال : فاني لجالس وذقني على يدي وقد مضى من الليل بعضه وأنا منكسر فحملتني عيني فذمت فرأيت كأن شخصاً قد مثل بين يدي وهو يقول : (قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعا وخفية لئن أنجيكم من هذه لسكونن من الشاكرين) قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ثم أنتم تشركون (١) ثم انتهت فقرأتها فإذا أنا بمشعل قد أقبل من بعيد ، فلما قرب مني رأيت وراءه حماداً ونفس صاحب الحرس وقد أنكر زفاطتي فجاء ليعرف سببها فأخبرته خبري فمضى إلى المعتصم فأخبره فإذا الرسل يطلبوني فدخلت إليه وهو قاعد ولم يبق من الشمع إلا أسفله . فقال لي : ما خبرك فشرحت له . فقال لي : ويل على النبطي يمتنك ، وأي يد له عليك ، وأنت كاتبي كما هو كاتبي انصرف . قال : فانصرفت وبكرت إلى الفضل على عادتي لم أنكر شيئاً .

حدثني أبو الفضل محمد بن عبد الله في المذاكرة في خبر طويل لست أقوم عليه ان رجلاً كانت بينه وبين رجل يتمكن من أذاه عداوة نخافه خوفاً شديداً ، وأهمه أمره ولم يدرك ما يصنع فرأى في منامه كأن قائلاً يقول له : اقرأ في كل يوم في إحدى ركعتي الفجر (ألم تركيف فعل ربك بأصحاب الفيل (٢)) إلى آخر السورة . قال فقرأتها فنامت إلا شهو حتى كفيت أمر ذلك الرجل وأهلكه الله عز وجل وأنا أقرؤها إلى الآن .

قال مؤلف هذا الكتاب : ف وقعت أنا بعد ذلك في شدة لحقتني من عدو خفته فاستترت منه فجعلت دأبي قراءة هذه السورة في

(١) الانعام ٦٣ و ٦٤ (٢) الفيل ١

الركعة الثانية من صلاة الفجر كل يوم وأقرأ في الأولى منها : (ألم نشرح
لك صدرك (١)) إلى آخر السورة الخبر كان بلغنى فيها ، فلما كان بعد شهور
كفانى الله أمر ذلك العدو ، وأهلكه من غير سعى لى فى ذلك ولا حول
ولا قوة .

وأما الخبر فى (ألم نشرح (١)) فإن أبا بكر بن شجاع المقرئ البغدادى
الذى كان يخلفنى على العيار فى دار الضرب بسوق الأهواز فى سنة ست
وأربعين وثلاثمائة . وكان : شيخا ثقة نبىلا وهو من أمناء القاضى الأحنف
محمد بن أبى الشوارب حدثنا بأسناد ذكره أن بعض الصالحين ألح عليه الغم
وضيق الصدر وتعذر الأمر حتى كاد يقنط فكان يمشى يوما وهو يقول :
أرى الموت لمن أمسى على الذلة له أصلح
فمتم به هاتف يسمع صوته ولا يرى شخصه - أوقال - رأى فى النوم
كان قائلا يقول :

ألا أيها المرء الذى ألهم به برج
إذا ضاق بك الصد ر ففكر فى ألم نشرح
قال فقرأتها فى صلاتى فشرح الله صدرى ، وأزال كربى وسهل أمرى
أو كما قال . وحدثنى غيره هذا الخبر من قريب بهذا الحديث وزاد فى الشعر
حيث قال :

فإن العسر مقرو ن يسرين فلا تبرح
وقد ذكر القاضى أبو الحسين فى كتاب الفرج بعد الشدة البيتين فقط
وقال فى الأخير منهما

إذا أعضلك الأمر بدل إذا ضاق بك الصدر

الباب الثاني

ما جاء في الآثار من ذكر الفرج بعد اللاؤاء ، وما يتوصل به إلى كشف الشدة والبلاء

أخبرني القاضي أبو القاسم علي بن محمد بن أبي الفهم التتوخي بالإسناد الصحيح قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سلوا الله من فضله فان الله تبارك وتعالى يحب أن يسأل ، وأفضل العباداة انتظار الفرج » . وروى مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « انتظار الفرج من الله عز وجل عبادة » . وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أفضل أعمال أمتي انتظارها فرج الله » وعن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعلي رضي الله عنه في حديث ذكره : « واعلم أن النصر مع الصبر ، والفرج مع الكرب ، وأن مع العسر يسراً » . وعن عمر بن مرة قال : سمعت أبا وائل يحدث عن كردوس بن عمرو وكان ممن قرأ الكتب أنه قال : إن الله عز وجل يبتلي العبد وهو يحبه ليسمع تضرعه .

حدثنا ابن أبي الدنيا يرفعه ، عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما : « ألا أعلمك كلمات تلتفع بهن ؟ قال : بلى يا رسول الله . قال : احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده أمامك ، تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة ، وإذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، جف القلم بما كان وما هو كائن ، ولو جهد العباد أن ينفعوك بشيء لم يكتبه الله لم يقدرُوا عليه ، ولو جهدوا أن يضروك بشيء لم يكتبه الله عليك لما قدرُوا ، فإن استطعت أن تعمل لله بالصدق في اليقين فافعل ، فإن لم تستطع فإن في الصبر على ما تكره خيراً كثيراً ، واعلم أن النصر مع الصبر ، وأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسراً » . وروى أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن المعونة من الله عز وجل تأتي العبد على قدر المؤونة ، وإن الصبر يأتي على قدر شدة البلاء ، - وربما قال - : إن الفرج يأتي من الله على قدر شدة البلاء » . وروى أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من ستر أخاه المسلم ستره الله يوم القيامة ، ومن نفس عن أخيه كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، والله عز وجل في عون العبد مادام العبد في عون أخيه » . وروى ابن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ذلك .

وروى عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم ، عن أبيه ، عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من أجرى الله على يده فرجاً لمسلم فرج الله عنه كرب الدنيا والآخرة » . وروى ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من أكثر من الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجاً ، ومن كل ضيق مخرجاً ، ورزقة من حيث لا يحتسب » . وروى أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا حول ولا قوة إلا بالله دواء من كل داء أيسرها اللهم » .

وعن نصر بن زياد قال كنت عند جعفر بن محمد رضي الله عنه فأتاه سفيان بن سعيد الثوري قال يا ابن رسول الله : حدثني فقال : يا سفيان إذا استبطأت الرزق فأكثر من الاستغفار ، وإذا ورد عليك أمر تكرهه فأكثر : من لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وإذا أنعم الله عليك بنعمة فأكثر من : الحمد لله :

حدثني محمد بن جعفر بن صالح الصالحى بالإسناد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « بينما ثلاثة نفر من بني إسرائيل يسرون إذ أخذهم المطر فأوو إلى غار في جبل فانطبقت عليهم صخرة فسدت الغار فقالوا تعالوا فليسأل الله عز وجل كل رجل منا بأفضل عمله فقال أحدهم : اللهم إن كنت تعلم انه كانت لي ابنة عم جميلة وكنت أهواها فدفعت اليها مائة

دينار فلما جلست منها مجلس الرجل من المرأة قالت : اتق الله يا ابن العم ولا تفض الخاتم إلا بحق فقامت عنها وتركت لها المائة دينار . اللهم إن كنت تعلم أنى فعلت ذلك خشية منك وابتغاء لما عندك فافرج عنا . فانزع عنهم تلك الصخرة . وقال الآخر : اللهم إن كنت تعلم أنه كان لى أبوان شيخان كبيران فكنت أغدو عليهما بصبرهما ، وأروح عليهما بغبوقهما فغدرت عليهما يوماً فوجدتهما نائمين فسكرتهما أن أوقظهما وكرهت أن أنصرف عنهما فيفقدان غداهما فوقمت حتى استيقظا فدفعتهما عليهما غداهما . اللهم إن كنت تعلم أنى إنما فعلت ذلك ابتغاء ما عندك ، وخشية منك فافرج عنا ، فانزع عنهم الثلث الثانى ، وقال الثالث : اللهم إن كنت تعلم أنى استأجرت أجيرأ فلما دفعت اليه أجرته قال عملى أوفى من هذا وترك لى أجرته وقال بينى وبينك يوم يؤخذ المظلوم فيه من الظالم ومضى ، فابتعت له بأجرته غنماً فلم أزل أرعها ونمت حتى تزايدت وكثرت . فلما كان بعد مدة من الدهر أتانى فقال : يا هذا إن لى عندك أجرة عملت لك كذا وكذا فى وقت كذا وكذا . فقلت له : خذ الغنم فهى لك . فقال تمنعنى أجرتى ونزأ بى ؟ فقلت : خذها فانها لك . فأخذها ودعأ لى . اللهم إن كنت تعلم أنى إنما فعلت هذا خشية منك وابتغاء لما عندك فافرج عنا فانزع عنهم باقى الصخرة وخرجوا يمشون . وذكر الحديث .

قال مؤلف هذا الكتاب هذا حديث مشهور رواه عن النبى صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب ، وعبد الله بن عباس ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن أبى أوفى ، والنعمان بن بشير الأنصارى رضى الله عنهم . وعن كل واحد منهم عدة طرق . وقد اختلف فى ألفاظه والمعنى واحد . وليس غرضى هنا جمع طرقه وألفاظه فاستقصى ذلك هنا .

وروى ابراهيم بن سعد ، عن أبيه ، عن جده قال : كذا جلوساً عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « ألا أخبركم بشيء إذا نزل برجل منكم كرب أو بلاء من الدنيا دعا به ففرج عنه ؟ فقيل له بلى . فقال دعاء ذى النون لا إله

إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين » حدثنا ابن بشار قال : حدثنا ابن عدى بإسناد عن حميد بن عبد الرحمن الحميري قال : كان بأبي الحصة ، وكان يلقي من شدة ما به من البلاء ألماً عظيماً . فانطلقت إلى بيت المقدس فلقيت أبا العوام ، فشكوت له الذي بأبي وأخبرته خبره فقال : مره فليدع بهذه الدعوات وهي : ربنا الذي في السماء تقديس اسمه . أمرك ماض في السماء والأرض كما رحمتك في السماء فاجعلها في الأرض ، اغفر لنا حوبتنا وخطايانا إنك رب الطيبين . أنزل رحمة من عندك وشفاء من شغائك على ما بفلان ابن فلان من وجع » . قال فدعا به فأذهبه الله عز وجل .

وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « كلمات الفرج لا إله إلا الله الحكيم الكريم ، لا إله إلا الله العلي العظيم ، لا إله إلا الله رب السموات السبع والأرضين السبع ورب العرش العظيم » . حدثنا عن عبد الرحمن بن أبي بكر ، عن أبيه رضي الله عنهما ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « دعوات المكروب : اللهم رحمتك أرجو فلا تكلني إلى نمسى طرفه عين ، وأصلح لي شأني كله لا إله إلا أنت » .

وروى عبد الله بن جعفر قال : عليتنى أمى أسماء بنت عميس شيئاً أمرها به رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تقول عند الكرب : « الله ربى لا أشرك به شيئاً » . وروى عبد الله بن جعفر بن أبي طالب قال : علمنى رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نزل بي كرب أو شدة أن أقول : « لا إله إلا الله الحكيم الكريم ، عز الله وتبارك رب العرش العظيم ، والحمد لله رب العالمين » .

وعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : علمنى رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نزل بي كرب أن أقول : « لا إله إلا الله العلي الكريم ، سبحان الله وتبارك الله رب العرش العظيم ، والحمد لله رب العالمين » . قالت أسماء بنت عميس : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من أصابه هم ، أو غم ، أو سقم ، أو شدة . أو ذل ، أو لاوأ فقال :

الله ربى لا شريك له كشف ذلك عنه ، . وعن أبى سلمة الجهمى ، عن أبى القاسم ، عن عبد الرحمن ، عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما أصاب مسلماً قط هم ولا حزن فقال : اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك ، ناصيتي بيدك ، ماض في حكمك ، عدل في قضاؤك ، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك ، أو أنزلته في كتابك ، أو علمته أحداً من خلقك ، أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي ، ونور بصري ، وجلاء حزني ، وذهب همي إلا أذهب الله همه وأبدله مكان حزنه فرجاً ، قالوا يا رسول الله : أفلا نتعلم هذه الكلمات ؟ قال : بلى ينبغي لمن سمعهن أن يتعلمهن » . وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا أصابه غم أو كرب يقول : « حسبي الرب من العباد ، حسبي الخالق من المخلوقين ، حسبي الرازق من المرزوقين ، حسبي الله هو حسبي ، حسبي الله ونعم الوكيل ، حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم » . وروى اسماعيل ابن فديك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما أكربنى أمر إلا تمثلى جبريل وقال يا محمد : قل توكلت على الحى الذى لا يموت ، والحمد لله الذى لم يتخذ ولداً ، ولم يكن له شريك فى الملك ، ولم يكن له ولى من الدن وكبره تكبيراً » ، وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا نزل به هم أو غم قال : « يا حى يا قيوم برحمتك أستغيث » . وروى ابن مسعود رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم مثل ذلك .

وفى الأخبار أن موسى عليه السلام كان دعاؤه حين يترجعه إلى فرعون وهو دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين ، ودعاء كل مكروب : « كنت وتكون ، وأنت حى لا تموت أبداً ، تنام العيون ، تنكدر النجوم وأنت حى قيوم ، لا تأخذك سنة ولا نوم يا حى يا قيوم » .

دعاء للفرج أعطانيه أبو عبد الحميد داود بن الناصر المعروف : بطباطبا
ابن اسماعيل بن ابراهيم بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضى الله عنهم
وقال لى : إن أهله يتوارثونه على أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضى الله
عنه وهو : « يا من يحل عقد المكاره ، وينكح حلق الشدائد ، ويا من يلتبس
به المخرج إلى محل الفرج ، ذلت لقدرك تلك الصعاب ، وتشبثت بلطفك
الأسباب ، وجرى بطايتك القضاء ، ومضت على ذكرك الأشياء فهي بمشيئتك
دون قولك مؤتمرة ، ويارادتك دون وحيلك نازجة ، أنت المدعو للمباهات ،
وأنت المفضع في الملمات ، لا يتدفع منها إلا ما دفعت ، ولا ينكشف منها
إلا ما كشنت ، قد نزل بى ما يكيدنى ثقله ، وألم بى ما يهيننى حمله ،
وبقدرتك أوردته على ، وبسلطانك وجهته إلى ، لامصدر لما أوردت ،
ولا كاشف لما وجهت ، ولا فاتح لما أغلقت ، ولا مغلق لما فتحت ، ولا ميسر
لما عسرت ، ولا معسر لما يسرت ، صل على محمد وعلى آل محمد ، وافتح لى
يا رب أبواب الفرج بطولك ، واحبس عنى سلطان الهم بحولك ، وأنلنى
حسن النظر فيما شكوت ، وأذقنى حلاوة الصنع فيما سألت ، وهب لى من
لدىك فرجاً قريباً هنيئاً ، وصلاً حافى جميع أمرى ، واجعل لى من عندك مخرجاً
رحياً ، ولا تشغلنى بالاهتمام عن تعهد فروضك ، واستعمال سنتك فقد ضقت
ذرعاً بما قد عراني ، وتجبرت فى أمرى وفيما نزل بى ودهانى ، وضعفت
عن حمل ما قد أنقلنى هما ، وتبدلت فيما أنا فيه قلقاً وغماً ، وأنت القادر
على كشف ما وقعت فيه ، ودفع ما ثقلت به ، فافعل بى ذلك يا سيدى
والهى وإن لم أستحقه ، وأجبنى إليه وإن لم أستوجبـه ، يا ذا العرش
العظيم ، ثلاث مرات .

وأعطاني دعاء آخر وقال لى إن أهله يتوارثونه عن أهل البيت
عليهم السلام وهو : « لا إله إلا الله حقاً حقاً ، لا إله إلا الله تعبدأ
وصدقاً ، لا إله إلا الله إيماناً وصدقاً » يا منزل الرحمة من أمانتها ، ومنشىء
البركة من أذنائها أسألك أن تصلى على محمد عبدك ونبيك وخيرتك من خلقتك

وصفيك ، وعلى آله مصابيح الدجا ، وأئمة الهدى ، وأن تفرج عني فرجاً عاجلاً ، وتلبسني في أموري صلاحاً شاملاً . وتعمل بي في ديني ودنياي ما أنت أهله ، وتنبليني صلاحاً لجميع أمري شاملاً ، يا كاشف كل كرب ، ويا غافر كل ذنب .

حدثني أيوب بن العباس بن الحسن بإسناد كثير : أن أعرابياً شكاً إلى أمير المؤمنين علي رضي الله عنه شكوى لحقته ، وضيقاً في الحال ، وكثرة من العيال ، فقال له : عليك بالاستغفار فإن الله عز وجل يقول : (استغفروا ربكم إنه كان غفاراً (١)) الآيات . فضى الرجل وعاد إليه فقال يا أمير المؤمنين : إني قد استغفرت الله كثيراً ولم أر فرجاً ، ما أنا فيه ؟ فقال له : لعلك لا تحسن الاستغفار ؟ قال : عليّ فقال : أخلص نيتك ، وأطع ربك وقل : « اللهم إني أستغفرك من كل ذنب قوى عليه بدني بعافيتك ، أو نالته قد تني بفضل نعمتك ، أو بسطت إليه يدي بسابع رزقك ، واطلقت فيه عند خوفي منه على أمانك ، ووثقت فيه بحملك ، وعولت فيه على كريم عفوك . اللهم إني أستغفرك من كل ذنب خفت فيه أمانتي ، أو بخست فيه نفسي ، أو قدمت فيه لذتي ، أو آثرت فيه شهوتي ، أو سعت فيه لغيري ، أو استغويت إليه من تبعني ، أو غلبت فيه بفضل حيلتي ، أو أحلت فيه على مولاي فلم يعاجلني على فعلی ، إذ كنت سبحانك كارهاً لمعصيتي غير مردها مني ، لكن سبق علمك في باختيارى واستعمال مرادى وإيثاري فخلت عني ولم تدخلني فيه جبراً ، ولم تحملني عليه قهراً ، ولم تظلمني عليه شيئاً يا أرحم الراحمين ، يا صاحبني في شدتي ، يا مؤنسي في وحدتي ، يا حافظي في غربتي ، يا وليي في نعمتي يا كاشف كربتي ، يا مستمع دعوتي ، يا أرحم عبرتي ، يا مقيل عثرتي ، يا إلهي بالتحقيق ، يا ركني الوثيق ، يا رجاء المضيق ، يا مولاي الشنيتي ، يا رب البيت العتيق ، أخرجني من حلق المضيق إلى سعة الطريق ، وفرج من عندك قريب

وثيق ، واكشف عني كل شدة وضيق ، واكفني ما أطيق وما لا أطيق ، اللهم فرج عني كل هم وغم ، وأخرجني من كل حزن وكرب يا فارح الهم ، ويا كاشف الغم ، ويا منزل القطر ، ويا مجيب دعوة المضطر ، يا رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما صل على محمد خيرتك من خلقك وعلى آله الطيبين الطاهرين ، وفرج عني ما ضاق به صدري ، وعيل معه صبري ، وقلت فيه حيلتي ، وضعفت له قوتي ، يا كاشف كل ضر وبلية ، يا عالم كل سر وخفية يا أرحم الراحمين : (وأفوض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد (١)) . وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وهو رب العرش العظيم . قال الاعرابي : فاستغفرت بذلك سراراً فكشف الله عني الغم والضيق ووسع علي في الرزق وأزال المحنة .

وعن أبي مخلد أنه قال : قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : ما أبالي على أي سالة أصبحت على ما أحب ، أو على ما أكره . وذلك لأنني لا أدرى الخير فيها أحب أوفياً أكره . روى عن الأعمش عن إبراهيم قال : إن لم يكن لنا خير فيما نكره لم يكن لنا خير فيما نحب . وروى عن سفيان بن عيينة قال : قال محمد بن علي رضي الله عنه لمحمد بن المنكدر : مالي أراك مغموماً ؟ فقال أبو حازم : لدين فدحه . قال محمد بن علي : أفتح له في الدعاء . قال : نعم . قال بورك لك في حاجة أكثرت فيها دعاء ربك كانت لك ما كانت .

دعاء لداود عليه السلام : « سبحان مستخرج الدعاء بالبلاء ، سبحان مستخرج الشكر بالرخاء . وروى عن طاوس قال : إنني لفي الحجر ذات ليلة إذ دخل علي بن الحسين عليه السلام فقلت : رجل صالح من أهل بيت الخير لأتمن إلى دعائه الليلة . فصلى . ثم سجد فأصغيت بسمعي إليه فسمعتة يقول : عبيدك بفنائك يرجو ثوابك ، ويخشى عقابك . قال طاوس : فما دعوت بها في كرب إلا فرج الله عني . وروى في الأخبار : أن صديقاً ذبح عجلاً بين يدي أمه فحبل عقله ، فبينما هو كذلك ذات يوم تحت شجرة فيها وكر طائر إذ وقع فرخ ذلك الطائر في الأرض فغبر في الترات فأثام الطائر فجعل يطير فوق رأسه ،

فأخذ الصديق الفرخ فمسحه من التراب وأعادته في وكره فرد الله عليه عقله وقال ابن عيينة : ما يكرهه العبد خير له مما يحب ، لأن ما يكرهه يهيج على الدعاء وما يحبه يلهيه . وروى عن عبد الصمد العمى قال : سمعت مالك بن دينار يقول في مرضه وهو آخر كلام سمعته منه : ما أقرب النعم من البؤس يعقبان ويوشكان زوالا . وروى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال لجلسائه يوما وفيهم عمرو بن العاص : ما أحسن شيء يناله المرء ؟ فأتى كل رجل رأيبه وعمرو ساكت . فقال له عمر : ما تقول يا عمرو ؟ قال الغمرات ثم ينجلين . كتب سعيد بن حميد إلى عبيد الله بن عبيد الله بن طاهر كتاباً من الانبار قال فيه : وأرجو أن يكشف الله بالأمير هذه النعمة الطويل مداها ، البعيد منتهاها ، فإن طولها قد أطمع في انقضائها ، وتراخى أيامها قد سهل طريق الأمل لفنائها .

قال مؤلف هذا الكتاب : لحقتني محنة عظيمة من السلطان فكتب إلى أبو الفرج عبد الواحد بن نصر الخزومي رقعة يتوجع إلى فيها نسختها : بسم الله الرحمن الرحيم : مدد النعم أطال الله بقاء القاضى بفزلات المساروان طالأت أحلام ، وساعات المحن وإن قصرت بسوايغ ألهم أعوام ، وأحظاما بالمواهب من ارتبطها بالشكر ، وأنهنضنا بأعباء المصائب من قاومها بعدد الصبر ، إذ كان أولها بالعظة مذكراً ، وآخرها بمضمون الفرج مبشراً ، وإنما يتعسف ظم الفتنة ، ويتمسك بتفريط العزم ضال الحكمة ، ومن كان بسنة الغفلة مغموراً ، وبضعف المنية والرأى مقهوراً ، وفي انتهاز فرص الحرم مغرطاً ، ولمرضى ما اختاره الله تعالى متسخطا والقاضى أنور بصيرة ، وأظهر سريرة ، وأكمل حزمأ ، وأنفذ مضاء وعزمأ من أن يتسلط الشك على يقينه ، أو يقدح اعتراض الشبه في مرومته ودينه ، فيلقى ما اعتمده الله من طارق القضاء المحتوم بغير واجبه من فرط الرضا والتسليم ، ومع ذلك فأنما تعظم المحنة إذا تجاوزت ، وضعف التنبيه من الله جل ذكره إلى واجب العقوبة ، ويصير تجنى السلطان بها وجوب الحججة فشغلت الألسن عن محمود الشاء منها

بلموم اللائمة ، فإذا خلعت من هذه الصفات اللئيمة ، والشوائب المذمومة كانت وإن راع ظاهرها بصفات النعم أولى ، وبأسباب المنح أحق وأحرى ، وهى أعمال ذى الفهم الثاقب ، والفكر الصائب مثله أيده الله تعالى بكامل عقله ، وزائد فضله فيما يسامح به الدنيا من مرتجع هباتها ، وتبدله من خدع لذاتها من علم أن أسعد أهلها منها ببلوغ الآمال أقربهم فيها ، خوله من التغيير والانتقال ، وصفاءها مشوب بالكدر ، وأمنها مروع بالحذر ، لأن انتهاء الشيء إلى حده ناقل له عما كان عليه إلى ضده ، فتكاد المحنة بهذه القاعدة لاقترابها في الفرج بفسح الرجاء ، وانتهاء الشدة فيها إلى مستجد الرخاء أن تكون أحق بأسماء النعم ، وأدخل في باب المواهب والقسم ، وبالحقيقة فكل وارد من الله عز وجل على العبد وإن جهل مواقع الحكمة منه ، وساء استتار عواقب الخيرة بمفارقة مانقل عنه غير خال من مصلحة بتقديم عاجل ، وادخار آجل ، وهذا الوصف ماذكر الله به القاضى إذ كان للشوبة مفيداً ، وللفرج ضامناً ، وبالحظ مبشراً ، وإلى المسرة مؤدياً ، وبأفضل ما عوده الله عائداً ، وهوينجز ذلك بمستحكم الثقة ووجاهة الدعاء والرغبة ، ووسائل الصبر والمعونة . ولعله يكون إليه أقرب من ورود رقعته إليه بقدره تعالى ومشيتته ، ولولا الخوف من الاطالة ، والتعرض للاضجار والمالة ، باخراج هذه الرقعة عن مذاهب الكتابة ، وادخالها ذكر ما نطق به نص الكتاب من ضبان اليسر بعد العسر ، وما وردت به في هذا المعنى الأمثال السائرة ، والأشعار المتناقلة في جملة الرسائل وخير المصنفات لأودعتها نبذاً من ذلك ، لكننى آثرت أن لا أعدل بها عما افتتحتها به واستخدمتها له ، مقتصراً على استغناء القاضى عن ذلك بمراشد حفظه ، ووقور فضله ، ومأثور نباهته ونبله ، والله يبلغنا ويبلغه ما فيه نهاية الآمال ، ولا يخليه في طول البقاء من موارد السعادة والإقبال إن شاء الله تعالى وهو حسبنا ونعم الوكيل .

وروى عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه أنه قال :
أفضل ما يعمل الممتحن انتظار الفرج ، والصبر على قدر الملاء . والصبر كفيل بالنجاح ، والمتوكل لا يخيب ظنه . وقال بعض الصالحين استعمل في كل بلية

تطرقك حسن الظن بالله تعالى في كشفها فإن ذلك أقرب بك إلى الفرج ،
ويقال العاقل لا يذل لأول نكبة ، ولا يفرح بأول نعمة فر بما أفلح المحبوب عما
يضر ، وأجلى المكروه عما يسر . شكّا عبد الله بن طاهر إلى سليمان بن يحيى
ابن معاذ كاتبه بلاء خافه وتوقعه فقال له أيها الأمير : لا يغلبن على قلبك إذا
اغتممت ماتكره دون ماتحب ، فلعل العاقبة تكون ماتحب ، وتوقى ما تكره
فتكون كمن يتسلف الغم والخوف . قال : أما إنك فقد فرجت عني ما أنا فيه .
بلغنى أن الناس قحطوا بالمسدينة في أيام عمر رضى الله عنه فخرج بهم
مستسقياً فكان أكثر قوله الاستغفار . ف قيل له يا أمير المؤمنين : لو دعوت
الله تعالى ؟ فقال أما سمعتم قوله تعالى : (استغفروا ربكم إنه كان غفاراً ه
يرسل السماء عليكم مدراراً (١)) الآيات فصار الاستكثار منه في خطب
الاستسقاء سنة إلى اليوم .

حكى عن أنوشروان أنه قال : جميع مكاره الدنيا ينقسم على ضربين .
فضرب فيه حيلة فالاضطراب دواؤه ، وضرب لاحيلة فيه فالاصطبار
شفأؤه . وكان بعض الحكماء يقول : الحيلة فيها لاحيلة فيه الصبر ، وكان يقال :
من اتبع الصبر أتبعه النصر ، ومن الأمثال السائرة الصبر مفتاح الفرج ، من
صبر قدر ثمرة الصبر الظفر ، وعند اشتداد البلاء يأتي الرخاء ، وكان يقال :
تضايقي تنفرجى ، إذا اشتد الحنق انقطع الوثاق . والعرب تقول : إن في
الشر خياراً . قال الأصمعي : معناها إن بعض الشر أهون من بعض . وقال
أبو عبيدة : معناها إذا أصابك مصيبة فاعلم أنه قد يكون أجل منها فلتن عليك
مصيبتك . وقال بعض الحكماء : عواقب الأمور تتشابه في الغيوب ، فرب
محبوب في مكروه ومكروه في محبوب وكم مغبوط بنعمة هي دأؤه ، ومرحوم
من داء فيه شفاؤه ، ورب خير من شر ، وجمع من ضر . وروى أن على بن
أبي طالب سلام الله عليه قال : يا أبا آدم لا تحمل هم يومك الذي لم يأت على
يومك الذي قد أتى فانه إن يكن من عمرك يأتك الله فيه بنجنتك . واعلم أنك

لن تكسب شيئاً سوى قوتك إلا كنت فيه خازناً لغيرك بعد موتك . وقال وداعة السهمى فى كلام له : اصبر على الشر إن فدحك فربما أجلى عما يفرحك وتحت الرغوة اللبن الصريح . وقال شريح : إني لأصاب بالمصيبة فأحمد الله عليها أربع مرات . أحمدته إن لم تكن أعظم بما هي ، وأحمدته إذ رزقني الصبر عليها ، وأحمدته إذ وفقني للاسترجاع لما أرجوه من الثواب ، وأحمدته إذ لم يجعلها في ديني . ويشبه هذا ما يروى عن بزرجمهر لما حبسه أنوشروان عند غضبه عليه في بيت كالتبر ظلمة وظيقاً ، وصفده بالحديد وألبسه الخشن من الصوف ، وأمر أن لا يزداد على قرصين في كل يوم من شعير ، وكف ملح جريشاً ودورق ماء ، وأن تحصى ألفاظه فتنتقل إليه . فأقام بزرجمهر أياماً لا يتكلم فقال أنوشروان : أدخلوا إليه أصحابه وأمروهم أن يسألوه ويفاتحوه في الكلام واسمعوا ما يجري بينهم وعرفوني . فدخل إليه جماعة من المختصين به وقالوا أيها الحكيم : نراك في هذا الضيق والحديد ، والصوف والشدّة التي وقعت فيها ، ومع هذا فان سحنة وجهك ، وصحة جسمك على حالهما لم يتغيرا فما السبب في ذلك ؟ فقال : إني عملت جوارشا من ستة أخلاط آخذ منه في كل يوم شيئاً فهو الذي أبقاني على ماترون . قالوا : فصفه لنا فعسى أن يبتلى بمثل بلواك من إخواننا أحد فيستعمله أو نصفه له . قال : الخلط الأول : الثقة بالله عز وجل ، والخلط الثاني : علمي أن كل مقدر كائن ، والخلط الثالث : أن الصبر خير ما استعمله الممتحن ، والخلط الرابع : أن لم أصبر فأى شيء أعمل ، والخلط الخامس : قد يمكن أن أكون في أشدّ مما أنا فيه ، والخلط السادس : من ساعة إلى ساعة فرج . قال فبلغ كسرى كلامه فعفا عنه .

فصل لبعض الكتاب : وهو على بن نصر بن علي بن بشر النصراني . وكان الله عز وجل يأتي بالمحبيب من الوجه الذي قد ورد المكروه منه يأتي بالفرج عند انقطاع الأمل واستبهاام وجوه الخيل ، ليحض سائر خليقته بما يريد من تمام قدرته على صرف الرجاء اليه ، وإخلاص التوكل عليه ، وأن لا يزوا وجوههم في وقت من الأوقات على من تتوقع الروح منه ، ولا يعدلوا بآمالهم على حال من الحالات عن انتظار فرج يصدر عنه ، فكذلك أيضاً سرهم فيما ساءم بأن كفاهم بمحنة يسيرة أعظم منها ، وأفداهم بملة سهلة بما هو أنكى فيهم لو لحقهم .

قال اسحاق العابد : ربما امتحن الله العبد بمحنة عظيمة يخلصه بها من الهلكة فتكون تلك المحنة أجل نعمة . وقال سيمان : من احتمل المحنة ورضى بتدبير الله عز وجل في النكبة ، وصبر على الشدة كشف الله له عن منفعتها حتى يقف على المستور عنه في مصلحتها . وقال عبد الله بن المعتز : ما أوطأ راحلة الوائق بالله تعالى ، وآنس مشوى المطيع لله .

حكى بعض النصارى أن بعض الأنبياء عليهم السلام قال : المحن تأديب من الله عز وجل ، والأدب لا يدوم ، وطوبى لمن يصبر على التأديب ، ويثبت عند المحنة فيجب له لبس إكليل الغلبة ، وتاج الفلاح الذي وعد الله عز وجل محبيه وطائعيه .

وقال بزرجمهر : انتظار الفرج بالصبر يعقب الاغتباط .

فصل لبعض الكتاب : وهو على بن نصر بن بشر . وكما أن الرجاء مادة الصبر والمعين عليه ، فكذلك علة الرجاء ومادته حسن الظن بالله عز وجل الذي لا يجوز أن يخيب ، فانا قد نستقرى الكرماء فنجدهم يرفعون من أحسن ظنه بهم ، ويخيبون من يخيب أمله فيهم ، ويتخرجون من اخفاق رجاء من قصدهم . فكيف بأكرم الأكرمين الذي لا يعودده أن بمنح مؤمليه ما يزيد على آمالهم فيه ، وأعدل الشواهد بمحبة الله جل جلاله أن يمسك عبده برجائه ، وانتظاره الروح من ظله وفنائه . إن الإنسان لا يأتيه الفرج ، ولا تدركه النجاة إلا بعد إخفاق أمله في كل ما كان يتوجه نحوه بأمله ورغبته ، وعند انغلاق مطالبه وعجز حيله وحيلته ، وتناهى ضره ومحتته ، ليكون ذلك باعثاً له على صرف رجائه أبداً إلى الله تعالى ، وزاجراً له عن تجاوز حسن الظن بالله تعالى . وروى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أنه قال : الفرج والروح في اليقين ، والرضا والهم والحزن في الشك والغضب .

قال أبان بن نعلب سمعت أعرابياً يقول : من أفضل آداب الرجال أنه إذا نزلت بأحدهم جائحة استعمل الصبر عليها ، وألهم نفسه الرجاء لزوالها حتى كأنه بصبره يعاين الخلاص والغناء توكل على الله وحسن ظن به ، ففى لزم هذه الصفة لم يلبث أن يقضى الله حاجته ، ويزيل كربته ، وينجح طلبته ، ومعه دينه وعرضه ومروءته . وكان يقال : الصبور يدرك أحمد الأمور . حكى الأصمعى عن أعرابي قال : خف الشر من موضع الخير ، وارج الخير من موضع الشر ، فرب حياة سببها طلب الموت ، وموت سببه طلب الحياة . وأكثر ما يأتي إلا من ناحية الخوف .

قال مؤلف هذا الكتاب : ما أقرب هذا الكلام من قول قطري بن الفجاءة الخارجي (١) ذكره أبو تمام الطائي في كتابه المعروف بالحماسة : لا يركب أحد إلى الاحجام يوم الوغى متخوفاً لحمام فلقد أراني للرماح دريئة من عن يميني مرة وأمامي

(١) من رؤساء الخوارج .

حتى خضبت بما تحدر من دمي اكفاف سرجي أو عنان الجام
ثم انصرفت وقد أصبت ولم أصب جزع البصير قارح الأقدام
هذا لمن أحب الموت طلباً لحياة الذكر ، وقد أفصح بهذا الحصين بن
الحمام المرى حيث يقول :

تأخرت أستبقى الحياة فلم أجد لنفسي حياة مثل أن أتقدما
وهذا كثير متسع ليس هو بما نحن فيه بسبيل فلستوعبه ولستوفيه ،
ولكن الحديث ذو شجون ، والشئ يذكر بالشئ . ونعود إلى ما كنا فيه قال
بعض عقلاء التجار : ما أصغر المصيبة إذا عادت بسلامة الأرواح ، وكأنه
من قول بعض العرب : إن تسلم الحلة فالسخل هدر . ومن كلامهم لا تيس
أرض من عمران وإن جفاها الزمان . والعامّة تقول نهر جرى فيه الماء لا بد
أن يعود إليه . وقال بيسمطيوس : لم تتفاضل أهل العقول والدين إلا باستعمال
الفضل في حال القدرة والنعمة ، وابتذال الصبر في حال الشدة والمحنة .
وقال بعض الحكماء : العاقل يتعزى فيما نزل به من المكروه بأمرين
أحدهما : السرور بما بقي له . والآخر : رجاء الفرج مما نزل به . والجاهل يمحز
في محنته بأمرين أحدهما : استكثار ما أتى إليه . والآخر : تخوفه مما هو أشد
منه . وكان يقال المحن آداب الله تعالى لخلقه ، وتأديب الله يفتح القلوب
والأسماع والأبصار .

ووصف الحسن بن سهل المحن فقال : معها تمحيض من الذنوب ، وتنبيه
من الغفلة ، وتعرض للثواب بالصبر ، وتذكير بالنعمة ، واستدعاء للتوبة ،
وفي نظر الله عز وجل وقضائه الخبار ، وبلغنى هذا الخبر على وجه آخر .
وقرىء على أبي بكر الصولى وأنا أسمع فى كتابه « كتاب الوزراء » حدثكم
أبو ذكوان القاسم بن اسماعيل . قال : سمعت إبراهيم بن العباس بن محمد
يصف الفضل بن سهل ويذكر تقدمه وعلمه وكرمه ، وكان مما حدثنى به أنه
برأ من علة كان فيها يجلس للناس فهنوه بالعافية . فلما فرغ الناس من كلامهم
قال الفضل : إن فى العمل لنعما لا يلعبى للعقلاء أن يجهلوا ، تمحيص للذنوب ،

وتعرض لثواب الصبر ، وإيقاظ من الغفلة ، وإذكاء بالنعمة في حال الصحة ، واستدعاء للشوبة ، وحض على الصدقة ، وفي قضاء الله تعالى وقدره بعد الخيار . كتب محمد بن الحنفية إلى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما حين سيره ابن الزبير عن مكة إلى الطائف : « أما بعد فقد بلغني أن ابن الزبير سيرك إلى الطائف ، فأحدث الله لك بذلك ذخراً ، وحط عنك به وزراً ، يا ابن عم : إنما يتلى الصالحون ، وتعد الكرامة للأخيار ، ولولم تؤجر إلا فيما تحب لقل الأجر ، وقد قال الله تبارك وتعالى : (وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم (١)) عزم الله لنا ولك بالصبر على البلاء ، والشكر على النعماء ، ولا أشمت بنا عدوا ، والسلام .

كتب بعض الكتاب إلى صديق له في عنة لحقته : إن الله تبارك وتعالى ليمتنع العبد ليكثر التواضع له ، والاستغاثه به ، ويمجد الشكر على ما يوليه من كفايته ، ويأخذ بيده في شدته ، لأن دوام النعم والعافية تبطل الإنسان حتى يعجب بنفسه ، ويعدل عن ذكر ربه ، وقد قال الشاعر :

لا يترك الله عبداً لا يذكره بمن يؤدبه ومن يؤنبه
في نعمة تقتضى شكراً يدوم له أو نعمة حين ينسى الشكر ينكبه

* * *

وقال الحسن البصري رحمه الله : الخير الذي لا شرف فيه الشكر مع العافية ، والصبر عند المحنة ، فكم من منعم عليه غير شاكر ، وكم من مبتلى بمحنة وهو صابر ، والجزع لا ينفع مالم تنصرم أيام المحنة .

وكان ابن شبرمة إذا نزلت به شدة قال : سحابة ثم تنقشع ، وقال بعض الحكماء : آخر الهم أول الفرج ، وكان جعفر بن سليمان يقول : جربناه فوجدناه كذلك ، وذكر القاضي أبو الخير في كتابه قال : حدثنا الحسن بن مكرم يرفعه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

« إنى لأن أكون فى شدة أتوقع بعدها رخاء أحب إلى من أن أكون فى رخاء أتوقع بعده شدة » . وذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم بغير إسناد أنه قال : « لو كان العسر فى كوة لجاء يسران فأخرجاه » .

قال مؤلف هذا الكتاب : كان لى فى هذا الحديث خبر طريف وذلك أنى كنت قد لجأت إلى البطيحة هارباً من نكبة لحقتنى ، فاعتصمت بأميرها معين الدولة أبى الحسن بن عمران بن شاهين السلمى ، فألقيت هناك جماعة من معارفى بالبصرة ، وواسط خائفين على أنفسهم قد هربوا من ابن تعية الذى كان فى الوقت وزيراً ولجؤا إلى البطيحة . فكنا نجتمع فى الجامع فنشأكى أحوالنا ونتمنى الفرج مما نحن فيه من الخوف والشدة والشقاء ، فحدث أبو الحسن بن جيثان التاجر الصالحى قال : حدثنى أبو محمد الحسن بن عثمان بن قنيف بالإسناد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لودخل العسر كوة لجاء يسران فأخرجاه » . فلما سمعت ذلك فكرت ساعة ثم عملت بيتين من الشعر :

إننا روينا عن النبي رسول الله فيما أفيد من أدبه
لودخل العسر كوة لآتى يسران فاستخرجاه من ثقبه
فما مضى على هذا المجلس إلا أربعة أشهر حتى فرج الله عفى وعن كثير
من حضر ذلك المجلس وردنا الله تعالى إلى عوائدنا الجميلة عندنا ، فالحمد
والشكر لله رب العالمين .

ووجدت هذا الخبر على غير هذا فقد حدثت عن ابن مسعود أنه قال : « لو أن العسر دخل فى حجر لجاء اليسر حتى يدخل معه » . قال الله تبارك وتعالى : (فإن مع العسر يسراً) إن مع العسر يسراً (١) ، وروى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه قال : عند تناهى الشدة تكون الفرجة ، وعند تضايق البلاء يكون الرخاء ، ومع العسر يكون يسر . وروى عنه كرم الله وجهه

أنه قال : ما أبالي باليسر رميت أو بالعسر ، لأن حق الله عز وجل في العسر الرضا والصبر ، وفي اليسر البر والشكر .

قال مؤلف هذا الكتاب حدثني بعض الشيعة بغير إسناد قال : قصد أعرابي أمير المؤمنين علياً عليه السلام فقال : إني لذو محن فعلمني شيئاً أنتفع به ؟ فقال يا أعرابي : إن للمحن أوقاتاً ولها غايات فاجتهد العبد في محنته قبل إزالة الله تعالى إياها يكون زيادة فيها لقوله تعالى : (إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون (١)) لكن استعن بالله واصبر ، وأكثروا الاستغفار ، فإن الله عز وجل وعد الصابرين خيراً كثيراً وقال : (استغفروا ربكم إنه كان غفاراً ه يرسل السماء عليكم مدراراً (٢)) . فانصرف الرجل فقال أمير المؤمنين كرم الله وجهه :

إذا لم يكن عون من الله للفتى فأكثر ما يجنى عليه اجتهاده
حدثنا أبو محمد الحسين بن محمد المهلب في وزارته قال : كنت في وقت من الأوقات قد وقعت لي شدة شديدة وخوف عظيم لا حيلة لي فيه ، فأقمت ليلتي قلقاً ولم أعرف الغمض ، فلجأت إلى الصلاة والدعاء ، وأقبلت على البكاء في سجودي والتضرع ومسئلة الله تعالى ففرج عني ما كنت فيه على أفضل ما أردت فقلت شعراً :

بعثت إلى رب العطاء رسالة تؤمل لي فيها دعاء مناصح
فجاء جوابي بالإجابة فأنجلت بها كرب ضاقت بهن جوانحي
وعن علي كرم الله وجهه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اشتد أزيمة تنفرجي » .

قيل أراد جعفر بن محمد بن علي الحج فمنعه المنصور فقال : « الحمد لله الكافي ، سبحان الله الأعلى ، حسبي الله وكفي ، ليس من الله منجى ،

ما شاء الله قضى ، ليس وراء الله منتهى ، توكلت على الله ربى وربكم ،
ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها ، إن ربى على صراط مستقيم ، اللهم إن
هذا عبد من عبيدك خلقته كما خلقتنى ، ليس له على فضل إلا ما فضلته به
على فاكفنى شره ، وارزقنى خيره ، واقدح لى المحبة فى قلبه ، واصرف عني
أذاه ، لا إله إلا أنت سبحان الله رب العرش العظيم ، وصلى الله على سيدنا
محمد وآله كثيرآ ، . قال : فأذن له المنصور فى الحج .

الباب الثالث

من بشر بالفرج فنجا من محنة بقول أو دعاء أو ابتهال

أخبرني الصولي قال : حدثنا البر القاضي قال : رأيت امرأة بالبادية وقد جاء البرد فذهب بزرع لها فجاء الناس يعزونها ، فرفعت رأسها إلى السماء وقالت : اللهم أنت المأمول لأحسن الخلف ، ويبدك العوض عما تلف ، فافعل ما أنت أهله ، فان أرزاقنا عليك ، وآمالنا منصرفة اليك ، قال : فلم أبرح حتى مر رجل من الأجلاء فحدث بما كان لها فوهب لها خمسمائة دينار . حدثني أبي في المذاكرة من افظه وحفظه ولم أكتبه عنه في الحال وعلق بحفظي والمعنى واحد ولعل اللفظ يزيد أو ينقص ، عن أبي محمد عبيد الله بن أحمد ابن حمدون نديم المعتضد بالله قال : حدثني أبي عن المعتضد أنه قال : لما سعى إسماعيل بن بلبل بيني وبين أبي الموفق فأوحشه مني حتى حبسني الحبسة المشهورة ، وكنت أتخوف القتل صباحاً ومساءً ولا آمن أن يرفع عني إسماعيل ما يزيد في غيظ الموفق على فبأمر بقتلي ، فكنت كذلك حتى خرج الموفق إلى الجند فازداد خوفي ، وأشفقت أن يكتبه إسماعيل عني بكذب يجعل غيبته طريقاً إليه ويأمر بقتلي ، فأقبلت على الدعاء والتضرع إلى الله تعالى والابتهال في تخليصي ، وكان إسماعيل يجهتي في كل يوم مراعيأ خبري ويوريني أن ذلك خدمة لي ، فدخل إلى يوماً ويبدى المصحف وأنا أقرأ فتركته وأخذت أحادثه . فقال أيها الأمير : اعطى المصحف لآخذ فألك منه ، فلم أجبه بشيء . فأخذ المصحف ففتحه وكان في أول سطر منه : (عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخانكم في الأرض فينظر كيف تعملون (١)) فاسود وجهه واربد ، ثم خلط الورق ففتح المصحف ثانية فخرج : (ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين (٢)) فازداد ولهأ

(١) الأعراف ١٢٩ (٢) القصص ٥

واضطراباً ، وفتح المصحف ثالثة فخرج : (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم (١)) فوضع المصحف وقال : أنت الخليفة والله بلا شك ، فما حق بشارتي عليك ؟ فقلت : الله الله في دمي ، وأسأل الله أن يبقى أمير المؤمنين الأمير الناصر الموفق ومالنا وهذا ومثلك في عقلك لا يطلق مثل هذا القول بمثل هذا الاتفاق قال : فأمسك وما زال يحادثني ويخرجني من حديث ويدخلني في حديث إلى أن جرى حديث ما بيني وبين أبي فأقبل يحلف بالآيمان الغليظة أنه لم يكن له في أمري صنع ولا سعاية على بمكروه ، فصدقته ولم أزل أخاطبه بما تطيب به نفسه خوفاً من أن يزيد وحشة فيسرع إلى التدبير في تلني إلى أن انصرف ، ثم صار أي وقت جاءني أخذ معي في الاعتذار والتنصل ، وأنا أظهر انتصديق له والتقبل حتى سكن ، ولم يشك أني معتقد لبراءة ساحته فما كان بأسرع من أن جاء الموفق وقد اشتدت عليه ومات ، فأخرجني الغلمان من الحبس فصيروني مكانه وفرج الله عني وفاجأني بالخلافة ومكنني من عدو الله وعدوى اسماعيل فأنفذت الحكم فيه .

حكى عن عبد الله بن سليمان بن وهب ، عن أبيه أنه قال : أصبحت يوماً وأنا في حبس محمد بن عبد الملك الزيات في خلافة الواثق آيس ما كنت من الفرج ، وأشد محنة وغماً حتى وردت على رقعة أخى الحسن ابن وهب ونسختها .

عن أبا أيوب أنت محلها فإذا جزعت من الخطوب فمن لها
إن الذي عقد الذي انعقدت به عقد المكاره فيك يحسن حلها
فاصبر فإن الله يعقب فرجة ولربما أن تنجلي ولعلمها
وعسى تكون قريبة من حيث لا ترجو وتمحو عن جديك ذلها
قال فتفاءلت بذلك وقويت نفسي فكتبت له :

صبرتنى ووعظتنى فأنا لها وستنجلى بل لا أقول لعلها

ويحملها من كان صاحب عقدها ثقة به إذا كان يحسن حلها قال : فلم أصل العتمة ذلك اليوم حتى أطلقت فصليتها في داري . ووجدت في هذا الخبر ان هذه الرقعة وقعت في يد الواثق من الابتداء والجواب ، فأمر باطلاق سليمان وقال : والله لا تركت الفرج يموت في حبسى لاسيما من خدمنى ، فأطلقه وابن الزيات كاره لذلك .

وروى أن الحسن البصرى دخل على الحجاج واسط فرأى بناءه فقال : الحمد لله ان هؤلاء الملوك ليرون في أنفسهم عبراً ، وانا لنرى فيهم عبراً ، يعتمد أحدهم إلى قصر فيشيد ، وفرس فيتخذ ، وقد حفر به ذباب طمع وفراش نار ، ثم يقول ألا فانظروا ما صنعت فقد رأينا يا عدو الله ما صنعت فماذا يا أفسق الفاسقين ، أما أهل السماء فمقتوك ، وأما أهل الأرض فلغنوك ، ثم خرج وهو يقول : إنما أخذ الله الميثاق على العلماء ليبيننه للناس ولا يكتمونه ، فتغيظ الحجاج عليه غيظاً شديداً وقال يا أهل الشام : هذا عبيد أهل البصرة يدخل على فيشتمنى في وجهى فلا يكون له مغير ولا نكير والله لأقتلنه ، فضى أهل الشام إلى الحسن لمولوه إلى الحجاج وعرف الحسن ما قاله ، فكان طول طريقه يحرك شفتيه . فلما دخل وجد السيف والنطع بين يدي الحجاج وهو متغيظ ، فلما رآه الحجاج كلمه بكلام غليظ فرفق به الحسن ووعظه ، فأمر الحجاج بالسيف والنطع فرفعا ولم يزل الحسن يمر في كلامه حتى دعا الحجاج بالطعام فأكلا ، وبالوضوء فتوضأ ، وبالغالية فغلفه بيده وصرفه مكرماً . قال صالح بن مسمار : فقييل للحسن بم كنت تحرك شفتيك ؟ قال قلت : يا غياثي عند دعوتي ، ويا عدتي في ملتى ، ويا ربى عند كربى ، ويا صاحبي في شدتى ، ويا ولي في نعمتى ، ويا إلهى وإله إبراهيم ، وإسماعيل ، وإسحاق ، ويعقوب ، والأسباط ، وموسى ، وعيسى ، ويا رب النبيين كلهم أجمعين ، ويا رب كهيعص ، وطه ، وطس ، ويس ، ويا رب القرآن الكريم ، صل على محمد وآله الطيبين الطاهرين ، وارزقنى مودة عبدك الحجاج وخيره ومعروفه ، واصرف عني أذاه وشره ومكروهه ومعرفته ، قال صالح : فسادعونا بها في شدة الإفرج عنا .

حدثنا علي بن أبي الطيب قال . حدثنا بن الجراح قال : حدثنا ابن أبي الدنيا قال : حدثنا الفضل بن يعقوب قال : لما أخذ أبو جعفر المنصور اسماعيل بن أمية أمر به إلى السجن فرعى حائط مكتوب عليه : « يا ولي في نعمتي ، وصاحبي في وحدتي ، وعدتي في كربتي » فلم يزل يدعوها حتى خلى سبيله . فرعى ذلك المكان فلم ير شيئاً مكتوباً . حدثني أبو القاسم محمد بن أحمد الأثرم المقرئ بإسناده : أن عبد الملك بن مروان كتب إلى عامله بالمدينة هشام بن اسماعيل : أن الحسن بن الحسن قد كاتب أهل العراق ، فإذا جاءك كتابي فابعث إليه الشرط فليأتوا به . قال : فأتوا به فشغله عنه شيء فقام إليه علي بن الحسين وقال له يا ابن العم : قل كلمات الفرج يفرج الله عنك وهي : « لا إله إلا الله الحليم الكريم ، لا إله إلا الله العلي العظيم ، سبحان الله رب السموات السبع ورب العرش العظيم ، والحمد لله رب العالمين » . قال وانصرف علي بن الحسين وأقبل الحسن يكررها فلما فرغ هشام من قراءة الكتاب ونزل قال : أرى وجهاً قد قذف بكذبة خلوا سبيله ، وأنا أراجع أمير المؤمنين فيه فأخروه ، وكتب إلى عبد الملك فكتب إليه فأطلقه بعد أيام .

وروى في الأخبار أنه كان في بني إسرائيل رجل في صحراء قريبة من جبل يعبد الله عز وجل فيها إذ مثلت له حية وقالت : قد فجأتني من يريد قتلي فاجرني أجاارك الله واخبتني قال : فرفع ذيله وقال ادخلي فتطوقت على بطنه وجاء رجل بسيف وقال يا رجل : حية هربت مني الساعة أردت قتلها فهل رأيته ؟ فقال : ما أرى شيئاً . فانصرف الرجل . فقال العابد لها : أخرجني فقد أمنت . قالت بل أقتلك وأخرج . فقال لها الرجل : ليس هذا جزائي منك . قالت : لا بد . قال : فامهليني حتى آتي بسفح هذا الجبل فأصلي ركعتين وأدعو الله وأحضر لنفسى قبراً فإذا نزلته فشأنك وماتريدين . قالت : افعل . وبقيت معلقة بجسمه فصلى بسفح الجبل ، ودنا الله فأوحى الله إليه إنني قد رحمت نقتك بي ، ودعائك إياي فأقبض على الحية فانها تموت في يدك ولا تضرك (٤ - الفرج - أول)

فنفعل ذلك فنجا ، وعاد إلى موضعه وتشاغل بعبادته :

ووقعت لى هذه الحكاية على سياقة أخرى وذلك : أن الرجل خبا الحية في جوفه فقال له الحية : اخترمنى إحدى خصلتين أن أنكثك نكثة فأقتلك ، أو أكرث كبذك فتلقها من أسفل قطعاً ؟ قال : والله ما كافأتني . قالت : فلم تضع المعروف عند من لا يعرفه ؟ وقد عرفت عداوة ما بيني وبين أيك قديماً ، وليس معي مال فأعطيك ولا دابة فأحملك ؟ فهذا أكافئك . قال : فامهلني حتى آتي سفح الجبل ، وامهد لنفسي قبراً . فبينما هو يمشي إذا قى حسن الوجه ، طيب الرائحة ، حسن الثياب فقال له يا شيخ : مالي أراك مستسلماً للدوت ، آيساً من الحياة ؟ قال من عدو في جوفي يريد هلاكى فاستخرج شيئاً من كفه فدفعه اليه وقال : كله ، فلما أكله وجد مغصاً شديداً ثم ناوله أخرى فأكلها فرمى بالحية من أسفله قطعاً . فقال له من أنت ؟ يرحمك الله فما أحد أعظم منة على منك . قال : أنا المعروف الذى صنعت لأن أهل السماء لما رأوا غدر الحية بك اضربوا كل يسأل ربه أن يغيثك . قال الله عز وجل يا معروف : أدرك عبدى فايأى أراد بما صنع ؟ بلغنى أن رجلاً جنى على عهد عبد الملك بن مروان جناية فأهدر دمه ، وأمر بطلبه وأهدر دم من يأويه ، فتمحماه الناس فكان يأوى الجبال والمفاوز مستخفياً لا يذكر اسمه ويضاف اليوم واليومين فاذا عرف طرد . فقال الرجل : كنت يوماً أسبح في بطن واد فاذا بشيخ أبيض عليه ثياب بيض قائم يصلى فقممت فصليت إلى جانبه فلما سلم قال لى : من أنت ؟ فقلت رجل أخافنى السلطان وقد تحامنى الناس ولم يجرنى أحد فأنا أسبح في هذه البرية خائفاً على نفسى . قال : فأين أنت من السبع ؟ قلت وأى سبع . قال : « تقول سبحان الله الواحد الذى ليس غيره ، سبحان الدائم الذى لا يعادله شيء ، سبحان القائم القديم الذى لا بدء له ، سبحان الذى يحيى ويميت ، سبحان الذى كل يوم هو فى شأن الذى خلق ما يرى وما لا يرى ، سبحان الذى علم كل شيء بغير تعليم . اللهم إني أسألك بحق هذه الكلمات وحرمتين أن تفعل بى كذا وكذا فأعادهن على حتى حفظتهن . قال الرجل : وفقدت صاحبي فألقى الله عز وجل الأمن فى قلبي فخرجت من وقتي

متوجهاً إلى عبد الملك بن مروان حتى وقفت ببابه واستأذنت فأذن لي فلما دخلت قال : أوقدت تعلمت السحر ؟ قلت : لا يا أمير المؤمنين ولسكنه كان من شأني كذا وكذا وقصصت الخبر فأمنني وأحسن إلي . أخبرني بعض أصحابنا أن صديقاً له من الكتاب دفع إلى محنة صعبة فكان من دعائه : « يا كاشف الضر بك استغاث من اضطر » قال : ورأيتُه نقشه على فم خاتمه ، وكان يردد الدعاء به فكشف الله عز وجل محنته عن قرب . حدثني علي بن هاشم ، قال : حدثني أحمد بن محمد . قال مؤلف هذا الكتاب : قال لي أبو القاسم عيسى بن علي في كلام جرى بيننا غير هذا طويل : كان أحمد بن محمد أشار على المقتدر وقد اشتشاره فيمن يقلده الوزارة قال : فأسميت له نفعاً وقال سمعت عبيد الله بن سليمان بن وهب يقول : كان المتوكل من أغلظ الناس على ايتاخ ، فذكر فيه حديثاً طويلاً وصف فيه كيف قبض المتوكل على ايتاخ وابنه ببغداد لما رجعا من الحج بيد اسحاق بن ابراهيم بن مصعب قال سليمان ابن وهب : وساعة قبض على ايتاخ ببغداد قبض علي بسر من رأى وسلبت إلى عبيد الله بن يحيى وكتب المتوكل إلى اسحاق بن ابراهيم بدخوله بسر من رأى ليقوى به على الأتراك لأنه كان معه بضعة عشر ألفاً لكثرة الظاهرية بخراسان وشدة شوكتهم ، فلما دخل اسحاق أمر المتوكل بتسليمي اليه وقال : هذا عدوى ففصل عظامه . هذا كان يلقتني في أيام المعتصم فلا يبدأني بالسلام وأبدأه بالحاجتي فيرد علي كما يرد المولى علي عبده وكل مادبره ايتاخ فعن رأيه . فأخذني اسحاق وقيدني بقيد ثقيل وألبسني جبة صوف وحسني في كنيف وأغلق علي خمسة أبواب فكنت لا أعرف الليل من النهار ، فأقمت كذلك نحو عشرين يوماً لا يفتح علي الباب إلا حملة واحدة في كل يوم وليلة ، ويدفع إلي فيهما خبز شعير وملح وماء حار ، فكنت آنس بالخنافس وبنات وردان وآتمني الموت لشدة ما أنا فيه فعرض لي ليلة من الليالي أن أطلت الصلاة وسجدت ودعوت الله عز وجل بالفرج وقلت في دعائي : « اللهم ان كنت تعلم أنه كان لي في دم نجاح بن مسلمة صنع فلا تخلصني بما أنا فيه ، وإن كنت تعلم أنه لا صنع لي فيه ولا في غيره من الدماء التي سفكت ففرج عني . » فما استتمت الدعاء حتى سمعت

صوت الأقفال تفتح فلم أشك في أنه القتل ، ففتحت الأبواب وجرى بالشمع وحملى الفراشون لثقل حديدى ، فقلت لحاجبه سألتك بالله أصدقنى عن أمرى فقال : ما أكل الأمير اليوم شيئاً لأن أمرك غليظ . وذلك أن أمير المؤمنين وبخه بسببك . وقال سلت اليك سليمان بن وهب لتسمنه أو تستخرج ماله ؟ فقال الأمير أنا صاحب شرطة وسيف ولا أعرف وجوه المناظرة على الأموال وإن تقرر أمره على شيء طالبت به ، فأمر الكتاب بالاجتماع عند الأمير لمناظرتك والزامك ما يؤخذ به خطك وتطالب به ، وقد اجتمعوا واستدعيت لذلك . قال : فحملت إلى مجلس اسحاق فاذا فية موسى ابن عبد الملك صاحب ديوان الخراج . والحسن بن محمد صاحب ديوان الضياع ، وأحمد بن اسرائيل الكاتب ، وأبونوح ، وعيسى بن ابراهيم كاتب الفتح بن خاقان ، وداود بن الجراح صاحب الزمام فطرح في آخر المجلس ، فشتمنى اسحاق بن ابراهيم أفصح شتم وقال : يا فاعل يا صانع تعرضنى لاستبطاء أمير المؤمنين والله لأفرق بين لحمك وعظمك . ولأجعلن بطن الأرض أحب اليك من ظهرها ، أين الأموال التى جمعتها من غير وجهها ؟ فاحتججت بنكبة ابن الزيات فبدأنى الحسن بن محمد فقال : أخذت من الناس أضعاف ما أدبت ، وعادت يدك إلى كتيبة إيتاخ فأخذت ضياع السلطان واقتطعتها لنفسك وحرمتها سرقة اليك وأنت تستغلها إلى ألف درهم وتزيا بزي الوزراء ، وقد بقيت عليك جملة من تلك المصادرة لم تزلها وأخذت الجماعة تواجهنى بكل قبيح ، إلا موسى بن عبد الملك فإنه ساكت لصداقة كانت بينى وبينه فأقبل من بينهم على اسحاق فقال ياسيدى : تأذن لى فى الخلوة لأفصل الأمر فقال له اسحاق افعل . فاستدناى فحملت اليه فسار إلى وقال عزيز على يا أخى حالك ، وبالله لو كان خلاصك بنصف ما أملكه لافتديتك به ، ولكن صورتك قبيحة وإن خالفتنى فأنت والله هالك . فقلت : لا أخالفك . فقال : رأى أن تكتب خطك بالتزام عشرة آلاف ألف درهم تؤديها فى عشرة أشهر كل شهر ألف ألف درهم وتوفه عاجلاً ، أنت فيه

فسكت سكوت مبهوت . فقال لى مالك ؟ فقلت : والله ما أرجع إلى ربها إلا بعد بيع عقارى ومن يشتري منى وأنا منكوب ، وكيف يتوفر الثمن . فقال : أنا أعلم أنك صادق ولكن احرس نفسك عاجلا بعظم ما تبدله ويطمع فيه من جهتك ، وأنا وراء الحيلة لك فى شىء أميل به رأى الخليفة إلى صلاحك والله المعين ، ومن ساعة إلى ساعة فرج ، والا تتعجل الموت ، ولا تستفيد الراحة مما أنت فيه يوما . فقلت لست أتهم ودك ولا رأيك وأنا أكتب . فأقبل على الجماعة وقال يا سادتى : لى قد أشرت عليه أن يكتب بشىء لا طاقة له بأكثر منه ، ورجوت أن تعاونه بأموالنا وجاهنا ليمشى أمره ، وقد أوقنته لىكتب بكذا وكذا فقالوا الصواب أن تفعل هذا . فدعا له بدواة وقرطاس وأخذ خطه بالمال . فلما أخذ قام موسى بن عبد الملك وقال لإسحاق يا سيدى : هذا رجل قد صار للسلطان عليه مال ، وسبيله أن يرفه ويحرس نفسه ، وينقل عن هذه الحال ويغير زيه ، ويرد جاهه بانزاله فى دار كبيرة وخدمته بفرش وآلة حسنة ويمكن من يؤثر لقاءه من أهله وولده وحاشيته ومعاملية ليجد فى تحمل الأموال وتبعة الناس ويبيع أملاكه ، ويرتجع ودائعته من هى عنده . فقال إسحاق : أفعل ذلك الساعة ، وغدا أخرجه إلى دار كبيرة كما وصفت ، وأمكنه من جميع ما التمت له ونهضت الجماعة . فأمر إسحاق بأنخذى فى الحال وإدخالى الحمام وجاءنى بخلة نظيفة فلبستها ، وبخور طيب فتبخرت واستدعانى إسحاق فلما دخلت اليه نهض إلى ولم يكن فى مجلسه أحد واعتذر إلى ، خاطبني به وقال : أنا صاحب سيف ومأمور ، ولقد لحقنى اليوم من أجلك سماع كل مكروه حتى امتنعت والله عن الطعام بأن ابتلى بقتلك أو يعتب الخليفة على من أجلك ، وإنما خاطبتك بذلك إقامة عذر عند هؤلاء الأشراف ليلغوا الخليفة ذلك وجعلته وقاية من الضرب والعذاب . فشكرته وقلت ما حضرني من الكلام . فلما كان من غد حو لنى إلى دار

كبيرة حسنة مفروشة و وكل على فيها باحسان وإجلال ، واستدعيت كل من أردت وتسامع الناس بأمرى وجأؤنى ففرج عني ومضت سبعة وعشرون يوماً وقد أعددت ألف ألف درهم وأنا أتوقع أن يرد المحل فأطلب فأؤدى المال ، وإذا أنا بموسى بن عبد الملك قد دخل إلى فقمت إليه فقال : أبشر . فقلت ما الخبر ؟ فقال ورد كتاب صاحب مصر يبلغ مالها لهذه السنة بمحلا ، ومبلغ الجمل في النفقات يبلغ ذلك حساباً مفصلاً فقرأ عبيد الله ذلك على أمير المؤمنين فوقع إلى باخراج مال مصر ليعرف آثار العامل ، فأخرجتها من ديوان الخراج والضيايع لأن ضيايع مصر تجري في ديوان الضيايع وتجرى في ديوان الخراج وينفذ حسابها إلى الدواوين كما علمت ، فجعلت سسنتك التي توليت فيها عمالة مصر مصدرة ، وأفردت بعدها السنين الناقصة عن سنتك توصلاً في خلاصك وجعلت أقول النقصان في سنة كذا وكذا من اتى صدرتها كذا وكذا . فلما قرأ عبيد الله المفصل على المتوكل قال : فهذه السنة الوافرة من كان يتولاها ؟ فقلت يا أمير المؤمنين : سليمان بن وهب . فقال المتوكل لم لا يرد إليها ؟ فقلت يا أمير المؤمنين وأين سليمان بن وهب ذاك مقتول بالمطالبة ، قد استصنى واقتصر . فقال تزال عنه المطالبة ، ويعاون بمائة ألف درهم ، ويعجل لإخراجه . فقلت يا أمير المؤمنين : وترد ضياعه ليرتفع جاهه . قال : ونفعل ذلك . وقد تقدم إلى عبيد الله بذلك واستأذنته في أن أجيئك وأخرجك فأذن لي فقم بنا إلى الوزير . قال وقد كان أرسل إلى اسحاق برسالة الخليفة يأذن له في إطلاقي فخرجت من وقفي ولم أؤد من المال حبة واحدة ورددته إلى موضعه وجئت إلى عبيد الله فوقع لي بمائة ألف معونة على سفرى ودفع إلى عهد مصر فخرجت إليها مسروراً .

حدثني عبيد الله الاسناني قال : أحزنني أمر ضقت به ذرعاً فأتيت يحيى ابن خالد الأزرق وكان مستجاب الدعوة فرآني مكروباً قلقاً فقال : ما شأنك ؟ قلت : دفعت إلى كيت وكيت . فقال استعن بالله واصبر فإن الله جل جلاله وعد الصابرين أجراً . فقلت : ادع الله فحرك شفتيه بشئ ، لا أعلم ما هو فأنصرفت

على جملة قلبي فبت بليلة عظيمة فلما أصبحت أتاني الله بالفرج . حدثني أحمد ابن عبد الله بن داسه قال : اعتللت علة عظيمة يئست فيها من نفسي هادني بعض أصحاب سهل بن عبد الله التستري فقال : كان سهل يدعو في عله بدعاء ما دعا به أحد إلا عوفي . فقلت : ما هو ؟ فقال : « اللهم اشفني بشفائك ، وداوني بدوائك ، وعافني من بلائك » . فواصلت الدعاء فعوفيت . حدثني أبو الحسن أحمد بن يوسف الأزرق قال : حدثني أبو الحسين البواب المقرئ قال : كان يصحبنا على القرآن رجل مستور صالح يكنى أبا أحمد وكان يكتب كتب العطف للمستورين من الناس فحدثني قال : بقيت يوماً بلا شيء وأنا جالس في دكاني ، فدعوت الله عز وجل ليسهل لي سبياً فما استتمت الدعاء حتى فتح باب دكاني غلام أمرد حسن الوجه جداً فسلم بأدب حسن وجلس . فقلت : ما حاجتك ؟ فقال : أنا عبد مملوك وقد طردني مولاي وغضب علي وقال : انصرف عني إلى حيث شئت ، وما أعددت لنفسى من أن أطرحها عليه في مثل هذا الوقت ، ولا أعرف من أقصده وقد بقيت متحيراً في أمرى وقد قيل لي إنك تكتب كتاب العطف فاكتب فكتبت الكتاب الذي كنت أكتبه وهو : بسم الله الرحمن الرحيم (الحمد لله رب العالمين (١)) - إلى آخر - السورة ، و (المعوذتين (٢)) (وآية الكرسي (٣)) (ولو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله (٤)) إلى آخر السورة ، وكتبت آيات العطف (لو أنفق ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم لأنه عزيز حكيم (٥)) (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون (٦)) (واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا - إلى قوله - لعلمكم تهتدون (٧))

(١) الفاتحة ١ (٢) الفلق والناس . (٣) البقرة ٢٥٥

(٤) الحشر ٢١ (٥) الأنفال ٦٣ (٦) الروم ٢١

(٧) آل عمران ١٠٣

وقلت له : خذ هذه الرقعة ، فشدّها على عضدك الأيمن ولا تعلقها عليك إلا إذا كنت طاهراً . قال : فأخذها وقام ووضع بين يدي ديناراً عينا فتداخلتني رحمة له فضليت ركعتين ودعوت الله عز وجل أن ينفعه بالكتاب ، ويرضى عليه قلب مولاه وجلس . فما مضت إلا ساعتان فاذا بأبي الجود خليفة عجيف غلام ناذوك وكان على الشرطة قد جامني فقال : أجب الأمير ناذوك . قال : خفت . فقال : لا ترع وأركبني بغلا وجاء بي إلى دار ناذوك فتركني في الدهليز ودخل فلما كان بعد ساعة أدخلت إلى ناذوك فاذا هو جالس في دست عظيم وبين يديه الغلمان قياماً نحو ثلاث مائة غلام وأكثر ، وكاتبه أبو القاسم جالس بين يديه ورجل لا أعرفه ، فارتعت وأهويت لأقبل الأرض . فقال : مه عافاك الله لا تفعل هذه من سنن الجبارين ، ما تريد نحن هذا اجلس يا شيخ لا تخف . قال : فجلست فقال جارك اليوم غلام أمرد فكشيت له كتاباً للعطف ؟ فقلت : نعم . قال فاصدقني عما جرى بينكما حرفاً حرفاً ، قال فأعدته عليه حتى لم أخرج منه حرفاً . وتلوت عليه الآيات . قال فلما قلت له : إن الغلام قال أنا عبد مملوك وما أعددت لنفسى من أقصده لهذا الحال ولا أعرف جهة ألقا إليها وقد طردني مولاي بكيت أنا لما تداخلتني من رحمتي للفتى ومحبتى للدينار الذي أعطانيه . قال : فدمعت عين ناذوك ثم تجدد واستوفى الحديث وقال قم يا شيخ بارك الله فيك وعليك ، ومهما عرضت لك حاجة أو لجارك أو لصديقك فاسألني إياها فإني أقضيها إن شاء الله تعالى ، وأكثر الحضور عندنا ، وانبسط في هذه الدار فانك غير محجوب عنها ، فدعوت له وخرجت فلما صرت في الدهليز إذا بالفتى فعديل بي إلى موضع وأجلسني فقلت : ما خبرك ؟ قال أنا غلام الأمير وكان قد غضب على وطردي فجئتك فلما جلست عندك طلبني فرجعت فاذا برسل قد انبشوا في طلبي ، فلما حضرت قال أين كنت فحدثته ، فلم يصدقني فطلبك فلما حدثته بمثل ما حدثته أنا حرفاً بحرف وخرجت الساعة أحضرني وقال يا بني إنك الساعة من أجل غلماي عندي ، وأمكنهم من قلبي ، وأخضعهم بي إذ كنت لما عاملتك بهذا ما غيرك ذلك

عن محبتي والرغبة في خدمتي ، وطلب الخيل في الرجوع إلى ، وانكشف لي أنك ما أعددت لنفسك بعد الله عز وجل سوى ، ولا عرفت وجهاً تلجأ إليه في الدنيا غيري ، فما ترى بعد هذا إلا كل ما تحبه وسأعلى منزلتك ، وأبلغ بك مراتب نظرائك ، ولعل الله عز وجل استجاب فيك دعاء هذا الشيخ ونفعك بالآيات من القرآن العظيم ، فبأي شيء كافأت الرجل ؟ فقلت : ما أعطيته غير ذلك الدينار . فقال سبحانه الله : قم إلى الخزانة وخذ ما تريد واعطه فأخذت هذا من الخزانة وجئت بك به . وأعطاني خمسمائة درهم . وقال : الزمني فاني أحسن إليك إن شاء الله تعالى فجئته بعد مدة فإذا هو قائد جليل ، وصار لي عدة على الزمان .

قال وحدثنا أبو الحسن محمد بن محمد المعروف بابن المهتدين ، قال : حدثني أبو مروان الحامدي ، قال : لما ظلم الناس بواسط أحمد بن سعيد الكوفي وهو إذ ذاك يتقلدها لناصر الدولة وقد تقلد ناصر الدولة امرأة الأمراء ببغداد كنت أحد من مظلّم ظلمني وأخذ من ضيعتي بالحامدية بيضا وأربعين كرا ارزا بالنصف من حق الدهقنة بغير تأويل سوى ما أخذه من حق بيت المال وظلم فيه ، فتظلمت إليه وكليته فلم ينصفني وكان الكرا الارز بالنصف إذ ذاك يساوي ثلاثين ديناراً فقلت له : قد أخذ سيدنا أيده الله مني ما أخذ ووالله ما عندي أنا وعتالي شيء سواه ، ومالي ما أقوتهم به باقى سنتي ، ولا ما أعمّر به ضيعتي وقد طابت نفسي أن يطلق لي من جملة عشرة أكرار وأجعل الباقي له حالاً . فقال : لا أفعل . وبكيت بين يديه وقبلت يده ورقةته وقلت : فهب لي ثلاثة أكرار وتصدق بها على وأنت من جميعه في حل ، فقال : والله ولا رزة واحدة . قال فتحيرت وقلت له : فإني أنظّم إلى الله عز وجل منك . فقال كن على ظلامتك يكررها دفعات ويكسر الميم بلسان أهـل الكوفة ، فانصرف محترق القلب منقطع الرجاء ، فجمعت عيالي ومازلت أدعو الله عليه ليالي كثيرة ، فهرب من واسط في الليلة الحادية عشرة من أخذ الارز فجئت إلى البيدر وأرزي مطروح فيه ، وأخذته وحملته إلى منزلي ، وما عاد

الكوفي إلى واسط ولا أفلح . حدثني غير واحد من الكتاب عن سمع أبا
علي بن مقلة لمساعد من فارس وزيراً يتحدث قال : من طريف ما اتفق في
نكبتى هذه التي أدتني إلى الوزارة أني أصبحت وأنا محبوس مقيد في حجرة
من دار ياقوت أمير فارس ، وقد لحقني من الایاس من الفرج وضيق الصدر
بها ما أقنطنى وكاد يغلب على عقلى ، وكنت أنا وفلان محبوسين مقيدين في
بيت واحد من الحجرة إلا أنا على سبيل ترفيه وإكرام . فدخل علينا كاتب
لياقوت كان كثيراً ما يحنينا برسائله . فقال الأمير يقرأ عليك السلام ويعرف
أخباركما ، ويعرض عليكما قضاء أى حاجة كانت لكما . فقلت له : تقرأ على
الأمير السلام وتقول له : قد ضاق والله صدرى ، واشتهيت أن أشرب على غناء
طيب ، فإن جاز أن يسأحننا بذلك سرراً فيتخذ به عندنا منة وبراً تفضل بذلك .
قال : والمحبوس معي يخاصمني ويقول يا هذا : والله ما في قلوبنا فضل لهذا .
فقلت للكتاب أعدنى ما قلت لك . قال : السمع والطاعة ومضى ثم جاء وقال :
الأمير يقول لك حباً وكرامة لك وعزاة أى وقت شئت فقلت الساعة ، فلم
يمض إلا ساعة حتى جاؤا بالطعام فأكلنا والمشام والفاكهة والأنبيذ وصفف
المجلس فجلس والمحبوس معي مقيداً ، وقلت له تعال حتى نشرب ونتفأل
بأول صوت يفتنى به لنا في هذه الساعة في سرعة الفرج مما نحن فيه فلهذا يصح
القول . فقال : أما أنا فلا أشرب فلم أزل أرفق به حتى شرب وجاءت المغنية
فكان أول صوت غنته شعر :

قواعد للبين الخليلط ايديوا وقالوا الراعى الذود موعداك السبت
ولكنهم بانوا ولم أدر بغنة وأفظع شيء حين يفجؤك البغت
فقال لي : ما هذا ما يتفأل به ، وأى معنى فيه يدل على فرجنا؟ فقلت : ما هو إلا فأل
مبارك ، ولعل الله أن يفرق بيننا وبين هذه الحال التي نحن فيها بالفرج والصالح
يوم السبت . قال وشربنا يوماً وسكرنا وانصرفت المغنية ومضت بقية أيام ذلك
الأسبوع . فلما كان يوم السبت لم يمض من النهار إلا دون ساعتين فإذا بياقوت
قد دخل علينا فجأة فارتعنا وقت اليه فقال أيها الوزير : الله الله في واقبل

مسرعا إلى وعائتي وأجلسني وأخذ يهينني بالوزارة فتهنيت ولم يكن عندي علم من شيء من الأمر ، ولا مقدمة له فأخرج كتاباً قد ورد عليه من القاهرة بالله يعمله فيه تقايده إياي الوزارة ، ويأمره فيه بطاعتي وسلم إلى كتاباً من القاهرة بمثل ذلك يأمرني فيه بالنظر في أمر فارس والأولياء بها واستصحب ما يمكنني من المال وتدير أمر البلدة بما أراه والبدار إلى حضرته فانه قد استخلف لي إلى وقت حضوري الكلوباذي . فحمدت الله تعالى وشكرته وإذا الحداد واقف فتقدمت إليه بفك قيودي وقيود الرجل فنكت ودخلت الحمام وأصلحت من أمرى وأمر الرجل وخرجت فجلست ونظرت في الأعمال والأموال وجمعت مالا جليلا في مدة يسيرة وقررت أمور البلدة واستصحبت الرجل إلى الحضرة حتى جلست هذا المجلس وفرج الله عني وعنه في يوم السبت *

وقال ابراهيم بن العباس : كنت أكتب لأحمد بن أبي خالد فدخلت عليه يوما فرأيت مطرقا مفكرا مغموما ، فسألته عن خبره فأخرج لي رقعة فاذا فيها : ان حظية من أعز جواريه يخالف إليها وتوطئ فراشه غيره ، ويستشهد في الرقعة خادمين على ذلك كأننا ثقتين عنده . قال ، فدعوت الخادمين وسألتهما عن ذلك فأنكراه قهدهما بالقتل فأقاما على الإنكار فضر بهما فاعترفا بذلك على الجارية بكل ما في الرقعة ، ولاني لم أذق أمس واليوم ذواقا وقد هممت بقتل الجارية . قال : فوجدت بين يديه مصحفاً ففتحه فكان أول ماخرج فيه : (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا (١)) الآية قال : فتشككت أنا في صحة الحديث ورأيت ما خرج في القال وقلت دعني أتلف في كشف هذا . فخلوت بأحد الخادمين وناجيته عن الأمر فقال النار ولا العار ، وذكر أن امرأة أحمد بن أبي خالد وجهت إليه بكيس فيه ألف دينار وسألته الشهادة على الجارية وأمرته أن لا يذكر شيئا إلا بعد أن يقع به مكروه ليكون أثبت للخبر ، وأحضر الكيس محتوما بختم المرأة ، ودعوت بالآخر فخلوت به فاعترف بمثل هذا فبادرت إلى أحمد بالبشارة فما

وصلت اليه حتى وردت رقعة الحرة تعلمه أن الرقعة الأولى كانت من فعلها
غيره عليه من الجارية ، وأن جميع ما فيها باطل ، وأنها هي التي حملت
الخدامين على ذلك وأنها تائبة إلى الله عز وجل من هذا الفعل
وأمثاله . فجاءته براءة الجارية من كل جهة فسر بذلك وزال ما كان فيه
وأحسن لي الجائزة .

وقال الحسن بن الحسن : إن عبد الله بن جعفر زوج ابنته فلما أراد أن
يهدىها إلى زوجها خلا بها فقال : إذا نزل بك الموت أو أمر من أمر الدنيا
فطيع فاستقبله بأن تقولى : « لا إله إلا الله الحليم الكريم ، سبحان الله
رب العرش العظيم ، الحمد لله رب العالمين » . قال الحسن بن الحسن فبعث إلى
الحجاج فقلتهن فلما مثلت بين يديه قال : لقد بعثت إليك وأنا أريد أن أضرب
عنقك . ودخلت إلى وما من أهل بيت على أكرم منك سل حاجتك .

عن الشعبي قال : كنت جالساً عند زياد فجاء رجل اليه يحمل ولم نشك في
قتله فرك الرجل شففيه بشىء لا ندرى ما هو فغلى سيده . فقلت للرجل : ما قلت ؟
قال قلت : « اللهم رب إبراهيم ، وإسماعيل ، وإسحاق ، ويعقوب ، والاسباط ،
ورب جبريل ، وميكائيل ، وإسرافيل ، ومنزل التوراة ، والإنجيل ،
والقرآن العظيم ، ادرأ عني شر زياد ، فدرأ عني شره » . حدثني أبو عبد الله
الحرزبيل قال : أمر الرشيد خادمه قال : إذا كان الليلة فصر إلى الحجرة
الفلانية فافتحها فخذ من رأيت فائت به موضع كذا وكذا من الصحراء فانك
تجد قليلاً مضحوراً فارم به فيه وطمه بالتراب وليكن معك فلان الحاجب .
(قال) : فجاء إلى باب الحجرة ففتحتها فادفأها غلاماً كانه الشمس الطالعة قال فجذب به
اليه جذباً عنيفاً . فقال له : اتق الله في فإني ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم
فإن الله أن تلقى جدى بدمى . قال فلم يلتفت اليه وأخرجه إلى الموضع (قال) :
فلما أشرف الفتى على التلف قال يا هذا : إنك على فعل مالم تفعل أقدر منك
على رد ما فعلت . فدعنى أصلي ركعتين وأمض ما أمرت به . فقال له شأنك
وما تريد فافعل . فقام الفتى فصلى ركعتين ثم سمعناه يقول : « يا خني اللطف
أغثنى في وقتي هذا ، والطف بي بلطفك الخي » . فلا والله ما استتم دعاءه

حتى هبت ريح باردة ، وغبرة فلم ير بعضنا بعضاً ، ووقعنا لوجوهنا ، واشتغلنا بأنفسنا عن الفتى ، ثم سكنت الريح والغبرة فرأينا السكواكب وطلبنا الفتى فلم نجده . ورأينا قيوده مرمية بمحضرتنا . قال فقال الحاجب للخادم هل يمكننا سيقع لأمر المؤمنين أنا أطلقناه فإذا نقول لنن نحن كذبناه لم نأمن أن يبلغه خبر الفتى ، وإن صدقناه ليعجلن المسكروه علينا ؟ فقال أحدهما للآخر لن كان السكذب ينجى فالصدق أنجى . فلما دخلوا عليه قال لهم ما فعلتما ؟ فقال الحاجب يا أمير المؤمنين الصدق أولى ما اتبع ومثل لا يجترىء أن يكذب على أمير المؤمنين ، وأنه كان من الخبر كذا وكذا فقصه عليه . فقال الرشيد : والله لقد تداركه اللطف الخفي ، والله لأجعلنها من مقدمات دعائي امض لشأنك واكتم ما جرى .

وعن أبي سلمة عبيد الله بن منصور قال : جرت على رجل شدة هاضته فلع في الدعاء ذات ليلة فهتف به هاتف يا هذا : « قل يا سامع كل صوت ، يا باري النفوس بعد الموت ، ويا من لا تغشاه الظلمات ، ويا من لا يشغله شيء عن شيء » . قال فدعا بها ففرج الله عنه ولم يسأل ربه حاجة تلك الليلة إلا أعطاه . وعن اسحاق العرواني قال : زحف إلينا ابن ادم هو مرد عند مدينة الكرج في ثمانين فيلاً فكادت تنقض الصفوف والخيول فكرب لذلك محمد ابن القاسم ، فنادى عمران بن النعمان أدير أهل حمص وأمر الأجناد فنهضوا فما استطاعوا فلما أعيته الأمور نادى مراراً : لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . فكف الله القبيلة بذلك وسلط عليها الحر فأنتصروا فبرزت إلى الماء فما استطاع سواقها ولا أصحابها حبسها وحملت الخيل عند ذلك فكان الفتح . قال كان حبيب بن سلمة يستحب إذا لقي العدو أو ناهض حصناً قول : لا حول ولا قوة إلا بالله . وأنه ناهض يوماً حصناً فانهزم الروم فقاتلها المسلمون فانصدع الحصن .

حدثني الحسين بن عبد الرحمن : أن بعض الوزراء نفاه الملك لموجدة وحدها عليه فاغتم لذلك غماً شديداً فيبداً فيبداً هو ذات ليلة في مستتر له إذ أنشد رجل معه بيتين من شعر وهما :

أحسن الظن برب عودك حسناً أمس وسوى أودك
إن رباً كان يكفيك الذى كان بالأمس سيكفيك غدك
قال : فسرى عنه ما كان فيه وأمر له الملك بعشرة آلاف درهم .
وعن محمد بن رجاء قال : أصابني غم شديد لأمر كنت فيه فرفعت مقعداً
لى كنت جالساً عليه فاذا رقعة فنظرت فيها فإذا مكتوب بيت شعر .
يا صاحب الهم إن الهم منقطع لا تيأسن كان قد فرج الله
قال : فذهب عني ما كنت أجده من الغم ، ولم ألبث أن فرج الله عني *
حدثني أبو بكر الشافعي قال : قال رجل أصابني غم ضقت به ذراعاً فزمت فرأيت
في المنام كان قائلاً يقول هذه الأبيات :
كن للسكرام بالغرام مقطعاً فلعل يوماً أن ترى ما تكره
ولربما ابتسم الوقور من الأذى وضميره من حره يتأوه

* * *

قال مؤلف هذا الكتاب : حدثني علي بن الحسن الشاهد من حفظه قال
حدثني أبو الحسن بن أبي الطاهر محمد بن الحسن الكاتب صاحب الجيش
قال : قبض محمد بن القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب في وزارته
للقاهر بالله على أبي ، وعلى معاً فحبسنا في حجرة من دار ضيقة وأجلسنا على
التراب ، وشدد علينا ، وكان يخرجنا كل يوم فيطالب أبي بمال المصادرة ،
واضرب أنا بمحضرتي ولا يضرب هو ، فلاقينا من ذلك شدة صعبة . فلما كان
بعد أيام قال لي أبي إن هؤلاء الموكلين بنا قد صارت لنا بهم حرمة ، فتوصل
إلى مكتبة أبي بكر الصيرفي وكان صديقه حتى ينغد إلينا ثلاثة آلاف درهم
انفرقها عليهم . ففعلت ذلك فأنفذ الدراهم من يومه فقلت للموكلين في عشية
ذلك اليوم : قد وجبت لكم علينا حقوق نخذوا الدراهم فانتفعوا بها .
فامتنعوا من ذلك فقلت : ما سبب امتناعكم ؟ فوروا عني . فقلت أما قبلتم
وأما عرفتموني السبب ؟ فقالوا نشفق عليك من ذكره ، ونستحي . فقلت
لأبي : قل لهم اذكروه على كل حال . فقالوا : قد عزم الوزير على قتلكم الليلة

ولأنه استحسن أخذ شيء منك مع هذا الحال . فقامت وتغير حال فقال أبي اردد الداهم على أبي بكر فدفعتها إلى من جاء بها فردها عليه ، وكان أبي يصوم تلك الأيام كلها فلما غابت الشمس ذلك اليوم وتطهر لم ينظر وصلى المغرب وصليت معه ثم أقبل على الصلاة والدعاء إلى أن صلى العشاء الآخرة . ثم دعاني فقال : اجلس يا بني جانياً على ركبتك ففعلت ، وجلس هو كذلك ثم رفع رأسه إلى السماء فقال يارب : محمد بن القاسم قد ظلمني ، وحبسني على ما ترى ، وأنا بين يديك ، قد استغثت إليك ، وأنت أحكم الحاكمين ، فاحكم بيننا . لا يزيد عليها ، ثم صاح بها إلى أن ارتفع صوته ولم يزل يكررها بصياح وبكاء ، واستغاثه إلى أن ظننت أنه قد مضى ربيع الليل . فوالله ما قطعها حتى سمعت الباب يدق فذهب عني أمرى ، ولم أشك أنه القتل وفتحت الأبواب فدخل قوم بشموع ، فتأملت فإذا فيهم ساجد القاهر . فقال : أين أبو طاهر ؟ فقال أبي فقال : ها أنا ذاك . فقال أين ولدك ؟ فقال : هو ذا . فقال انصرفا إلى منزلكما . فإذا هو قد قبض على محمد بن القاسم وأخذه إلى دار القاهر فأنصرفنا وعاش محمد في الاعتقال ثلاثة أيام ومات .

لما خرج طاهر بن الحسين إلى محاربة علي بن عيسى بن ماهان جعل ذات يوم في كه دراعم يفرقها على الفقراء ، ثم أسبل كفه ناسياً فانتقضت الداهم فتطير من ذلك واغتم فانتصب له شاعر فقال :

هذا تمرق جمعهم لاغيره وذهابه منه ذهاب الهم
شيء يكون الهم نصف حروفه لاخير في إمساكه في الكم
فسلى همه ومابه وأمر له بثلاثين ألف درهم .

لأنصرف يحيى بن خالد البرمكي من عند الهادي وقد ناظره في تسهيل خلع العهد عن هارون الرشيد ويحيى يحلف أنه قد فعل ذلك وجهد به فامتنع هارون . فقال له الهادي : كذبت هذا من فعلك ، والله لأفعلن بك ولأصنعن ، وتوعده بكل عزيمة وصرفه ، فجاء إلى داره فكلّم غلامه في شيء . فأجابه بما أعاظه ، فلطمه يحيى فانقطعت حلقة خاتمه وضاع الفص .

فاشتمد ذلك عليه وغمه فدخل عليه الشيارى الشاعر عقيب ذلك فأخبره
بالقصة فقال فى الحال :

أخلاك من كل الهموم سقوطه وأتاك بالفرج انفراج الخاتم
قد كان ضاق فقلت حلقة ضيق فاصبر فإريب الزمان بدائم
فما أمسى حتى ارتفعت الناعية على موسى وصار الأمر إلى هارون ،
وأعطى يحيى الشيارى مائة ألف درهم .

قال أبو على العتاني : حدثنى جدى ، قال : بكرت يوما إلى موسى بن
عبد الملك ، وحضر داود بن الحاج فوقف إلى جانبي فقال : كان بى أمس
خبر طريف انصرفت من عند موسى بن عبد الملك فوجدت فى منزلى امرأة
شريفة من شرائف النساء فشكته إلى وقالت : قد حاول أن يأخذ ضيعتى
الفلاية وأنت تعلم أنها عمدتى فى معيشتى ، وإن فى عنق صببة أيتاماً فأى شىء
تدبر فى أمرى وتشير على ؟ فقلت لها : من معك وراء الستر ؟ قالت : مامعى
أحد فقلت لها أما التدبير فى أمرك فما إلى فيه حيلة ، وأما المشورة فقد قال
النبطى : لا تبع أرضك من اقدام الرجل الردى ، فإن الردى يموت ،
والأرض تبقى . فدعت لى وانصرفت فنحن كذلك إذ خرج موسى فقال
لداود بن الحاج ، يا أبا سليمان : لا تبع أرضك من اقدام الشرير فإنه يموت
والأرض تبقى . فقال لى داود : سمعت هذا والله هو الموت ، أين أهرب أين
أمضى ، ما آمنه والله على نفسى ، ولا نعمتى فأشر على ما اصنع قبل زناد طريقنا
إلى الديوان ؟ فقلت ما ادرى فرفع طرفه إلى السماء وقال : « اللهم اكفنى
شره وضره وامره . فإنك عالم بقمصتى وما أردت بما قلت إلا الخير ، .
واشتمد قلبه وكثر بكأؤه وقربنا من الديوان . فقال موسى وهو على حاله :
متى حدث هذا الجبل الأسود فى طريقنا وما على سرجه حتى سقط
واستكت اسنانه وحمل إلى منزله وكان آخر العهد به .

ذكر المدائيسى فى كتابه قال : قال أبو سعيد - وانا احسنه الا صمعى : نزلت
يوما بحى من كليب مجديين ، وقد توالى عليهم سنون موتت الماشية ، ومنعت

الأرض خروج نباتها وأمسكت السماء قطرها ، فجعلت أنظر إلى السحابة ترتفع من ناحية القبلة سوداء مثقاربة حتى تطبق السماء ويشرف لها الحى ويرفعون أصواتهم بالتكبير ثم يعدلها الله عنهم مراراً . فلما كثر ذلك خرجت عجوز فعلت شرفاً ثم نادى بأعلى صوتها : يا ذا العرش اصنع كيفما شئت فإن أرتاقوا عليك ، فما نزلت من موضعها حتى تغمى السماء فطرت مطراً كاد أن يغرقهم وأما حاضر .

حدثنا على بن أبي الطيب بالاسناد عن وضاح بن خيثمة قال : أمرنى عمر ابن عبد العزيز بإخراج من فى السجن فأخرجتهم لإلا يزيد بن أبى مسلم فهدر دمي . فقال : والله إني لبأفريقية إذ قيل قدم يزيد بن أبى مسلم فهربت منه ، فأرسل فى طلبى فأخذت فأتى بى . فقال وضاح : فقلت : نعم . فقال أما والله لطالما سألت الله تعالى أن يمكنى منك . فقلت : وأنا والله لطالما استعذت الله من شرك . فقال : والله ما أعاذك الله ، والله لأقتلنك ، والله لو ساقنى ملك الموت على قبض روحك لسبقته . على بالسيف والنطع . قال فجئى بهما واقعدت فيه وكتفت وقام قائم على رأسى بالسيف مشهوراً ، وأقيمت الصلاة فخرج إليها فلما خر ساجداً أخذته السيوف من أهل الهند فقتل ، فجاءنى رجل وقطع كتابى بسيفه وقال انطلق . حدثنى أبو الطيب عبد العزيز حماد بالاسناد كثير ، عن القاضى التنوخى البارى قال : حدثنى أبو عبد الله بن أبى عوف البزورى ، قال : دخلت على أبى العباس بن ثوبة وكان محبوساً فقال لى احفظ عنى فقلت نعم فقال شعراً :

عواقب مكروه الأمور خيار وأيام شر لا تدوم قصار
وليس بياق بؤسها ونعيمها إذا كر ليل ثم كر نهار

فلم يمض أيام يسيرة حتى أطلق من محبسه . حدثنى أحمد بن عبد الله الوراق ، عن أبى بكر المعروف بالمستعنى بالاسناد عن بعض تجار المدينة قال : كنت أختلف إلى جعفر بن محمد وكنت له خليطاً وكان يعرفنى (هـ - الفرج - أول)

بحسن حال فتغيرت حالتي فرق لي فأنيته فجعلت أشكو اليه سوء حالتي
فقال شعراً :

فلا تجزع وإن أعسرت يوماً فقد أيسرت في الدهر الطويل
ولا تيأس فإن اليأس كفر لعل الله يغني عن قليل
ولا تظنن بربك ظن سوء فإن الله أولى بالحميل
قال فخرجت من عنده وأنا أغنى الناس . وفي رواية أخرى زيادة وهي :
فان العسر يتبعه يسار وقيل الله أصدق كل قيل
فلو أن العقول تسوق رزقاً لكان المال عند ذوى العقول

وذكر القاضي أبو الحسين في كتابه بالاسناد عن محمد بن موسى بن الفرات
قال: كنت أتولى ماء سيدان ، وكان صاحب البريد بها علي بن زيد ، وكان قديماً
يكتب للعباس بن المأمون فحدثني : أن العباس غضب عليه وأخذ كل ما كان
يملك حتى بق بسر من رأى لا يملك شيئاً إلا برذونه بسرجه ولجامه ومنطقته
وطيلساناً وقيصاً وشاشية ، وانه كان يركب في أول النهار فليقي من يحتاج
إلى لقائه ، ثم ينصرف فيبعث برذونه إلى الكراء فيكسب عليه مايلذنه وما
ينفق هو وغلामه عليه . فاتفق في بعض الأيام أن الدابة لم يكسب عليها شيئاً
فبات هو وغلामه طاويين . قال : ونالنا من الغد مثل ذلك . فقال لي الغلام :
نحن نصبر ولكن الشأن في الدابة إنا نخاف أن تعطب . فقلت يا بني فنعمل
ماذا ؟ ليس إلا السرج واللجام والمنطقة والطيلسان والقلنسوة ومتى بعنا منها
شيئاً بطلت الحركة وبطل التصرف . قال : فانظر في أمرك . قال فنظرت فاذا
فراشي حصيرخلق ، ومخدي لبنة أغشيها بخرقه وما أتمسح فيه للصلاة مطهرة
خزف فلم أجد شيئاً غير منديل ديبق خلق قد بق منه الاسم فقلت للغلام
بع هذا المنديل واشترى لنا لحماً بدرهم واشوه فقد قرمت اليه . فضى الغلام
وأخذ المنديل وبقيت في الدار وحدي وفيها شاهرج قد جاع ، فلم أشعر
إلا بعصفور قد سقط في المظهرة التي فيها الماء لطهرى عطشا فشرب ونهض
إليه الشاهرج فناهضه فلضعفه قصر عنه ، وطار العصفور فوقف الشاهرج

فأخذه بحمىة فابتلعه . فلما صار فى حوصلته دخل المطهرة فتغسل ونشر جناحيه وصاح ونشط فبكيت ورفعت رأسى إلى السماء . فقلت : « اللهم كما فرجت عن هذا الشاهمرج ففرج عنى وارزقنى » . فما رددت طرفى حتى دق الباب داق فقلت : من ؟ فقال : إبراهيم بن نوح ، وكان للعباس وكيل هذا اسمه . فقلت ادخل ، فنظر إلى صورتي فقال : مالى أراك على هذه الحالة . فكتمته خبرى . فقال : الأمير يقرأ عليك السلام وقد أصبح فى هذا اليوم وهو يذكر وأمر لك بخمسمائة دينار وأخرج الكيس ووضع بين يدى . فحمدت الله تعالى ودعوت للعباس ثم أريته قصتى وأطلعته دارى ويوتى وعرفته خبر الدابة والمنديل والشاهمرج والدعوة فتوجع لى وانصرف . فلم يلبث أن عاد وقال : قد صرت إلى الأمير وحدثته حديثك كله فتوجع وأمر لك بخمسمائة دينار أخرى ثانية لتلك وانفق هذه إلى أن يصنع الله عز وجل . وعاد غلامى وقد باع المنديل ببضع عشرة درهماً فأشترى ما أمرته فأريته الدنانير وحدثته الحديث وما زال صنع الله يتعاهدنى قال المداينى فى كتابه وحدث القاضى أبو الحسن فى كتابه عن المداينى بغير إسناد واللفظان متقاربان : ان اعراية كانت تخدم نساء النبى صلى الله عليه وسلم وكانت كثيراً تتمثل بهذا البيت :
ويوم الوشاح من تعاجيب ربنا إلا أنه من ظلمة الكفر أنجانى

فقل لها : إنك لتكثيرين التمثل بهذا البيت ولما لظنه لأمر فاهو ؟
فقلت أجل كنت عسيفة على قوم من البادية — والعسيف الأجير — فجاءت جارية منهن فاخططف وشاحها عقاب ونحن لا ندري . فقلن إن الوشاح أنت صاحبه ، فخلقت واعتذرت فايين قبول قولى واستدعين الرجال فجأوا وفتشونى فلم يجدوا شيئاً . فقال بعضهم احتملته فى فرجها ، فأرادوا أن يمتشوا فرجى فما ظنكم بامرأة تخاف ذلك . فلما خنت الشر رفعت رأسى إلى السماء وقلت : « يارباه أغثنى » . فمرت العقاب فطرحته بيننا فندموا وقالوا ظلمنا المسكينة وجعلوا يعتذرون إلى فما وقعت فى كربة إلا ذكرت ذلك وهو يوم الوشاح ورجوت الفرج » حكى القاضى أبو الحسين فى كتابه قال : حدثنى

أبو الحسين بن ميمر الخزاعي ، قال : سار الفضل بن الربيع إلى الفضل بن يحيى البرمكي في حاجة له فلم يرفع له رأساً ، ولا قضى له حاجة له فقام مغضباً ، فلم يدع به ولا اكترت بغضبه ، وفي المجلس يحيى بن خالد فقال لبعض خاصته ، اتبعه فانظر ماذا يقول ؟ فان الرجل ينبيء عما في نفسه من ثلاثة أماكن : إذا اضجع على فراشه ، وإذا خلا بفرسه ، وإذا استوى على سرجه ، قال الرجل : فاتبعته فلما استوى على سرجه عض على شفتيه وقال شعراً :

عسى وعسى يثنى الزمان عنانه بعثرة دهر والزمان غثور
فتدرك آمال وتقضى مآرب ويحدث عن بعد الأمور أمور

قال : فلم يكن بين ذلك وبين سحق الرشيد على البرامكة إلا أيام يسيرة . وفي رواية أخرى : أن يحيى بن خالد رده وقضى حوائجه . أخبرني علي بن عبد الله الوراق المعروف بابن لؤلؤ بالاسناد عن عبد الله بن جعفر : أنه أصابه مرض فنعه من الطعام والنوم . فبينما هو ذات ليلة ساهر إذ سمع وجبة في حبرته فإذا هو يسمع كلاماً فوعاه فبرى مكانه . والكلام : « اللهم أنا عبدك ولك أمل ، فاجعل الشفاء في جسدي ، واليقين في قلبي ، والنور في بصري ، وذكرك في الليل والنهار مابقيت في لساني ، وارزقني منك رزقاً خير ممنوع ولا محذور ، .

الباب الرابع

من استعطف غضب السلطان بصادق لفظ ، واستوقف مكروهاً
بموقف بيان أو وعظ

قرىء على أبي بكر الصولى بالبصرة وأنا أسمع فى كتابه : « كتاب
الوزراء » . وجدت بخط ابراهيم بن جاهين ، حدثنى على بن محمد النوفلى :
أن المأمون ذكر عمرو بن مسعدة واستبطأه فى أشياء ، وكان ذلك بمحضرة
أحمد بن أبى خالد فأخبر به عمرو وأحمد ، فدخل عمرو إلى المأمون فرمى بنفسه
وقال : أنا عائد بالله من سخطك يا أمير المؤمنين ، أنا أقل من أن يشكونى
أمير المؤمنين إلى أحد ، ويسر على ضغننا يظهر منه لمكانة ما ظهر . فقال له
المأمون وما ذاك ؟ فأخبره بما بلغه . فقال لم يكن كذلك ، وإنما جرى معنى
أوجب ذكر ما ذكرت فقدمته قبل أن أخبرك به وكان ذلك عزمى ، وما لك
عندى إلا ما تحب فليفرج روعك ، وليحسن ظنك وسكن ما به حتى شكره
وجعل ماء الحياة يدور فى وجهه . فلما دخل أحمد بن أبى خالد قال له : اشكو
إليك من بمحضرتى من أهلى وخدمى فما للمجلس حرمة حتى تؤدى ما يجرى
فيه إلى عمرو بن مسعدة فقد أبلغنى شيئاً قلته فيه فاتهمت به بعض بنى هاشم
من كان حاضراً ، وذلك أن عمرأ دخل على فأعاد ما كان واعتذر ، فجعلت
أعتذر إليه بعد لم يبن الحنى نسجه ، ولم يتسق القول فيه ، وإن لسان الباطل
ينبىء عن الظاهر بالباطن . فقال له أحمد : لا يهتم أمير المؤمنين أحداً أنا
أخبرت عمرأ . قال : مادعاك إلى ذلك ؟ قال الشكر لله والله لا صطناعك .
والنصح بك والمحبة لإتمام نعمتك على أوليائك وخدمك ، وقد علمت أن أمير
المؤمنين يحب إصلاح الأداء والبعداء ، فكيف بالأولياء والقرباء ، لاسيما
مثل عمرو فى موضعه من الدولة ، وموقفه من الخدمة ، ومكانه من أمير
المؤمنين فأخبرته بما أنكره عليه ليقوم أو ديقينه ، ويتلافى ما فرط منه . وإنما
العجب لو أزعمت سرأ فيه قدح على السلطان أو نقض تدبير له . فقال له

المؤمنون : أحسدت والله يا أحمد إذ أخبرتني بخاصة الظن ، وصدقني عن نفسك . أخبرني أبو الفرج الأصفهاني ، عن الحسين بن علي السلمي ، عن أحمد بن سعيد بالإسناد : أنه لما قتل إبراهيم بن عبد الله بياخري حشرنا من المدينة فلم يترك فيها محتلم حتى قدمنا الكوفة فكشنا فيها شهراً نتوقع القتل ، ثم خرج إلينا الربيع الحاجب فقال يا هذه الأمة العلوية : أدخلوا على أمير المؤمنين رجلين منكم من ذري الحجي . قال : فدخلت أنا والحسين بن زيد فلما صرت بين يديه قال لي : أنت الذي تعلم الغيب ؟ قلت لا أعلم الغيب إلا الله جل ثناؤه . قال : أنت الذي يحب إليك هذا الخراج ؟ قلت : إليك يحيى . يا أمير المؤمنين الخراج . قال : أتدرون لم دعوتكم ؟ قلت : لا ، قال : أردت أن أهدم رباعكم ، وأغور قلوبكم ، وأعقر نخلكم ، وانزلكم بالسراة لا يجيشكم أحد من أهل الحجاز وأهل العراق ، فأنهم لكم مفسدة . قلت يا أمير المؤمنين : إن سليمان أعطى فشكر ، وأن أيوب ابتلى فصبر ، وإن يوسف ظلم فغفر ، وأنت من ذلك القبيل . قال فتبسّم وقال : أعد فأعدت . قال : مثلك فليكن زعيم القوم قد عفوت عنكم ، ووهبت لكم خراج أهل البصرة . قلت حدثني أبي ، عن آبائه ، عن علي رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « الأرحام معلقة بالعرش تقول : صل من وصلني ، واقطع من قطعني » . قال : زد من هذا . قلت : حدثني أبي ، عن علي رضي الله عنه ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن الله يقول : أنا الرحمن خلقت الرحم ، وشققت له إسماً من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته » . حدثنا علي بن الحسن بالإسناد قال : حج أبو جعفر المنصور في سنة سبع وأربعين ومائة فقدم المدينة فقال : ابعث إلي جعفر بن محمد من يأتيني به تعباً قتلني الله إن لم أقتله ، فأمسكت عنه رجاء أن ينساه ، فأغلظ في الثانية فقلت : جعفر بن محمد بالبواب . فقال : ائذن له فدخل . فقال : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته . قال لا سلم الله عليك يا عدو الله تلحد في سلطاني . وتبغى الغوائل في ملكي . قتلني الله إن لم أقتلك . قال جعفر يا أمير المؤمنين : إن سليمان أعطى فشكر ، وإن أيوب ابتلى فصبر ، وإن

يوسف ظلم فغمر ، وأنت من ذلك السنخ . فسكت طويلاً ثم رفع رأسه وقال : أنت عندي يا أبا عبد الله البرى الساحة ، السليم الناحية ، القليل الغائلة ، جزاك الله من ذى رحم أفضل ما يجزى به ذوو الأرحام عن أرحامهم ، ثم تناول يده فأجلسه على مفرشه ثم قال : يا غلام على بالمنفخ . والمنفخ مدهن كبير فيه غالية فأتى به فغلغه بيده حتى خلت لحيته قاطرة ثم قال : في حفظ الله وكلاءته . يا ربيع : الحق أعط. أبا عبد الله جائزته وكسوته وانصرف . فلحقته فقلت : إني قد رأيت ما لم ير ، ورأيت بعد ذلك ما قد رأيت ، وقد رأيتك تحرك شفتيك فما الذى قلت ؟ فقال : نعم . إنك رجل منا أهل البيت ، ولك محبة وود ، قلت : « اللهم احرسنى بعينك التى لاتنام ، واكفنى بكنفك الذى لا يرام ، وارحمنى بقدرتك على ، لا أهلك وأنت رجائى يارب ، كم من نعمة أنعمت بها على ، قل لك عندها شكرى فلم تحرمنى ، فيامن قل عند بليتة صبرى فلم يخذلنى ، ويامن رآنى على المعاصى فلم يفضحنى ، ياذا المعروف الذى لا ينقضى أبداً ، وياذا النعم التى لا تحصى عدداً ، أسألك أن تصلى على محمد وعلى آل محمد ، بك ادرك فى نحره ، وأعوذ بك من شره ، اللهم أعنى على دينى بدنياى ، وعلى آخرتى بالتقوى ، واحفظنى فيما غبت عنه ، ولا تكنلى إلى نفسى فيما حضرته ، يا من لاتضره الذنوب ، ولا تنقصه المغفرة اغفر لى ما لا يضرك ، وأعطنى ما لا ينفكك ، إنك أنت الوهاب ، أسألك فرجاً قريباً ، وصبراً جميلاً ، ورزقاً واسعاً ، والعافية من جميع البلاء وشكر العافية » .

وذكر محمد بن عبدوس فى : « كتاب الوزراء » أن موسى الهادى سخط على بعض كتابه ولم يسمه فجعل يقرعه بذنوبه ويتهدده ويتوعده فقال له الرجل يا أمير المؤمنين : ان اعتذارى فيما تقرر عنى به رد عليك ، وإقرارى بما بلغك يوجب ذنباً على لم أجنه لكننى أقول شعراً :

إذا كنت ترجى فى العقاب تشفياً فلا تزهدهن عند التجاوز فى الأجر
فصفح عنه وأمر بترك التعرض له وأحسن إليه . حدثنى على بن هشام
ابن سعيد الله الكاتب ، عن أبى عبد الله بن يحيى الكاتب قال : لما نكب

أبو الحسن ابن الفرات أبا علي بن مقلة في وزارته الثالثة لم أدخل اليه في حبسه ، ولا كاتبته متوجعاً له ، ولا راسلته خوفاً من أن يلقي ذلك إلى ابن الفرات . وكانت بيني وبين ابن مقلة مودة لطيفة فلها طالت نكبته كتب إلى رقعة طويلة فيها :

تري حرمت كتب الاخلاء بينهم ابن لي أم القرطاس أصبح غالباً
فما كان لوساء لتنا كيف حالنا وقد دهمتنا نكبة هي ماهياً
صديقك من راعاك عند شديدة وكله تراه في الرخاء مراعيأ
فهبك عدوى لا صديق قريباً تكاد الأعادي يرحمون الأعاديا
ثم اتبع ذلك بكلام يعاتبني فيه ويقول : إنه قد أنفذ إلى في طي رقعته
رقعة إلى الوزير يسألني إعراضها عليه وقت خلوة لا يكون فيها ابنه أبو أحمد
المحسن ففتحت رقعته الى الوزير فاذا هي « بسم الله الرحمن الرحيم : أقصرت
أطال الله بقاء الوزير فعلى وصنعى على الاستعطاف والشكوى ، حتى تناهت
بي المحنة والبلوى ، في النفس والمال والجسم والحال الى ما فيه شفاء للمنتقم ،
وتقويم للمجترم حتى أفضت الى الجيرة والتبليد ، وعيالى الى الهتكة والتلدد
وما أقول ان حالاً أتاها الوزير أيده الله في امرى الابحق واجب ، وظن
صدق غير كاذب الا أن القدرة تذهب الحفيظة ، والاعتراف يزيل
الاقتراف ، والمعروف يؤثره أهل الفضل والدين ، والإحسان الى المسمى من
أفعال المتقين ، وعلى كل حال فلي ذمام وحرمة ، وتأميل وخدمة ، فان كانت
الإساءة تضعيها فرعاية الوزير أيده الله تحفظها ، فان رأى الوزير أطال الله
بقائه أن يلحظ عبده بعين رأفته ، وينعم عليه بإحياء مهجته ، ويخلصها من
العذاب الشديد ، والجهد الجهد ، ويجعل له من معروفه نصيباً ، ومن البلوى
فرجاً قريباً ، فعل ان شاء الله » . قال ابن يحيى : فأقامت الرقعة في كمي أياماً
لا أتمكن من عرضها الى أن رسم الوزير بن الفرات بكتابة نسخة الى جعفر
ابن أبي القاسم وهو عامله حينئذ في فارس في مهم ، وان أحررها بين يديه .
وأعرضها عليه وخلا بي لهذا السبب فعملت النسخة ، وأوقمته عليها . فأمرني
بتحريرها فاغتنتم خلوته من كل أحد وقلت : قد عرف الوزير أيده الله

ما بيني وبين ابن مقلة من الألفه والعشرة التي جمعتها عليها خدمتك ، والله ما كاتبته ولا راسلته ولا قضيت لها حقاً بمعونة ولا غيرها مذ سخط الوزير عليه ، وهذه رقعته إلى تدل على ذلك ويسأل لإعراض رقعة له على الوزير أيده الله وهي معي ، فان أذن عرضتها ؟ فقال : ادفع رقعته إلى . فقلت : اسأل الوزير أيده الله أن يكتم ذلك عن سيدي أبي أحمد يعني المحسن ابنه فاني أخافه . قال : أفعل . ثم قرأ رقعة ابن مقلة فقال والله يا أبا عبد الله : لقد تناهى هذا الرجل في السعاية على دمي ومالي وأهلي ، ولقد صح عندي أنه قال لما اسلم إلى حامد ، والله لو قد علمت أن ابن الفرات يبق بعد صرفه يوماً واحداً ماسعيت به ، والله لقد كنت أدعو في حمسى بأن لا يمكنني الله عز وجل منه ولا من الباقطائي ، أما هو فلا حساني العظيم عليه ، وأما الباقطائي فلقبح إسمائه إلى . ولأنه شيخ من شيوخ الكتاب وخففت العار بما كنت أعامله به لو حصل في يدي فأجيبته دعوتي في الباقطائي ، ولم تجب فيه ، والآن فوحي محمد وآله عليهم السلام لاجري على ابن مقلة مكروه أبدأ بعد هذا ، وأنا أتقدم بأخذه من يد المحسن فأنفذه مع سليمان ابن الحسن إلى فارس وأخبره في الأمر بحراسة نفسه وبأق حاله ، وأزيدك يا أبا عبد الله ما أحسبك فهمته . قلت : فما هو ؟ فاني لم أزل أستفيد الفوائد أيديك الله تعلقاً وانعاماً . قال : فقد بقيت له بقية وافرة من حاله ولولاها ما قال قولاً شديداً ، ولا فرغ قلبه لتنظم شعر ، ولا بلاغة في سر فليسا كان من الغد أنفذ من انتزعه من يد المحسن فأخرجه مع سليمان إلى فارس مسلماً .

أخبرني أبو الفرج الأصفهاني قال : أخبرني حبيب بن نصر المهلبى بالإسناد : أن طريح بن اسماعيل الثقفي دخل على أبي جعفر ، فقال له لحياتك الله ولا بياك أما اتقيت الله عز وجل حيث تقول للوليد :

لو قلت لليل دع طريقك وال موج عليه كالهضب يعتلج
لساح وارتد أولسكان له إلى طريق سواك منعرج
فقال له طريح : قد علم الله أنني قلت ذلك ويدي ممدودة إليه عز وجل

إياه عنيت تبارك وتعالى اسمه وثناؤه . فقال أبو جعفر يا ربيع : أما ترى هذا التخلص .

أخبرني أبو الفرج الأصفهاني عن محمد بن أبي الأزر قال : كنت بين يدي المأمون واقفاً فادخل عليه ابن البواب الحاجب رقعة فيها أبيات شعر وقال : إن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لي في إنشادها . فظنها له فقال : هات فأنشده :

أجزني فاني قد ظلمات إلى الوعد متى ينجز الوعد المؤكد بالعهد
أعبدك من خلف الملوك وقد ترى تقطع أنفاسي عليك من الوجد
رأى الله عبد الله خير عباده فملكه والله أعلم بالعباد
ألا إنما المأمون للناس بهجة مميزة بين الضلالة والرشد
فقال المأمون : أحسنت يا عبد الله . فقال يا أمير المؤمنين : بل أحسن قائمها .
قال : ومن هو ؟ قال : عبدك الحسين بن الضحاك . فغضب ثم قال لا خير ولا حيا
الله من ذكرت ولا يباه ، ولا يقربه ولا أنعم به عيناً . أليس هو القائل شعراً :
أعني جوداً وابكياً لي محمداً ولا تدخرا دمعاً عليه وأسعداً
فلا تمت الأشياء بعد محمد ولا زال شمل الملك فيه مبدداً
ولا فرح المأمون بالملك بعده ولا زال في الدنيا طريداً مشرداً
هذا بذالك ولا شيء له عندنا . فقال له ابن البواب : فأين فضل أمير المؤمنين
وسعة حلمه وعادته في العفو . فأمر بإحضاره ، فلما حضر سلم عليه فرد عليه رداً
محافناً ، ثم أقبل عليه فقال أخبرني : هل عرفت يوم قتل أخى محمد رحمه الله
هاشمية قتلت أو هتكت ؟ قال : لا . قال : فما معنى قولك :

وبما شجى قلبي وكفكف عبرتي محارم من آل النبي استحلحت
ومتهوكة بالجلد عنها سجوفها كعاب كقرن الشمس حين تبدت
إذا حفزتها روعة من منازع لها المرطعات بالخضوع وذلك
وسرب ظباء من ذؤابة هاشم هتفن بدعوى خير حي وميت
أرد يدا منى إذا ما ذكرته على كبد حرا وقلب مفتت
فلا بات ليل الشامتين بغبطة ولا بلغت آمالها ما تمت

فقال يا أمير المؤمنين : لوعة غلبتني وروعة فجأتني ، ولعم وفدتها بعد أن أغرقتني ، وإحسان شكرته فأنطقني ، فدمعت عين المأمون وقال : قد عفوت عنك وأمرت بإرداد أرزاقك عليك وإعطائك ما فاتك منها ، وجعلت عقوبة ذنبك امتناعي من استخدامك .

أخبرني محمد بن يحيى الصولي عن عون بن محمد قال : حدثني الحسين بن الضحاك قال غضب علي المعتصم في شيء جرى على فقال : والله لا أدنيتـه وحببني أياما فككتبت اليه :

غضب الإمام أشد من أدبه وقد استجرت وعدت من غضبه
أصبحت معتصما بمعتصم أننى الآله عليه في كسبه
لا والذي لم يبق لي سبيلاً أرجو النجاة به سوى سببه
مالى شفيع غير رحمته ولكل من أشفى على عطبه
قال فلما قرئت عليه التفت إلى الوراق وقال : مثل هذا الكلام يستعطف الكرام . ما هو إلا أن سمعت أبيات حسين هذه حتى أزال ما بنسى عليه . فقال له الوراق : هو حقيق بأن يوهب له ذنبه ويتجاوز عنه ، فرضي عني وأمر بإحضاري ، وإنما كتب هذا الشعر إلى المعتصم لأنه بلغه أنه مدح العباس بن المأمون وتمنى له الخلافة فطلبه فاستتر فحيث ظهر هجى العباس بن المأمون فقال شعراً :

خل اللعين وما اكتسب لا زال منقطع اللبس
يا عرة الثقلين لا ديناً رعيت ولا حسب
حسد الإمام مكانه جهلاً هداك على العطب
وأبوك قدمه لنا لما تخير وانتخب
ما تستطيع سوى التنفس والتجرع للكرب
لا زلت عند أبيك منتقص المروءة والأدب

وجدت في بعض الكتب عن يزدجر أنه قال : غضب كسرى ابرويز على بعض أصحابه من جرم عظيم فحبسه زماناً ثم ذكره فقال للسجان : هل يتعاهده أحد؟ فقال : لا إلا القلمند المغنى فانه يوجه اليه في كل يوم بسلة فيها طعام . فقال كسرى

للقلمند : غضب الملك على فلان وحبسه فقطعه الناس غيرك فإنك تعاهده بالبر في كل يوم . فقال أيها الملك : إن البقية التي بقيت له عندك فبقت روحه في بدنه أبقت له عندى بقدر ما أرسله اليه من الطعام . قال : أحسنت قد وهبت لك ذنبه . وأطلقه . وجدت في بعض كتبى أن رجلين أتى بهم إلى بعض الولاة وقد ثبت على أحدهما الزندقة وآخر شرب الخمر فسلم الولاى الرجلين إلى بعض أصحابه وقال : اضرب عنق هذا وأوماً إلى الزنديق . واجلد هذا الحد وأوماً إلى الشارب . وتسلبهما وذهب ليخرج فقال له الشارب أيها الأمير : سلمنى إلى غيره ليجلدنى فأنى لا آمن أن يغلط فيضرب عنقى ويجلد صاحبى ، والغلط فى هذا لا يتلافى . فضحك الأمير وأمر بتخليته وضرب عنق الزنديق .

وجدت فى كتاب أبى الفرج الخزومى عن أبى محمد الحسن بن طالب كاتب عيسى بن فرحا نشاء قال : لما وليت ديار مصر لم تزل وجوهها يصفون لى محمد بن يزيد الأموى الحصينى بالفضل وينشدونى قصيدته التى أجاد بها عبد الله بن طاهر لما نخر بأبيه ، ويدكرون قصته معه لما دخل عبد الله الشام وأشرف الحصينى على الهلاك خوفاً منه ، وكيف كفى أمره بلا سبب فكنت أفتقد أمره فى ضيعته وأحسن اليه فى معاملتى وكانت كتبه ترد على بالشكر بأحسن عبارة إلى أن عملت على طوف كور عملى ، وتصفح أمر الرعية والعمال ، فخرجت لذلك حتى وردت الكورة التى حصن محمد بن يزيد فى ناحية منها ، فخرج مستقبلاً لى وراغباً إلى فى النزول عليه ، فلما التقينا قال : لم أخف مع فضلك أن تتجاوزنى ، ولم آمن أن يعارضك ظن يصور لك أن عدوك عنى إبقاء على وإشفاقاً من نسب السلطان لك يدعو إلى انتشار لذك فى عدم لقائى فتطوينى ، فحملت نفسى على خلاف ما كنت أحب أن يشيع لك من ابتدائى بالقصد قبل غيبتى فيه اليك . فالحمد لله الذى جعل لك السبق إلى الكرم . ومررنا على حصنه فأقبل يقفنى على المواضع المذكورة فى الخبر والشعر ، إلى أن دخلنا حصنه فلم يأخذ أهبة النزول به أدباً ومروءة وسبق

بما حضر من القرى ، ولم يقض من يخدمنا عن إحضار ما أعد في سفرنا
 ووجدت خدمته كلها تدور على جارية سوداء نذرة خفيفة الحركة ، يدل على
 نشاطها اعتيادها على الطراق إلى أن رفع الطعام وحضر الشرب وحضرت
 السوداء في غير الزى الأول فجلست تغنى ، فأنكرتها حتى سأله عنها
 فوصف لي قديم حرمتها وقال : هي كانت طلعتى حين قعدني عبد الله بن طاهر
 فاستفتحتني مسأله عن الخبر فسأله . فقال : لما بلغني خبر إجماع عبد الله على
 الخروج لطلب نصر بن شبك بنفسه أيقنت بالهلاك ، وخفت أن يقرب
 فتناثرت بادرته ، ولم أشك في ذهاب النعمة إن سلمت النفس لما كان بلغه من
 إجابتي إياه عن قصيدته التي نخر بها وأنشدنيها :

مد من الأغضاء موصول	ومديم العتب مملول
وأخوال وجهين حيث رمى	بهواه فهو مدخول
وقليل من يبرره	في يد التهذيب تحصيل
فاتتد تلق النجاح به	فاعتساف الأمر تضليل
واعم عن عيب أخيك يدو	م لك حبل فيه موصول
من يرد حوض الردا صردا	لا يسعه الرى تعليل
من بنات الروم لي سكن	وجهه للشمس اكيل
عتبت والعتب من سكن	فيه تكثير وتقليل
أقصرى عما طهجت به	ففراغى عنك مشغول
أنا من قد تعرفى نسبه	سلفى الغر البهاليل
مصعب جدى نقيب بنى	هاشم والأمر مجهول
وحسين رأس دعوتهم	ودعاء الحق مقبول
سل بهم تنبيك نجمتهم	مشرفيات مصاقيل
كل غضب مسرف عللا	وحرار الحر مغلول
وأبى من لا كفاه له	من يساوى مجده قولوا
سل به والخييل ساهمة	حوله جرداء نأيل

وربات الخـدور وقد جعلت تبدوا الخلاخيل
من ثنى عمه الخيول باكنا فيها الخطيئة الشـول
انظر للخلوع كلكاه وحواليه المقاويل
فتوى والتراب مضجعه غال عنه ملكه غول
قاد جيشاً نحو مائة ضاق عنه العرض والطول
من خراسان مصمصهم كايوت ضمها عنـيل
هبو الله أنفسهم لا معاذيل ولا ميل
ملك تجتاح سطوته ونداه الدهر مـبـذول
قطعت عنه تـمائمـه وهو مرهوب ومأمول

قال : وكنت لما بلغت هذه القسيدة ، امتعنت للعرب وأنفت
أن يفخر عليها رجل من العجم ، لأنه قتل ملكاً من ملوكهم بسيف أخيه
لا بسيفه ، فيفخر عليها هذا الفخر ويضع منها هذا الوضع ، فرددت
عليه قسيدته ولم أعلم أن الأيام تجمعنا ، ولا أن الزمان يضطرني إلى
الخوف منه فقلت شعراً :

لا يرعك القال والقليل كلما بلغت تضليل
ما هوى لى حيث أعرفه بهوى غيرك موصول
أين لى عنك إلى بدل أبدل عنك مقبول
أو وعدت العذل فيك إذا أنا فيك الدهر معذول
حلمني كل لائمة كلما حملت محمول
فاحكمى ماشئت واحتكمى فخرى لك تحليل
والذى أرجو النجاة به ما لقلبي عنك تحويل
ما لدارى منك مقفرة وضميرى منك مأهول
أيخون العهد ذو ثقة لا يخون العهد مسئول
وأخو حبيبك فى تعب مطلق مرا ومغلول
ما فراغى عنك مشتغل بل فراغى بك مشغول

وبدت يوم الوداع لنا غادة بيضاء عطبول
 حاسرا وذات منعة ذات تاج فيه إكليل
 آى عطفها به انصرفت ارج بالمسك معلول
 تتعاطى شد معجزها ونطاق الخصر منحول
 باكليل لها قبل حبذا تلك الأكليل
 فبنفسى دمج مشطها ومشاها المراسيل
 سبقت بالدمع مقلتها فلها بالدمع تفضيل
 ورمت بالسحر من كتب فدفين الداء مقتول
 لاحظت بالسحر عابثة فشجاع الصبر مقلول
 شملنا اذ ذاك مجتمع وجناح البين مشكول
 لا يخاف الدهر طائره فاذاه عنه معقول
 أيها البارى بنطقته لا غاليط وتحصيل
 قد تأولنا على جهة ولتأويلك تأويل
 قاتل المخلوع مقتول ودم القاتل مطلول
 ساراً وحمل فمتبع بالتي يكبو لها القليل
 لا تنجيته مذهبته نهر سيحون ولا النيل
 ومدين القتل مرتين بدماء القوم مقتول
 بيد المخلوع طلت يدا لم يكن فى باعها طول
 وبنعماء التى سلفت فعلت تلك الافاعيل
 وبراع غيرى ذى شفق حالت الخيل الأنايل
 يا ابن بلد النار موقدها ما لحادها سراويل
 أى مجد لك تعرفه أو نسيب لك بهلول
 من حسين وأبوك ومن مصعب غالتهم غول
 وزريق إذ تخلفه نسب لعمر ك مجول
 تلك دعوى لا تنافسها وأبواب مراديل
 أسرة غير مباركة غيرها الشم البهاليل

ما جرى في عود سلافكم ماء مجد فهو مدخول
قدحت فيه أسافله فأعاليله مهازيل
إن خير القول أصدقه حين تصطك الأقاويل
كن على منهاج معرفة لا تغرنك الأباطيل
إن للأصعاد منحدرأ فيه للهادى أهاويل
ولرب الدهر عن عرض بالردى عل وتنهيل
يعسف الصعبة رائضها ولها بالعسف تذليل
ويخوف الرمح عامله وسمان الرمح مصقول
وينال الوتر طالبه بعد ما يسلو المثاكيل
مضمراً حقدأ ومنصلة معمد في الجفن مسلول

قال : فلما قرب عبد الله بن طاهر استوحشت من المقام خوفاً على
نفسى ، ورأيت بعدى وتسليم حرمى عاراً باقياً ولم يكن لى إلى هربى بجرمى
سبيل ، فأقت على أتم خوف مستسلماً للاتفاق حتى إذا كان اليوم الذى قيل
أنه ينزل بهذه النواحي أغلقت حصنى ، وأقت هذه السوداء رتيبة لى على شرف
الحصن وأقتها وأمرتها أن تعرفنى الموضع الذى ينزل فيه العسكر قبل أن
يفجأنى ولبست ثياب الموت أكفاناً ، وتطييت وتحنطت ، فلما رأيت الجارية
أن العسكر يقصد الحصن نزلت فعرفتنى فلم يرعنى إلا دق باب الحصن
فخرجت فإذا عبد الله بن طاهر واقف وحده منفرداً عن أصحابه فسلبت
عليه سلام خائف ، فرد على غير رد مستوحش وأومأت إلى تقبيل رجله فى
الركاب ، فمنع الطف منع وأحسن رد ، وجلس على دكان على باب الحصن ،
ثم قال : ليسكن روعك فقد أسأت الظن بنا . ولو علمنا أننا بزيارتنا لك
نروعك ما قصدناك . ثم أطل الانتظار فى المسألة حتى رأى الثقة منى قد
ظهرت ، فسألنى عن سبب مقامى فى البر وإيثارى إياه على الحاضرة ورفاهة
العيش ، وعن حال ضيعتى ومعاملتى ، فأجبت به بما حضرنى حتى لم يبق من
التأنيس شيئاً فضى الأمر إلى مسائلتى عن حديث نصر بن شبث وكيف الطريق ،

إلى الظفر به فأخبرته بما عندي في ذلك . ثم أقبل على وقد انبسطت في محادثته
انبساطاً شديداً فقال أحب أن تنشدني القصيدة التي فيها :

يا ابن بنت النار موقدها ما لحا ديها سراويل

فقلت أصلح الله الأمير : قد أربت نعمتك على قدر همتي فلا تذكريها
بما ينقصها . فقال : إنما أريد الزيادة في طمأنينتك وتأنسك بأن لا تراني
متحفظاً عما خفت وعزم على إنشاد القصيدة عزم مجد ، فقلت يريد أن تطرأ
على سمعه فيزيد ما في نفسه فيوقع بي ولم أجد من إنشاده بدأ فأنشدته
القصيدة فلهما فرغت منها عاتبني عتاباً شديداً ، وكان منه أن قال : يا هذا
ما حملك على تكلف إجابتي ؟ فقلت : الأمير أصلحه الله حملني على ذلك فقال
بماذا ؟ فقلت بقوله :

وابن من لا كفاء له من يسامى مجده قولوا

فقلت كما تقول العرب وتفتخر السوقة على الملوك ، وكان لما بلغت
إلى قول :

يا ابن بنت النار موقدها ما لحا ديها سراويل

قال لي والله يا ابن مسلبة : لقد أحصينا في خزائن ذي اليمينين بعد موته
ألفاً وثلاثمائة من السراويل ما أصلح في أحداهن تكة سوى ما استعمل في
اللبس ، على أن الناس لا يفسكرون في إدخال السراويل في كسائم ، فاعتذرت
إليه بما حضرني من القول في هذا وجميع ما تضمنته القصيدة فقبل القول
وبسط العذر وأظهر الصفح وقال : قد دلتنا على ما احتجنا إليه من أمر نصر
ابن شيبث فلست تحسن القعود معنا في حربه والا يكون لك في الظفر به أثر
يشاكل إرشادك لوجه مطالبه فاعتذرت إليه بلزوم منزلي وضيعتي وعجزتي
عن السفر للقصور عن النفقة فقال : تكفيك ذلك وتقبله منا يا ذاك
ودعا بصاحب دوابه فأمر بإحضار خمس مراكب من الخيل الهماليج بلجمها
وسروجها المحلاة ، وبثلاث دواب من دواب الشاكرية ، وبخمسة أبغل من
بغال النقل ، واستقرأ ذلك وأمر صاحب كسوته بإحضار ثلاث نخوت من
(٦ - الفرج - أول)

أصناف الثياب الفاخرة ، وأمر خازنه بإحضار خمس بدر دراهم فأحضر الجميع فوضع على الدكان الذى كان جالساً عليه يباب الحصن ثم قال : كم مدة تأخرت عنا إلى أن تلحق بنا فنزلت فقام ليركب فبادرت إلى يده لأقبلها فمنعني وركب وسار وتبعه العسكر فما نزل منهم واحد ، وخرجت السوداء فنقلت تلك الثياب والبدر ، وأخذ الغلمان الكراع وما لقيت عبد الله بعدها . قال عيسى بن فرحان شاه : أقمت عند محمد بن يزيد يومى وليلتى فأضافنى أحسن ضيافة وكانت مذاكرته لى بذلك أحب إلى من كل شيء فأسقطت عنه جميع خراجته فى تلك السنة وانصرفت .

حدثنى عبد الله بن أحمد بن داسة المصرى قال : سمعت أن بعض الجند اغتصب امرأة على نفسها من الطريق فعرض الجيران ليعنوه فضربهم هو وغلماناه حتى تفرقوا وأدخل المرأة داره وقال : أغلقوا الباب . فأغلقوا الباب وراودها عن نفسها فأمتنعت فأكربها ولحقها منه شدة حتى جلس منها مجلس الرجل من المرأة فقالت له يا هذا : اصبر حتى يغلق باب قد بقى عليك . قال أى باب ؟ قالت الباب الذى بينك وبين الله . فقام وقال : قد فرج الله عنك انصر فى لا تعرض لك أبداً ، وجدت فى بعض الكتب أن الجاحظ أنفذ إلى أحمد بن أبى دؤاد بعد نكبة محمد بن عبد الملك الزيات مقيداً فى قيصر رث فأوقف بين يديه ليأمر فيه بأمره فقال له ابن أبى دؤاد : والله يا عمرو ما علمتكم إلا سباباً للنعمة ، جاحداً للصناعة ، معدداً للشائب ، مخفياً للمناقب وإن الأيام لا تصلح مثلك . لفساد طويتك ، وسوء اختيارك . فقال الجاحظ : خفض عليك فوالله لأن تكون المنة لك على خير من أن تكون لى عليك ، ولأن أسمى وتحسن أحسن فى الأحدوث عنك ، ولأن تعفو فى حال قدرتك أجمل بك من أن تنتقم . فقال لى ابن أبى دؤاد ما علمتكم إلا كثير رونق اللسان ، قد جعلت ثيابك أمام قلبك ، ثم اصطفت فيه النفاق . اعزب قبحك الله . فانهض فى قيوده ثم قال يا غلام : الحقه وخذ قيوده وصر به إلى الحمام واحمل اليه خلعة يلبسها ، واحمله إلى منزل يأوى به بفرش وفراش وآلة وقماش ، ويزاح فيه علله وادفع اليه عشرة آلاف درهم لنفقته إلى ان يصح من علمته .

ففعّل ذلك فلما كان من الغد روى الجاحظ متصديراً في مجلس ابن أبي دؤاد وعليه خلعة من ثيابه ، وطويلة من قلانسِه وهو مقبل عليه بوجهه يقول هات يا أبا عثمان .

أخبرني أبو الفرج الأصفهاني بإسناده عن اسحاق الموصلي قال : لم أر قط مثل جعفر بن يحيى كانت له فتوة ، وظرف وأدب ، وحسن غناء ، وضرب بالطبل ، وكان يأخذ بأجزل حظ من كل فن فحضرت باب الرشيد يوماً فقبل لي : إنه نائم فأنصرفت . فلقيني جعفر بن يحيى قال لي ما الخبر ؟ فقلت أمير المؤمنين نائم . فقال لي قف مكانك ومضى إلى دار أمير المؤمنين فاعلم أنه نائم . فرجع فقال سر بنا إلى المنزل حتى نخلو بقية يومنا وأغنيك ونأخذ في شأننا من وقتنا هذا . فقلت نعم فصرنا إلى منزله فطرحنا ثيابنا . ودعا بالطعام فطعمنا ، وأمر بإخراج الجوارى وقال ابرزن فليس عندنا من نحتشمه . فلما وضع الشراب دعا بقميص حرير فلبسه ، ودعا بخلق فتخلق ، ودعا لي بمثل ذلك وجعل يغنيني وأغنيه ، وكان قد تقدم إلى الحاجب أن لا يأذن لأحد من الناس كلهم وأن جاء رسول أمير المؤمنين اعلمه أنه مشغول واحتاط في ذلك وتقدم إلى جميع الحجاب والخدم ثم قال ان جاء عبد الملك فاذنوا له . يعني رجلاً كان يأنس به ويمازحه ويحضر خلواته ، ثم أخذنا في شأننا فوالله اني لعل حالة سارة اذ رفع الستر واذا عبد الملك بن صالح الهاشمي ، وغلط الحاجب ولم يفرق بينه وبين الذي يأنس به جعفر وكان عبد الملك الهاشمي من جلالة القدر والتعشف والامتناع عن منادمة أمير المؤمنين على أمر جليل ، وكان أمير المؤمنين قد اجتهد أن يشرب قدحاً فلم يفعل ترفعاً لنفسه ، فلما رأيناه مقبلاً أقبل كل واحد منا ينظر إلى صاحبه وكاد جعفر ينشق غيظاً وفهم الرجل حالنا ، وأقبل نحونا حتى اذا صار إلى الرواق الذي نحن فيه نزع جيبته فرمى بها مع طيلسانه جانباً ثم قال : اطعمونا شيئاً . فدعى له جعفر بالطعام وهو منتقع غيظاً ثم دعا برطل فشربه ثم أقبل إلى المجلس الذي نحن فيه ثم أخذ بعض أدنى الباب وقال : اشركونا فيما أنتم فيه . فقال له جعفر ادخل فدخل بقميص حرير وخلق فلبس وتخلق ثم دعا برطل ورطل حتى شرب عدة أقذاح

ثم اندفع يغنيننا فكان والله أحسن غناء . فلما طابت نفس جعفر بن يحيى وسرى عنه ما كان فيه التفت إليه وقال له : ارفع حوائجك ؟ فقال له : ليس هذا موضع حوائج . قال لتفعلن ، ولم يزل يلح عليه حتى قال أمير المؤمنين على واجد كما علمت فأحب أن يرضى عني . قال أمير المؤمنين قد رضى عنك . فهات حوائجك : قال : هذه حاجتي ، قال ارفع حوائجك كما أقول لك ؟ قال : على دين فادح . قال كم مبلغه ؟ قال أربعة آلاف ألف درهم . قال هذه أربعة آلاف ألف درهم . فإن أحببت أن تقبضها منى فاقبضها في منزلي الساعة فإنه لم يمنعني من إعطائك إياها إلا أن قدرك يملك عندي من أن يصلك مثلي ولكنني ضامن لها حتى تحمل اليك من مال أمير المؤمنين غداً . فسل أيضاً : فقال ابني تكلم أمير المؤمنين حتى ينوه باسمه . قال : قد ولاه أمير المؤمنين مصرأً وزوجه الغالية ابنته ومهرها عنه ألفي ألف درهم من ماله . قال إسحاق : فقلت في نفسي قد سكر الرجل اعني جعفرأ فلما أصبحت حضرت دار الرشيد فإذا جعفر بن يحيى البرمكي ووجدت في دار الرشيد جلبة فإذا أبو يوسف القاضي رحمه الله تعالى ونظراؤه وقد دعى بهم ، ثم دعى بعبد الملك بن صالح وابنه فدخلا على الرشيد فقال الرشيد لعبد الملك : إن أمير المؤمنين قد كان واجداً عليك وقد رضى عنك ، وأمر لك بأربعة آلاف ألف درهم فاقبضها من جعفر بن يحيى الساعة ، ثم دعا بابنه فقال اشهدوا أني قد زوجته الغالية بنت أمير المؤمنين ومهرتها عنه من مالي ألفي ألف درهم ووليتها مصرأً ، فلما خرج جعفر سأله عن الخبر فقال : بكرت إلى أمير المؤمنين فحسبته له جميع ما كنا فيه وما كان منا حرفاً بحرف ووصفت له دخول عبد الملك وما كان منه فعجب ثم سر به ثم قال لي وقد ضمنت له على أمير المؤمنين ضماناً فأوف بضمانك ، فأمر بإحضاره فكان ما رأيت .

أخبرني أبو الفرج الأصفهاني قال : جرى بين محمد الأمين وبين إبراهيم ابن المهدي كلام وهما على مسرة فنفر الأمين لذلك ووجد على إبراهيم وبانت لابراهيم الوحشة منه فانصرف إلى منزله فأمر بحجابه عنه ، وبلغ ذلك

إبراهيم فبعث إلى الأمين بالطاف ورقة يسأل فيها صرف غضبه فرد الأمين الهدية ولم يجب على الرقعة . فوجه إبراهيم إليه وصيفة مليحة مغنية كان قد رباها وعلما وبعث معها عوداً معمولاً من العود الهندي ، مكللاً بالجواهر وألبسها حلة مدسوجة بالقصب وقال أحياناً وغنى فيها والقهاها عليها ، حتى أخذت الصوت ، وأحكمت الصنعة فيه فوقفت الجارية بين يدي أمير المؤمنين وقالت له : عمك يا أمير المؤمنين يقول لك واندفعت تغنى شعراً :

هتكت الضمير برد اللطف وكشفت هجرى لي فأنكشفت
فان كنت تحقد شيئاً جرى فهب للعمومة ما قد سلف
وجد لي بصفحك عن زلي فبالفضل يأخذ أهل الشرف

فقال لها الأمين : أحسنت يا صبية فما اسمك ؟ قالت : هدية قال : أفأنت كاسمك أم أنت عارية ؟ قالت : أنا كاسمي وبه سماني لما أهداني إلى أمير المؤمنين ، فسر بها الأمين وبعث إلى إبراهيم بن المهدي فأحضره ورضى عنه وأمر له بخمسين ألف دينار

وقف أحمد بن عروة بين يدي أمير المؤمنين المأمون لما عزله عن الأهواز فقال له : خربت البلاد ، وقتلت العباد ، والله لأفعلن بك ولأفعلن . فقال يا أمير المؤمنين ما تحب أن يفعل الله بك إذا وقفت بين يديه وقد قرعك بذنوبك . قال : العفو والصفح . قال : فافعل بعبدك ما تحب أن يفعل بك مولاك . قال قد فعلت أرجع إلى عمك ، فوال مستعطف خير من وال مستأنف . وروى أنه جنى غلام للحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين جنابة توجب العقاب فأمر به أن يضرب فقال يامولاي (والكاظمين الغيظ) قال خلوا عنه . قال يامولاي : (والعافين عن الناس) قال : قد عفوت عنك . قال يامولاي (والله يحب المحسنين) قال أنت حر لوجه الله تعالى ذلك ضعف ما كنت أعطيك . قال الأصمعي أتى عبد الملك بن مروان برجل قامت عليه البينة بسرقة فأمر بقطع يده فقال الرجل

يدي يا أمير المؤمنين أعينها بعفوك من عار علي يشينها

فلا خير في الدنيا ولا في نعيمها إذا شمال فارقتها يمينها
قال هذا حد من حدود الله تعالى ولا بد من إقامة عليك ، فقامت أمه
وكانت عجوزاً كبيرة السن فقالت يا أمير المؤمنين : كادى وكاسى وابنى وواحدى
فيه لى . فقال لها بأس الكاد والابن والواجد هو لا بد من إقامة حد الله
فقلت يا أمير المؤمنين : فاجعله بعض ذنوبك التى تستغفر الله تعالى منها . قال
خلوه وأطلقه ، أخبرنى الفضل بن الربيع قال : رأيت مروان بن أبى حفصة
وقد دخل على المهدي بعد وفاة معن بن زائدة فى جماعة من الشعراء فيهم سلم
الحاسر وغيره فأنشده مديحاً فقال له : من أنت ؟ فقال له : شاعرك يا أمير
المؤمنين وعبدك مروان بن أبى حفصة فقال له المهدي أأنت القائل :

أقمنا بالمدينة بعد معن مقاما لا نريد به زوالا
وقلنا أين نرحل بعد معن وقد ذهب النوال فلانوال

قد ذهب النوال كما زعمت فلم جئت تطلب نوالنا ؟ ١٩ جروا برجله
بجروا رجله حتى أخرج ، فلما كان فى العام المقبل تلتطف حتى أدخل مع
الشعراء وإنما كانت الشعراء تدخل على الخلفاء فى كل عام مرة فقتل بين
يديه وأنشده بعد رابع أو خامس شعرا :

طرقتك زائرة غفى خيالها بيضاء تخط بالحياء دلالها
نادت فؤادك فاستقاد ومثلها قاد القلوب إلى الضنا فأمالها
قال فأنصت له حتى بلغ إلى قوله :

هل تطمسون من السماء نجومها بأكمكم أو تسترون هلالها
أو تجحدون مقالة عن ربه جبريل بلغها النبي فقأها
شهدت من الأنفال آخر آية بترائم فأردتم أبطلها
قال : فرأيت المهدي قد زحف من صدر مصلاه حتى صار على البساط
إعجاباً بما سمع ثم قال : كم هى ؟ قال : مائة بيت فأمر له بمائة ألف درهم فكانت
أول مائة ألف أعطيها شاعر فى أيام بنى العباس .

أخبرنى أبو الفرج الأصفهاني عن الحسن بن على قال حدثنى محمد بن القاسم

ابن مهران ، عن عبد الله بن سعيد قال : غضب الرشيد على العباس وحجبه فدخل سرّاً مع المتظلمين بغير إذن فمثل بين يدي الرشيد فقال له يا أمير المؤمنين : قد أدبتني الناس لك ولنفسى فيك وردنى ابتلاؤهم إلى شكرك ومامع ذكرك قناعة بأحد غيرك ، ولنعم الصائر لنفسى كنت لو أعاننى عليك الصبر ولذلك أقول شعراً :

أخضنى المقام الغمران كان غرنى نسا حلب أو زلت القدمان
أتركنى جذب المعيشة مقفرا وكفاك من ماء النداء يكفان
وتجعلنى سهم المطامع بعدما بللت يدي من ماء النداء. ولسانى
قال فخرج وعليه الخلع وقد أمر له بجائزة فما رأيت العباس قط أنشط
منه يومئذ . قال أبو الفرج في البيتين الأولين غناء لمخارق ثانی ثقيل بالوسطى هـ
حدثني عون بن محمد قال : حدثنا سعيد بن هريم قال : قال المأمون للفضل بن
الربيع : يا فضل ما كان من حقى عليك وحقى آباءى ونعمهم عند أبيك وعندك
أن تشلبنى وتشتمنى وتحرض على دى أحب أفعلى بك مع القدرة عليك
ما أردته بى ؟ فقال الفضل : يا أمير المؤمنين إن عذرى لا يقوم عندك وإن كان
واضحاً جميلاً فكيف إذا عفته العيوب وقبحته الذنوب فلا يضيق عنى من
عفوك ما وسع غيرى منه فأنت والله كما قال الشاعر فيك :

صفوح عن الإجرام حتى كأنه من العفو لم يعرف من الناس مجرماً
وليس يبالي أن يكون به الأذى إذا ما الأذى لم يعش بالكره مسلماً

قال الصولى : والشعر للحسن بن رجاء وقرئ على أبى بكر الصولى فى كتابه « كتاب الوزراء » بالاسناد عن الحسن بن عيسى الأنبارى الكاتب قال : أمر المأمون محمد بن بزوان والوزير أحمد بن أبى خالد أن يناظرا عمرو بن مسعدة فى مال الأهواز فناظراه فتحصل عليه ستة عشر ألف ألف درهم فأعلم محمد المأمون بذلك فقال له المأمون : أقبل كل حجة له وكل ادعاء وكل تعلق . قال قد فعلت . قال عد لذلك فعاد فتعلق عمرو بأشياء لأصل لها فسقطت من المال عشرة آلاف الف وبقي ستة آلاف ألف درهم لا حجة له فيها أخذ خطه بها

فأخذ المأمون الرقعة ثم أحضر عمرا بعد خروج محمد فقال : هذه رقعتك ؟ فقال نعم . فقال : وهذا المال واجب عليك ؟ قال : نعم . قال : نخذ رقعتك فقد وهبناه لك قال إذا تفضلت به يا أمير المؤمنين فإنه واجب لو أجزت به على أحمد بن عروة عامل الأهواز وهو مقر به ، وأشهدك أنى قد وهبته له . فاغتاظ المأمون وخرج عمرو وقد عرف غيظ المأمون وخطاه فيما عمله فلجأ إلى أحمد بن أبي خالد فأخبره بالخبر وكان يخصه . فقال لا عليك فدخل إلى المأمون فلما رآه قال : ألا تعجب يا أحمد من عمرو وهبنا له ستة آلاف ألف درهم بعد أن تجافينا له عن أضعاها فوهبها بين يدي من أحمد بن عروة كأنه أراد أن يباريني ويصغر معروفي ؟ قال أو فعل هذا يا أمير المؤمنين ؟ قال نعم . قال لولم يفعل هذا لوجب أن يسقط حاله . قال وكيف ؟ قال لأنه لو استأثر به على أحمد بن عروة وآخذ أحمد بالمال وأداه إليه كان قد أخرجه من معروفك صفراً ، ولما كانت نعمتك على عمرو نعمة على أحمد وهما خادمان ، وكان الأجل أن يتضاعف معروفك عندهما فقصده عمرو ذلك فصار المال تفصلاً منك على عمرو وعلى أحمد بن عروة . ومع ذلك فأنت سيد عمرو ولا يعرف سيداً غيرك ، وعمرو سيد أحمد فأقننى في أمر أحمد بما فعلته في أمره ، وأراد أيضاً أن يسير في ملوك الأمم أن خادما من خدمك اتسع قلبه لطلبه هذا المال من فضل احسانك اليه فيزيد في جلاله المملوكة وجلالة قيمتها فيكسر ذلك الأعداء الذين يكاثرونك . فسرى عن المأمون وزال ما بقلبه على عمرو . وغضب الرشيد على محمد بن الأشعث غضباً شديداً من كلام جرى بينهما يخاف جعفر أن يستفزه الغضب فقال يا أمير المؤمنين : انما تغضب لله فلا تغضب له بما لم يغضب به لنفسه ، فانعطف له الرشيد . أحضر هشام بن عبد الملك ابراهيم بن أبي عيلة الذى تقلد ديوان الحكم لمروان بن محمد فقال له : إنا قد عرفناك صغيراً وخبرناك كبيراً وأريد أن أخلطك بمحاشيتي وقد وليت الخراج بمصر فاخرج إليها ، فأبى ابراهيم وقال ليس الخراج من عملي ولا لى بصر به . فغضب هشام عليه غضباً شديداً حتى خاف ابراهيم بادرته فقال يا أمير المؤمنين : تاذن لى فى الكلام ؟ قال : قل ، قال : يقول الله عز وجل : (انا

عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال (١). الآية فوالله ما كرهها ولا سخط عليها ولقد ذم الإنسان لما قبلها. فقال هشام: أبيت الارقفاً، فأعفاه ورضى عنه. استسلف موسى بن عبد الملك من بيت المال الخاصة مالا إلى أجل قريب، وضمن المتوكل رده لخل الأجل والمال متأنخرفاً غناظ المتوكل من مدافعته به، وقال لعبد الله بن يحيى بن خلعان: وقع إليه غنى برد المال اليوم وضيق عليه في المطالبة، وأنفذ التوقيع مع عتاب بن عباب ومرة بأن يطالبه فإن أخر المال فاضربه بالمقارع في ديوان الخراج بمحضرة الناس ولا ترفع المقارع عنه إلا بحضور المال. فأدى بعض الخدم إلى موسى بالخبر فجلس ينظر في وجوه يرد منها المال ويحمد و صار إليه عتاب بالتوقيع مخنوماً وكان ذلك اليوم شديد الحر وقد انتصف النهار وموسى في خيشله في حجرة من ديوانه يتناوب عليه فراشان يروحانه بها، فدخل عتاب، وفي يد موسى كتاب طويل يقرأه، وقد أكب موسى عليه يتشغل به عن خطاب عتاب، وأصاب عتاباً برد الخيش والمروحة فنام جالساً وقد ثقل، وكان عتاب قد أخرج الكتاب الذي معه حين جلس فوضعه على دواة موسى فغمز موسى بعض غلبانه فأخذ الكتاب بعينه وما زال عتاب ينام ويلتبه، وموسى يعمل إلى أن انقضت الهاجرة وقد توجه بعض المال. وأنفذ بعض أصحابه لقبضه فقال له عتاب أنظر فيما جئنا به. قال أصلحك الله: فيم جئت به؟ قال فيما تضمن الكتاب، قال: أي كتاب؟ قال الكتاب الذي أوصلته إليك من أمير المؤمنين. قال متى؟ قال: الساعة وضعته على دواتك. قال أحسبك رأيت في النوم شيئاً. فطلب عتاب الكتاب فلم يجده فقال: سرق الكتاب والله يا أصحاب الأخبار اكتبوا. فقال موسى: يا أصحاب الأخبار اكتبوا كذب فيما ادعاه ما أوصل إلى كتاباً وأنتم حضور فهل رأيتموه أوصل إلى شيئاً؟ لعلك يا أبا محمد ضيعت الكتاب في طريقك فانصرف عتاب إلى عبد الله فأخبره فدخل عبد الله إلى المتوكل فحدثه فضحك وقال: احضروا موسى الساعة. فحضر. فقال له المتوكل: يا موسى سرقت الكتاب من عتاب؟ قال

أى والله يا سيدى خمنت أنه كتاب بمكروه ، ونام عتاب قبل أن يوصل الكتاب ، فأمرت من سرق منه الكتاب ، وقد أعددت نصف المال والساعة أحمله إلى بيت المال الخاصة ، وأحمل النصف الباقي بعد خمسة أيام وأقبل يتضرع فأنفذ المتوكل معه من يقبض المال وانصرف وقد رضى عنه . ذكر المدائنى فى كتابه قال أرسل زياد إلى رجل من بنى تميم من قعدة الخوارج فاستدعاه ، فجاءه خائفا فقال له زياد : ما يمنعك من إتيانى ؟ قال قدمت علينا وقلت لا أعدكم خيرا ولا شرا إلا وفيت به وأنجزته وقلت من كف لسانه ويده لم أتعرض له فكففت لسانى ويدي ، وجلست فى بيتى فأمر له بصلته وخرج والناس لا يشكون أنه قتل فقالوا له : ما قال لك الأمير ؟ فقال ما كلمكم أستطيع أن أخبره بما كان عندنا ولكنى وصلت إلى رجل لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا فرزق الله تعالى فيه خيرا . أخبرنى أبو الفرج الأصفهاني بإسناده أن المأمون أقام بعد قدومه إلى بغداد عشرين شهرا ، لم يسمع حرفا من الأغاني ، ثم كان أول من تغنى بمحضرة أخوه أبو عيسى بن الرشيد ، ثم واطبه على السماع مستترا متشبهاً بالرشيد فى أول أمره فأقام المأمون كذلك أربع حجج ثم ظهر للندماء والمغنين وكان حين أحب السماع سأل عنى فخرجت بمحضرة فقال الطاعن على ما يقول أمير المؤمنين فى رجل يقيه على الخلفاء ما أبقي هذا من التيه شيئا إلا استعمله ، فأمسك عن ذكرى وجفانى من كان يصلنى ، لسوء رأيه الذى ظن فى ، فأضر ذلك بى حتى جاءنى علوية يوما فقال : أتأذن لى فى ذكرك فانا قد دعينا اليوم . فقلت : لا ولكن غنه بهذا الشعر فإنه سيبعثه على أن يسألك لمن هو ذا ؟ فاذا سألك لمن هو انفتح لك ما تريده فكان الجواب أسهل عليك من الابتداء قال : هات فألقيت عليه لحنى فى شعري :

يا مرحة الماء قد سدت موارده أما إليك طريق غير مسدود
لحامى حام حتى لا حيام له مخللة عن طريق الماء مطرود
قال أبو الفرج : والقناء فيه لا سقى الموصلى رمل بالوسطى . رجع

الحديث . فغنى علوية لما استقر المجلس غناء بالشعر الذى أمره به فقال :
ويلك يا علوية لمن هذا الشعر ؟ فقلت : سيدى لعبد من عبيدك جنوته
وطردته من غير جرم فقال : إسحق المغنى قلت نعم . قال : يحضر الساعة
جفاءنى رسوله فصرت إليه فلما دخلت عليه قال : ادن منى فدنوت إليه
فرفع يديه فأنكببت فاحتضننى بيديه وأظهر من برى وإكرامى ما لو أظهره
صديق لصديقه لسهه .

الباب الخامس

من خرج من حبس أو أسر أو اعتقال ، إلى سراح
وسلامة وصلاح حال

حدثنا أبو العباس أحمد المعروف بالأشرم المقرئ الخياط البغدادي
بالبصرة بالإسناد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين أنه لما أصاب
من هوازن ما أصاب من أموالهم وسبائهم أدركته هوازن بالجعرانة قد
أسلموا ، فقالوا يا رسول الله : إنا أهل عشيرة وقد أصابنا من البلاء ما لم
يخف عليك فامن علينا من الله عليك ، وقام خطيبهم زهير بن صرد فقال
يا رسول الله : إن ما في الحظائر من النساء خالاتك وعماتك وحواضنك
اللاتي تكفلنك ولو إنا صابحنا ابن أبي شمر الغساني أو النعمان بن المنذر ه
ثم أصابنا منهم الذي أصابنا منك ، رجونا عاتدهما أو عطفهما ، وأنت خير
المكفولين ثم أنشده شعراً :

امن علينا رسول الله في كرم	فانك المرء نرجوه وننتظر
امن على بيضة قد عاقها قور	مفرق شملها في دارها غير
أبقت لنا الحرب أقواها على حذر	على قلوبهم الغماء والغمر
إن لم تداركهم نعماء تبشرهم	يا أرجح الناس حلماً حين تختبر
امن على نسوة قد كنت ترضعها	إذ فوك تملأه من محضها درر
لا تجعلنا كن شالت نعماته	واستبق منا فانا معشر زهر
إنا للشكر النعماء إذ كفرت	وعندنا بعد هذا اليوم مدخر
ياخير من مرحت كمت الجياد به	عند الهياج إذا ما استوقد الشرر
فالبس العفو من قد كنت ترضعه	من أمهاتك إن العفو مشتهر
إنا نؤمل عفواً منك نلبسه	هادى البرية إذ تعفو وتلتصر
عفواً عفا الله عما أنت واهبه	يوم القيامة إذ يهدى لك الظهر

فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الشعر قال : « ما كان لي ولبنى

ببد المطلب فهو لكم ، . فقالت قريش : ما كان لنا فهو لله عز وجل ولرسوله صلى الله عليه وسلم فأطلقهم . أخبرني أبو بكر الصولي قال . كان القاسم بن عبد الله الوزير قد تقدم عند وفاة المعتضد بالله إلى صاحب الشرطة يونس الخازن أن يوجه إلى عبد الله ابن المعتز ، وقصى بن المؤيد ، وعبد العزيز بن المعتمد فيحبسهم في دار ففعل ذلك وكانوا في الحبس خائفين إلى أن قدم المكتفي بالله بغداد فعرف خبرهم وأمر بإطلاقهم ووصل كل واحد منهم بألف دينار . حدثنا عبد الله بن المعتز قال : سهرت ليلة قدم في صبيحتها المكتفي إلى بغداد فلم أتم خوفا على نفسي وقلقا بوروده ، فمرت بي في السحر طير فصاحت تمنيت أن أكون مثلها لما يحمرى على من التكبات ثم فكرت في نعم الله عز وجل ومارخاه لي من الإسلام والقربة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وما أومله من البقاء الدائم في الآخرة فقلت في الحال :

يا نفس صبراً لعل الخير عقباك حاشاك بعد طول الامن دنياك
مرت بنا سمرا طير فقلت لها طوباك ياليتني إياك طوباك
لكن هو الدهر فأتقيه على حذر فرب مثلك ينزو تحت اشراك
فلما أصبحت أفرج عني ووصلني بأشياء لم تكن في حسابي . حدثني علي بن هشام الكاتب عن أبي القاسم سليمان بن الحسن بن مخلد قال : لما بعد أبي إلى مصر لازمت أبا عبادة البحري وأبا معشر المنجم وكنت أسربهما في وحدتي وملازمتي البيت وكانا في أكثر الأوقات عندي يحدثاني ويعاشراني فحدثاني يوماً أنهما ضاقا إضافة شديدة وكانا مصطحبين فعن لهما أن يلقيا المعتز بالله وهو محبوب فيتوددا إليه ويؤصلا عنده أصلا فتوصلا حتى لقيه في حبسه . قال البحري : فأنشدته أبياتاً التي قلتها في محمد بن يوسف الثغري لما حبس وخاطبت بها المعتز كاني عملتها إليه في الحال :

جعلت فداك الدهر ليس بمنفك من الحادثات المشكو والنازل المشكي
وما هذه الأيام إلا منازل فن منزل رحب ومن منزل ضنك

وقد هذبك الحادثات وإني صفي الذهب الإبريز قبلك بالسبك
أما في رسول الله يوسف أسوة لملكك محبوباً على الظلم والإفك
أقام جميل الصبر في الحبس برهة فنال به الصبر الجميل إلى الملك
على أنه قد ضم في حبسك العلى وأصبح عز الدين في قبضة الشرك
فأخذ الرقعة التي فيها الآيات فرفعها إلى خادم كان واقفاً على رأسه وقال
احفظها وغيبها فان فرج الله عز وجل عني فذكرني بها لأقضى حق هذا
الرجل الحر : وقال لي أبو معشر وقد كنت أنا أخذت مولده وقت عقد له
العقد ووقت عقدت البيعة للمستعين بالخلافة فنظرت في ذلك وصححت الحكم
للمعتز بالخلافة بعد فتنة تجرى وحروب وحكمت على المستعين بالقتل فسلت
ذلك إلى المعتز وانصرفنا وضرب الدهر ضربه وصح الحكم بأمره قال لي
أبو معشر : فدخلت أنا والبحترى إلى المعتز بالله وهو خليفة بعد المستعين
وتغريته فقال لي المعتز : لم أنسك وقد صح حكمك وقد أجريت لك في كل
شهر مائة دينار رزقا وثلاثين ديناراً نزلاً وجعلتك رئيس المنجمين في دار
الخلافة وأمرت لك عاجلاً باطلاق ألف دينار صلة فقبضت ذلك كله من
يومي وقال لي البحترى فتقدمت وأنشدت المعتز قصيدة مدحته بها وهنأته
بالخلافة وهجوت فيها المستعين أولها :

يجانبنا في الحب من لا نجانبه ويبعد عنا في الهوى من نقاربه
حتى انتهيت إلى قولي :

وكيف رأيت الحق قرقراره وكيف رأيت الظلم آلت عواقبه
ولم يكن المعتز بالله قد سرى ليعجز والمفتتر بالله طالبه
رمى بالقضيب عنوة وهو صاغر وعري من برد النبي مناكبه
وقد سرتني إن قيل وجد عارياً من الشرق تحدو سقبه وركائبه
إلى واسط حيث الدجاج ولم يكن لينشب إلا في الدجاج مخالبه

قال فاستعاد مني هذه الآيات مراراً فأعدتها ودعا بالخادم الذي كان
معه في الحبس وطلب الرقعة التي كنت أنشدته الشعر الذي فيها في حبسه

فأحضره إياها بغيرها فقال : قد أمرت لك بكل بيت منها بألف دينار ، وكانت ستة أبيات فأعطيت ستة آلاف دينار ، ثم قال لي : كاتني بك قد بادرت فاشتريت منها غلاماً وفرساً وجارية والتزمت وقال : لا تفعل فإن لك فيما نستأنف معنا في أيامنا ومع وزرائنا وأسبابنا إذا عرفوا موضعك عندنا غناء عن ذلك ، ولكن افعل بهذا المال كما فعل ابن قيس الرقيات بالمال الذي وصل إليه من عبد الله بن جعفر اشتر به ضيعة جلييلة تلتفع بغلتها ويبقى عليك وعلى ولدك أصلها . فقلت : السمع والطاعة وخرجت فاشتريت بالمال ضيعة جلييلة . أخبرني أبو بكر الصولي إجازة ونقلته من خطه قال : حدثني ابراهيم القنوي ، قال : طولب أبو سعيد الثغري بعد غزواته المشهورة وسلم إلى أبي الخير النصراني الجيهنذ ليستخرج المال منه فجعل يعذبه فشق ذلك على المسلمين وقالوا آخذه بشار النصرانية فقال البحترى :

أيام ضيعة الدنيا وضيعة أهلها والمسلمين وضيعة الإسلام
طلبت دخول الشرك في دار الهدى بين المداد وألسن الأقلام
هذا ابن يوسف في يد أعدائه يحسرى على الأيام بالأيام
نامت بنو العباس عنه ولم تكن عنه أمية لو دعت بنيام
فقرى هذا الشعر على المتوكل ، فأمر بإطلاق أبي سعيد وأمر بإحضار البحترى واتصل به وكان أول شعر أنشده :

« جعلت فداك الدهر ليس بمنفك »

وجدت في كتاب صاحب أبي الفرج الخزومي الخطي ، عن أبي طالب الجعفرى ، أنه سمع رجلاً يحدث ، عن محمد بن الفضل الجرجاني في وزارته للمعتصم قال : كنت أتولى ضياع عجيف بكسكرفرفع على أنى خنته وأخربت الضياع فانفذ إلى من يقيدني فأدخلت عليه في داره بسر من رأى على تلك الحالة ، فإذا هو بطوف على ضياع فيها ، فلما نظرني شتمني فقال : أخربت الضياع ونهبت الأموال ، والله لأقتلنك هاتوا السياط . فأحضرت وسجبت للضرب ، فلما رأيت ذلك ذهب على أمرى وبلت على ساقى ، ونظر كاتبه إلى فقال

لعجيف أعز الله الأمير : أنت مشغول القلب بهذا البناء وضرب هذا وقتله في أيدينا ليس يفوت ، فمر بحبسه وانظر في أمره فان كانت الواقعة صحيحة فليس يفوتك عقوبته ، وإن كانت باطلة لم تتعجل الاثم وتنقطع عما أنت بسببه من الهم . فأمر بي إلى الحبس فكشيت به أياماً وغزا أمير المؤمنين المعتصم فاتصل بكاتبه الخبر فأمر بإطلاقى وأطلقنى ، وخرجت وما اهتدى إلى حبة فضة فما فوقها فقصدت صاحب الديوان بسر من رأى فتوجع من سوء حالى وعرض على ماله فقلت بل تتفضل بتصريفى فى شىء أستتر بهائزته ، فقلدنى عملاً بنواحى ديار ربيعة واقتضت من التجار لما سمعوا خبر ولايتى ما تجملت به إلى العمل ، وخرجت وكان من ضياع العمل ضيعة تعرف بكراناً فرأيتها فى بعض طريقى ونزلت داراً منها ، فلما كان السحر وجدت المستحم ضيقاً غير نظيف . وخرجت من الدار فإذا بتل فجلست أبول عليه وخرج صاحب الدار فقال : أتدرى على أى شىء بليت ؟ قلت على تل تراب . فضحك وقال : هذا قبر رجل يعرف بعجيف من قواد السلطان ، كان يحفظ عليه وحل مقيداً فلما صار إلى ههنا قتل وطرح فى هذا المكان تحت حائط . فلما انصرف العسكر طرحنا الحائط عليه لنواريه من الكلاب . قال فتعجبت من بولى خوفاً منه وبولى على قبره . وروى ابن دريد عن أبى حاتم ، عن أبى معمر عن رجل من أهل الكوفة قال : كنا مع مسلمة بن عبد الملك ببلاد الروم فسبا سبياً كثيراً وأقام ببعض المنازل فعرض السبى على السيف فقتل خلقاً حتى عرض عليه شيخ ضعيف فأمر بقتله . فقال : ما حاجتك إلى قتل شيخ مثلى ؟ إن تركتني جثتك بأسيرين من المسلمين شاخين . قال : ومن لى بذلك ؟ قال : إني إذا وعدت وفيت . قال : لست أثق اليك . قال : فدعنى أطوف فى عسكرك لعلى أعرف من يكفلنى إلى أن امضى وأجىء . بالأسيرين فوكل به من أمره بالطواف معه فى عسكره والاحتفاظ به فما زال الشيخ يطوف ويتصفح الوجوه حتى مر بفتى من بنى كلاب قائماً يحسن فرسه . فقال يافتى : اضمنى من الأمير وقص عليه قصته . قال : أفعل . وجاء الفتى معه إلى مسلمة فضمنه فأطلقه مسلمة فلما مضى . قال : أتعرفه ؟ قال : لا والله .

قال ولم ضمنته ؟ قال رأيته يتصفح الوجوه فاختراني من بينهم وكرهت أن
أخلفه ظنه . فلما كان من الغد عاد الشيخ ومعه أسيران من المسلمين شابان
فدفعهما إلى مسلمة وقال : يأذن الأمير في هذا الفتى أن يصير معي إلى حصني
لأكافئه على فعله معي ؟ قال مسلمة للكلبي : إن شئت فامض معه . فلما مضى
وصار معه إلى حصنه . قال له يا فتى : تعلم والله أنك ابني . قال : وكيف أكون
ابنك وأنا رجل من العرب مسلم وأنت من الروم نصراني ؟ قال أخبرني عن
أملك ماهي ؟ قال رومية . قال فاني أصفها لك فبالله إن صدقت الاصدقتني .
قال : افعل . فأقبل الرومي يصف أم الصبي ماخرج منها شيئاً . فقال : هي
كذلك . فكيف عرفت اني ابنها قال بالشبه ، وتعارف الأرواح ، وصدق
الفراسة . ثم أخرج اليه امرأة فلما رآها الفتى لم يشك في أنها أمه لشدة شبهها
بها ، وخرجت معها عجوز كأنها هي فأقبلن يقبلن رأس الفتى . فقال له الشيخ :
هذه جدتك وهذه خالتك . ثم طلعت من حصنه فدعا بشباب في الصحراء
فأقبلوا فكلمهم بالرومية فجعلوا يقبلون رأس الفتى ويديه ورجليه وبتشرشفونه .
فقال : هؤلاء أخوالك وبنو خالاتك وبنو عم والدتك ، ثم أخرج اليه حلياً
كثيراً وثياباً فاخرة فقال : هذا لو الدتك عندنا منذ سببت نخذه فادفعه
اليها فانها ستعرفه ، ثم أعطاه لنفسه مالا كثيراً وثياباً جليمة وحمله على عدة
دواب وبغال وألحقه بعسكر مسلمة وانصرف . فأقبل الفتى قافلاً حتى دخل
منزله فأقبل يخرج الشيء بعد الشيء مما عرفه الشيخ أنه لأمه فتراه فتبكي .
فيقول لها : قد وهبته لك فلما أكثر هذا عليها قالت يا بني : أسألك بالله من أي
بلد صارت اليك هذه اثنياب ، وهل قتلتم أهل هذا الحصن الذي كان هذا فيه ؟
فقال لها الفتى : صفة الحصن كذا وكذا ، وصفة البلد كذا وكذا . ورأيت فيه
قوماً من حالهم كذا فوصف لها أمها وأختها وأولادها وهي تبكي وتقلن .
فقال لها : ما يبكيك ؟ فقالت : الشيخ والله والله أبي ، والعجوز أمي وتلك
أختي فقص عليها الخبر وأخرج بقية ما كان معه ، فأفذه أبوها اليها فدفعه لها .
(٧ - الفرج - أول)

وجدت في كتاب أبي الفرج الخزومي الخطي ، عن أبي أمية الهشامى بإسناده ، عن منارة صاحب الخلفاء قال : رفع إلى هرون الرشيد أن رجلاً بدمشق من بقايا بني أمية عظيم الجاه ، واسع الدنيا كثير المال والأموال ، مطاعاً في البلد له جماعة وأولاد وماليك وموال يركبون الخيل ويحملون السلاح ويغزون الروم ، وأنه سمح جواد كثير البذل والضيافة ، وأنه لا يؤمن منه فعظم ذلك على الرشيد . قال منارة : وكان وقوف الرشيد على هذه الحال وهو في الكوفة في بعض خرجاته إلى الحج في سنة ست وثمانين ومائة وقد عاد من الموسم وبائع أمير المؤمنين الأمين والمأمون والمؤمن أولاده فدعاني وهو خال فقال : إني دعوتك لأمر يهمني وقد منعت النوم فانظر كيف تعمل وتكون ، ثم قص عليّ خبر الأموي وقال : اخرج الساعة فقد أعددت لك الجاهات ، وأزحت عنك في الزاد والنفقة والآلات ، فضم اليك مائة غلام واسلك البرية وهذا كتابي إلى أمير دمشق ليركب في جيشه ، فاقبضوا عليه وجنني به . وقد أجلت لك لذهابك ستة ، ولعودك ستة ، ويوماً لعودك وهذا يحمل تجعله في شقة إذا قيدته وتجلس أنت في الشق الآخر ، ولا تسلك حفظه إلى غيرك ، حتى تأتيني به اليوم الرابع عشر من خروجك ، فإذا دخلت داره فتفقد ما فيها وجميع ما فيها وولده وأهله وحاشيته وغلماؤه وما يقولون ، وقدر النعمة والحال والمحل واحفظ ما يقوله الرجل حرفاً حرفاً من جميع ألفاظه مند وقوع طرفك عليه . إلى أن تأتيني به ، وإياك أن يشذ عليك شيء من أمره انطلق . قال منارة : فودعته وخرجت فركبت الإبل وسرت أطوى المنازل وأسير الليل والنهار ، ولا أنزل إلا للجمع بين الصلاتين والبول وتنفيس الناس قليلاً إلى أن وصلت إلى دمشق في أول الليلة السابعة وأبواب البلد مغلقة فكرهت طرقها ونمت بظاهرها إلى أن فتح بابها من غد فدخلت على هيئتي حتى أتيت باب الرجل وعليه طفف كثيرة وحاشية كثيرة فلم أستأذن ودخلت بغير إذن ، فلما رأى القوم ذلك سألوا بعض من معي عنى فقالوا : هذا منارة صاحب أمير المؤمنين أرسله أمير المؤمنين إلى صاحبكم

أمسكوا ، فلما صرت في صحن الدار نزلت ودخلت مجلساً رأيت فيه قوماً جلوساً فظننت أن الرجل فيهم فقاموا إلى ورحبوا بي وأكرموني فقلت فيكم فلان ؟ قالوا : لا نحن أولاده وهو في الحمام . قلت : فاستعجلوه فمضى بعضهم يستعجله وأنا أفتقد الدار والأحوال والحاشية فوجدتها قد ماجت أهلها موجاً شديداً فلم أزل كذلك حتى خرج الرجل بعد أن أطل فاستربت اشتد قلقي وخوفي من أن يتواري إلى أن رأيت شيخاً قد أقبل بزي الحمام يمشي في الصحن ، وحواليه جماعة كهول وأحداث وصبيان هم أولاده ، وغلبان كثيرة فعلمت أنه الرجل فجاء وسلم علي سلاماً خفياً وسألني عن أمير المؤمنين واستقامة أمر حضرته ، فأخبرته بما يجب ، وما قضى كلامه حتى جاءوه بأطباق لفاكهة فقال لي : تقدم يا منارة كل معنا . فقلت ما بي إلى ذلك حاجة فلم يعاودني فأقبل يا كل هو والحاضرون معه ثم غسل يده ، ودعا بالطعام فجاءه بمائدة حسنة عظيمة لم أر مثلاً إلا للخليفة . فقال لي : تقدم يا منارة فساعدني على الأكل . لا يزيدني على أن يدعوني باسمي كما يدعوني الخليفة . فامتنعت عليه فما عاودني وأكل هو وأولاده وكانوا تسعة وجماعة كثيرة من أصحابه . وتأملت أكله في نفسه فوجدته أكل الملوك ووجدت جأشه رابضاً وذلك الاضطراب الذي في داره قد سكن ووجدته لا يرفع من بين يديه شيء . قد جعل على المائدة إلا ويوهب ، وقد كان غلبانه لما نزلت الدار أخذوا جمالي وجميع غلباني فعدلوا بهم إلى دارله فما أطاقوا بمناعتهم ، وبقيت وحدي ليس بين يدي إلا خمسة أو ستة غلبان وقوف على رأسي . فقلت في نفسي : هذا جبار عنيد وإن امتنع علي من الشخوص لم أطق أشخاصه بنفسى ولا بمن معي ولا حنظله إلى أن يلحقني أمير البلد ، وجزعت جزعاً شديداً ورايتني منه استخفافاً بي وتهاونه بأمرى ويدعوني باسمي ولا يفكر في امتناعي من الأكل ويسألني عما جئت له ويا كل مطمئنا وأنا أفكر في ذلك إذ فرغ من طعامه وغسل يده واستدعني بالبخور فتبخروا وأقام الصلاة فصلى الظهر وأكثر من الدعاء والابتهاال ورأيت صلاته حسنة فلما انقضى من صلته أقبل علي فقال : ما أقدمك يا منارة ؟ فقلت امرلك من

أمير المؤمنين وأخرجت الكتاب ودفعته اليه فنضه وقرأه ، ولما استتم قراءته دعا أولاده وحاشيته فاجتمع منهم خلق فلم أشك أنه يريد أن يوقع بي فلما تكاملوا ابتدأ خلف أيماناً غليظة فيها الطلاق ، والعناق ، والحج ، والصدقة ، والوقف ، والحبس ، ان لا يجتمع منهم اثنان في موضع ، وأن ينصرفوا ويدخلوا غلبانه وحاشيته منازلهم فلا يظهر منهم أحد إلى أن ينكشف له أمر يعمل عليه . وقال : هذا كتاب أمير المؤمنين يأمرني بالمسير إلى بابه ، ولست أقيم بعد نظري فيه لحظة واحدة فاستوصوا بمن ورأى من الحرم خيراً ، وما بي حاجة أن يصحبني غلام . هات إقيادك يا منارة فدعوت بها وكانت في سنفط ، واحضر حداداً ومد ساقيه فقيدته وأمرت غلباني بحمله حتى حصل في المحمل ، وركبت الشق الآخر وسرت من وقى ولم ألق أمير البلد ولا غيره وسرت بالرجل ليس معه أحد إلى أن صرنا بظاهر دمشق فابتدأ يمدني بانبساط حتى انتهينا إلى بستان حسن في الغوطة فقال لي : ترى هذا ؟ . قلت : نعم قال : إيه لي ولي فيه غرائب من الأشجار كيت وكيت ، ثم انتهى إلى بستان آخر . فقال لي فيه مثل ذلك ، ثم انتهينا إلى مزارع حسان وقرى سرية فأقبل يقول هذا لي ويصف كل شيء فيه من ذلك فاشتد غيظي منه فقلت له : علمت أني شديد التعجب منك ا قال : فلم ؟ قلت . ألسنت تعلم أن أمير المؤمنين قد أهمه أمرك حتى انفذ اليك من انتزعتك من بين أهلك وولدك ومالك وأخرجك من جميع حالك وحيداً فريداً مقيداً لا تدري ما تصير اليه ، ولا كيف تكون وأنت فارغ القلب من هذا ، تصف بسايتنك وضياعك هذه ، وأنت ساكن القلب قليل الفكر ؟ فقال لي مجيباً : إيا الله وإنا اليه راجعون أخطأت فراستى فيك قدرتك رجلاً كامل العقل ، وإليك ما حلتك من الخلفاء هذا المحل إلا بعد أن عرفوك بذلك فاذا قلقك وكلامك يشبه كلام العوام وعقولهم والله المستعان ، أما قولك في أمير المؤمنين وإزعاجه وإخراجه إياي إلى بابه على صورتي هذه فإنني على ثقة بالله عز وجل الذي بيده ملكوت السموات والأرض شاهد كل نجوى ، وكاشف كل بلوى ، وحاضر كل سريرة . وبيده ناصية أمير المؤمنين ، وبين لا يملك معه لنفسه نفعاً ولا ضرراً إلا بإذن الله ومشيتته ، ولا ذنب

عند أمير المؤمنين أخافه . وبعد : فاذا عرف أمرى وعلم سلامتى وصلاحى الى وإن الحسدة والأعداء رمونى عنده بما لست فى طريقه ، وتقولوا على " لا قويل الكاذبة ، لم يستحل دمنى ويخرج من ذمتى وإزاجى وردى مكرما . إقامتى بيباه معظماً ، وإن كان قد سبق فى علم الله تعالى أنه يبدو منه إلى درة سوء وقد حضر أجلى ، وحان سفك دمنى على يده فلو اجتهدت الملائكة الأنبياء وأهل السماء والأرض على صرف ذلك عنى ما استطاعوا ، فلم أتعجل فم وأنسلف الفكر فيما قد فرغ منه ، وأين حسن الظن بالله عز وجل الذى يلقى ورزق ، وأحيا وأمات ، وفطر وجبل ، وأحسن وأجمل ، وأين الصبر الرضا والتفويض والتسليم إلى من يملك الدنيا والآخرة ، وقد كنت أحسب لك تعرف هذا ؟ فإذا قد عرفت مبلغ فهمك لا أكلبك أبداً بكلمة واحدة ، حتى تعرف حضرة أمير المؤمنين بيننا إن شاء الله تعالى . ثم أعرض عنى فما سمعت له لفظة بغير القرآن والتسبيح إلا بطلب ماء أو حاجة تجرى مجراه حتى شارفنا الكوفة فى اليوم الثالث عشر بعد الظهر ، فاذا النعجب قد استقبلتنى إلى فراسخ من الكوفة يتجسسون خبرى فحين رأونى رجعوا متقدمين إلى الخبر إلى أمير المؤمنين فأنتهيت إلى الباب فى آخر النهار فخططت ، ودخلت إلى الرشيد فقبلت الأرض بين يديه ووقفت فقال : هات ما عندك وإياك ن تغفل منه عن لفظة واحدة . فسقت الحديث إلى آخره حتى انتهيت إلى افكاكة ، والطعام ، والغسل ، والبخور ، والصلاة . وما حدثت به نفسى من متناه والغضب يظهر فى وجهه يتزايد حتى انتهيت إلى فراغ الأموى من الصلاة وإقباله إلى ومسألته عن سبب قدومى ودفعى الكتاب إليه ومبادرته إلى إحضار ولده وأنسابه وأهله وأصحابه . وحلفه لهم أن لا يتبعه أحد منهم رصفه إياهم ومد رجله حتى قيده فما زال وجه الرشيد يسفر فلما انتهيت إلى ما خاطبنى به عند توبيخى إياه لما ركب المحمل قال : صدق والله ، ما هذا إلا رجل محسود على النعمة ، مكذوب عليه ولعمري قد أزججناه وروعناه وأرعنا أهله فبساد بنزع قيوده عنه وائتنى به . فخرجت ونزعت قيوده وأدخلته إلى الرشيد فما هو إلا أن رآه حتى رأيت ماء الحياة يحول فى وجهه

فدنا الأموى وسلم بالخلافة ووقف . فرد عليه الرشيد رداً جميلاً وأمره بالجلوس فجلس فأقبل عليه الرشيد يسأله عن حاله ، ثم قال له : إنه بلغنا عنك فضل هيئة ، وأمور أحيينا معها أن نراك ونسمع كلامك ونحسن إليك فاذا كبر حاجاتك . فأجاب الأموى جواباً جميلاً وشكر ودعا وقال : أما حاجاتي فما إلى إلا حاجة واحدة . قال : مقضية . فما هي ؟ قال يا أمير المؤمنين تردني إلى بلدي وأهلي وولدي . قال نحن نفعل ذلك ، ولكن سل ما تحتاج إليه من مصالح جاهك ومعاشك ، فإن مثلك لا يخلوا أن يحتاج إلى شيء من هذا ؟ . فقال : عمال أمير المؤمنين منصفون وقد استغنيت بعدلهم عن مسألتهم من ماله ، وأمورى منتظمة وأحوالى مستقيمة وكذلك أمور أهل البلد بالعدل الشامل فى ظل دولة أمير المؤمنين . فقال الرشيد : انصرف محفوظاً إلى بلدك . واكتب لنا بأمر إن عرض لك . فودعه الأموى فلما ولى خارجاً قال الرشيد يامنارة : احمله من وقتك وسرراجاً كما سيرته حتى إذا أوصلته إلى المجلس الذى أخذته منه فدعه وانصرف ففعلت ذلك .

حدثني على بن هشام قال : سمعت أبا الحسن على بن عيسى يتحدث قال : سمعت عبيد الله بن سليمان بن وهب يقول : حدثني أبى قال : كنت أنا والعباس ابن الخصيب مع خلق من العمال والكتاب معتقلين فى يدى محمد بن عبد الملك فى آخر وزرائه للوائح نطلب ببقيا مصادرات ، ونحن فى إياس من الفرج إذ اشتدت علة الوائح وحجب ستة أيام عن الناس فدخل إليه أبو عبد الله أحمد بن أبى دؤاد القاضى فقال له الوائح يا أبا عبد الله : وكان يكنيه ذهب من الدنيا والآخرة . قال : كلا يا أمير المؤمنين . قال : بلى والله قد ذهب من الدنيا بما ترى من حضور الموت ، وذهب الآخرة بما أسلفت من العمل القبيح فهل عندك شيء من دواء ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين . قد عزل محمد بن عبد الملك كثير من الكتاب والعمال وملأ بهم الحبوس ولم يتحصل من جهتهم على شيء كثير وهم عدد كثير ووراءهم ألف يد ترفع إلى الله عز وجل بالدعاء عليك فتأمر بإطلاقهم لترفع تلك الأيادى بالدعاء لك فلعل الله يهلك العافية ، وعلى كل حال أنت محتاج إلى أن تقل خصومك . فقال :

نعم ما أشرت به ، وقع اليه عنى بإطلاقهم . فقلت ان رأى خطي عاند وج
ولكن يغتم أمير المؤمنين الثواب ويتسائد ويحمل على نفسه ويوقع بخطه
فوقع الوائق بخط مضطرب إلى ابن الزيات بإطلاقهم وإطلاق كل من في
الجلس من غير استثمار ولا مراجعة وتقدم إلى إيناخ أن يمضى بالتوقيع ،
ولا يدعه يعمل شيئاً أو يطلقهم وأن يحول بينه وبين الوصول اليه أو كتب
رقعة أو اشتغال بشيء ألبته إلا بعد إطلاقهم ، وأنه إن لقيه في الطريق أن
ينزله عن دابته ويجلسه في الطريق حتى يفرغ من ذلك . فتوجه إيناخ فلقى
ابن الزيات راكباً يريد الخليفة فقال له : تنزل عن دابتك وتجلس على غاشيتك
فارتاع وظن الحال به قد وقعت فنزل وجلس على غاشيته فأوصل اليه التوقيع
فامتنع وقال إذا أطلقت هؤلاء فمن أين أنفق الأموال وأقيم الأتراك ؟ فقال :
لا بد من ذلك ، فقال اركب واستأذنه . فقال لاسبيل إلى ذلك قال : فدعى
أكاتبه قال ولا هذا فما برح من موضعه حتى وقع بإطلاق الناس فصار إيناخ
الينا ونحن في الحبس إياس من الفرج وقد بلغنا التلف وبلغنا اشتداد علة
الوائق وأرجف لابنه بالخلافة وكان صبيلاً فخفنا أن يتم ذلك فيجعل ابن الزيات
الصبي شيخاً ، ويتولى التدبير فيتلفنا وقد امتنعنا لفرط الغم من الأكل . فلما
دخل إيناخ الحبس لم نشك إنه قد حضر لبلية فأطلقنا وعرفنا الصورة فدعونا
الله عز وجل لابن أبي دؤاد وللخليفة وانصرفنا إلى منازلنا لحظة ثم خرجنا
فوقنا لأبي عبد الله بن أبي دؤاد على الطريق نتظر عوده من دار الخلافة
إلى داره فحين رأيناه ترجلنا له ودعونا له وشكرناه ، فأكبر ذلك عليه ومنعنا
من الترجل فلم نمتنع فوقف حتى ركبنا وسائرنا إلى منازلنا ، وأخذ يخبرنا
بالخبر ونحن نشكره وهو يقتصر مافعل ويقول : هذا أقل حقوقكم وكان
الذي لقيه أنا ، وأحمد بن الخصيب وقال : ستعلمان ما أعمله مستأنفاً ورجع
ابن أبي دؤاد إلى دار الخلافة عشيّاً فقال له الوائق قد تبركت برأيك يا أبا
عبدالله ووجدت خفاً من العلة ونشطت للأكل فأكلت وزن خمسة دراهم من
الخبز بصدر دجاج . فقال له أبو عبد الله ، يا أمير المؤمنين : تلك الأيدي
التي كانت تدعو عليك غدوة صارت تدعو لك عشية ، ويدعوك بسببهم

خلق كثير من رعيتك إلا أنهم قد صاروا إلى دور خراب وأحوال قبيحة بلا فرش ولا كسوة ولا دواب ولا ضياع موتى جوعاً وهزالاً قال : فما ترى ؟ قال يا أمير المؤمنين : في الخزان والاصطبلات بقايا ما أخذ منهم فلو أمرت أن ينظر في ذلك فيبكل من وجد له شيء باق من هذا رد عليه وأطلقت عن ضياعهم لعاشوا وخف الاثم وتضاعف الدعاء وقويت العافية . قال : فوقع بذلك عني . فوقع عنه ابن أبي داود فما شعرنا من الغد إلا وقد رجعت نعمنا علينا ومات الواثق بعد ثلاثة أيام وفرج الله عز وجل عنا بابن أبي دؤاد وبقيت له المسكرمة العظيمة في أعناقنا .

حدثني أبو الحسن علي بن هشام ، قال : سمعت أبا الحسن علي بن عيسى وأبا الحسن الإيادي الكاتب يقولان : كان عبيد الله بن سليمان يقول كنت بمحضرة أبي في ديوان الخراج بسر من رأى وهو يتولاه إذ دخل عليه أحمد بن خالد الصرfinي الكاتب فقام إليه أبي قائماً من مجلسه وأقعده في صدره وتشاغل به ولم ينظر في عمل حتى نهض ثم قام معه وأمر غلبانه بالخروج بين يديه فاستعظمت أنا وكل من في المجلس هذا ، لأن رسم أصحاب الدواوين صغارهم وكبارهم لا يقومون في الديوان لأحد من خلق الله تعالى من يدخل اليهم فتبين أبي ذلك في وجهي فقال لي يابني : إذا خلونا فاسألني عن السبب فيما عملته مع هذا الرجل . قال : وكان أبي يأكل في الديوان وينام فيه ويعمل عشيّاً فلما جلسنا تأكل لم أذكره إلى أن رأيت الطعام كاد ينقضى فقال لي هو : يابني شغلك الطعام عما قلت لك أن تذكرني به فقلت : لا ولكن أردت أن يكون ذلك على خلوة . فقال يابني : هذه خلوة أأست أنكرت أنت والحاضرون قيامي لأحد بن خالد عند دخوله وخروجه وما عاملته به ؟ قلت : نعم . فقال : كان هذا يتقلد مصر فصرف عنها ، وقد كانت مدته فيها طال فتوطئت آثار رجل لم أر أجمل آثاراً منه ، ولا أعف عن أموال السلطان والرعية ولا رأيت رعية لعامل أشكر من رعيتة له ، وكان الحسين المعروف بعرق الموت الخادم صاحب البريد بمصر أصدق الناس لنفع هذا ، وهو من أبغض الناس إلى وأشدهم اضطراب أخلاق فلم أتعلق عليه بمحبة

ووجدته قد أخرج رفع الحساب لسنة متقدمة لسلته التي هو فيها ولم ينفذه إلى الديوان فسأله أن يحط من الدخل ويزيد في النفقات والارزاق ويكثر من البقايا في كل سنة مائة ألف دينار لأخذها لنفسه فامتنع من ذلك فأغلظت له وتوعدته ، ونزلت معه إلى مائة ألف واحدة في السلتين وحلفت بإيمان مؤكدة أني لا أقنع منه بأقل من هذا . فاقام على امتناعه وقال أنا لأخون نفسي فكيف أخون لغيري ، وأزيل ما قام به جاهي من العنصاف لحبسته وقيدته فلم يجب ، وأقام مقيداً في الحبس شهوراً وكتب عرق الموت يضرب على عند المتوكل ويحلف أن أموال مصر لا تفي بنفقتي ومؤنتي ، ويصف أحمد ابن خالد ويذكر ميل الرعية اليه وعفته فأنا ذات يوم على المائدة آكل إذ وردت إلى رقعة أحمد بن خالد يسألني استدعاه لمهم يلقيه إلى فلم أشك أنه قد ضاق بالحبس والقيود ، وقد عزم على الاستجابة لمرادى فلما غسلت يدي دعوته فاستخلاني فآخيلته فقال : أما آن لك ياسيدي أن ترق لي بما أنا فيه من غير ذنب اليك ، ولا جرم ولا قديم دخل ، ولا عداوة ؟ فقلت : أنت اخترت لنفسك هذا ، وقد سمعت يميني وليس منها مخرج . فاستجب لما أمرت به وأخرج فأخذ يستعطفني ويخدمني ويخضعني فقال لي ياسيدي : فليس الآن عندك غير هذا ؟ فقلت : لا . فقال إذا كان ليس غير هذا فاقرأ ياسيدي وأخرج إلى كتاباً لطيفاً مختوماً في ربع قرطاس ففضضته فإذا هو بخط المتوكل الذي أعرفه وهو إلى يأمرني فيه بالانصراف وتسليم ما أتولاه إلى أحمد بن خالد والخروج اليه بما يلزمني ، ورفع الحساب فورد على أقبح مورد لقرب عهد الرجل بشتمى له وإساءتي اليه فأمسكت مبهوتاً . ولم ألبث أن دخل أمير البلد في أصحابه وغلبلانه فوكل بداري وبجميع ما أملكه وبأصحابي وغلبلاني وجهابذي وكتابي وجعلت أزحف من صدر المحل حتى صرت بين يدي أحمد بن خالد ، ودعا أمير البلد بحداد فحل قيدة فوثب قائماً وقال لي : يا أبا أيوب أنت قريب عهد بعمالة هذا البلد ، ولا منزل لك فيه ولا صديق ومعك حرم وحاشية كثيرة وليست تسعك إلا هذه الدار وكانت دار العمالة ، وأنا أجد عدة مواضع غيرها وليس لي

كثير حاشية ومن نكبة خرجت فأقم بمكانك وخرج وصرف المتوكل بالدار وأخذ كاتبى وأسبابى اليه فلما انصرف قلت لعلبانى : هذا الذى نراه فى النوم انظروا من وكل بنا ؟ فقالوا : ما وكل بنا أحد فعجبت من ذلك عجباً عظيماً وما صليت المصريح حتى عاد إلى من كان حمله معه من المتصرفين والكتاب والجهاذة مطلقين وقالوا : أخذ خطوطنا برفع الحساب وأمرنا باللازمة وأطلقنا . قال : فازداد عجبى فلما كان من غد باكرنى مسلماً ورحت اليه فى عشية ذلك اليوم وأقمت ثلاثين يوماً ان سبقتنى إلى الحجى . والارحت اليه وإن راح إلى والاباكرته ، وفى كل يوم تيجيتنى هداياه وألطافه من الشلج والناكهة والحيوان والحلوى فلما كان بعد اثلاثين يوماً جاءنى وقال : قد عشقت مصر يا أبا أيوب ، والله ماهى طيبة الهواء ، ولا عذبة الماء ، وإنما تطيب بالولاية والاكساب . ولو قد دخلت إلى سر من رأى لما أقمت بها إلا شهراً واحداً حتى تتقلد أحد الأعمال . فقلت : والله ما أنا إلا متوقع لأمرك فى الخروج فقال : أعطنى خط كاتبك بأن عليه القيام بالحساب واخرج فى حفظ الله فأحضرت كاتبى وأخذت خطه كما أراد وسلمته اليه وقال لى أخرج أى يوم شئت فخرجت من غد فخرج هو وأمير البلد وقاضيه وأهله فشيعموني إلى ظاهر البلد وقالوا لى تقيم فى أول منزل على خمسة فراسخ إلى أن أزيح علة قائد ويصحبك برجاله إلى الرملة فان الطريق فاسد ، فاستوحشت لذلك وقلت هذا إنما غرنى حتى أخرج كل ما أملكه فيتمكن منه فى ظاهر البلد فيغتصبه ثم يردنى إلى الحبس والتوكيل والمطالبة ويحتج على بكتاب ثان يذكر أنه ورد من المتوكل ، فخرجت فأقمت بالمرحلة التى أمر بها مستسلماً متوقعاً للشهر إلى أن رأيت أوائل عسكر مقبل من مصر فقلت لعله القائد الذى يريد أن يصحبنى إياه أو لعله الذى يريد أن يقبض على به فأمرت غلبانى بمعرفة الخبر ؟ فقالوا : العامل أحمد بن خالد قد جاء فلم أشك فى أنه قد ورد البلاء بوروده فخرجت من مضربى فلقيته وسلمت عليه ، فلما جلس وسلم قال أخلونا فلم أشك أنه للقبض على وطار عقلى فقام من كان عندى فلما لم يبق أحد قال : أنا أعلم أن

أيامك لم تطل في مصر ولا حظيت بكثير فائدة ، وذلك الباب الذي سألتني به في ولايتك فلم أجب اليه إنما أخرت الإذن لك في الانصراف منذ أول الأمر إلى الآن لأنني تشاغلنت بالفراغ لك منه ، وقد حططت من الارتفاع وزدت في النفقات كل سنة خمسة عشر ألف دينار تكون في السنتين ثلاثين ألف دينار وهو يقرب ولا يظهر ويكون أيسر مما أردته مني في ذلك الوقت وقد تشاغلنت به حتى جمعت له ، وهذا المال على البغال فقدم إلى من يستلمه فتقدمت لقبضه وقبلت يده وقلت : قد والله ياسيدي فعلت ما لم تفعل البرامكة فأشكر ذلك مني وتقبض منه وقبل يدي ورجلي وقال : ها هنا شيء آخر أريد أن تقبله مني فقلت : ما هو ؟ قال خمسة آلاف دينار قد استحققتها من رزقي فامتنعت وقلت فيما قد تفضلت به كفاية خلف أني أقبلها منه فقبلتها . فقال : وهذه الطاف من هدايا مصر أحبت أن أصحبك إليها فانك ستصير إلى كتاب الدراوين ورؤساء الحضرة ويقولون لك وليت مصر فأين نصيبنا من هداياها ولم تطل أيامك فتعد ذلك لهم وقد جمعت لك منه ما يشتمل عليه هذا اثبت واخرج درجا فيه ثبت جامع لكل شيء في الدنيا حسن ظريف جليل القدر من ثياب ديبق وقصب وخدم ، وبغال ودواب وحير ، وفرش وطيب كثير وما يكون فيه الجميع مال كثير فأمرت بتسليمه وزدت في شكره فقال لي ياسيدي أنا مغري بحب الفرش وقد عملت لي بيت أرمني بأرمينية وهو عشر مصليات بمخادها ومساندتها ومطارحها وبساطها وهو مذهب بطرزة مذهبة قد قام على بخمسة آلاف دينار على شدة احتياطي فان أهديته إلى الوزير عبدك ، وان أهديته إلى الخليفة ملكته به ، وإن أبقيته لنفسك وتجملت به كان أحب إلي وحمله إلى فما رأيت مثله قط ولم تسمح نفسي باهدائه إلى أحد ولا استعماله فما ابتدأت منه شيئا إلا يوم اعذارك . فهل تلومني يا بني بعد ذلك على أن أقوم لهذا الرجل ؟ قال : فقلت : لا والله يا أبي ولا على ما هو أكثر من القيام لو كان مستطاعا . قال : فكان أبي بعد ذلك إذا صرف رجلا عامله بكل جميل يقدر عليه ويقول : علمنا أحمد أحمد بن خالد حسن التصرف .

حدثنا أبو علي الحسين بن محمد بن موسى الأنباري السكاتب الذي كان زوج ابن المهلب بن محمد رحمهم الله بإسناده : أن القاسم بن عبد الله لما تفرد بالوزارة بعد موت أبيه كان يحب الشرب واللعب ويخاف أن يتصل بالمعتضد خبره فيستنقصه وينسبه إلى الصبوة والتهتك والتشاغل واللذات عن الأعمال ، وكان لا يشرب إلا في حالين على إخوان وأستر ما يكون ، وأنه خلا يوماً مع جوار مغنيات ولبس من ثيابهن المصبغات وأحضر فواكه كثيرة وشرب ولعب من نصف نهار يوم إلى نصف الليلة الأخرى ونام بقية الليلة وبكر إلى المعتضد للخدمة على رسمه فما أنكر شيئاً ، وبكر في اليوم الثاني فحين وقعت عين المعتضد عليه قال له : يا قاسم ما كان عليك لو دعوتنا إلى خلوتك وألبستنا معك من ثيابك المصبغات ؟ قال فقبل الأرض وروى عن الصدق وأظهر الشكر على هذا البسط وخرج وقد كاد يتلف غماً لوقوف المعتضد على هذا القدر من أمره وكيف لا تخفى عليه مواقفه فجاء إلى داره كثيراً وكان له في داره صاحب خبر يقال له خالد يرفع إليه أموراً فأحضره وعرفه بما جرى بينه وبين المعتضد وقال له : إن بحثت لي عن هذا الخبر إليه زدت في رزقك وأجزتك كذا ، وإن لم تعرفه نفيتك إلى عمان وحلف له على الأمرين فخرج صاحب خبره من حضرته متحيراً كثيراً لا يدري ما يعمل يومه ويفكر ويحتمل ويجهد فما وقع له رأى يعمل عليه . قال صاحب الخبر : فلما كان من الغد بكرت إلى دار القاسم زيادة تبكير على ما جرى به رسمى لفرط سهري وقلقي تلك الليلة ومحبتى للبحث فبحث ولم يفتح باب دار القاسم بعد فجلست فإذا برجل يزحف في ثياب المسكين ومعه مخللة كما يكون مع المسكين فلما جاء إلى الباب جلس حتى فتح فسا بقني إلى الدخول فأولع به البوابون وقالوا أي شيء خبرك يا فلان وصفعوه فزحهم وطايهم وشتهم وشتموه وجلس في الدهليز فقال : الوزير يركب اليوم . قالوا : نعم الساعة يركب قال : وأي وقت نام البارحة ؟ قالوا وقت كذا وكذا . فلما رأته يسأل عن هذا خمنت أنه صاحب خبر فأصغيت إليه ولم أرهم يحفلون بأمره وهو لم يدع بواباً ممن وصل إلى الوزير ومن لم يصل إلا سأله عنه وحديثه به ، ويدعو

بأحاديث أخر على سبيل الفضول ، ثم زحف فدخل إلى جنب أصحاب
أصحاب الستور فأخذ معهم في مثل ذلك وأخذوا معه في مثله ، ثم زحف فدخل
إلى دار العامة فقلت لأصحاب : الستور من هذا ؟ فقالوا : رجل زمن فقير أبله
طيب النفس يدخل الدار ويتطايب ويتصدق فيهب له الغلمان والمتصرفون
فتبعته ، إلى أن دخل المطبخ فسأل عما أكل الوزير ومن كان معه على المائدة
وفي أى شيء أفاضوا والطباخ وغلمانه وغلمان صاحب المائدة كل واحد
يخبره بشيء ، ثم خرج يزحف حتى دخل حجرة الشراب فلم يزل يبحث عن
كل شيء ويمسك ، ثم خرج إلى خزانة الكسوة فكانت حالته وصورته
هذه . ثم جاء إلى مجلس الكتاب في الديوان فقصد وأقبل يسمع ما يجري
ويسأل الصبي بعد الصبي ، والحدث بعد الحدث عن الشيء بعد الشيء ، ويستخير
الخبر في كل موضع من تلك المواضع ويتبعه ، ويخلط الجسد بالمزاج
وانتطايب بكلامه ، والأخبار تنجر اليه وتتساقط عليه ، والقطع تجمعه وهو
يملا تلك المخلات فلما فرغ من هذا أقبل راجعاً يريد الباب فلما بلغه
قبضت عليه فأدخلته بيتاً وأغلقت عليه وجلست على بابه ، فلما خلا الوزير
أعلمته . فقال : أحضر لي الرجل .

وفي رواية أخرى أنه لما بلغ الباب تبعته فرجع حتى جاء إلى موضع
من الخلد فدخل إليه ووقعت انتظره فإذا هو بعد ساعة قد خرج بثياب
حسان ماشياً بغير قلبية فتبعته حتى جاء إلى دار قرب دار الخادم الموكل
بمحافظة دار ابن طاهر فدخلها . فسألت عنها فقالوا : هذه دار فلان الهاشمي
رجل متجمل فرصدته إلى وقت المغرب ، فجاء خادم من دار ابن طاهر
فدق الباب فكلمه من خوخة له فصاح اليه ورعى اليه برقعة لطيفة فأخذها
الخادم وانصرف . فحنت فطلبت من الوزير غلمانا فسلم إلى ما طلبت فبكرت
من سحر إلى الدار التي في الخلد فإذا أنا بالرجل قد جاء بزيه الذي دخل به
داره بقرب دار ابن طاهر فكبسته في الموضع ، فإذا هو قد نزع تلك
الثياب ولبس ثياب المكدين التي رأيته عليها أولاً فحملته وغطيت وجهه

وكنتم أمره حتى أدخلته دار القاسم ودخلت إليه وقصصت عليه الخبر .
قال : فقوض القاسم شغله وخلأ واستدعاه . فقال : لتصدقني عن أمرك
أولا ترى ضوء الدنيا ، ولا تخرج من هذه الحجرة والله أبدا . قال تؤمنني ؟
قال : أنت آمن . فنهض لاقبلته به فتجبر القاسم وقال الرجل أنا أخبرك
أما فلان بن فلان الهاشمي رجل متجمل ، وأنا أخبر عليك للمعتضد منذ
كذا وكذا فأنزل بدر بن يعقوب بقرب دار ابن طاهر يجرى على المعتضد
خمسین ديناراً في الشهر ، وأخرج كل يوم بالزى الذي لا ينكره جيرانى
فأدخل داراً في الخلد يبدى منها بيت بأجرة فيظن أهلها أنى منهم ولا ينكرونى
للزى ، فأخرج من هناك بهذه الثياب وأتزامن من الموضع وألبس الحية
فوق الحيتى مخالمة للونى حتى إن لقينى في الطريق بالاتفاق بعض من يعرفنى
أنكرنى ، وأمشى زحماً من الخلد إلى دارك فأعمل جميع ما عرفت وأقتنى
أخبارك من غلمانك وهم لا يعرفون غرضى . ويخرجون إلى بالاسترسال مالو
بذل لهم فيه من الأموال لم يظهره ، ثم أخرج فأجىء إلى موضع من الخلد فأغير
ثيابى وأعطى ذلك الذى قد اجتمع معى في المخلات للسكدين وألبس ثيابى التى
يعرفونى بها جيرانى وأعود إلى منزلى وآكل وأشرب وألعب بقيت يومى ،
فاذا جاء المغرب جاءنى خادم من خدم دار ابن طاهر مندوب لهذا فأرمى
إليه من روزنة لى برقعة فيها خبر ذلك اليوم ولا افتح له بابا ، فإذا كان
بعد تسعة وعشرين يوماً جاءنى الخادم فأنزل إليه فأعطيه رقعة ذلك اليوم
ويعطينى جائزة ذلك الشهر ، ولولا أنى لم أر صاحب خبرك ولا فطنت له
لما تم على هذا . ولو كنت لحظته لحظة واحدة لما خفى على أنه صاحب خبر
ولسكنت رجعت من الموضع الذى أراه فيه فلا يعرف خبرى وبعد ذلك
فانما تم على هذا لأن أجلى قد حضر فالله الله فى دى . قال فاصدقنى عما رفعته
عنى إلى المعتضد ؟ قال فحدثه بأشياء رفعها منها خبر الثياب المصبغات . قال :
فحبسه القاسم أياماً وأخفى أمره وأنفذنى إلى منزله وقال راع أمرهم وانظر
ما يجرى فضيت إلى داره اتى وصفها بدر بن يعقوب فجلست إلى المغرب فجاء
الخادم فصاح به فقالت له الجارية ما رجعت اليوم ولم يكن له بهذا عادة قط ،

وقد قامت قيامتنا والله . فانصرف الخادم وانصرفت وحدثت من غد وقت المغرب وجاء الخادم فقالت الجارية : ما جاء اليوم أبداً وقد والله اشتد همتنا وأشفقنا أن يكون قد حدثت عليه حادثة لانعرفها . فانصرف الخادم وانصرفت وعدت من غد وعاد الغلام فقالوا له : يا هذا قد والله يئسنا منه ولا شك في أنه هلك والمآتم قد أقيمت عليه في منزل أمه وعمومته فانصرف الخادم وجئت إلى القاسم بالخبر . فلمسا كان من الغد ركب القاسم إلى المعتضد فحين رآه استدعاه وساره وقال : ابراهيم الهاشمي المتزامن بمحياتي أطلقه وأحسن اليه وأنت بآمن بعدما من أن أنصب عليك صاحب خبر ، والله لئن أحدثت به حادثة لاعرفت في دمه أحداً غيرك . فقبل الأرض وانصرف فعاد إلى داره وحمد الله تعالى إذ لم يعجل بقتله وأخبرنا الخبر وأحضر الهاشمي وخلع عليه ووصله بهال له قدر وصرفه وانقطعت أخباره عن المعتضد . حدثنا أبو الحسن أحمد ابن يوسف بن يعقوب بن اسحق ابن البهلول التتوخي بالإسناد عن أبي القاسم حميد الله بن سليمان وهو وزير في يوم من أيام جلوسه للمظالم إذ وقعت في يده رقعة فقرأها وتوقف ساعة كالمنكر ثم قال : أين عمر بن محمد بن عبد الملك ؟ فأدخل عليه . فقال : أنت عمر ؟ قال : نعم أعز الله الوزير أنا عمر بن محمد بن عبد الملك الزيات . قال فتوقف أيضا ساعة ثم قام إلى خلوة له ولم يطل وعاد إلى موضعه فوقع لعمر بن محمد بجائزة ولم يزل كالمنكر إلى أن تفرق الناس وخلا المجلس من يحتشم فقال لنا : وقنتم على خبر هذا الرجل ؟ قلنا قد وقننا على ما كان من الوزير أعزه الله في أمره ولم نقف على السبب . فقال : أحدثكم بحديثه فإنه طريف ، حدثني أبي أبو أيوب رحمه الله تعالى قال : كنت في يدي محمد ابن عبد الملك الزيات يطالبني وأنا منكوب . وكان : يحضرني كل يوم بغير سبب ولا مطالبة وأنا في قيودي وعلى جبة صوف ، وكان أخى الحسن يكتب بين يديه ولم يكن يتهيا له في أمرى شيء إلا أنه كان إذا رآني استقبلني ، فإذا رجعت إلى موضعي شيعني إذ أقبل في يوم خادم لمحمد ومعه ولد صغير فوثب كل من في المجلس إلى الصبي يقبلونه ويدعون له سواي فكنت مشغولا

بنفسى فلم أتحرك فأخذه محمد وضعه اليه وقال ياسليمان : لم لا تفعل بهذا الصبي كما فعله أهل المجلس ؟ قلت : اشتغلنى عن ذلك ما أنا فيه . قال : لا ولكنك لم تطلق ذلك عداوة لأبيه وله وكأنى بك وقد ذكرت عبيد الله فأملت فيه الآمال والله لا رأيت فيه شيئاً تؤمله ، وأشرف بعد ذلك فى الاستماع فعلمت أنه قد بغى ووثقت من الله عز وجل بحميل عادته وأنه سيبلغنى ما آمله فيه عناداً لبغيه . قال : ولم يمض إلا مدة يسيرة حتى سخط المتوكل على محمد بن عبد الملك وقلدنى مناظرته وإحصاء متاعه فوافيت داره فرأيت ذلك الخادم بعينه ودمه الصبي يبكى . فقلت ما خبر هذا الصبي ؟ فقال : قد منع من كل ماله وأدخل فى الإحصاء فقلت : لا بأس عليه ، فدخلت فسليت اليه كل ما كان له ثم قال لى : فينبغى يا بنى إن تهيات لك جال ورأيت الصبي وهو عمر بن محمد أن تحسن اليه وتقابل نعمة الله تعالى فيه بما يجب لها ، فلما رأيت فى هذا الوقت تذكرت ما قاله أبو أيوب رحمه الله تعالى فامتثلت فيه ما أشار به وأنا أتقدم بعد الذى فعلته به إلى أبى الحسين بنصرينه ، وكانت لعمر خرجة قويت بها حاله عند أبى الحسين إلى أن استخلفه فى دار أبى النجم مدبراً بين يديه ، وقد ذكر محمد بن عبدوس فى كتابه « كتاب الوزراء » أنه وجد بخط ميمون ابن هارون عن أبى محمد داود بن الجراح وقد وقع إلى من وجهه آخر على خلاف ذلك بإسناده عن جماعة قالوا كاهم : حضرننا مجلس عبيد الله بن سليمان فى أول وزارته للمعتضد وقد حضر رجل رث الهيئة بثياب غلاظ فعرض عليه رقعة ، وكان جالساً للبظالم فقرأها قراءة متناول لها متذكر فتعجب ثم قال : نعم وكرامة ثلاث مرات أفعل ما قال أبى لا ما قال أبوك ، وكرر هذا القول أيضاً ثلاث مرات ثم قال له : عدالى وقت العصر لأنظر فى أمرك . ثم قال لنا : إذا خلوت فذكرونى بحديث هذا لأخبركم منه بعجب عجيب وعمل بقية المجلس ثم قام واستراح ودعا بالطعام فلما أكلم أكثر الأكل قال لنا : ما أراكم ذكرتمونى بحديث صاحب الرقعة ؟ فقلنا أسيما . فقال : حدثنى أبى قال : كنت فى زمن محمد بن عبد الملك فى أيام الوائى لما صادرنى عن كتابة إيساخ

على أربعمائة ألف دينار ، وقد أدبت منها مائتي ألف ونيفاً وأربعين ألف دينار فاستحضرني يوماً وطالبني بالباقي وحدني فيه وأرهبني ولم يرض مني إلا إن أجبت أن أؤدى خمسين ألف دينار قاطعة للصادرة على أن يطلق ضياعي . قال : ونحن في ذلك ولم يأخذ خطي به بعد إذ خرج اليه خادم من دار حرمة برقة فقرأها وانهض فكان بمحضرتها أخى أبو على الحسين بن وهب وهو غالب عليه إلا أنه يخافه أن يتكلم في أمرى وهو يرى مايجرى ولا يقدر أن يكلمنى ولا يكلمه ، فلما قام الوزير رمى إلى أخى برقة لطيفة فوقع في حجرى فاذا فيها : جاءنى الخبر الساعة من دارك ان قد رزقت ابناً خلقاً سوياً وهو جسم بغير اسم فأتعجب أن يسمى ويكنى ؟ فقلت له : عبيد الله أبو القاسم . فكتب بذلك فى الحال إلى منزلى قال : وتداخلنى سرور بذلك وقوة نفس وحدت نفسى بأنك تعيش وتبلغ وانتع بك قال : وعاد محمد إلى مجلسه فأعاد خطابى فلم أستجب له وأخذت أدافع . فقال لى يا أبا أيوب : ما ورد عليك بعدى ، أرى عينيك ونفسك ووجهك بخلاف ما خلعتك منذ ساعة . فقلت ما ورد على شىء . فقال : والله إن لم تصدقنى لأفعلن وأصنعن . فقلت ما عندى ما أصدق عنه . فأقبل على أخى فقال لتخبرنى بشأنه نخافه أخى فصدقته عن الصورة فسكن وقال له : أتعرف لأى شىء قت أنا ؟ فقال : لا . قال كوثبت بأن ولداً ذكراً سوياً قد ولد لى فدخلت فرأيت وأسميته باسم أبى وكنيته بأبى مروان . قال سليمان : فقامت اليه وقبلت يديه ورجليه وهنأته وقلت : أيها الوزير هذا يوم مبارك وقد رزقت ابناً فارحني ، وارع سالف خدمتى لك ، واجعل ابنى موسوماً بخدمة ابنك ، يسلم معه فى المكتب ، ويتعلمان ويلبسان ويلبسان فى دولتك ، فيكون كاتباً له لحملته اللدادة والقسوة التى فيه إلى أن قال يا أبا أيوب : أعلى تجوزنى وتستفز وتختال قد حدثتك نفسك بأن ابنك هذا يبلغ المبالغ ، وتؤمل له الوزارة ؟ ورجوت فى نوائب الزمان وقلت : أرجو أن يحتاج ابنه إلى ابنى حتى يطلب منه الإحسان والفضل . فإذا استحلحك بالله وأخرج عليك ان بلغ ابنك هذا المبلغ الا (٨ - الفرج - أول)

وصيته أن جاءه ابني لشيء من هذا أن لا يحسن اليه . قال فأعظمت الخطاب وتنصلت واعتذرت ووقع في قلبي في الحال أن هذا غاية البغي ، فإن الله عز وجل سيخرج ابنه إلى ابني فيحقق فيهما ما قاله وظننته وما مضت إلا مدة مديدة حتى فرج الله عني ، ثم قال لي أبي يابني : بالله إن رفعك الله والزمان ووضع ابنه حتى يحتاج اليك إلا أحسنت اليه قال : وضرب الدهر مضربه فما عرفت لأبي مروان خبراً حتى رأيته اليوم فكان ما شاهدتم ، ثم أمر بطلب أبي مروان فأحضر فوهب له مالا وخلع عليه وجمله ، وقلده ديوان البريد والخرايط ، قال أبو الحسين : فما زال يتقلده منذ ذلك الوقت إلى آخر وزارة ابن الفرات الثالثة فإنه مات فيها وقد تقلده ثلاثين سنة أو أكثر . وكان : كتب إلى عبيد الله أول ما كاتبه بعد تقلده هذا الديوان : عبد الوزير وخادمه عبد الملك بن محمد ، فأراد عبيد الله أن يتكرم عليه . فقال له أنت على كل حال ابن وزير وما أحب أن تتعبد لي ، فاكتب اسمك فقط على الكتب فقال : لا تسمح نفسي بهذا ولكني أكتب عبد الملك بن محمد عبد الوزير وخادمه فقال : اكتب . فكتب بذلك فصارت عادة فكتب بها إلى جميع الوزراء إلى أن مات في وزارة ابن الفرات الثالثة فصار كالترتب عليهم بما عامله من ذلك عبيد الله وغلب عليه أن عرف بأبي مروان الخرايطي ونسي نفسه إلى ابن الزيات إلا من كان يعرفه من الكتاب وغيرهم أخبرني بذلك جماعة من الشيوخ .

ووجدت في بعض الكتب بغير إسناد أن عبيد الله بن زياد لما بنى داره البيضاء بالبصرة بعد قتل الحسين رضي الله عنه صور في بابها رؤساً مقطعة ، وصور في دهليزها أسداً وكلباً وكبشاً ، وقال : أسد كالح ، وكبش ناطح ، وكلب نائم ، فر بالباب أعرابي فقال : أما إن صاحبها لا يسكنها إلا ليلة لا يتم . فرفع الخبر إلى ابن زياد فأمر بالأعرابي فضرب وحبس ، فما أمسى حتى قدم رسول ابن الزبير إلى قيس بن السكن ووجوه أهل البصرة في أخذ البيعة له ودعا الناس إلى طاعته فأجابوه وأرسل بعضهم بعضاً

بالوثوب عليه من ليلتهم ، وأنذره قوم منهم كانت له عندهم صنائع فهرب من داره في ليلته تلك فأجاروه ووقعت الحروب المشهورة بينهم وبين تميم بسببه حتى أخرجوه فألحقوه بالشام وكسر الحبس فخرج الأعرابي ولم يعد ابن زياد إلى داره وقتل في وقعة الجازر . حدثني القاضي محمد بن عبد الواحد الهاشمي قال : سمعت ابن عمرو الغنوي يقول : لما أسرنى أبو سعيد الجنابي القرمطي وكسر العسكر الذي كان أنفذه معي المعتضد بالله لقتاله وحصلت في يده أسيراً آيست من الحياة فأنا يوم على تلك الصورة إذ جاءني رسوله فأخذ قيودي ، وغير ثيابي وأدخلني إليه فسلبت وجلست فقال لي : أتدري لم أستدعيك ؟ قلت : لا . قال : أنت رجل عربي ومن المحال أن أستودعك أمانة أن تحقرها ولا سيما مني عليك بنفسك . فقلت : هو كذلك . قال : إني فكرت فإذا لا طائل في قتلك ، وإذا في نفسي رسالة إلى المعتضد لا يجوز أن يؤديها غيرك فرأيت إطلاقك وتحميلك إياها فان حللت لي أن تؤديها سيرتك إليه ؟ فخلفت فقال : تقول للمعتضد يا هذا : لم تحرق هيبتك وتقتل رجالك وتطمع أعداءك في نفسك وتتعبد في طلبي وإفاد الجيش إلى وأنا رجل مقيم في فلاة لا زرع عندي ولا ضرع ، ولا غلة ولا بلد ، وإنما أنا قد رضيت لنفسي بخشونة العيش والأمن على المهجة والعز بأطراف هذه الرماح . وما اغتصبتك بلداً كان في يدك ، ولا أزلت سلطانك عن عمل جليل ومع هذا فوالله لو أنفذت إلى جيشاً من الجيوش مع الثلج والريح والندى فيجيثون من المسافة البعيدة والطريق الشاق وقد قتلهم السفر وقبل قتالنا فأنما غرضهم أن يبدوا عذراً في موافقتنا ساعة ثم يهربون ، فان ثبتوا مع ملحقهم من وعناء السفر ، وشدة الجهد التي هي أكثر أعوان عليهم فما هو إلا أن أخفق عليهم حتى انهزموا وكثر ما تقدر عليه أن يمحيطوا فيستريحوا ويقيموا ، ويكونوا عدة لا قبل لي بهم فيهمزوني إذا قاتلوني لا يقدر جيشك على أكثر من ذلك . فما هو إلا أن انهزم حتى قد بعدت عن هذا الموضع عشرين فرسخاً أو ثلاثين ، وحولت من الصحراء شهراً أو اثنين ثم أكبهم على غرة فقتلت جميعهم ، ولو لم يستولي هذا وكانوا متحرزين

فما يمكنهم الطواف خلفي في البراري فلا ينبغي طلب في الصحاري ، ثم لا يحملهم البلد في المقام ولا الزاد إن كانوا كثيرين فإن انصرف الجمهور وبقي الأقل فهم قتل سيوف أول يوم ينصرف الجيش ويبقى من يتخلف . هذا إن سلموا من وباء هذا البلد ورداءة مائه وهوائه للذين نشروا في ضده ، وربوا في غيره ، ولا عادة لأجسامهم بالصبر عليه ، فمكر في هذا وانظر : هل بقي تعبك وتغريك بجيشك وعسكرك ، وانفاقك الأموال وتجهيزك الرجال ، وتكلفتك هذه الأخطار ، وتحملك هذه المشاق لطلبي ، وأنا مع ذلك خالي الدرع منها ، سليم النفس والأصحاب من جميعها ، وهيبتك تنقص في الأطراف وعند ملوكها كلها جرى عليك شيء من هذا ، ثم لا تظفرون بلدى بطائل ، ولا تصل منه إلى مال أو حال ، فإن اخترت بعد هذا محاربتى فاستخر الله تعالى وانفذ من شئت ، وإن أمسكت فذاك إليك . قال : فأنفذني ثم جهزني وأنفذ معي عشرة من أصحابه إلى الكوفة فسرت منها إلى الحضرة ، فدخلت على المعتضد فتعجب من سلامتي وسألني عنها فقلت : سبب أذكره مرأ لأمر المؤمنين فتشوق اليه وخلا بي وسألني فقصصت عليه القصة فرأيته يتمعظ في جلده غيظاً ، حتى ظننت أنه سيسير بنفسه اليه وخرجت من بين يديه فما رأيته بعد ذلك ذكره بحرف .

✽ ✽ ✽

حدثني أبو محمد يحيى بن محمد بن سليمان بن فهد الأزدي الموصلی رحمه الله تعالى قال : حدثني جماعة من ثقة أهل الموصل : ان فاطمة بنت أحمد بن علي الكردي زوجة ناصر الدولة أم أبي تغلب اتهمت عاملاً كان لها يقال له ابن أبي قبيصة من أهل الموصل بخيانة في مالها ، فقبضت عليه وحبسته في قلعتها ، ثم رأت أن تقتله فكتبت إلى المتوكل بالقلعة بقتله ، فورد عليه الكتاب وكان لا يحسن أن يقرأ ولا يكتب وليس عنده من يقرأ ويكتب إلا ابن أبر قبيصة فدفع المتوكل بالقلعة الكتاب اليه وقال له : اقرأ فلما رأى فيه الأمر بقتله قرأ الكتاب بأسره إلا حديث القتل ورد الكتاب عليه وقال ابن

أبى قبيصة : ففكرت وقلت أنا مقتول ولا آمن أن يرد كتاب آخر في هذا المعنى ويتفق حضور من يقرأه غيرى فينفذ الأمر في سبيل أن أحتال عليه بحيلة فإن تمت سلمت ، وإن لم تتم فليس يلحقنى أكثر من القتل الذى أنا حاصل فيه ، فتأملت القلعة فإذا فيها موضع يمكن أن أطرح نفسى منه إلى أسفل إلا أن بينه وبين الأرض أكثر من ثلاثة آلاف ذراع ، وفيه صخر لا يجوز أن يسلم معه من يقع عليه قال : فلم أجسر ثم ولد لى الفكر أنى تأملت الثلج قد سقط عدة ليال قطعا فغطى تلك الصخور فصار فوقها أمر عظيم يجوز أن سقطت عليه وفى أجلى تأخير أن ينكسر بعض بدنى وأسلم قال : وكنت مقيدا فقامت لما نام الناس فطرحت نفسى من الموضع قائما على رجلى فخينا حصلت فى الهواء ندمت وأقبلت أستغفر الله ، وأتشهد وغمضت عيني حتى لا أرى كيف أموت وجمعت رجلى بعض الجمع ، لأنى كنت سمعت قديما أن من اتفق عليه أن يسقط قائما من مكان عال إذا جمع رجله ، ثم أرسلها إذا بقى بينه وبين الأرض قدر ذراع أو أكثر قليلا أن يسلم وينكسر حديد السقطة ويصير كأنه بمنزلة من سقط من ذراعين . قال : ففعلت ذلك فلما سقطت إلى الأرض ذهب عني أمرى وزال عقلى ثم آب إلى فلم أجد ما كان ينبغى أن يلحقنى من ألم السقوط من ذلك الموضع فأقبلت أجس أعضائى شيئا فشيئا فأجدها سالمة وقت وقعت وحركت يدى ورجلى فوجدت ذلك كله سالما ، فحمدت الله تعالى على تلك الحال ، وأخذت صخرة وكان الحديد الذى قد صار فى رجلى كالزجاج لشدة البرد . قال : فضربته ضربا شديدا فانكسر فطن حتى ظننت أنه سيسمعه من فى القلعة لعظمه فينتهبون الى فسلم الله عز وجل من هذا أيضا ، وقطعت تسكتى وشدت يعضها القيد على ساقى وقت أمشى فى الثلج فشيت طويلا ثم خفت أن يروا آثارى من غد فى الثلج على المحجة فيتبعونى فلا أفوتهم فعدلت عن المحجة الى نهر يقال له الخابور ، فلما وصلت اليه وصرت على شاطئه نزلت فى الماء الى ركبتى وأقبلت أمشى كذلك فرسخت حتى انقطع أنرى ، ثم خرجت لما كادت أطرافى

تسقط من البرد فضيت على شاطئه ثم عدلت أمشي فيه وربما حصلت في موضع لأقدر على المشي فيه لأنه يكون جرفاً فأصبح ، واستمررت على ذلك أربعة فراسخ حتى حصلت في خيم فيها أقوام فأنكروني وهموا بي فاذا هم أكراد . فقصص عليهم قصتي واستجرت بهم فرحموني ، وأوقدوا بين يدي وأطعموني وستروني وانتهى الطلب من غد إليهم فما أعطوا خبري أحداً ، فلما انقطع الطلب سيروني حتى دخلت الموصل مستتراً ، وكان ناصر الدولة ببغداد إذ ذاك فأنحدرت إليه وأخبرته بخبري كله فعصمني من زوجته وأحسن إلي وصرفتني .

* * *

حدثني أبو علي بن عبيد الله الحسين بن عبد الله الجصاص الجوهري ، قال : سمعت أبي يحدث قال : لما نكبتني المقتدر وأخذ مني تلك الأموال العظيمة أصبحت يوماً في الحبس آيساً من الفرج فجاءني خادم ، فقال : البشري . فقلت : ما الخبر ؟ قال : قم قد أطلقت . فقممت معه فاجتاز بي في بعض طرق دور الخليفة يريد لإخراجي إلى دار السيدة لتكون هي التي تطلقني لأنها هي التي شفعت في ، فوقعت عيني في اجتيازي على أعدال خيش لي أعرفها كان مبلغها مائة عدل . فقلت للخادم : أليس هذا من الخيش الذي حمل من داري ؟ فقال : بلى . فتأملته فإذا هو بشده وعلاماته وكانت هذه أعدالا قد حملت إلى من مصر كل عدل منها فيه ألف دينار من مال كان لي هناك كتبت بحمله فخافوا عليه من الطريق فجعلوه في أعدال الخيش لأنها لما لا تكاد أن ينهبه اللصوص وإن وقعوا به لا يفتنون لما فيه فوصلت سالمة ، ولا استغناني عنها وعن المال لم أخرجه من الأعدال وتركته بحاله في بيت في داري وأقنلت عليه وتوخيت بذلك أيضاً سر حديثه فتركته شهوراً على حاله لأنقله كما أريد في أي وقت أرى ، ولما حبست أخذ الخيش في جملة ما أخذ من داري ، ولخسته عندهم تهاونوا به ولم يعرف أحده ما فيه فطرح في تلك الدار ، فلما رأته عندهم بشده طمعت في خلاصه والحيلة في إرجاعه فسكت .

فلما كان بعد أيام من خروجي راسلت السيدة وشكوت حالي إليها وسألتهما أن تدفع إلى ذلك الخيش لأنه لا قدر له عندهم وأنا أنتفع بشفته . قال : فاستحمتني وقالت : وأى قدر لهذا الخيش رده عليه . فسلم إلى بأسره ففتحته وأخذت منه المائة ألف دينار وماضاع منها دينار واحد ، وأخذت من الخيش ما احتجت إليه وبعث باقيه بجملة وافرة وقلت في نفسي إنه قد بقيت لي بقية اقبال جيدة .

حدثني علي بن هشام ، قال : سمعت حامد بن العباس يقول : ربما انتفع الإنسان في نكبته بالرجل الصغير أكثر من منفعته بالكبير ، فمن ذلك : ان إسماعيل بن بلبل لما حبسني جعلني في يد بواب كان يخدمه قديماً (قال) : وكان رجلاً حراً فأحسن إلي به وبررته فكنت أعتمد على عناية أبي العباس ابن الفرات وكان ذلك البواب لقدم خدمته لإسماعيل يدخل إلى مجالسه الخاصة ويقف بين يديه لا ينكر ذلك عليه لسالف الصعوبة ، فصار إلى في بعض الليالي وقال : قد حرد الوزير على ابن الفرات بسبيك وقال له : ما يكسر المال على حامد غيرك ، ولا بد من الجد في مطالبته بياقي مصادرتة ، وسيدعو بك الوزير في غد إلى حضرته ويهددك ، فشغل ذلك قلبي . فقلت له : فهل عندك من رأى ؟ فقال : تكتب رقعة إلى رجل من معامليك تعرف شئاً ، وضيق نفسه فتلتمس منه لعيالك ألف درهم يقرضك إياها وتسأله أن يجيبك على رقعتك ، فإن الشحة توجب أن يردك بعذر وتحفظ على الرقعة فإذا طالبك الوزير تخرجها على غير مواطاة وتقول : قد أفضت حالي إلى هذا فلعل ذلك ينفعك . ففعلت ما قال وجاءني الجواب بالرد كما خنا وشدت الرقعة معي فلما كان من الغد أخرجني الوزير وطالبني فأخرجت الرقعة إليه وأقرأته إياها ورقعته وكلبته فلان واستحى ، وكان ذلك سبب خنة أمرى وزوال محنتي فلما تقلدت في أيام عبيد الله بن سليمان سألت عن البواب وجذبتة إلى خدمتي فكنت أجرى عليه خمسين ديناراً في كل سنة وهو ماق إلى الآن أخرني

أبو الفرج علي بن الحسين المعروف بالأصفهاني ، بالسناد عن محمد بن أبي العتاهية ، قال : حدثني أبي قال : لما امتنعت من قول الشعر وتركته أمر المهدي بحبسي في السجن سجن الجرائم فأخرجت من بين يديه إلى الحبس فلما دخلته استوحشت ودهشت وذهل عقلي ورأيت منظرًا هائلًا ورميت بطرفي أطلب موضعاً آوى فيه أوجلاً آنس بمجالسته فإذا أنا بكهل حسن السميت نظيف الثياب يبين عليه سيما الخير فقصدته وجلست إليه من غير أن أسلم عليه وأسأله عن شيء من أمره لما أنا فيه من الجرع والخيرة فكثت كذلك ملياً وأنا مطرق مفكر في حالي فأنشد الرجل :

تعودت مس الضر حتى لقيته وأسلمني حسن العزاء إلى الصبر
وصيرني يأمي من الناس واثقاً بحسن صليح الله من حيث لا أدري

قال فاستحسن البيتين وتبركت بهما وثاب إلى عقلي فأقبلت على الرجل وقلت له : تفضل أعزك الله بإعادة هذين البيتين . فقال لي : ويحك يا إسماعيل ولم لم تكني ما أسوأ أدبك وأقل عقلك ومرؤتك ، دخلت ولم تسلم تسليم المسلم على المسلم ، ولا توجعت لي توجع المبتلى للمبتلى ، ولا سألتني سؤال الوارد على المقيم حتى إذا سمعت بيتين من الشعر لم يجعل الله عز وجل فيك خيراً ، ولا أدباً ولا جعل لك معاشاً غيره لم تتذكر ما سلف منك فتتلافاه ، ولا اعتذرت بما قدمت وأفرطت فيه من الحق حتى استلشدتني مبتدئاً كأن بيننا انسا قديماً أو صحبة تبسط المنتقبض فقلت له : فاعذرني متفضلاً فان دون ما أنا فيه يدهش : قال : وفي أي شيء أنت ؟ إنما تركت قول الشعر الذي كان جاهلك عندهم وسبيلك اليهم فحبسوك حتى تقوله وأنت لا بد أن تقوله فتطلق ، وأنا يدعي بي الساعة فأطالب باحضار عيسى بن زيد بن رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن دلت عليه فقتل لقيت الله عز وجل بدمه ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم خصمي فيه وإلا قتلت . فأنا أولى بالخيرة منك . وأنت ترى احتسابي وصبري . فقلت : يكفيك الله عز وجل . وأطرقت وجهي خجلاً منه فقال لي : لا أجمع عليك انتوبيخ والمنع اسمع البيتين واحفظهما

فأعادهما على مراراً حتى حفظتهما ثم دعى به وبى فلما وقف بين يدي المهدي قال له : أين عيسى بن زيد ؟ قال : ما يدري أين عيسى بن زيد طلبته وأخفته فهرب منك في البلاد ، فأخذتني وحبستني فمن أين أقف على موضع هارب منك وأنا محبوس ؟ قال له : فأين كان متوارياً ومتى آخر عهدك به وعند من لقيته ؟ فقال ما لقيته منذ توارى ولا أعرف له خبراً . قال : والله لتدلي علي به أو لأطرين عنقك الساعة ؟ قال : اصنع ما بدالك أنا أدلك على ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم لتقتله فألقى الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم يطالباني بدمه ١٩ والله لو كان بين ثوبي وجلدي ما كشفت لك عنه . فقال اضربوا عنقه . ثم دعاني فقال : أتقول الشعر أو ألحقك به ؟ قلت : بل أقوله . قال : فاطلقوه . قال محمد بن القاسم بن مهرويه والبيتان اللذان سمعهما لا يحضرني الآن من هما من شعره . قال القاضي أبو علي : وأنشدني بعض أصحابنا معهما بيتاً آخر زيادة .

إذا أنا لم أقنع من الدهر بالذي تكررته منه طال عتبي على الدهر

* * *

وجدت في كتاب أعطانيه أبو الحسين عبد العزيز بن إبراهيم صاحب النعمان وهو يومئذ كاتب الوزير أبو محمد الملهي على ديوان السواد وذكري : أنه نسخه من كتاب أعطاه إياه أبو الحسين عبد الواحد بن محمد الحصيني وكان فيه إصلاحات بخط أبي الحسين بن مايداد ، قال أبو الحسين علي بن الحسين بن عبد الاسكافي : كان داود كاتب أم جعفر قد حبس وكيلا لها وجب عليه في حسابه مائة ألف درهم فكتب الوكيل إلى عيسى بن فلان ، وسهل بن الصباح وكانا صديقين له بخبره فسارا ليتكلماه فلقيهما الفقيض بن صالح فسألها عن خبرهما فأخبراه ، فقال : أتجهان أن أكون معكما ؟ قال : نعم . فصاروا إلى داود فكلموه في إطلاق الرجل . فقال : أكتب إلى أم جعفر فكتب إليها يعلمها خبر القوم وحضورهم ومسألتهم في الوكيل فوقع في الرقة أن يعرفهم ماوجب لها عليه من المال ، ويعلمهم أن لا سبيل إلى إطلاقه

دون أداء المال فأقرهم داود التوقيع واعتذر اليهم : فقال عيسى ، وسهل بن الصباح : قد قضينا حق الرجل فقد أبت أم جعفر أن تطلقه إلا بالمال فقوموا ننصرف فقال لهما الفيض بن صالح : كأنا إنما جئنا لنؤكد حبس الرجل ؟ قالاه : فماذا تصنع ؟ قال : نؤدى عنه المال . قال : ثم أخذ الدواة فكتب إلى وكيله في حل ما على الرجل كتاباً دفعه إلى داود كاتب أم جعفر وقال : قد أجزنا في المال فادفع إلينا صاحبنا . قال : لاسبيل إلى ذلك حتى أعرفها الخبر . قال فكتب إليها بالخبر فوقعت في رقعة أنا أولى بالمكرمة من الفيض ابن صالح فاردد عليه كتابه بالمال ، وادفع إليه الرجل وقل له : لا يعاود مثل ما كان منه ، قال : ولم يكن الفيض يعرف الرجل وإنما ساعد عيسى وسهلا على الكلام في أمره .

أخبرني أبو الفرج علي بن الحسين المعروف بالأصفهاني بالإسناد أنه لما كان أعشى همدان أبو المصبح من أغزاه الحجاج بلد الديلم ونواحي دسقي فأسر فلم يزل أسيراً في أيدي الديلم ، ثم أن بليت العليج الذي كان أمره هوته وصارت إليه ليلاً ومكنته من نفسها فأصبح وقد واقعها ثمانى مرات . فقالت له الديلية : يا معشر المسلمين أهكذا تفعلون بنساءكم ؟ فقال لها هكذا نفعل كلنا . فقالت له بهذا العمل نصرتم . أرايت إن خلاصتك تصطفيني لنفسك ، قال لها : نعم ، وعاهدها فلما كان من الليل حلت قيوده وأخذت به طريقاً تعرفها حتى خلصته فقال شاعر من أسراء المسلمين :

فمن كان يفديه من الأسر ماله فهمدان يفديها الغداة أيورها

وقال الأعشى يذكر ما لحقه من أسر الديلم :

لمن الظعائن سيرهن ترجف عزم السفين إذا تقاعس يحدف

وذكر أبو الفرج القصيدة وهي طويلة اخترت منها ما يتعلق بالفرج بعد

الشدة وهي قوله :

أصبحت رهناً للعداة مكـلاً أمسى وأصبح في الأدام أرسف

ولقد أراني قبل ذلك ناعماً جذلان آبي ان أضام وأنف
 واستنكرت ساقى الوثاق وساعدى وأنا امرؤ بادی الاشاجع أعجف
 وأضامنى قوم وكنت أضيهم فالآن أصبر للزمان وأعرف
 وإذا تصبك من الحوادث نكبة فاصبر لها فلعلها تتكشف
 وذكر أبو عبدالله بن عبدوس في كتاب الوزراء : أن نجاح بن سلمة حبس
 ابراهيم بن المدبر مكيدة لأخيه وذلك في أيام المتوكل ، فلما طال حبس
 ابراهيم ولم يجد حيلة في الخلاص عمل أبياتاً أنفذاها إلى المشدود الطنبورى
 وسأله أن يعمل فيها لحناً ويغنى بها المتوكل فاذا سأل عن قائلها عرفه أنها له .
 ففعل المشدود ذلك وسأله المتوكل فقال لعبدك ابراهيم بن المدبر فذكره فأمر
 بإطلاقه والأبيات هي :

بأبى من بات عندى طارقاً من غير وعدى
 بات يشكو شدة الشوق واشكوفرط وجدى
 وتجننى فبكى فانهل دره فوق وردى
 قيد تحت يد طو را وخذ فوق خدى

وذكر أيضاً أن اسحاق بن سعيد ، قال : حدثني أبو عبدالله محمد بن عيسى
 المروذى صاحب يحيى بن خاقان عنه ، قال : كان المأمون ألزمنى خمسة
 آلاف ألف درهم فأعلمته أنى لا أملك إلا سبعمائة ألف درهم وحلفت
 على ذلك أيماً مغلظة اجتهدت فيها فلم يقبل منى وحبسنى عند أحمد بن هشام
 وكان بينى وبينه شر قد شهر وعرف وكان يتقلد الحرس فقال أحمد للبوكاين
 بنى : احفظوا واحذروا أن يسم نفسه . ففطن المأمون لمراذه . فقال له
 يا أحمد : لا يأكل يحيى بن خاقان إلا ما يوتى به من منزله ، قال : فأقمت على
 ذلك ووجه إلى فرج الرجعى بألف ألف درهم ، ووجه إلى الحسن بن سهل
 بألف ألف درهم فأضفت ذلك إلى ما كان عندى حتى جمعت خمسة آلاف
 ألف درهم . فلما اجتمعت كتبت إلى المأمون بحضور المال الذى ألزمنيته فأمر

بإحضاري فدخلت عليه وبين يديه ، أحمد بن خالد ، وعمرو بن مسعدة ، وعلى ابن هشام فلما رأي قال لي : أولم تخبرني وتحلف لي أنك لا تملك إلا سبعمائة ألف درهم فمن أين لك هذا المال ؟ فصدقته عن أمره وقصصت عليه قصته . فأطرق طويلاً ثم قال : قد وهبته لك . فقال الحضور أتهب له خمسة آلاف ألف درهم وليس في بيت المال درهم وأنت محتاج إلى مادون ذلك بكثير فلو أخذته منه قرصاً وإذا جاءك مال رددته إليه ؟ فقال لهم : أنا على المال أقدر من يحيى وقد وهبته له فرددت على القوم ما كانوا حملوه إلى وتخلصت . وقال محمد بن عبدوس في كتابه « كتاب الوزراء » : أن محمد بن يزيد سعى إلى المأمون بعمر بن بهنوي فقال المأمون : يا فضل خذ عمرا إليك وقبضه وضيق عليه ليصدق عما صار إليه من مالى فقد احتاز مالا جليلاً وطالبه به فقلت : نعم . وأمرت بإحضار عمرو فأحضر فأخليت له حجرة في دارى وأقمت له ما يصلحه ، وتشاغلته عنه بأمور السلطان في يومى وغده فلما كان اليوم الثالث أرسل إلى عمرو يسألنى الدخول إليه فدخلت وأخرج إلى رقعة قد أثبت فيها كل ما يملكه من الدور والضياع والعقار والأموال والكسوة والفرش والجوهر والكراع والقماش وما يجوز بيعه من الرقيق فكان قيمة ذلك عشرين ألف ألف درهم وسألنى أن أوصل رقعته إلى المأمون وأعلمه أن عمرا قد جعله من دون ذلك في حل وسعة ، فقلت له : فإن أمير المؤمنين أكبر قدراً من أن يسلبك نعمتك عن آخرها . فقال عمرو إنه كما وصفت في كرمه ولكن الساعى لا ينأى عنى ولا عنك ، وقد بلغنى ما أمرت به في أمرى من الغلظة وقد عاملتنى بضد ذلك وقد طبخت نفساً بأن أشتري عدل أمير المؤمنين لك في أمرى ورضاه عنى بجميع مالى فلم أزل أنزله حتى وافقته على عشرة آلاف ألف درهم . فقلت هذا شطر مالك وهو صالح للفريقين وأخذت خطه بالتزام ذلك صلحاً عن جميع ما جرى على يديه وصرت إلى المأمون فوجدت محمد بن يزيد قد سبقنى إليه وإذا هو يكلمه ، فلما رأي قطع الكلام وخرج . فقال المأمون يا فضل : قلت : لبيك يا أمير المؤمنين . قال : ما هذه المرأة منك وجليلنا ؟ فقلت يا أمير المؤمنين أنا عبد طاعتك

وعرسك ، فقال : أمرتك بالتضييق على النبطي عمرو بن نهشل فقال قلت
أمرى بالزند ووسعت عليه وأقت له الإنزال ؟ فقلت يا أمير المؤمنين : إن
عمرا يطالب بأموال كثيرة عظيمة فلم آمن أن أجعل محبسه في بعض الدواوين
فيميدل ما لا يرغب في مثله فيتخلص فجعلت محبسه في دارى ، وأشرفت على
طعامه وشرابه لأحرص نفسه فإن كثيراً من الناس اختانوا السلطان وتمتعوا
بالأموال ثم طولبوا بها فاحتيل عليهم ليطنوا ويفوز بالأموال غيرهم . قال
الفضل : وإنما أردت بذلك تسكين غضب المأمون على ، ولم أعرض الرقعة
عليه بما جرى بيني وبين عمرو لاني لا آمن سوريته من ذلك الوقت لاشتداد
غضبه . فقال لي سلم عمراً إلى محمد بن يزيد . ففعلت فلم يزل يعذبه بأنواع
العذاب حتى يبدل له شيئاً فلم يفعل فلما رأى أصحابه وعماله ماقدناله جمعوا له
من بينهم ثلاثة آلاف ألف درهم وسألوا عمراً أن يبدلها لمحمد بن يزيد
فبدلها فصار محمد إلى المأمون متجهاً بها وواصل الخطب بها إلى المأمون وأما
واقف . فقال المأمون يا فضل : ألم نعلمك أن غيرك أقوم بأمرنا منك
وأطوع لما تأمر ؟ فقلت يا أمير المؤمنين : أرجو أن أكون في حال استبطاء
أمير المؤمنين أبلغ في طاعته من غيري . فقال المأمون : هذه رقعة عمرو
ابن نهشل بثلاث آلاف ألف درهم . فقلت - وما اجترأت عليه قط اجترأت
عليه ذلك اليوم - فاني أخرجت ضيافة كانت مع غلامى فأخذت الرقعة منها
مسرعاً وقلت والله لأعلمن أمير المؤمنين أنى مع رفيق أبلغ في حياطة أمواله
من غيري مع غلظته ، وأريته رقعة عمرو التي كتبها لي وحدثته بخديتى
عن آخره . فلما تبين المأمون الخطين وعلم أنهما من خط عمرو قال : ما أدري
أيكما أعجب ؟ عمرو حيث تنكر برك وطاب نفساً بالخروج من ملكه بهذا
السبب ، أم أنت ومحافظةك على أهل النعم وسترتك عليه ذلك في ذلك الوقت .
والله لا كنتما يا نبطيان باكرم منى . ودفع الرقعة التي أخذها محمد بن يزيد
من عمرو إلى وأمرني بتمزيقها وتمزيق الأولى وأمر من يسلم عمراً من مجلسه
إلى وأمرني باطلاقة فخرجت من بين يديه وفعلت ذلك .

حدثني أبو الحسين عبيد الله بن أحمد بن الحسن بن عياش الخزري البغدادي وكان خليفة أبي رحمه الله على الفتيا بسوق الإهواز بإسناده عن القاضي أبي عمرو رحمه الله قال : لما جرى من أمر عبد الله بن المعتز ما جرى حبست وما في لحيتي طاقة ببضاء ، وحبس معي أبو المثنى القاضي ، ومحمد بن داود بن الجراح في دار واحدة في ثلاثة أبيات متلاصقة ، وكان يتي في الوسط وكنا آيسين من الحياة وكنت إذا جن الليل حدثت أبا المثنى تارة ، ومحمد بن داود تارة وحدثاني من وراء الأبواب ويوصي كل واحد منا إلى صاحبه وتوقع القتل ساعة بساعة . فلما كان ذات ليلة قد أغلقت الأبواب ونام الموكلون ونحن نتحدث عن بيوتنا إذ حسنا بصوت الأقفال تفتح فارتعنا ورجع كل منا إلى صدر بيته . فما شعرت إلا وفتح الأبواب على محمد بن داود فأخرج واضجع على المذبح ، فقال يا قوم ذبحا كما تذبح الشاة ؟ أين المصادرات أين أنتم عن أموال أفندي بها نفسى على كذا وكذا . قال فما التفتوا إلى كلامه وذبحوه وأما أراه من شق الباب وقد أضاء السجن من كثرة الشموع وصار كأنه نهار ، واحتزوا رأسه فأخرجوه معهم وجردوا جثته وطرحته في بئر الدار وغلقت الأبواب (قال) : فأيقنت بالقتل وأقبلت على الصلاة والدعاء والبكاء فما مضت إلا ساعة واحدة حتى أحسست بالاقفال تفتح فعاودنى الجزع ، فإذا هم جاؤا إلى بيت أبي المثنى ففتحوه وأخرجوه وقالوا له : يقول لك أمير المؤمنين يا عدو الله ، يا فاسق بما استحلت نكث بيعتى وخلع طاعتى ؟ فقال : لا نى علمت أنه لا يصلح الإمامة . فقالوا له : إن أمير المؤمنين قد أمرنا باستنابتك من هذا الكفر فان ثبت رددناك إلى محبسك وإلا قتلناك ؟ فقال : أعوذ بالله من الكفر ما أتيت ما يوجب الكفر . قال هو يتهوس معهم بهذا الكلام وشبهه فلا يرجع عنه ، فلما آيسوا منه مضى بعضهم وعاد فظننت أنه يستتيب في الاستئذان (قال) : فأضجعوه ثم ذبحوه وأنا أراه وحملوا رأسه وطرحوا جثته في البئر (قال) : فذهب على أمرى وأقبلت على الدعاء والبكاء والتضرع إلى الله جل وعز فلما كان في وجه السحر وقد سمعت

صوت الدياب فاذا بصوت الاقفال فقلت لم يبق غيرى وأنا مقتول فاستسلمت
وفتحوا الباب عنى فأقامونى إلى الصحن وقالوا يقول لك أمير المؤمنين يا فاعل
يا صانع ما حملك على خلع يبعثى ؟ فقلت : الخطأ وشقوة الجدة وأنا نائب إلى الله
عز وجل من هذا الذنب . قال فأقبلت أتكلم بهذا وشبهه فمضى بعضهم وعاد فقال :
أجب ثم أسرالى وقال : لا بأس عليك فقد تكلم فيك الوزير يعنون ابن الفرات وأنت
مسلم اليه (قال) : فسكت وجاؤ الى بخفي وطيلسانى وعمامتى فلبست ذلك وأخرجت
بجئى . بنى إلى الدار التى كانت برسم ابن الفرات فى دار الخليفة فلما رآنى أقبل مخاطبى
بعظم جنايتى وخطئى وأنا أقرب ذلك وأستقيل وأتنصل ، ثم قال قد وهب لى
أمير المؤمنين دملك ، وابتعب منه جرمك بمائة ألف دينار الزمته إياها فقلت
أيها الوزير : والله ما رأيت بعضها قط مجتمعا فغمزنى بأن اسكت وجذبني قوم
من وجوه الكتاب كانوا بمحضرتة ورأى فسكتونى فعلمت أن ابن الفرات قد
أراد تخليص دمي فقلت كلما يأمر الوزير أعزه الله . فقال : احموه إلى دارى .
قال فأخذت وحملت إلى داره فقرر أمرى على مائة ألف دينار يؤدى منها النصف
عاجلا ويصير النصف فى حكم الباطل على رسم المصادرات ، فلما صرت فى
دار ابن الفرات وسع على فى الطعام والمشرب والمجلس وأدخلت الحمام ،
ورفعت وأكرمت فرأيت لما خرجت من الحمام وجهى فى المرأة فاذا طاقات
شعرى قد ابيضت فى مقدم الحيتى ، فاذا أنا قد شبت فى تلك الليلة الواحدة
« قال » : وأدبت من المال نيفاً وثلاثين ألف دينار ثم نظر إلى ابن الفرات
بالباقى وصرفنى إلى منزلى وتخلص من دمي فكنكت فى بيتى سنتين وبابى
مسدود على لا أرى أحداً ولا يرانى إلا فى الشاذ وتوفرت على دروس الفقه
والنظر فى العلم إلى أن أذن الله جل وعز بالفرج وكشفت عنى ، وأخرجت
من بيتى إلى ولاية الأعمال . وشبه هذا الحديث ويقاربه وإن لم يكن بالحقيقة
من « باب من خرج من حبس » إلا أنه من أخبار الفرج بعد الشدة من جملة
ما حدثنى به أبو الحسين بن محمد بن على بن موسى الانبارى الكاتب قال :
سمعت كلوى كاتب الحرم يتحدث قال : كان فى دار المقتدى عريف على الفراشين
يخدمنى وكان يضيفنا إذا أقمنا فى دار الخلية ففقدته مرة فى الدار فظننت أنه

عليه فلما كان بعد شهور رأيت في بعض الطرق بزي التجار وقد شاب فقلت : فلان ؟ قال : نعم عبدك ياسيدي . فقلت ما هذا الشيب في هذه الشهور اليسيرة ، وما هذا الذي أراه ، وأين كنت فتلجلج فقلت لعلاني احمليه إلى داري وقلت : حدثني حديثك ؟ قال : على إن لي الأمان والكتمان . فقلت : نعم . فقال : كان الرسم على كل عريف من الفراشين في دار الخليفة أن يدخل يوما من الأيام هو ومن في عرافته إلى دور الخدمة والحرم لرش الخيوش التي فيها فبلغت النوبة إلى يوماً كنت فيه مخوراً قد دخلت ومعى رجالى إلى دار فلانة وذكر حظية جلييلة من حظايا المقتدر فلما كنت فيه من الخمر مارشيت قريتي ، ولم أخرج بمخرج الرجال وقلت لهم انصرفوا فهاثوا قريكم لإتمام الرش فاذا رششتم فنهووني فاني نائم هنا ، ودخلت خلف الخيش إلى باب باذا هنج يخرج منه ريح طيبة ونمت وغلب على النوم إلى أن جاء الفراشون ففرغوا من رش الخيش فعلمت أنى مقتول ان أحس بى القوم فتحيرت فلم أدر ما أعمل فدخلت الباذاهنج وكان ضيقاً فجعلت رجلى على حائط الباذاهنج وتعلقت فيه ووقفت متعلقاً أترقب أن يفطن بى ، فاذا بدسوة فراشات يكسسن الخيش فلما فرغوا من ذلك فرشناه وهيء فيه مجلس للشرب ولم يكن بأسرع من أن جاء المقتدروعدة جوارفجلس وأخذت الجوارى فى الغناء ، وأنا أسمع ذلك كله وروحي تكاد تخرج فاذا أعيت نزلت فجلست فى أرض الباذاهنج فإذا استرحت وخفت أن يفطن بى القوم وعدت وتعالقت إلى أن مضت قطعة من الليل ثم عن للمقتدر جذب حظيته إليه التي هي صاحبة تلك الدار فانصرف باقى الجوارى وخلقى الموضع فواقع المقتدر الجارية وأنا أسمع حركتهما وكلامهما ثم ناما فى مكانهما وأنا لاسبيل لى للنوم لحظة واحدة . لما تابنى من الخوف ، فتمكرت فى أن أخرج وأصعد إلى بعض السطوح ثم علمت أنى ان فعلت ذلك تعجلت القتل ولم تزل تلك حالى إلى أن انتبه المقتدر فى السحر وخرج من الموضع فلما كان فى غد نصف النهار جاء عريف آخر من الفراشين ومعه فراشيه فخرجت فاختلطت بهم . فقالوا أى شيء تعمل

هنا ؟ فأومأت إليهم بالسكوت . وقلت الله الله في دمي فإن حديثي يطول فنتذموا علي أن لا ينضحوني ، وقال بعضهم : ما بال لحيتك قد ابيضت ؟ فقلت : لا أعلم وأخذت من قرينة بعضهم فطريت قريني وخرجت فلما صرت في موضع من دار الخليفة وقعت مغشياً علي وركبتي حمى عظيمة وذهب عقلي فمر بي الفراشون وحملوني إلى منزلي وأنا لا أعقل ، فأقمت مبرسماً مدة طويلة وقد كنت عاهدت الله وأنا في الباذاهنج إن هو خلعني منه لا أخدم أحداً أبداً ، ولا أشرب النبيذ ، وأقلع عن أشياء تبت منها . فلما تفضل الله عز وجل علي بالعافية وفيت بالنذر وبعث أشياء كانت لي وضممتها إلى دراهم كانت عندي ولزمت دكانا لعمتي أتعلم فيه التجارة وأتجر وتركت الدار ، فماعدت إليها إلى الآن ولا أعود أبداً إلى خدمة الناس ولا انقض ماتت منه ورأيت لحيته قد كثر فيها الشيب .

حدثنا علي بن هشام ، قال : كان أبو الحسن بن الفرات لما ولي الوزارة الأولى وجد سليمان بن الحسن يتقلد مجلس المقابلة في ديوان الخلافة من قبل علي بن عيسى والديوان إذ ذاك كله إلى علي بن عيسى ، فقلد أبا الحسن بن الفرات سليمان الديوان بأمره وأقام يتقلده نحو سنتين فأقام ليلة في دار ابن الفرات يصلي المغرب فسقط من كفه رقعة رآها بعض من حضر فأخذها ولم ينظن لها سليمان فقرأها فوجدها سعاية في حق ابن الفرات وأشياء به إلى المقتدر ، وسعيلاً بن عبد الحميد كاتب السيدة في الوزارة ، فتقرب بها إلى ابن الفرات فقبض علي سليمان الوقت وأنفذه في زورق مطبق إلى واسط فحبسه بها وصادره وعذبه وكان في العذاب دهرأ وآيس من الخلاص . فبلغ ابن الفرات أن أم سليمان بن الحسن ماتت ببغداد وأنها كانت تمنى رؤيته قبل موتها ، فاعتم لذلك وتذكر المودة بينه وبين أبيه الحسن بن مخلد فكتب إليه بخطه كتاباً أقرأنيه سليمان بعد سنين كثيرة من ذلك الحال وحفظته ونسخته وهو : « بسم الله الرحمن الرحيم : ميزت أكرمك الله بين حقك وجرمك ، فوجدت الحق يوفى عن الجرم ، وتذكرت من سالف خدمتك في المنازل (٩ - الفرج - أول)

التي فيها ريت وبين أهلها غذيت ، فأتناي عليك وعطفتني إليك ، وأعادني لك إلى أفضل ما عهدت ، وأجل ما ألفت ، فثق أكرمك الله بذلك ، واسكن اليه ، وعول في صلاح ما اختل من أمرك عليه ، واعلم أنني أرى فيك حقوق أهلك التي تقوم بتوكيد النسب مقام اللحمة والنسب ، وتسبل ما عظم من جنايتك ، وتقلل ما كثر من إساءتك ، ولم أدع مراعاتها والمحافظة عليها بمشيئة الله ، وقد قلدتك أعمال دسمةسان سنة ثمان وتسعين ومائتين وبقيما ما قبلها ، وكتبت إلى أحمد بن محمد بن جيش بمعمل عشرة آلاف درهم إليك ، فتقلد هذه الأعمال وأثر فيها أثراً جليلاً عن كفاءتك ويؤدي إلى ما أحبه من زيادتك إن شاء الله . قال أبو الحسين : وابن جيش هذا كان وكيل ابن الفرات في ضياعه بواسط .

حدثني البهلول بن محمد بن أحمد بن اسحاق بن البهلول الشوخي رحمه الله ، قال : حدثني أبو علي الوكيل على أبواب القضاة ببغداد ، ويعرف : بالناقد ، قال : كنت أقيم خبر المحبوسين في المطبق بمدينة السلام في أيام المقتدر بالله فرأيت في المطبق رجلاً مغلولاً على ظهره لبنة حديد فيها ستون رطلا . فسألته عن قصته ؟ فقال : أنا والله مظلوم . فقلت : وكيف كان أمرك ؟ فقال : كنت ليلة من الليالي في دعوة صديق لي بسوق يحيى فخرجت من عنده مغلساً وفي الوقت فضل وأنا لا أعلم ، فلما صرت في قطعة من الشارع رأيت مشاعل الطائف فرهبت به ولم أدر ما أعمل فرأيت شريحة مشوشة ففتحتها ودخلت ودورها كما كانت وقت في الدكان ليجوز الطائف وأخرج ، وبلغ الطائف الموضع فرأى الشريحة مشوشة فقال فتشوا هذا الدكان فدخلت الرجالة بمشعل فرأيت في ضوئه رجلاً في الدكان مذبوخاً وعلى صدره سكين فجذعت ورأى الرجال ذلك ورأوني قائماً فلم يفتكروا في إلا أما قاتله ، وأخذني صاحب الشرطة ثم عرضت فضربت ضرباً شديداً وعوقبت أصناف العقوبات وأنا أنكر ، وعندهم أني أتجلد وهم يزيدوني فاجتمعت أهلي وكان لهم شغب بأسباب السلطان فتكلموا في واستشهدوا خلقاً كثيراً على سيرى فبعد

شدائد ألوان أعفيت من القتل ونقلت إلى المطبق ، وفي هذا الحديد من منذ ست عشرة سنة . قال : فاستعظمت محنته وبهت من حديثه . فقال مالك والله ما آيس مع ذلك من فضل الله عز وجل فان ساعة إلى ساعه فرجا . قال : فوالله ما خلاص كلامه من فيه حتى ارتفعت ضجعة عظيمة وكسر الحبس ووصلت العامة إلى المطبق ومكائده فأخرجوا كل من كان في الحبس وخرج الرجل من جملتهم فانصرفت وأنا أريد بيتي فاذا نازوك قد أقبل والفتنة قد ثارت ، وفرج الله جل وعز عن الرجل . بلغني عن رجل من أهل كوثي قال : كان يتقلد بلداً ما عامل من قبل أبي الحسين بن الفرات في بعض وزارته فافتح الخراج واشتد في المطالبة وكان في أطراف البلد قوم من العرب قد ذرعوا من الأرض مالا يتجاسر الاكرة على زراعته ، وكان العمال يسامحونهم ببعض ما يجب عليهم من الخراج فطالبهم هذا العامل بالخراج على التهام أسوة الاكرة وأحضر أحدهم فحقق عليه بالمطالبة وهو يمتنع فأمر بصفعه حتى أدى الخراج وانصرف فشكى إلى بني عمه فتوافقوا على كبس العامل ليلاً وقتله وراسلوا غيرهم من العرب وتواعدوا على ليلة معلومة فلما كان اليوم الذي يليه تلك الليلة ورد إلى الناحية عامل آخر صارفاً للأول فقبض عليه وصرفه وضربه بالمقارع وأخذ خطه بمال وقيدته وأمر أن يحمل إلى قرية أخرى على فراسخ من البلد فيحبس فيها ، ووكل به عشرة من الرجال فسيروه مرة ماشياً ومرة على حمار فكاد بما لحقه أن يتلف وحصل تلك القرية وكان له غلام قد رباه وهو خصيص به عارف بجميع أموره فهرب عند ورود الصارف ، فلما كان من الغد لم يشعر المصروف المحبوس إلا وغلامه الذي رباه قد دخل عليه فكانت محنته اليه أشد عليه من جميع ما لحقه اشفاقاً على الغلام وعلى نفسه بما يعرفه الغلام أن يكون قد دل عليه ، فقال الغلام : هات رجلك حتى أكسر قيودك وتقوم تدخل بغداد . فقال له : وأين الرجالة الموكلون بي ؟ فقال يا مولاي قد فرج الله تعالى وهرب الرجالة . فقال : ما سبب هذا ؟ قال إن الأعراب الذين كنت صنعت منهم واحداً وطالبته بالخراج كبسوا البارحة دار العمالة وعندهم أنك أنت العامل وقد عملوا على

فذلك ولم يكن عندهم خبر صرفك ولا خبر ورود هذا العامل فقتلوه على أنه أنت وهرب أصحابه وأهل البلد يخافونك فقم حتى تمشى إلى بغداد لتلايلهم كونك هنا في قصدونك ويقتلونك وكسر القيد ، وقام هو وغلامه يمشيان على غير جادة إلى أن بعدا ودخلا قرية واستأجرا منها مراكباه إلى بغداد ولقي المصروف الوزير ودب على المقتول وأنه أفسد الناحية وأثار فتنة مع العرب فأمره الوزير على الناحية وضم اليه جيشاً إلى كوثر وتحصن بالجيش وأرهب العرب وأرضاهم إلى أن صالحهم وأثبتهم وسكن اليهم وسكنوا اليه وزال خوفه واستقام له أمر عمله .

* * *

أخبرني أبو الفرج الأموي المعروف بالأصفهاني بإسناده عن إبراهيم بن المهدي ، قال : غضب عليّ محمد الأمين في بعض هناته فسلبني إلى كوثر فحبسني في سرداب وأغلقه عليّ فكثت فيه ليلتي فلما أصبحت فإذا أنا بشيخ قد خرج عليّ من زاوية السرداب ودفع إلى وسطا وقال : كل . فأكلت ثم أخرج قنينة من شراب فشربت ثم قال : غن لي . فقلت :

لي مدة لا بد أبلغها معلومة فإذا انقضت مت
لوساورتني الأسد ضارية لعلبتها إن لم يجي الوقت

. فغنيته فسمعتي كوثر فصار إلى محمد وقال له : قد جن عمك ! هو جالس يعني بكيت وكيت . فأمر بإحضاري فأحضرت وأخبرته بالقصة فرضى عني وأمر لي بسبعمائة ألف درهم . حبس عبد الله بن طاهر محمد بن أسلم الطوسي فكتب اليه بعض إخوانه يعزيه على مكانه فأجابه ابن أسلم : كتبت لي تعزيني وإنما كان يجب أن تهنيئني أريت العجائب وعرضت لي المصائب إنني رأيت الله عز وجل يتعجب إلى من يؤذيه فكيف إلى من يؤذيه فيه ، إنني نزلت بيتاً سقطت عني فيه فروض وحقوق منها : الجمعة ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، وعيادة المريض ، وقضاء حقوق الإخوان وما نزلت بيتاً خيراً في ديني منه . فأخبر بذلك عبد الله بن طاهر فقال : نحن في حاجة إلى ابن أسلم أطلقوه . وكان المأمون قد غضب على فرج الزحري فكلّمه

عبد الله بن طاهر ومسرور الخادم في إطلاقه قال فرج : فبت ليلتي وأنا منك
إذ أتاني آت فقال لي :

لما أتى فرج من ربه فرجا جئنا إلى فرج نبغى به الفرجا
فلما أصبحت لم أشعر إلا واللواء قد عقدلى على ولاية فارس والاهواز
وأطلق لي معونة خمسمائة ألف درهم ، وإذا أبو البغا الشاعر قائم على باب
داري وقد كتب هذا البيت في رقعة فقلت له : متى قلت هذا ؟ فقال في الوقت
الذي رضى عنك فيه . فأمرت له بعشرين ألف درهم . وقال عمار بن عقبة
ابن عمار من آل سلمي ابن المطهر حدثني ملازم بن عدام الحنفي ، عن عمه
ملازم بن حريث الحنفي قال : كنت في حبس الحجاج بسبب الحرورية
فحبس معنا رجلا فأقام حينئذ لا نسمعه يتكلم بكلمة حتى كان في اليوم الذي
مات الحجاج في الليلة التي تليه فأقبل غراب في عشية ذلك اليوم فوقع على
حائط السجن فنق فقال الرجل : ومن يقدر على ماتقدر عليه يا غراب .
ثم نعى الثانية : فقال مثلك من بشر بخير يا غراب . ثم نعى الثالثة : فقال
من فيك إلى السماء يا غراب . فقلت له : ما سمعناك تكلمت منذ حبست إلى
الساعة ، فما دعاك إلى ما قلت ؟ قال : إنه نعى فقال : إني وقعت على ستر
الحجاج . فقلت : ومن يقدر على ماتقدر عليه ؟ ثم نعى الثانية فقال : إن الحجاج
أصابه وجع . فقلت : مثلك من بشر بخير . ثم قال في الثالثة : الليلة يموت .
فقلت : من فيك إلى السماء . ثم قال الرجل إن انسلخ الصبح قبل أن أخرج فليس
على بأس . وإن دعيت الصبح فستضرب عنقي ثم تلبثون ثلاثة لا يدخل عليكم
أحد ، ثم يدعى بكم في اليوم الرابع فيمتف على رؤسكم بالكفالة فن وجد له
كميلا خلى سبيله ، ومن لم يجد له كفيلا فويل له طويلا . فلما دخل الليل
سمعنا الصراخ على الحجاج ، ثم أخرج الرجل قبل الصبح فضرب عنقه ، ثم لم
يدخل علينا أحد بعد ثلاثا ، ثم دعى بنا وطلب منا الكفالة ثم صار الأمر إلى
مكث طويلا حتى خفت أن أردد إلى الحبس ، ثم تقدم رجل فضمنني
فقلت له يا عبد الله : من أنت حتى أشكرك ؟ فقال لي : اذهب ولست بمسؤول
عنك أبدا فأطلقت .

قال أبو الحسن علي بن عبد الأعلى الإسكافي كنت أكتب لبغاء الكبير
فصرقتي ونكبتني وأخذ ضياعي ومالي وحبسني بعد ذلك وتهددني ونالني
منه كل مكروه ، وإني لني حبه إذ سمعت حركة فسألت عنها فقيل لي : قد
وإني إسحاق بن إبراهيم الطاهري وكان صاحب الشرطة ، فقلت : إنما هذا حضر
لعقوبي فطارت نفسي جزعا ، فلم ألبث أن دعيت فحملت في قيودي وعلى
ثياب في نهاية الوسخ فأدخلت وأنا كالميت لما بي ولعظم الخوف ، فلما
وقعت عين إسحاق على تبسم فسكنت نفسي . فقال لي بغاء إن أخى أبا العباس
يعني عبد الله بن طالب بن طاهر كتب إلى يشفع في أمرك وقد شفعتة وأزلت
عنك المطالبة ورضيت عنك ، ورددت عليك ضياعك فأنصرف إلى منزلك
فبكيت بكاء شديداً لعظم ما قد ورد علي قلبي من السرور ، وفكت قيودي
وغيرت حالي ، وأنصرفت فبت في بيتي وبكرت في المسير إلى إسحاق لأشكره
واسأله عما أوجب ماجرى لأنه شيء ما طمعت فيه ، ولا كانت لي وسيلة إلى
أبي العباس ولا إسحاق فلقيته وشكرته ودعوت له ولأبي العباس وسألته
فقال : ورد علي كتاب الأمير أبي العباس يقول فيه قد كانت كتب أبي موسى
بغاء ترد علي بمخاطبات توجب الأناش والخلطة ، وتلزم الشكر والمنة ، ثم تغيرت
فبحشت عن السبب فعملت أن ذلك الكاتب صرف ، وأنه منكوب وحق لمن
أحسن عشرتنا ووكد المحبة بيننا وبين إخواننا حتى بان لنا موقمه وعرفنا
موضعه لما صرف أن نرعى حقه . فسر أبقاك الله إلى أخى أبي موسى واسأله
في أمر كاتبه المصروف عني واستصفحه ما في نفسه منه واستطلقه واسأله رده
إلى كتابته وإن كان ما يطالبه به مما لا ينزل عنه فأده من مالنا كائناً ما كان .
فلقيته ففعل ما رأيت وأنا أعاود الخطاب في استكتابك وقد أمر لك الأمير
بكذا من المال فخذ . قال فأخذته وشكرت ودعوت الأميرين وأنصرفت
فأمضيت الأيام حتى ردني إسحاق إلى كتابة بغاء بشفاعة أبي العباس وتأملت
حالي معه ونعمتي .

* * *

حدثني علي بن أبي الطيب بإسناده إلى سليمان بن أبي زياد قال : كان عمرو

ابن هبيرة والياً على العراق من ولاية يزيد بن عبد الملك فليسا مات يزيد واستخلف هشام قال عمرو بن هبيرة سيولى هشام العراق أحد الرجلين سعيداً الخرشى ، أو خالد بن عبد الله القسرى ، فان ولى ابن النصرانية خالداً فهو البلاء . فولى هشام خالداً فدخل واسطاً وقد أودن عمرو بن هبيرة بالصلاة فهو يتهماً والمرأة فى يده يسوى عمته إذ قيل له هذا خالد قد دخل . فقال عمرو بن هبيرة : هكذا تقوم الساعة تأتى بغتة . فقدم خالد فأخذ عمرو ابن هبيرة فقيده وألبسه مدرعة صوف . فقال يا خالد : بئس ماسنت على أهل العراق ماتخاف أن يوجد فيك بمثل هذا ١٩ فلما طال حبسه جاءه موال له فاكثروا داراً إلى جانب الحبس ثم نقيوا سرداباً إلى الحبس ، واكثروا داراً أخرى إلى جانب حائط سور مدينة واسط فلما كانت الليلة التى أرادوا أن يخرجوه فيها من الحبس أفضى النقب إلى الحبس فخرج منه فى السرداب ، ثم خرج من الدار يمشى حتى بلغ الدار التى بجانب سور المدينة وقد نقب فيها فخرج فى السرداب منها ، وقد هيئت له خيل خلف حائط المدينة فركب وعلم به بعد ما أصبحوا وقد كان أظهر علة قبل ذلك لكى يتمسكوا عن تفقده فى كل وقت . فأتبعه خالد سعيداً الخرشى فلاحقه وبينه وبين الفرات شىء يسير فتعصب وتركه وقال الفرزدق شعراً :

ولما رأيت الأرض قد سد ظهرها ولم تر إلا بطنها لك مخرجاً
دعوت الذى ناداه يونس بعد ما نوى فى ثلاث مظلمات فخرجاً
خرجت ولم يمين عليك طلاقه سوى زائد التقريب من آل أعوجاً
فأصبحت تحت الأرض قد سرت ليلة وما سار سار مثلها حين أدلجاً
قال سليمان بن أبى شميخ : فحدثنى أبى خبيرة عن أبى الجنحات قال :
حدثنى حازم مولى عمرو بن هبيرة حين هرب من السجن فبلغنا دمشق بعد العتمة فأتى مسلمة بن عبد الملك خلف الصبح فاستأذن مسلمة على هشام ابن عبد الملك فدخل عليه . فلما رآه قال يا أبا سعيد : أظن ابن هبيرة قد طرقت فى هذه الليلة ؟ قال أجل يا أمير المؤمنين : فقد أجرته فبه لى . قال :
قد وهبه لك .

أخبرني أبو الفرج القرشي المعروف بالاصفهانى قال : قد ذكر ابن السكابي عن أبيه قال : خرج قيس بن قيسبة بن كاثوم السكونى وكان مملوكا يريد الحج وكانت العرب تخرج في الجاهلية ولا يتعرض بعضها لبعض فمر بينى عامر ابن عقيل فوثبوا عليه وأسروه وأخذوا ماله وما كان معه وألقوه في الغل فكث فيه ثلاث سنين وشاع في اليمن أن الجن استطارته . فبينما هو في يوم شديد البرد في بيت عجوز منهم وقد يئس من الفرج إذ قال لها : أناذين لى أن آتى الالهة فأتشرك عليهما فقد أضرتنى القر ؟ . فقالت له : نعم . وكانت عليه جبة صوف لم يترك عليه غيرها فتمشى في أغلاله وقيوده حتى صعد الالهة ثم أقبل يضرب ببصره نحو اليمن وتغشاها عبدة فبكى ثم رفع رأسه إلى السماء فقال : اللهم فاطر السماء فرج لى ، ما أصبحت فيه . . فبينما هو كذلك إذ عرض عليه راكب يسير فأشار إليه أن أقبل فأقبل الراكب فلما وقف عليه قال له ما حاجتك يا هذا ؟ قال : أين تريد ؟ قال : أريد اليمن . قال : ومن أنت ؟ قال : أبو الطمحان العيني . فاستعبر ابن قيسبة فقال له أبو الطمحان : من أنت ؟ فإنى أرى عليك سيما الخير ولباس الملوك ، ولست بدار فيها ملك . فقال : أنا ابن قيسبة بن كاثوم السكونى خرجت عام كذا وكذا أريد الحج فوثب على هذا الحى وصنعوا بى ما ترى وكشف عن أغلاله وقيوده . فاستعبر له أبو الطمحان . فقال له قيسبة : هل لك من مائة ناقة حمراء ؟ قال ما أحوجنى إلى ذلك . قال أنخ . فأناخ ثم قال له أملكك سكين ؟ قال : نعم . قال : إرفع عن رجلك . فرفع له عن رجله حتى بدت خشبة مؤخرة فكتب عليها قيسبة بالمسند ولم يكتب به غير أهل اليمن .

بلغن كندة الملوك جميعا حيث سارت بالاه كرمين الجمال
إن ردوا الخيل بالخيس بمجالا وأصدروا عنه والروايا يقال
هربت جارتى وقالت عجيباً إن رأيتى فى جيدي الالهلال
ان يرى عارى العظام أسيرا قد برانى تضعضع واختبال
فلقد أقدم الكتبية بالسيف على السلاح والسربال

وكتب تحت الشعر إلى أخيه أن يدفع إلى أبي الطمجان مائة ناقة حمراء
ثم قال : أقرىء هذا قومي فإنهم سيعطونك مائة ناقة حمراء . فخرج أسير
به راحلته حتى أتى حضرموت فتشاغل بما ورد له ونسى أمر ابن قيسبة
حتى فرغ من حوائجه ثم سمع نسوة من عجائز اليمن يتذاكرن أمر ابن
قيسبة ويبكين فذكر أمره فأتى أخاه الجون بن مالك فقال له يا هذا : إنني
أدلك على أخيك وقد جعل لي مائة ناقة حمراء . فقال له : فهي لك . فكشف
عن رجله فلما قرأه الجون بن مالك أمر له بمائة ناقة . ثم أتى قيس بن معدي
كرب الكندي أبا الأشعث بن قيس فقال له يا هذا : إن أخي في بني عقيل
أسير فسر معي بقومك نخلاصه . قال : أسير معي تحت لوائى ، حتى أطلب ثارك
وأنجذك ؟ وإلا فامض راشداً . فقال له الجون : مس السماء أهون من ذلك
وأيسر على ما جئت به فصحب السكون ثم فاقوا فرجعوا فقال ما عليك من
هذا هو ابن عمك ويطلب لك بئارك فأنعم له بذلك فسار قيس وسار
الجون معه تحت لوائه وكندة والسكون معه فهو أول يوم اجتمعت
فيه السكون وكندة لقيس وبه أدرك الشرف وسار حتى أوقع بيني
عامر بن عقيل فقتل منهم مقتلة واستنقذ ابن قيسبة وقال في ذلك سلامة
ابن صبيح الكندي :

لا تشتمونا إذ جلبنا لكم التي كية كلها سلبيه
نحن أنلنا الخير في أرضكم حتى ثارنا منكم ابن قيسبه
واعترضت من دونهم مدحج فصادفوا من خيلنا مسغه

حدثني أبو الحسن أحمد بن يوسف الأزرق الكاتب بن يعقوب بن
اسحق البهلول التنوخي قال : كنت وأنا حدث أتعلم في ديوان الزمام بالسواد
بين يدي كاتب فيه يقال له أبو الحسن علي بن الفتح ، ويعرف : بالمطوق
عاش إلى بعد سنة عشرين وثلاثمائة . وأخرج إلينا كتاباً قد عمله في أخبار
الوزراء منذ وفاة عبيد الله بن يحيى بن خاقان إلى آخر أيام القاهرة بالله

وبعدها وسماه كتاب : مناقب الوزراء ، ومحاسن أخبارهم ، فقرأنا عليه بعضه وأخبرنا بالباقي مناولة . قال مؤلف هذا الكتاب : فأعطانى أبو الحسن أحمد بن يوسف الكتاب مناولة فوجدت فيه أن القاسم بن عبيد الله اعتقل أبا العباس أحمد بن محمد بن بسطام في داره أياماً لأشياء كانت في نفسه عليه وأراد أن يوقع به ، فلم يزل ابن بسطام يداريه ويتلطف إلى أن أطلقه وقلده آمد وما يتعلق بها وأخرجته اليها وفي نفسه ما فيها ثم ندم على ذلك ، فوجه اليه في آخر أيام وزارته بقائد يقال له علي بن جيش أخو قوصرة ووكله به ، فكان يأمر وينهى في عمله ، وهو موكل به في داره ، خائف على نفسه لما قد ظهر من إقدام القاسم على القتل . قال ابن بسطام : فأنا أخوف ما كنت على نفسي وحالي وليس عندي خبر حتى ورد علي كتاب عنده لآبى العباس أطال الله بقاءه من العباس بن الحسين ، فلما رأيت العنوان ناقص الدعاء علمت أن القاسم بن عبيد الله قد مات ، وأن العباس بن الحسين قد تقلد الوزارة فلم أملك نفسي فرحاً وسروراً بالسلامة في نفسي وزال الخوف عني . وقرأت الكتاب فإذا هو بصحة الخبر وأمرني بالخروج إلى مصر وقلدني الأمانة على الحسين بن أحمد المادرائي قال فخرج ابن بسطام إلى مصر ولم يزل يتقلد الأمانة على الحسين بن أحمد إلى أن تقلد علي بن محمد بن الفرات الوزارة فقلده مصر وأعمالها فلم يزل فيها أن توفي . حدثنا أبو محمد عبد الرحيم الوراق المعروف بالصيرفي بن العباس بن محمد بن أحمد الأبرم المعروف بالمقرئ البغدادي بالبصرة في المحرم سنة خمس وأربعين وثلاثمائة . كتاب المنتصر ، لآبى العباس أحمد بن عبد الله بن عمار في خبر العلوي الصوفي الخارج بالجوزجان على المعتصم ، وهو : محمد بن القاسم بن علي بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم ، وكان عبد الله ابن طاهر حاربه وأسرّه وبعث به إلى المعتصم وهو ببغداد . قال : حدثت أن المعتصم أمر أن يبنى حبس في بستان موسى كان القيم به مسروراً مولى الرشيد (قال) : وكنت أرى هذا البناء من دجلة إذا ركبتهما فخيرني من دخله أنه كان كالبر العظيمة قد حفرت إلى الماء أو قريب منه ، ثم فيها بناء على

هيئة المنارة مجوف من باطنه ، وله من داخله مدرج قد جعل في مواضع من التدرج مستراحات ، وفي كل مستراح شبيهة بالبيت يجلس فيه رجل واحد كأنه على مقداره يكون فيه مكبواً على وجهه ليس يمكنه أن يجلس ولا يمد رجله ، فلما قدم بمحمد حبس في أسفل بيت منه ، فلما استقر به (أصابه من الجهد لضيقته وظلمته ، ومن البرد لندى الموضع ورطوبته ما كاد يتلفه من ساعته ، فتكلم بكلام دقيق سمعه من كان في أعلى البيت من وكل بالموضع فقال : إن كان أمير المؤمنين يريد قتلى الساعة أموت وإن لم يكن يريد ذلك فقد أشفيت عليه . فأخبر المعصم بذلك فقال : ما أريد قتله . وأمر بإخراجه فأخرج وقد زال عقله وأغمى عليه فطرح في الشمس وطرح عليه لحف ، وأمر بحبسه في بيت كان بنى في البستان فوقه غرفة وكان في البيت خلاء إلى الغرفة التي تليها وفي الغرفة أيضاً خلاء آخر إلى سطحها فلم يزل محبوساً فيه إلى أن تهيأ له الخروج ليلة الفطر سنة تسع عشرة ومائتين (قال) : لحدثني علي بن الحسين بن عمر بن علي بن الحسين وهو ابن عم أبيه ، قال : أصبحت يوم الفطر أتياً للركوب فأنا أشد منطقي في وسطى وقد لبست ثيابي أبادر الركوب إلى المصلى ماراعني إلا محمد بن القاسم قد دخل إلى منزلي فملت رعباً وذعراً ، وقلت له كيف تخلصت ؟ قال أنا أدبر أمرى في التخلص منذ حبست ، ثم وصف لي الخلاء الذي كان في البيت الذي حبس فيه إلى الغرفة التي فوقه ، والخلاء الذي كان في الغرفة إلى سطحها وأنه أدخل معي يوم حبست لبد فكان طائى وفراشى (قال) : وكنت أرى بغرش وهي قرية من قرى خراسان حبلاً لا تعمل فيها من لبود مرصع كما يفعل بالسبور فتجئ أحكم شيء فسولت لي نفسي أن أعمل من اللبد التي تحتي حبلاً وكان على باب البيت قوم وكلوا بي يحفظوني لا يدخل علي منهم أحد إنما يكلموني من خلف الباب ويناولوني من تحته ما أتقوته . فقلت لهم : إن أظفارى قد طالت جداً وقد احتجت إلى مقراض فجاءني رجل منهم كان يميل إلى مذهب الزيدية بمقراض أحد جانبيه منقوش نقش المسجل . وقلت لهم : إن في هذا البيت فيراناً يؤذونني ويقذرونني إذا قربوا مني فأقطعوا لي جريدة

من النخل تكون - ندى أطردهم بها فقطعوا إلى من بعض نخل البستان جريدة فرموا بها إلى وكنت لأزال أضرب بها في البيت وأسمعهم صوتها أياماً ، ثم قشرت الخوص عنها وقطعتها على مقدار ما علمت أنها تعرض في ذلك الخلاء إذا رميت بها فضمت كل ما قطعته منها بعرضه إلى بعض وقطعت الباب وضفرت منه حبلاً على ما كنت أرى يعمل بغرش ، ثم شددت ما قطعته من الجريدة في رأس الحبل ثم رميت به في الكوة وعالجته مراراً حتى اعترض فيها ثم اعتمدت عليها وصعدت إلى الغرفة ، ومن الغرفة إلى سطحها (قال) : ففعلت ذلك مراراً في أيام كثيرة وتمكنت من الحركة بأن سحلت بجانب المقرض إحدى حلقتي القيد ، ولم يمكنني إن أسحل الأخرى فكنت إذا أردت الحركة شددت القيد مع ساقى فأتحرك وقد صرت مطلقاً فلما كان في هذه الليلة وشغل الناس بالعيد وانصرف من كان على الباب فلم أحس منهم أحداً إلا شيخاً واحداً كنت أسمع حركته وأطلع فأراه ، فصعدت بين المغرب والعشاء إلى الغرفة ومن الغرفة إلى سطحها وأشرفت فإذا المعتصم يفطر والناس بين يديه والشموع فرجعت حتى إذا كان في جوف الليل صعدت ولم يتحرك الناس ونزلت إلى البستان فإذا فيه قائد معه جماعة فصاح بي بعضهم . فقال : من هذا ؟ فقلت : مديني من أصحاب الحمام . فقال : أين تخرج اطرح نفسك حتى تصبح وتفتح الأبواب فطرح نفسي بينهم حتى فتح باب البستان في الغلس وتحرك الناس فصرت إلى دجلة لا عبه فإذا الشيخ الذي كان أحد من يحفظني قد جاء ليخبر فطلب مني الملاح أجرته كما أخذ من الناس . فقلت : مامعنى شيء أنا رجل غريب ضعيف الحال . فقال لي الشيخ : اعبر أنا أعطيه عنك ، فأعطاه عنى وعبرت حتى جئتكم قال علي بن الحسين فقلت : والله ما منزلي بموضع لك . فأخرج - منه ولا تقر فيه لحظة واحدة قال وركب إلى الموصل فصار إلى منزل رجل من الشيعة فأخفاه .

قال : وروى عن الفضل بن حماد الكوفي من أصحاب الحسين بن صالح يحدث بوفاء عيسى بن زيد بن علي رضي الله عنهم بالكوفة وكيف ستر ذلك عن المهدي فذكر حديثاً طويلاً قال فيه : فتواردت الأخبار عند الرشيد

بحسن طريقة أحمد بن عيسى بن زيد وميل الناس إليه ، فأمر بحمله لحمل إلى بغداد ومعه القاسم بن علي بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم وهو والد محمد بن القاسم الصوفي الخارج بخراسان في أيام المعتصم فحبسا عند الفضل بن الربيع وكانا في حبسه في داره في الشارع على دجلة قريب رأس الجسر بمشرفة الصحن . وكان : حسن الصنيع إليهما يؤتيان بمائدة كمانته التي توضع بين يديه ويواصلان من الحلوى والفاكهة والثلج في الصيف بمثل ما يكون على مائدته ، إلى أن أتيا بالمائدة ذات يوم فتغديا ثم رفعت من بين أيديهما فوضعت بين أيدي الغلمان فأكلوا وأكثروا ودخل وقت القائلة فناموا فخرج أحمد بن عيسى بن زيد إلى حب في ناحية الدهليز فرأى القوم نياماً ، فغرف من الحب بالكوز الذي معه فلما رجع قال للقاسم : يا هذا اعلم أني قد رأيت فرصة بينة هؤلاء نيام والباب غير مقفل لم يحسكوه كما كانوا يفعلون وقد أغفلوه فاخرج بنا . فقال له القاسم : أنشدك الله فانك تعلم أنك في عافية بما فيه كثير من أهل الحبوس ، وهذا الرجل يعني الفضل بنا برّ ولنا متعهد . فقال له أحمد : دعني منك واعلم أن العلامة بيني وبينك ما أصف لك فإن تحرك القوم رجعت إليك وكانت علمتي بسبب الكوز ، وإن لم يتحركوا فأنا والله خارج وتاركك بموضعك . واعلم أنك لا تسلم بعدى . ثم خرج فغرف بذلك الكوز من الحب ثم طرحه من قامته وكان أطول منك ومنى فما تحرك منهم أحد ثم انثنى عليه فقال له : قد رأيت ما قد استظهرت به لك ولنفسى وأنا والله خارج . ثم مضى واتبعه القاسم ففتح الباب وخرجا فقالا لا يجتمع في طريقنا كذا وكذا . قال فما جاز أحمد عتبة الباب إلا خمسين ذراعاً حتى لقيه غلام للفضل ابن الربيع مدني أعرف به من نفسه فبهت الغلام لما رآه وأوماً إليه أحمد بكه كالأمير له بغضب أن تمنح فأملاك الغلام نفسه أن فعل ثم كان عزمه أن يستقيم في تلك الطريق فلما بلى من الغلام بما بلى عدل عن تلك الطريق في طريق آخر للاستظهار على الغلام وأسرع حتى نجا وذكر بقية الحديث .

ومن طرائف ما شاهدناه من هذا الباب أن أبا تغلب فضل الله عدة الدولة ابن ناصر الدولة أبي محمد استوحش من أخيه محمد بعد موت أبيهما فقبض عليه واستصفي ماله ونعمته وقبض عقاره وضياعه وثقله بالحديد وأنفذه إلى القلعة المعروفة بأردمشت وهي مشهورة من أعمال الموصل حصينة فحبسه في مطمورة وكل به عجوزة يثق بها جلدة يقال لها : بازبانا ، وأمرها أن لا توصل إليه أحداً ولا تعرفه خبره وأن تخفي موضعه عن جميع سجناء القلعة وحفظتها ففعلت ذلك فأقام على حاله تلك ثمانى سنين ، ثم اتفق أن انحدروا أبو تغلب معاً ونأى بمختيار بن معز الدولة أبو الحسين ومعهما العسكر يقصدان بغداد للحاربة عضد الدولة وتاج الملة أبي شجاع ، وخرج للقائهما فكانت بينهما الواقعة المشهورة بقرب قصر الحصن فقتل فيها بمختيار وانهزم أبو تغلب فدخل الموصل وخاف من تخلص محمد فكتب إلى غلام له كانت القلعة مسلبة إليه يقال له طاشتم في أن يمكن رئيساً من رؤساء الأكراد يقال له صالح بن بن يابويه كان كالشريك لطاشتم في حفظ القلعة من محمد بن ناصر الدولة ليضئ فيه ما أمره به ، وكتب إلى صالح يأمره بقتل محمد ، فكن طاشتم صالحاً فلما أراد الدخول على محمد لقتله منعه بازبانا من ذلك وقالت له لا أمكن من هذا إلا بكتاب يرد على ، ودخل عضد الدولة إلى الموصل وأجزل عنها أبو تغلب وكذته العساكر واشتد عليه الطلب وورد عليه كتاب من القلعة بما قالت بازبانا فإلى أن يجيب عليه أحاطت بعض عساكر عضد الدولة بقلعة أردمشت ونازلوها فانقطع ما بين أبي تغلب وبينها ولم يصل إليها كتاب ، ثم فتحها عضد الدولة بعد شهرين بأن واطأه صالح على القبض على طاشتم ، وكتب إليه يعرفه بما عمله ويستأذنه فيما يعمل . وكان لمحمد خادم أسود يسمى ناصحاً وكان بعد القبض على محمد قد رفع إلى عضد الدولة وهو بفارس وصار من وجوه خدمه وحضر معه وقعة حصن الجص ، فلما ورد خبر فتح القلعة أذكره ناصح بوعد كان عليه في إطلاق مولاه فكتب إليه أن يطلبه في القلعة فإن وجد حياً يطلقه وينفذ إليه مكرماً ، فحين دخل صالح ومعه بعض من قد

صعد إلى القلعة من حاشية عضد الدولة إلى محمد في حبسه جزعاً شديداً ولم يشك في أنهم دخلوا بأمر أبي تغلب لقتله ، فأخذ يتضرع ويقول ما يدعو أخى إلى قتلى . فقال له صالح : لاخوف عليك وإنما أمر الملك أن نطلقك وتضى اليه مكرماً ، فانه قد ملك هذه البلاد . فقال : أغلب ملك الروم على هذه النواحي وفتحت له القلعة ؟ قال : لا . ولكن الملك عضد الدولة . قال الذى كان بشيراز ؟ قال : نعم وقد جاء إلى بغداد فقال محمد : وأين بختيار ؟ فقالوا قتل . قال وأين أبو تغلب ؟ قالوا انهزم ودخل إلى بلاد الروم . قال : وأين الملك عضد الدولة ؟ قالوا بالموصل . وهو ذا تحمل اليه مطلقاً مكرماً فسجد حينئذ وبكى بكاء شديداً وحمد الله عز وجل وجاؤا ليفكوا حديده وأغلاله فقال لا أمكن من ذلك إلا بعد أن يشاهد حالى الملك لحمل إلى الموصل فرأيت به وقد أضعده به مقيداً من المعبر الذى عبر فيه فى دجلة إلى دار أبي تغلب التى نزل بها عضد الدولة بالموصل وأنا إذ ذاك أتقلدها له وجميع ما فتحه بما كان فى يد أبي تغلب مضافاً إلى حلوان وقطعة من طريق خراسان ، فرأيت محمد آيمشى فى قيوده حتى دخل اليه فقبل الأرض بين يديه ودعا له وشكره ، وأخرج إلى حجرة من الدار فأخذ حديده وحمل على فرس فار به ركب من ذهب ، وقيد بين يديه خمس دواب بمراكب فضة مذهبة وخمس بجلاها ، وثلاثون بغلاً بأفكها محملة مالا صامتاً ، ومن صنوف الثياب الفاخرة والفرش السرى والطيب والآلات المربعة القدر والعلوفات والحيوان والحلو والطعام ونقل وفاكهة وأنبذة وغير ذلك ثم أقطعه بعد أيام أقطاعاً بثلاثمائة ألف درهم وولاه إمارة بلده وأعمهه وهو الذى كان يتولاه لأبي تغلب .

وذكر الحسين القاضى فى كتابه : « كتاب الفرج بعد الشدة » قال : بلغنى أن عمرو بن معدى كرب الزيدى قال : خرجت فى خيل من بنى زبيد أريد غطاءً فبينما أنا أسير وقد انفردت من أصحابى إذ سمعت صوت رجل يمشى شعراً فتنهمته لحفظته وهو هذا :

أما من قتي يخاف العطب يبلغ عمرو بن معد يكرب
 بانا نطوط في زمان بأرجلنا اليوم نوط القرب
 فإن هو لم يأتنا عاجلا فيكشف عنا ظلام الكرب
 وإلا استغننا بعبدة المدان وعبدة المدان لها إن طلب
 قال : فعلبت أنه قول أسير في بني مازان بن صعصعة فقلت لخيلى قنوا
 حتى آتاكم واقتمحت على القوم وحدى وإذا هم يصطلون . فقلت : أنا أبو
 ثور أين أسرى بنى مذحج ؟ فبادرت الأسرى من الرجال وبادر القوم إلى
 يقاتلوننى فلم أزل أقاتلهم وأقتل منهم حتى استعفونى وقالوا : إنا والله لنعلم
 أنك لم تأتنا وحدك فاكفف عنا ولك الأسرى ، واكفف عنا خيلك . فنزلت
 وأطلقت بعضهم وقلت ليحل مطلقكم موثقكم وليركب كل واحد منكم
 ما وجد . قال : وأقبلت خيل وجاءت الأسرى . فقلت لهم : هل علمتم موضعى
 حتى أنشد منشدكم ؟ قالوا : لا والله . ما سمعنا وما أصبحنا منذ سرنا أشد بأساً
 ولا أتم إيقانا بالهلاك منا اليوم فذلك حين أقول :

ألم ترنى إذ ضمى البلد القفر سمعت ندا يصدع القلب يا عمرو
 أغثنا فانا عصبه مذحجية نناط على وفر وليس لنا وفر
 تكلفنا يا عمرو ما ليس عندنا هو اذن فانظر ما الذى فعل الدهر
 فقلت لخيلى انظرونى فإننى سريع اليكم حين ينصدع الفجر
 وأقحمت مهرى حين صادفت غرة على الطف حتى قيل قد عقر المهر
 فأنجيت أسرى مذحج من هوازن ولم ينجم إلا السكينة والصبر
 ونادوا جميعاً حل عنا وثاقنا أخا البطش إن الامر يحدته الامر
 وأبت بأسرى لم يكن بين قتلهم وبين طعانى اليوم مادونه فتر
 يزيد وعمرو والحسين ومالك ووهب وسفيان وسابعهم وبر

روى نعيم كاتب إبراهيم بن المهدي أن إبراهيم حدثه أن مخلدا الطبرى
 الكاتب للمهدي على ديوان الرسائل أخبره أنه كان فى ديوان عبد الملك يتعلم كما

يتعلم الأحداث في الدواوين إذ ورد كتاب صاحب بريد الثغور الشامية على
عبد الملك يخبره فيه أن خيلاً من الروم تراءت للمسلمين فتفرقوا إليهم ثم
رجعوا ومعهم رجل قد كان أسير في أيام معاوية بن أبي سفيان فذكروا أن
الروم لما توافقوا أعلموهم أنهم لم يأتوا للحرب ، وإنما جاؤا بهذا المسلم
ليسلموه إلى المسلمين لأن عظيم الروم أمرهم بذلك . وذكر صاحب البريد
أن النصارى ذكروا أنهم سألوا المسلم عما قالت الروم فوافق قوله قولهم ،
وذكر أن الروم قد أحسنوا إليه فأنصرفوا عنهم وأخذوه وإني سألته عن
سبب مخرجه فذكر أنه لا يخبر بذلك أحداً دون أمير المؤمنين ، فأمر عبد الملك
بإحضاره له ، ولما حضر قال له : من أنت ؟ قال أنا قبات بن رزين اللخمي
أسكن فسطاط مصر في الموضع المعروف بالجرأ أمرت في خلافة معاوية
وطاغية الروم إذ ذاك ورقاء بن موزة . فقال عبد الملك بن مروان : فكيف
كان فعله بكم ؟ قال لا أحد أشد عداوة للإسلام وأهله منه إلا أنه كان حليماً ،
وكان المسلمون في أيامه أحسن حالا منهم في أيام غيره إلى أن أفضى الأمر
إلى ابنه فقال في أول ما ملك : إن الأمراء إذا طال مكثهم ببلد آنسوا به
ولو كان على غاية الرداءة ، وليس شيء أنكر لقلوبهم من نقلهم من بلد إلى
بلد ، وأمر بآثنى عشر قدحاً ، وكتب في رأس كل واحد منها اسم واحد من
بطارقه الآثنى عشر يضرب بالقدح في كل سنة أربع مرات فن خرج إليه
القدح الأول حول إليه المسلمون فاحتبسهم عنده شهراً ، ومن صار إليه
القدح الثاني صاروا إليه بعد البطريق الذي كانوا عنده في الشهر الأول ،
ومن خرج إليه القدح الثالث حولهم إليه بعد الشهر الثاني ، ثم أعيدت القدح
بعد ذلك . قال قبات : فكنا لا نصير إلى واحد من البطارقة إلا قال : إحدوا
الله عز وجل حيث لم يبتليكم ببطريق الرخان . قال : فكنا نرتاع لذكوره
ونحمد ربنا عز وجل على أن لم يكن يبتلينا برويته (قال) : فكنا عدة سنين
ثم ضرب بالقدح فخرج القدح الأول والثاني لبطريقين من البطارقة ، وخرج
(١٠ - الفرج - أول)

الثالث لبطريق الرخان ثم بنا في الشهرين غم طويل نترقب المسكروه ، ثم انقضى الشهران فحملنا اليه فرأينا على بابه من الجمع على خلاف ما كنا نعين ، ورأينا من رثاجته والغلظة خلاف ما كنا نرى ، ثم وصلنا اليه فتبين لنا من فظاظته وغلظته ما أيقنا معه بالهلكة ثم دعا بالحدادين وأمر بتقييد المسلمين بأمثال ما كان يقيدهم غيره (قال) : فلم يزل الحديد يجعل في رجل واحد واحد حتى صار الحداد إلى قال : فنظرت في وجه البطريق فوجدته قد نظر إلى بخلاف العين التي كان ينظر بها إلى غيري ، ثم كلمني بلسان عربي فسألني عن اسمي وعن نسبي ومسكني مثل ما سألتني عن أمير المؤمنين فصدقته عما سألتني عنه ، ثم قال لي كيف حفظك لكتابكم ؟ (قال) : فأعلمته أني حافظ له . فقال : اقرأ آل عمران . فقرأت عليه منها نحو خمسين آية . فقال : إنك لقارء فصيح ، ثم سألتني عن روايتي للشعر فأعلمته أني راوية فاستنشدني لجماعة من الشعراء فأنشدته فقال : إنك لحسن الراوية ثم قال لخليفته قد وثقت بهذا الرجل فلا تحمده ، ثم قال : وليس من الانصاف أن أسوءه في أصحابه ففك عن جماعته وأحسن مثواهم ، ولا تقصر في قراهم ثم دعا صاحب مطبخه فقال لست أطعم طعاماً مادام هذا العربي عندي إلا معه فاحذر أن يدخل المطبخ مالا يحل للمسلمين أكله ، واحذر أن تجعل الخمر في شيء من طبيخك ، ثم دعا بمائدته واستدنانى حتى قعدت إلى جانبه فقلت له : فدتك نفسي وبأبي أنت أحب أن تخبرني من أى العرب أنت ؟ فضحك . ثم قال : لست أعرف لمسألتك جواباً لأنى لست عربياً فأجيبك عن سؤالك . فقلت له : مع هذه الفصاحة بالعربية . فقال : إن كان باللسان تنقل الانساب من جنس إلى جنس فأنت إذا رومى ، فان فصاحتك بلسان الروم ليست بدون فصاحتى بلسان العرب فعلى قياس قولك يجب أن تكون رومياً وأكون عربياً . (قال) : فصدقت قوله وأقمت عنده خمسة عشر يوماً لم أكن منذ خلقت في نعمة أكثر منها فلما كانت ليلة ستة عشر ، فكثرت في أنه قد مضى نصف الشهر وإن الأيام تقربى من الانتقال إلى غيره فبت مغموماً وصار إلى

رسوله يدعوني لحضور طعامه فلما جعل الطعام بين أيدينا رأى أكلى مقصراً عما كان يعهده ، فضحك ثم قال أحسبك يا عربي لما مضى النصف من شهرك فكرت في أن الايام تقربك من الانتقال عنى إلى غيرى فلا يعاملك مثل معاملتى ولا يكون عيشك معه مثل عيشك معى ، فسهرت واعتراك لذلك غم ثم غير طبعك ، فأعلمته أنه قد صدق . فقال : ما أنا إن لم أحسن الاختيار لصديقى بحجر . كل فقد آمنك الله بما حذرت ، ولم أبت في اليوم الذى رمقتك فيه حتى سألت الملك أن يصيرك عندى مادمت في أرض الروم فلست تنتقل عن يدى ولا تخرج منها إلا إلى بلدك فإنى أرجو أن يسبب الله عز وجل ذلك على يدى . قال : فطابت نفسى ولم أزل مقبياً عنده إلى أن انقضى الشهر وضرب بالقداح ، وخرج لبطارقة غير البطريق الذى نحن عنده وتحول اليه أصحابى وبقيت وحسدى وتغديت في ذلك اليوم مع البطريق . وكان من عادتى أن أنصرف من عنده بعد غدائى إلى إخوانى المسلمين فنتحدث ونأنس ، ونقرأ القرآن ، ونجمع الصلوات ، ونتذاكر الفرائض ويسمع بعضنا بعضاً ما حفظ من العلم وغيره . قال : فأنصرفت ذلك اليوم إلى الموضوع الذى كنت أجتمع فيه مع المسلمين فلم أر أحداً منهم فضايق صدرى ضيقاً تمنيت أن أكون مع أصحابى ، وبت بليلة صعبة لم أطبق فيها بين أجفائى فأصبحت أكثف خلق الله عز وجل بالاً ، وأسوأهم حالاً ، وصار إلى رسول البطريق في وقت الغداء فلما صرت اليه تبين النعم في وجهى ومددت يدى إلى الطعام فرأى مد يدى اليه بخلاف عادتى . فضحك ثم قال : أحسبك اغتممت لفراق أصحابك فأعلمته أن قد صدق . وسألته هل عنده حيلة في ردهم إلى يده . فقال : إن الملك لم يرد بتنقل أصحابك من يد إلى يد غيرى إلا ليغفمهم بما يفعل ، ومن المحال أن يدع تدييرهم في الأضرار بهم لميل اليك ومحبتى لك ، وما عنسدى في هذا الباب حيلة . فسألته أن يسأل الملك إخراجى عن يده وضمى إلى أصحابى لاكون معهم حيث كانوا . فقال : ولا فى هذه أيضاً حيلة لاني لا أستجير أن أنقلك من سعة إلى ضيق ، ومن كرامة إلى هوان ، ومن نعمة إلى شقاء .

(قال): فلما قال لى ذلك تبين فى الانكسار وغلبة الغم . فقال لى : ما بلغ بك من الغم فأعلمته أنه بلغ بى مانع من الحياة وحجب لى الموت لعلمى أنه لا راحة لى بغيره . فقال لى إن كنت صادقا فقد دنا فرجك فسألتة عما دله على قوله . فقال لى لى وقعت فى نكبات أشد هولا بما أنت فيه وكان عاقبتها الفرج فاسمع بحكايتى وانعظ . أعلم ان بطريقة ذلك لم تزل منذ مئتين سنين فى أهلى يتوارثونها وأن عددهم كان كثيرا ففتفانوا ولم يبق منهم غير أبيه وعمه ، وكانت الطريقة إلى عمه دون أبيه فأبطل على أبيه وعمه الولد فبذلا للمتطبين الكثير من الأموال لعلاجهما بما يعالج به المتطبيون الرجال والنساء . إلى أن بطل العم ويئس من الانتشار فصرف عنايته إلى معالجة أبى البطريق فعلقت ألى بى فلما علم العم أنها علقت وجه لجمع عدة من الحبالى من السنة مختلفة فيها اللسان العربى والرومى والأفرنجى والكردى والصقلبى والخزرى فوضعن فى داره فلما ولدتنى ألى أمر بتصوير أولئك النساء كلهن معى يرضعننى ، ثم أمر بتصوير ملاعبيه ومؤديه من أجناس النساء اللواتى ربيته . قال البطريق : فكانوا يعلموننى الكتابة وقراءة كتب دينهم فلم ينقض عليه تسع سنين حتى علم أمر دينهم وقرأ كتبهم وأجابهم عنها ، ثم أمر عمه أن يضم إليه جماعة من الفرسان يعلمونه الثقافة والمساواة وجميع ما تعلمه الفرسان ومنعه من سكنى المنازل وأمره أن ينزل فى المضارب وأن يمنع من أكل اللحم إلا ما ناله بصيد طائر يحمله على يده ، أو صيد كلب يسعى بين يديه ، أو صيد بسهمه فكانت تلك حاله حتى استوفى عشر سنين ثم رضى الله عز وجل فى عصب عمه فأتى وولى الطريقة بعد عمه أبوه . فأمره بالقدوم عليه فقدم ورأى شمائله وفهم أده فاشتد عجب به فتسمع له بما لم تكن ملوك الروم تتسمع به لولاءة أمورها وأعتدله مضارب وفساطيط الديباج وضم إليه من الفرسان جماعة كثيفة ووسع على الجميع فى كل ما تحتاج إليه ورده إلى سكنى المضارب وأمره بالاستبعاد عن منازل أبيه . قال البطريق : فلما استتمت لى خمس عشرة سنة ركبت يوما لارىاد مكان أكون فيه فبصرت بغدير من ماء طوله ألف ذراع وعرضه مائتين ثلثمائة ذراع فأمرت بضرب مضاربى على ذلك

الغدير وتوجهت لطلب الصيد فرزقت ذلك اليوم منه ما لم أطمع في مثله
كثرة ، ثم نزلت وقد ضربت المضارب فأمرت الطباخين فطبخوا لي ما اشتيت
من الطعام ثم نصبت المائدة بين يدي وإني لانتظر الطبخ يغرف إذ سمعت
ضجة ما فهمت خبرها حتى رأيت رؤس أصحابي تتساقط عن أبدانهم ،
فتخبيت عن مكاني وخلصت ثيابي ، ولبست ثياب بعض عبيدي ثم نظرت
يمينه وشمالاً فلم أر حولي إلا مقتولاً ، وأرى فاعل ذلك كله بأصحابي منسر
من مناسر الرخان ثم أسرت كما يؤمر العبيد واحتملوا كل ما كان معنا من
مضرب وغيره ، وصاروا بي إلى ملك الرخان فلما رآني لم يكن له ولد ذكر
أمر بالتوسعة عليّ وأن أكون واقفاً على رأسه وسماني ابنه قال : وكان له
ابنة كانت مغرماً بها وقد عليها الفروسية ومساواة الأقران ومقاتلتهم
ومراكدتهم قال : فقال جماعة من بطارقه من منكم يتوجه إلى ملك الروم
فيجئني بكتاب من بلده ليعلم ابنتي الكتابة ، فأعلمته أن رسوله لا يأتيه بأكتب
منى فأمرني أن أكتب بين يديه فكتبت فاستحسن خطي وقرنه بكتب كانت
ترد عليه من والدي فرأى خطي أجود فدفع ابنته إليّ وأمرني أن أعلمها
الكتابة فهويتها وهويتني فكشفت معي حتى استوفت ثلاثة عشر سنة ثم عادت
إليّ يوماً وهي باكية فقلت لها ما يبكيك ياسيدي ؟ فقالت إني كنت جالسة
بين يدي أمي وأبي في هذه الليلة وغلبتني عيناي فممت فسمعت أبي يقول لأمي
أرى ثدي ابنتك قد ثقل ، وأرى خلق هذا الرومي قد غلظ وليس يلغى
أن يجتمعاً بعد هذا الوقت فإذا جلست غداً معه فابغى إليها من يفرق بينهما
وبينه حتى لا يراها ولا تراه قال البطريق : من سنة الرخان أن يكون الرجل
يخطب لابنته حتى يزوجه ولا يخطب الرجل لابنته زوجاً دون أن تختاره
البلت . قال البطريق : فقلت لابنة الملك إذا سألك أبوك عن تخمين أن يخطب
لك من الرجال فقولى لست أريد إلا هذا الرومي فغضبت وقالت : كيف
يجوز لي أن أسأل أن يخطب لي وأنت عبيد ؟ قال فقلت ما جعلني الله عز وجل
عبيداً . وإني ابن الملوك وأبي ملك الروم . قال البطريق وأهل الرخان يسمون
البطريق الرومي الذي يتولى جند رخان ملك الروم فسألني : هل ما أعلمتها

حق ؟ فقلت لها : إنه حق فامضى على كلامنا حين حتى جاء رسول الملك ففرق بيني وبينها ولم يمض لى بعد ذلك إلا ثلاثة أيام حتى دعانى الملك فدخلت عليه فرأيت أمارات البشر مستحكمة في وجهه ثم قال لى : يا شقى ما حملك على الكذب فى نسبك فأنا أحكم على من انتسب إلى غير أبيه بالقتل . فقلت : ما انتسبت إلى غير أبى . فقال لى ابلتى تقول أنك ابن ملك الروم فأعلمته أنى أقول ذلك ، ودعوته ليكشف الأمر وينظر فيه . فقال : لى لست أحتاج إلى أن أكشف أمرك برسول أرسله ليعرف خبرك ولى أشياء أمتحنك بها فأعرف صدقك من كذبك . فدعوته إلى كشفها بما شاء فدعا بدابة ولبد وسرج وجام وأمرنى بتناول الدابة فأخذتها من يد السائس ، ثم أمرنى بأخذ اللبد فأخذته ، وأمرنى بالقائه على الدابة ففعلت ثم أمرنى بشد الحزام والثفر واللب وأخذ اللجام والجام الدابة ففعلت ذلك كله ، ثم أمرنى بركوب الدابة فركبته وأمرنى بالسير فسرت ، ثم أمرنى بالإقبال فأقبلت ، ثم أمرنى بالنزول فقال عند آخر ذلك كله أشهد أنه ابن ملك الروم ، لأنه أخذ الدابة أخذ ملك ، وعمل سائر الأشياء مثل ما تعمله الملوك ، فاشهدوا أنى قد زوجته ابلى . فلما قالوا إنا قد شهدنا قال : لا تشهدوا قال البطريق فلما سمعت قوله لا تشهدوا نزلت على الكلمة نزول الصاعقة وخفت أن تأتى على نفسى ثم قال لى لم أنهم عن الشهادة رغبة عنك ولكن لنا شرط لا يمكن أن نخالفه ، ولم آمن أن نضطر فنحملك على شرطنا وهو ما لم نخبرك به ونقفك عليه فنكون قد ظلمناك أو ندع سنة بلدنا فنكون قد فارقتنا ملتنا . إن سنتنا ياروحى أن لا نفرق بين الزوجين إذا مات أحدهما فإن مات الرجل قبل المرأة جعلناها فى سريرها وجعلنا زوجها معها وصيرناهما جميعاً فى المهر فان رصيت بهذا الشرط فبارك الله لك فى زواجها ؛ وإن لم ترض بها فليست راصية بك ولا يستقيم لك أن تزوجها على خلاف سنتنا فأخرجتنى الصباية بها إلى أن قلت قد رصيت بهذه السنة فأمر بتجهيزها وتجهيزى ، وجمع ما بيننا فأقت معها أربعين يوماً لا يرى كل واحد منها ومنى إلا أنه قد فاز بملك الدنيا ثم اعتلت علة كان معها عشية

لم نشكك وجميع من رآها أنها قد قضت نحبها . قال: فجهزت بها خرياتها وجهزت
مثل ذلك وحملنا في نعش واحد وركب الملك وأهل مملكته فشيّعونا حتى
وافوا بنا شفير البئر ثم شدوا أسافل السرير بالحبال وجعلوا معنا في النعش
طعاماً وشراباً لثلاثة أيام ، ثم دلونا حتى صرنا إلى قرار البئر ثم أرخيت
علينا الحبال فسقط حبل منها على وجه الجارية فأزال ما أصابها من الغشى
فانتبهت ، فلما أفاقنا رأيت أن الدنيا قد جمعت لي واستمرت عيني على الظلمة
فرأيت في الموضع الذي أنا فيه من الخبز اليابس ماله دهر كثير فأخذت أغتذى
وأغذيها في تلك البئر وكنا لانعدم في كل يوم أن يدلى سرير فيه زوجان ،
أحدهما حي والآخر ميت فكان النازل إذ كان رجلاً حياً توليت قتله لئلا
يكون معي ومع امرأتى رجل وإن كانت امرأة تولت بليت الملك قتلها غيره
عليّ من أن يكون معي امرأة سواها قال فكشنا في البئر وهذه حالنا أكثر
من سنة إذ دلى إلى البئر دلو فعلت أن مدليه غير راخاني ولا بد أن يكون
فاعل ذلك رومي ، ووقع لي أن أقدم الجارية فتخلص ثم تعرفه حالي فيرد
الدلو فأخرج قال : فحملت ابنة الملك فجعلتها في الدلو بكسوتها وحليها
وجوهرها واجتذب القوم الدلو فخرجت إليهم الجارية وإذا القوم بمالك
لأبي ولم ينتبهوا على السؤال عني وهابتهم الجارية وقد كانوا رأوا ما كان فيه
أبي وأمي من غلبة الحزن عليهما من فقدى فدبروا بالمصير بالجارية إلى
أبوي ليتخذوا عندهم يداً وليتخذاهما الجارية ولداً يسكنان إليها ويتعزبان
بها فصاروا بها إليهما فسرّا بها وسكنّا إليها واستمرت الفتى بالجارية
فحصلت خير محصل وقد كان صديق لأبي له أدب وحكمة وعلم بالتصاوير
صور له صورتني في خشية وزوقها وجعلها لأبوي في بيت وقال لهما متى ما ذكرتما
ابنكما واشتد جزعكما فادخلا وانظرا إلى هذه الصورة فابكما ستبكيان بكاء
شديداً يعقبكما سلوة (قال البطريق) : ولما صارت الجارية إلى والدي ورأتهما
يدخلان ذلك البيت ويخرجان وقد بكيا سبقتهم مرة وهما داخلان فبصرت
بالصورة فلما رأتهما لطمت وجهها ومزقت شعرها وثيابها فسألاها عن

السبب فيما أحلت بنفسها؟ فقالت : هذه الصورة صورة زوجي فسألاها عن اسمه وأسم أبيه وأمه فاستمهم جميعاً فقالا لها وأين زوجك هذا؟ قالت : في البئر التي أخرجت منها فركب أبي وأمي في أكثر أهل البلد ومعهم الغلمان الذين أخرجوا الجارية من البئر حتى وافوا البئر فدلوا الدلو قال البطريق فلما رأيت الدلو وكنت قد سلكت سبيلي الذي أنزل معي من غمده وجعلت ذؤابته بين يدي لا تكي عليه فأخرجه من ظهري فاستريح من الدنيا لغلبة الغم على فوثبت وقعدت في الدلو واجتذبتني من كان فوق البئر حتى خرجت منها فوجدت أبي وأمي وامراتي على شفيرها وقد أحضروا لي الدواب لا نصرف إلى بيت أبي وأمي وكان أبي قد صار ملك تلك البلاد فلم أطعهما وأعلمتهما أن الأصوب البعثة إلى أبي الجارية وأمها حتى يرى ابنتهما مثل ما رأني أبواي ففعلاً ذلك ووجها إلى أبي الجارية وهو صاحب الرخان نخرج في أهل مملكته حتى عايناهما ، وأقاما لها عرساً وحدثت مهادنة بين الروم والرخان جرت فيها أيمان أنه لا يغزو أحد منهما صاحبه ثلاثين سنة وصار القوم إلى بلادهم ، وصرنا إلى منازلنا ومات أبي فورثت البطارقة منه ورزقت من ابنة الملك الولد ، وأنت يا عربي إن كان الغم قد بلغ منك ما ذكرت فقد جاءك الفرج . قال : فما انقضى كلام البطريق حتى دخل عليه رسول ملك الروم فقال له : يقول لك الملك صر إلى نخرج اليه ثم عاد فقال يا عربي قد جاءك الفرج . ثم قال لي : إني كنت عند الملك وجرى ذكر العرب فرمتهم البطارقة عن قوس واحد وذكروا أنهم لا عقول لهم ولا أدب ، وإن قهرهم الروم هو بالغلبة لا بحسن التدبير فأعلمت الملك أن الأمر على خلاف ما ذكروا وأن للعرب آداباً وأذناناً فقال لي الملك : أنت لمحبتك لضيفك العربي مفرط في إعطاء العرب ما ليس لها فقلت إن رأي الملك أن يأذن لي في إحضار العربي للجمع بينه وبين هؤلاء المتكلمين ليعرف فضيلته فأمرني بمحملك اليه . فقال قبات : فقلت له بئسما صنعت بي لأنني أخاف أن غلبتني أصحابه أن يستخف بي ، وإن غلبتهم أن يضحدني فقال صفتك هذه صفة العامة والملوك على خلافها وإني أخبرك أنك إن غلبتهم جللت في عين الملك وكنت

عنده بمكان يقضى لك فيه حاجة ، وإن غلبوك سره غلبة أهل دينه لك فأوجب لك بذلك ذمماً ، وإن أقل ما نرى أن يقضى لك به حاجة وإن غلبت أو غلبت فاسأله لإخراجك عن بلده وردك إلى بلدك فإنه سيفعل ذلك . قال قبات : فلما دخلت على الملك استدانى وقربنى وأكرمنى وقال لى ناظر هؤلاء البطارقة فأعلمته أنى لا أرضى لنفسى بمناظرتهم ، وإنى لا أناظر إلا البطريق الكبير فأمر بإحضاره . فلما دخل سلمت عليه وقلت له مرحباً بهذا الشيخ الكبير القدر : ثم قلت له : يا شيخ كيف أنت ؟ قال : فى عافية . فقلت له فكيف حالك كلها ؟ فقال : كما تحب . فقلت وكيف ابنك ؟ قال : فتضحك البطارقة كلهم . وقالوا : زعم البطريق يعنون الذى هو صديق لى هذا أديب وإن له عقلاً وهو لا يعلم بجهله أن الله عز وجل قد صان هذا البطريق أن يكون له ابن فقلت : كأنكم ترفعونه عن أن يكون له ابن ؟ فقالوا : أى والله إنا لرفعناه إن كان الله عز وجل قد رفعه عنه . فقلت : وأعجباً إن لا يحمل لعبد من عبيد الله أن يكون له ابن ، ويحمل الله تعالى ذكره وهو خالق الخلائق كلها أن يكون له ابن . قال : فنخر البطريق نخرة أفزعتنى ، ثم قال : أيها الملك أخرج الساعة هذا من بلدك لئلا يفسد عليك أهله . فدعا الملك بالفرسان وضمنى اليهم وأحضر لى دواب البريد وأمر بحملى عليها وبيد رقى . وتسليمى إلى من يلقانا فى أرض الإسلام من المسلمين فسلبونى إلى من تسلبنى من أهل الثغور ثم ذكر حديثاً لعبد الملك مع الرجل لا يتعلق بهذا الباب .

الباب السادس

من فارق شدة إلى رخاء بعد بشرى منام ولم يشب
صدق تأويله كذب الأحلام

قال أبو علي : أخبرني أبو بكر محمد بن يحيى الصولى ، قال : حدثنا محمد بن يحيى بن أبي عبيد الجيشى قال : رأى المعتضد وهو فى حبس أبيه كأن شيخاً جالساً على دجلة يمد يده إلى ماء دجلة فيصير فى يده وتجف دجلة ثم يرده من يده فتعود دجلة كما كانت فسألت عنه فقيل لى هذا على بن أبي طالب رضى الله عنه فقممت إليه فسلمت عليه فقال لى يا أحمد : إن هذا الأمر صائر إليك فلا تتعرض لولدى وصنهم ولا تؤذهم . فقلت السمع والطاعة لك يا أمير المؤمنين . وحدثنى أبى رحمه الله تعالى بهذا الحديث على أتم من هذا بإسناد ذكره عن ابن حمدون النديم قال : قال لى المعتضد وهو خليفة لما قدم أبى وهو عليل العلة التى مات فيها وأنا فى حبسه ازداد خوفاً على نفسه ولم أشكك فى أن . إسماعيل بن بلبل سيجمله على قتلى أو يحتال بحيلة يسفك دمه بها إذا وجد أبى قد ثقل فى علبته وآيس منه ، فقممت ليلة من تلك الليالى وأنا من الخوف على أمر عظيم . وقد صليت صلاة كثيرة ودعوت الله عز وجل فرأيت فى منامى كأننى على شاطئ دجلة فرأيت رجلاً جالساً على الشط وهو يدخل يده فى الماء فيقبض عليه فتقف دجلة ولا يخرج من تحت يده جرعة من ماء حتى يجف ما تحت يده ويتزايد الماء الى فوق يده ويقف كالطود العظيم ثم يخرج يده من الماء فيجرى ففعل ذلك دائماً فهالنى ما رأيت فدنوت منه فسلمت عليه وقلت له من أنت يا عبد الله الصالح ؟ قال : أنا على بن أبي طالب اقلت يا أمير المؤمنين ادع لى . قال : ان هذا الأمر صائر إليك فاعتضد بالله تبارك وتعالى واحفظنى فى ولدى . قال : فانتبهت وكأنى أسمع كلامه لسرعة المنام فوثقت بأنى أتقلد الخلافة وقويت نفسى وزال خوفاً فقلت لعظام كان معى فى الحبس لم يكن معى غيره من غلمانى اذا أصبحت

فامض وابتع لي فصا ، واكتب عليه : أحمد المعتضد بالله ، واصنعه خاتماً
وانتني به . ففعل ، ولبسته وقلت : إذا وليت الخلافة جعلت لقبى المعتضد بالله
قال : ثم أخذت أقطع ضيق صدرى في الحبس بتصفح أحوال الدنيا وأعمال
فسكرى في تديير عمارة الخراب منها ، ووجه فتح المنعلق منها ، وتعيين العمال
للتحواحي والأمراء للبلدان ثم أخذت رقعة وكتبت فيها بدرا الحاجب
وعبيد الله بن سليمان الوزير ، وفلان أمير البلد الفلاني ، وفلان عامل البلد
الفلاني ، وفلان المديوان الفلاني . إلى أن أتيت على ما في نفسي من ذلك ،
ودفعتها إلى الغلام وقلت : احتفظ بها فان دمي ودمك مرتنان بما فيها فحفظها
وما مضى على الأمر إلا أيام يسيرة حتى لحقت الموفق غشية لم يشك الغلمان
في أنه قد مات . فجاءوا إلى فأخرجوني فصرت إلى بيت فيه الموفق فلما رأيته
علمت أنه غير ميت ، فجلست عنده وأخذت يده أقبلها وأترشفها ، فأفاق فلما
رآني أفعل ذلك أظهر انتقبل وأومأ إلى الغلمان أن أحسبتم فيما فعلتم ثم مات
الموفق في ليلته تلك ، ووليت مكانه فأمضيت بقايا تلك التدبيرات كلها . قال
لي أبي : قال ابن حمدون : فما تعرض المعتضد في أيامه للعلويين ولا آذاهم ولا
قتل منهم أحداً لهذا المعنى .

* * *

قال علي بن هشام بن عبيد الله الكاتب بإسناده : أن أبا الحسين بن
ميمون الأفطس كاتب المتقي في أيام أبيه ووزيره لما استخلف قال :
كان بيني وبين أبي أيوب بن سليمان بن وهب مودة وكيدة فلما تسهلت محنته
بعد قتل إيناخ صرت إليه وهو محبوس مقيد إلا أنه مرفه في الكسوة وكبر
الدار والفرش وحسن الخدمة ، وقد صلحت حاله بالإضافة إلى ما كان عليه
في أول نكبته من الضرب والتضييق فحدثني أنه رأى في ليلته تلك في منامه
كان قائلاً يقول هذا البيت :

اصبر ورب البيت لا يقتادها أحد سواك وحظك الموفور

قال : فصرت إلى أخيه أبي علي بن الحسن بن وهب فحدثته بذلك فسرته

وكان كالمستتر الممتنع من ملاقاته السلطان فعمل شعراً ضمّه إلى البيت وسألني
إيصاله إلى أبي أيوب فأخذته فأوصلته وهو:

الدمع من عين أخيك غزير في ليله ونهاره محذور
بأبي وأمي حظوك المقصور ومقيد ومصنف وأسير
وزاد فيه غيره في هذه الرواية:

فكر يحول بها الضمير كأنما يذكر بها دون الشغاف سفير
ونجوى دخیل ليس يعرف كنهه بمن يلاهيّه أخ وعشـير
فيظنه خدّاته متسلياً والبت في أحشائه مستور
رجع إلى الرواية الأولى:

ما كنت أحسبني أعيش ومهجتى تحت الخطوب تدور كيف تدور
قلقاً فأنتك بالعزاء جدير وعلى النوائب منذ كنت صبور
عثرات مثلك في الزمان كثيرة ولهن بعد مثابة وحبور
ان تمش في حلق الحديد فخشوها منك السماحة والندى والخير
والفصل للشبهات رأيك ناقد فيها يضيء سداده وينير
وتحمل العبء الثقيل بثقله منك المجرب عزمه المخبور
فاصبر ورب البيت لا يقنأها أحد سواك وحظك الموفور
ماذا بقلب أخيك منذ فارقتك ليكاد من شوق إليك يطير
فكأنما هو قرحة مقرونة منها البلبال والهموم تثور
والله مرجو لكربتنا معاً وعلى الذي نرجوه منك قدير
قال: فما مضت إلا أيام يسيرة حتى أطلق سليمان بن وهب ثم انتهى بعد
ذلك إلى الوزارة:

حدثني علي بن هشام قال: حدثني أبو الفرج محمد بن جعفر بن حفص
الكاتب قال: حدثني أبو القاسم عبيد الله بن سليمان قال: كان أبو محمد الحسن
ابن مخلد أول من رفعني واستخلفني على ديوان الضياع فكنت أخافه عليه

إلى أن ولي شجاع بن القاسم الوزارة مع كتابة أو تماش في أيام المستعين واشتد جزع أبي محمد منه فسألته عن ذلك ؟ فقال : هذا رجل حمار لا يغار على صناعته وهو مع هذا من أشد الناس حيلة وشدة ، وهو يعرف كبر نفسه وصغر نفسه وقد بدأ بأبي جعفر بن إسرائيل فصرفه عن ديوان الخراج ونسكبه ونفاه إلى انطاكيا ولست آمن أن يجعلني في أثره . (قال) : فما مضى إلا أسبوع حتى ظهر أن أبا موسى عيسى بن فرخان شاه القناني الكاتب وكان من صنائع الحسن وقد أسلم إذ ذاك قد سعى مع شجاع في تقلده ديوان الضياع ثم تقلده صارفاً للحسن بن مخلد وخلع عليه فازداد جزع أبي محمد الحسن وأغلق بابه وقطع الركوب فأنا عنده في بعض العشيات إذ أتت رقعة شجاع يستدعيه ويؤكد عليه في البدار فارتفع ونهض وتعلق قلبي به فاستظرتُه إلى أن عاد وهو مهموم مكروب . فقلت : ما خبرك ؟ قال قد فرغ شجاع من التدبير عليّ وذلك أنه قد صح عندي بعد اقتراقنا أن أو تماش قال البارحة لبعض خواصه قد ثقلنا على شجاع وحملناه مالا يطيق من كتابتي والوزارة وتركنا هذا الشيخ يعني الحسن بن مخلد متعطلاً لا بد من أن يفرج له شجاع إما عن كتابتي ، وإما عن الوزارة لأقلده إحداهما . فلما بلغ ذلك شجاعاً أنفذني إلى في الوقت . فلما رأيت الساعة قال لي يا أبا محمد : أنت شيخى ورئيسى وأنت اصطغتنى وأنا معترف لك بالحق وآخر مالك عندي من الأنعام أنك قلدتني عمالة همدان فانتقلت منها إلى هذه المنزلة والامير يحذرك الحذر كله وقد أقام على أنه لا بد من نسكبتك وإفقارك فلأجل ما أقمت من الامتناع عليه من هذا وسألته في أمرك فجرت خطوط تقررت على أن لا تجاوره وتشخص إلى بغداد ورضيته بذلك وصرفت عنك النكبة وقد أمرني بإخراجك من ساعتك . فما زلت حتى استنظرتُه ثلاثة أيام أولها يومنا هذا فاعمل على هذا فإنك تمضي إلى بلد الأمر فيه والناهي أبو العباس محمد بن عبد الله ابن طاهر وهو صديقك ، ويخدمك الناس كلهم ولا تخدم أحداً ، وتقرب من ضيعتك فأظهرت له الشكر وضمنت له الخروج ، وأنا خائف منه أن يدعني حتى أخرج آلائي

والحرم وتجملى ثم يقبض على ذلك كله وينكبني . فقلت : الوجه أن تفرق جميع مالك من الحرم والأشعة والدواب وتودعه ثقاتك وإخوانك . من وجوه قواد الأتراك وكتابهم ، وتطرح الثقل الذي لاقيمة له من خيش وستائر وأسرة وآلات مطبخ في الزواريق وتجلس في الحراسة العجائز اللواتي لا تمتكر في هن ليظن أنهن الحرم وتخرجهن ، وتجتهد أن يكون خروجك خروجاً ظاهراً ولا تمكاشف بالاستتار بل على سبيل توق ومراوغة فإذا حدثت ببغداد أمنت . فقال : هذا رأي صحيح وأخذ يسلمح أمره على هذا فلما كان في ليلة اليوم الثالث لم أتم أكثر الليل ففكر فيه ثم نمت لما غلبتني عيني فرأيت في السحر كأن قائلاً يقول لا تنعم فقد ركب الأتراك من أصحاب وصيف وبغا إلى أوتامش ، وكان به شجاع وقد هجموا عليهما وقتلوهما واسترحم . قال : فانتبهت مفزوعاً ووجدت الوقت قد جاوز انفجار الفجر فصليت وركبت إلى الحسن بن مخلد فدخلت عليه من باب له غامض لأنه قد كان أغلق أبوابه المعروفة فسألته عن خبره فقال هذا آخر الأجل وقد خطت أن يعاجلني شجاع بالقبض علي فأغلقت أبوابي واستظهرت بغلاني يراعون رسله فإذا جاؤا ورأوا أمارة الشرفيهم أنذروني فأخرج من هذا الباب الغامض وإن يسألوا خبر شجاع فإن كان في داره قالوا لمن يخبئني فيطلبني من جهته أني في دار أوتامش ، وإن كان في دار أوتامش قالوا للرسول أني في دار شجاع مدافعة عني حتى أهرب . قال : فقصصت عليه الرؤيا فتضاحك وقال ما ظننتك بهذه الغفلة نحن في اليقظة كما ترى كيف يصح لنا خبرك في المنام لهذا إنما نمت وأنت متمنى خلاصي فرأيت ذلك في منامك . قال : فخرجت من عنده أريد دارى فليقني في الطريق جماعة كثيرة فعرفوني أن الأتراك قد ركبوا بالسلاح فصرت إلى منزلي وأغلقت بابي ووصيت عيالي بحفظ الدار وعدت فدخلت إلى الحسن فأخبرته بالخبر فأمر بمراعاة الأمر ، فصار لما نتعرف الأخبار ساعة بساعة إلى أن جاء الناس فعرفونا قتل الأتراك لشجاع ، ثم دخل رجل فقال : أنا رأيت الساعة

رأس أوتامش . قال وصح الخبر بقنلهمما ونهبت مر من رأى كلها فما أفلت من النهب أحد أحسن من إفلات الحسن بن مخلد لأن ماله كله كان قد جعل عند القواد وكتابهم ولم يضع منه شيء وكان متعطلاً فلم تقصد النهاية داره وما أمسينا إلا على سرور بالفرج الذي لم يكن لنا في الحساب .

* * *

حدثني أبو الفرج المخزومي المعروف بالسبغاء الشاعر قال : كان بحلب رجل بزار يعرف بأبي العباس بن الموصل فاعتقله سيف الدولة بمخراج كان عليه مدة . وكان : الرجل محدقاً في تفسير الرؤيا فلما كان في بعض الأيام كنت بحضرة سيف الدولة وقد أوصلت له رقعة إليه يسأله فيها حضور مجلسه فأمر باحضاره وقال له : لا شيء سألت الحضور ؟ قال لعلي أنه لا بد أن يطلقني الأمير سيف الدولة من الاعتقال في هذا اليوم فقال له : ومن أين لك ذلك ؟ قال لأني رأيت البارحة في آخر الليل رجلاً قد سلم إلى مشطاً وقال سرح لحيتك . ففعلت ذلك فتأولت التسريح سراحاً من شدة واعتقال ، ولكون المنام في آخر الليل حكمت أن تأويله يصح سريعاً . ووثقت بذلك فجعلت الطريق إلى الأمير مسألة الحضور ولاستعطفه فقال له : أحسنت التأويل والأمر على ما ذكرت وقد أطلقتك وسوغتك خراجك في هذه السنة فخرج الرجل وهو يدعو له ويشكر .

* * *

أخبرني القاضي أبو طالب محمد بن أحمد بن إسحق بن البهلول التنوخي فيما أجاز لي رواية عنه بعد ما سمعته منه قال : حدثنا محمد بن خلف ، قال : حدثني أبو سهل الدارقي القاضي قال : حدثنا أبو حسان الزياتي القاضي قال : جاءني رجل من أهل خراسان فأودعني بدرة درهم فأخذتها مضمونة وأسرعت فيها وكان قد عزم على الخروج إلى مكة ثم بداله فعاود فطلبها فاغتممت وقلت له : تعود تدأ ثم وزعت إلى الله عروحل ودعوته ، ثم ركبت بغلتي في الغلس

وأنا لا أدري أين أتوجه وعبرت الجسر وأخذت نحو المحرم وما في نفسي أحد أقصده فاستقبلني رجل راكب فقال إليك بعثت . فقلت : ومن بعثك ؟ قال دينار بن عبد الله فأتيته وهو جالس فقال لي : ما حالك ؟ فقال نمت الليلة فأتاني آت فقال لي أغث أبا حسان فحدثته بحديثي فدعا بعشرين ألف درهم فدفعها إلى فرجعت فصليت في مسجد الغدا فجاء الرجل فقضيته وأنفقت الباقي . ووقع لي هذا الخبر من طريق آخر بأسانيد قالوا : حدثنا أبو حسان الزيادي قال أضقت إضاقة بلغت منها الغاية حتى ألح على القصاب ، والخباز ، والحزاز ، وسائر المعاملين ولم تبق لي حيلة . ولما ليوم من الأيام على تلك الحال وأنا مفكر فيما أعمل إذ دخل على غلامي فقال : حاجي بالبواب يستأذن . فقلت له ائذن له . فدخل رجل خرساني فسلم وقال أأنت أبا حسان ؟ فقلت : نعم . فما حاجتك قال أنا رجل غريب وأريد الحج ومعى جملة مالى وقد أحضرته فى بدرة معى وهو عشرة آلاف درهم وأنا محتاج أن يكون قبلك حتى أقضى حاجي وأرجع فأتأخذ إذ كنت غريباً بهذه البلد لا أعرف به أحداً . فقلت هات البدرة فأحضرها ووزن ما فيها وختمها فلما خرج فككت الختم على المكان ثم أحضرت المعاملين فقبضت كل من كان له عندي دين واتسعت وأنفقت وقلت أضمن هذا المال للخرسانى فالى أن يجي . يأتى الله بنرج من عنده فكنت يومى ذلك فى سعة ولست أشك فى خروج الخرسانى إلى الحج ، فلما أصبحت من غد ذلك اليوم دخل الى الغلام فقال : الخرسانى الذى كان عندك أمس بالبواب . فقلت ائذن له فدخل إلى فقال : انى كنت عازما على ما أعطيتك به ثم ورد على الخبر بوفاة والدى وقد عزم على الرجوع الى بلدى فتأمرلى بالمال الذى أعطيتك أمس فورد على أمر لم يرد على مثله قط ، وتحييت فلم أدربما ذا أجيبه ، وتذكرت ماذا أقول للرجل ان جحدته قدسنى واستجلبنى فكانت الفضيحة فى الدنيا والآخرة والهلك وان دافعت صاح وه كنى . فقلت نعم عافاك الله منزلى هذا ليس بالحرير ولما أخذت مالك وجهت به الى من هو قبله فتعود فى غد فتأخذه . فانصرف

وبقيت متحيراً لا أدري ما أصنع ، وغلظ على الأمر جداً فأدركني الليل وفكرت في بكور الخراساني فلم يأخذني نوم ولم أقدر على الغمض . فقلت إلى الغلام وقلت له : اسرج لي البغلة . فقال يا مولاي : هذه العتمة بعد وما مضى من الليل شيء فإلى أين تمضي ؟ ! فرجعت إلى الفراش فاذا النوم تمتنع علي فلم أزل أقوم إلى الغلام وهو يردني حتى فعلت ذلك ثلاث مرات وأنا لا يأخذني القرار حتى طلع الفجر وأسرج الغلام البغلة وأقبلت أفكر وهي تسير حتى بلغت الجسر فعدلت بي إليه فتركها فعبرت ثم قلت إلى أين أعبر ولكن إن رجعت وجدت الخراساني على بابي فأدعها تمضي حيث شاءت فلما عبرت الجسر أخذت بي يمنة دار المأمون والدنيا بعد مظلمة وإذا بفارس قد تلقاني ونظر أن قربت من دار المأمون والدنيا بعد مظلمة وإذا بفارس قد تلقاني ونظر في وجهي ثم سار وتركني ثم رجع إلى وقال : ألسنت أبا حسان الزيادي ؟ قلت : نعم . قال بعثت إليك . فقلت وما تريد يرحمك الله ؟ ومن بعثك إلى فقال الأمير حسن بن سهل . فقلت في نفسي ما يريد مني ثم قلت فيها أنا ذا أمضي إليه فمضى حتى استأذن لي عليه فدخلت عليه فقال أبا حسان . ما خبرك ، وكيف حالك ، ولم انقطع عنا ؟ قلت : لأسباب ، وذهبت أعتذر من التبخلف . فقال دع ذا عنك أنت في لوثة وأمر ما هو فإني رأيتك البارحة في النوم في تخليط كثير . فابتدأت فشرحت له قصتي من أولها إلى آخرها إلى أن لقيني صاحبه ودخلت عليه فقال : لا أغمك الله يا أبا حسان قد فرج الله عنك هذه بكرة للخراساني مكان بدرته ، وبكرة أخرى تنسج بها فاذا نفذت اعلينا . فرجعت من ساعتي فقضيت دين الخراساني واتسعت بالباقي وفرج الله عز وجل عني . وحدثني بهذا الحديث أبو الفرج محمد بن محمد بن جعفر قال حدثنا أبو القاسم علي بن محمد بن أبي حسان الزيادي ، وكان محدثاً ببغداد ثقة مشهوراً قال : حدثني أبي عن أبيه قال : كنت وليت القضاء من قبل أبي يوسف القاضي رحمه الله ثم صرفت وتعطلت وضقت لمضاقاة شديدة وركبني دين فادح ، الخباز ، وبقال ، وقصاب ، وعطار ، (١١ - الفرج - أول)

وبراز ، وغيرهم حتى قطعوا معاملتي لكثرة ما لهم علي وثأيتهم من أن أقضيهم
فتضاعفت إضاقتي واشتدت حيلتي فأني يوماً في مسجدى قد صليت بأهله
الغداة ثم أقبلت أدرس أصحابي الفقه إذ جاءني رجل خراساني وذکر
الحديث علي نحو ما ذكره طلحة إلا أنه قال : فلما بلغت بغلتي مربعة الجسر
استمبلني موكب فيه من الشموع والنفاطات ما أضاء منه الطريق فصار
كالنهار فطلبت زقاقاً أستخفي فيه حتى يحوز الموكب فلم أجد فإذا رجل من
أهل الموكب يقول أبو حسان ؟ فتأملته فإذا هو دينار بن عبد الله فسلمت
عليه فقال : اليك جئت أرسل أمير المؤمنين إلى الساعة وأمرني أن أركب
اليك بنفسى وأحضره إليك قال : وأدخلني على المأمون فقال : قصصتك فإني
رأيتك في منامى البارحة وأمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم باغاثتك ؟ .
قال فحدثته بحديثي . فقال المأمون : أعطوا أبا حسان ثلاث بدر وولاني الرى
وأمرني بالخروج إليها . قال : فعدت وما طلع الفجر ، فلما كان وقت صلاتي
في مسجدى خرجت فإذا الخراساني فلما قضيت الصلاة أدخلته الدار
وأخرجت البدر فلما رآها قال : ما هذا ؟ فقصصت عليه الحديث وأعطيته
بدره فأخذها وانصرف . وذكر محمد بن عبدوس في : « كتاب الوزراء »
في أخبار دينار بن عبد الله : أن رسوله لقي أبا حسان في طريقه فقال له : قسمت
شيئاً علي عيالى فذكرت عيالك فأفدت اليك عشرة آلاف درهم فأخذها
ورجع من الطريق ، وباكره الخراساني فأعطاه إياها كلها لأنه كان أنفق
جميع مال الخراساني ثم عاد من غد إلى دينار فعرفه وشكره وعرفه الحديث
فقال : فكأنما قضينا دين الخراساني ثم أمر له بعشرة آلاف درهم أخرى
ولم يذكر ابن عبدوس في خبره ذكر المنام ولا المأمون . وحدثني أبي هذا
الحديث في المذاكرة قال : حدثني شيخ ذكره أبي وأنسيته أنا ، عن أبي
حسان الزياتي بنحو ما ذكره محمد بن جعفر في حديثه إلا أنه قال فيه :
إن الخراساني قال في حديثه لأبي حسان إن رجعت الحجاج ولم ترني قد
رجعت إليك فاعلم أني قد هلكك والبدر هبة مني اليك ، وإن رجعت فهي
لي ثم يتعارب لفظ الحديثين إلى أن لقيه في الجانب الشرقي قوم فلما رأيهم

ثم نحى عن طريقهم فلما رأوه بطيلسان بادروا إليه وقالوا له : أتعرف منزل رجل يقال له أبو حسان الزيادى ؟ فقال أنا هو . فقالوا له : أجب أمير المؤمنين ، وحمل فدخل على المأمون فقال له من أنت ؟ قال رجل من أصحاب أبى يوسف القاضى من الفقهاء . قال بأى شىء تكنى ؟ قال : بأبى حسان . قال : بمن تعرف ؟ قال : فقلت بالزيادى . ولست منهم إنما سكنت بينهم فليست إليهم . فقال : قمصتك فشرت له خبرى . قال فبكى بكاء شديداً ثم قال ويحك ما تركنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنام الليلة بسبيك إذ أتانى فى أول الليل فقال : أغث أبا حسان الزيادى فانتبهت ولم أعرفك ، وأثبت اسمك ونسبك ونمت فأتانى . فقال كمقالته فانتبهت منزجاً . ثم نمت فأتانى وقال ويحك أغث أبا حسان . فما تجاسرت على النوم وأنا ساهر منذ ذلك الوقت وقد بثت الناس فى طلبك ثم أعطانى عشرة آلاف درهم فقال هذه للخراسانى . ثم أعطانى عشرة آلاف درهم أخرى فقال اتسع بها ، وأصلح أمرك ، وأعمر دارك واشترى مركباً سريعاً وثياباً حسنة وعبداً يمشى بين يدي دابتك ، ثم أعطانى ثلاثين ألف درهم فقال جهز بناتك بهذه وزوجهن فاذا كان يوم الموكب فصر إلى لأقلدك عملاً وأحسن اليك . قال فخرجت والمال محمول معى فجئت إلى مسجدى فصليت الغداة والتفت فاذا الخراسانى فأدخلته إلى البيت وأخرجت بدرة فقلت : خذ هذه . فلما رآها قال : ليس هى عين مالى . فقلت : نعم . فقال : ما سبب هذا الأمر ؟ فقصصت عليه القصة فبكى وقال : والله لو صدقتنى فى أول الأمر عن خبرك ما طلبتك بها ، وأما الآن فوالله لا دخل مالى شىء من مال هؤلاء ، وأنت فى حل . وقام فأنصرف فأصلحت أمري وبكرت يوم الموكب إلى باب المأمون فأدخلت عليه وهو جالس جلوساً عاماً فلما مثلت بين يديه استدنانى ثم أخرج عهداً من تحت مصلاه فقال : هذا عهدك على قضاء المدينة الشرقية من الجانب الغربى من مدينة السلام ، وقد أجريت عليك فى كل شهر كذا . وكذا . فاتق الله تدم لك عناية رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : فعجب الناس من كلامه وسألونى عن معناه فاخبرتهم الخبر فانتشر فما زال أبو حسان قاضى

المدينة الشرقية إلى أن مات في آخر أيام المأمون .
أخبرني محمد بن الحسن بن المظفر عن بعض الهاشميين قال : حبس المهدي
يعقوب بن دواد وزيه فطال حبسه قال فأتاني آت في منامي فقال : قل يارفيق
ياشنيق أنت ربى الحقيق ادفع عني الضيق إنك على كل شيء قدير . فما
شعرت إلا والأبواب تفتح ، فأدخلت على الرشيد فقال : أتانى الذى أتاك فاحمد
الله عز وجل وخلي سبيلى . وقد روى هذا الخبر على خلاف هذا بروايات مختلفة
قالوا : حدثنا عبد الله بن يعقوب بن داود ، قال : قال لى أبى حبسنى المهدي في
بئر وبنيت عليها قبة فكانت فيها خمس عشرة سنة حتى مضى صدر من خلافة الرشيد
وكان يدلى إلى فى كل يوم رغيف وكوز ماء وأوذن بأوقات الصلاة فلما كان
رأس سنة ثلاث عشرة حجة أتانى آت في منامى فقال :

حنّ على يوسف رب فأخرجه

من قعر جب وبئر حوله غمم

قال : لحمدت الله تعالى وقلت آتى الفرج . قال : فمكثت حولا
آخر لا أرى شيئا ، فلما كان فى رأس الحول الرابع عشر أتانى ذلك الآتى
فقال لى :

عسى فرج يأتى به الله إنه له كل يوم فى خليقته أمر

ثم أقمت حولا آخر لا أرى شيئا ، ثم أتانى الآتى بعد الحول فقال لى :

عسى الكرب الذى أمسيت فيه يكون وراءه فرج قريب

فيأمن خائف ويفك عان ويأتى أهله الرجل الغريب

قال : فلما أصبحت نوديت فظننت أنى أوذن بالصلاة فدلى إلى حبل وقيل
لى شد به وسطك . فنعلت وأخرجونى فلما تأملت الضوء غشى على بصرى
فانطلقوا بى إلى الرشيد فقبل لى سلم على أمير المؤمنين . فقلت : السلام عليك يا أمير
المؤمنين المهدي . قال : لست به . فقلت السلام عليك يا أمير المؤمنين الهادى قال :
لست به قلت : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته الرشيد . فقال
الرشيد : يا يعقوب بن داود ما شفع بك أحد . غير أنى حملت الليلة صبية لى

على عنقي فذكرت حملك إياي على عنقك فرثيت لك من المحل الذي كنت فيه وأخرجتك . قال وأكرمني وقرب مجلسي ثم إن يحيى بن خالد تنكر لي كأنه خاف على أن أغلب على أمير المؤمنين دونه فخفته فاستأذنت في الحج فأذن لي ، ثم لم يلزل مقبياً بمكة حتى مات بها . وجدت في بعض الكتب أن المهدي استحضر صاحب شرطته ليلاً وقد انتبه من منامه فزاعاً مرعوباً فقال : ضع يدك على رأسي واحلف بما استحل منك . فقال : هي تقصر عن رأس أمير المؤمنين ولكن عليّ وعلىّ وحلف بأيمان البيعة أنني أمتثل ما تأمرني به . فقال سر إلى المطهرة واطلب فلاناً العلوي الحسيني فاذا وجدته فأخرجه وخيره بين الإقامة عندنا مطلقاً مكرماً محبوراً . أو الخروج إلى أهله فإن أراد الخروج قدمت إليه كذا وكذا ، وإن أراد المقام أعطيته كذا وكذا . وهذه توقيعات بذلك . قال فأخذتها وصرت إلى من أراح عنتي في الجميع وصرت المطبق فطلبت الفتى فأخرج إلىّ وهو كالشن البالي فعرفته أمر أمير المؤمنين وعرضت عليه الحالين ، فاختار الرجوع إلى أهله بالمدينة فسلبت إليه الصلات والجلال فلما جاء ليضي قلت له : بالذي فرج عنك هل تعلم مادعا أمير المؤمنين إلى اطلاقك ؟ قال أي والله : كنت الليلة نائماً فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في منامي كأنه أيقظني وقال : « أي بني ظلموك ؟ قلت : نعم يارسول الله . قال قم فصل ركعتين وقل بعدهما ، ياسابق الصوت ، وياسامع الصوت ، ويا ناشر العظام ، بعد الموت صل على محمد وعلى آل محمد ، واجعل لي فرجاً ومخرجاً إنك تعلم ولا أعلم وتقدر ولا أقدر وأنت علام الغيوب يا أرحم الراحمين . » قال فوالله لقد قتت وفعلت ذلك ومازات أكررها حتى دعوتني قال : فحمدت الله عز وجل على توفيق في مسألته وعدت إلى المهدي وحدثته بالحديث . فقال : ويحك صدقك والله كنت نائماً في فراشي فرأيت في منامي زنجياً بعمود حديد قائماً على رأسي يقول لي اطلق فلاناً العلوي الحسيني وإلا قتلتك فانتبهت . فزاعاً فوالله ماجسرت على العود إلى النوم حتى جنتني باطلاقه .

أخبرني أبو بكر محمد بن يحيى الصولى عن أحمد بن يزيد المهلبى قال : كنا ليلة بين يدى المعتمد فحمل عليه النيد فجعل يخفق برأسه نعاساً فقال : لا يبرحن أحد ثم نام مقدار نصف ساعة وانتبه ، وكأنه ما شرب شيئاً . فقال : أحضروا لى من الحبس رجلاً يعرف به منصور الجمال . فأحضر فقال له منذ كم أنت محبوس ؟ . فقال منذ ثلاث سنين . قال : فاصدقنى عن خبرك ؟ قال أنا رجل من أهل الموصل كان لى جمل أعمل عليه وأعود بكراته على أهل فضاك الكسب على بالموصل ، فقلت أخرج إلى سر من رأى فان العمل ثم أكثر فخرجت فلما قربت منها إذا جماعة من الجنة قد ظمروا يقوم يقطعون الطريق وكتب صاحب البريد بعددهم وكانوا عشرة فأعطاهم واحد من العشرة مالا على أن يطلقوه فأطلقوه وأخذوني مكانه وأخذوا جملى فسألهم بالله عز وجل وعرقهم خبرى فأبوا ثم حبسونى فمات بعض القوم وأطلق بعضهم وبقيت وحدى . فقال المعتمد : أحضرونى خمسمائة دينار فجأوا بها . فقال : ادفعوها إليه وأجرى عليه ثلاثين ديناراً فى كل شهر وقال اجعلوا أمر جمالنا إليه . ثم أقبل علينا فقال : رأيت الساعة النبى صلى الله عليه وسلم فى النوم فقال : يا أحمد وجه الساعة إلى الحبس وأخرج منصوراً الجمال فإنه مظلوم وأحسن إليه ، ففعلت ما رأيت قال : ثم نام من وقته وانصرفنا . ووقع إلى هذا الخبر بطريق آخر بأنهم من هذه الرواية بإسناد غير هذا قال : كان المعتمد مع مع سماحة أخلاقه وكثرة جوده شديد العريضة على ندمائه إذا سكر لا يكاد يسلم له من العريضة مجلس إلا قل . قال : فاشتبه يوماً أن يطبخ الاترج فجمع له شيء كثير مفرط العدة وعبى وحزم بعضه فاطبخ عليه فمسا ترك شيئاً من الخلع والجللانات والصلوات إلا عمله ذلك اليوم مع جلسائه وخصنى منه بأوفر نصيب وكان كثير الشرب وكانت لامته إذا أراد ينهض جلساؤه التفت إلى سرير لطيف كان إذا جلس اسند إليه ويشيل برجله كأنه يريد أن يصعد فيقوموا فان كان يريد اليوم صعدته وإن لم يريد اليوم رد رجله إذا قمنا ويتم شربه إما مع الحرم أو الخدم . فلما كان ذلك اليوم جلسنا بحضرته نهارنا أجمع وقطعة من الليل ثم تناول رجه فقمما وانصرف إلى حجرة

موسومة كانت لي ، فلما انتصف الليل إذا بخدم يدقون باب حجرتي فانتبهت
مرعوباً فقالوا : أجب أمير المؤمنين . فقممت وقلت إنا لله وإنا إليه راجعون .
قد مضى يومنا وبعض ليلتنا أحسن مضى ، وقدرت أني أفلت من عربده
وقد عن له أن يعربد على فاستدعاني لهذا ولم أزل أفكر كيف أشاغله عن
العريضة إلى أن صرت بمحضرتة . فلما رأي قائماً لم يستجلسني وقال يا غلام
صاحب الشرطة فزدت جزعاً وقلت لم تجر عاداته في العريضة باستدعاء صاحب
الشرطة وما هو إلا لبلية احتيل بها على عنده . فأقبلت أنظر إليه واجتهد أن
يفتحني بكلمة فأداريه بالجواب وهو لا يرفع رأسه من الأرض إلى أن جاء
صاحب الشرطة فرفع رأسه وقال : في حبسك رجل يعرف بفلان بن فلان
الجمال أحضرني الساعة فمضى ليحضره فسهل على الأمر قليلاً ووقعت وهو
لا يخاطبني إلى أن حضر الرجل فقال له المعتمد : من أنت ؟ قال : أنا فلان
ابن فلان الجمال . قال : وما قصتك ؟ قال : أنا محبوس ظلياً منذ كذا وكذا .
سنة . وذلك أني رجل من أهل الجبل وكان لي جمال أعيش من فضل أجرتها وكان
يتقلدنا فلان الأمير فاستدعى إلى الحضرة فأخذ جمالي غصباً يستعين بها في حمل
سواده فتظلمت إليه وضججت فلم ينصفني وقال إذا صرت بالحضرة رددت
جمالك . فخرجت لئلا تذهب جمالي ، أصلاً فكنت مع جمالي أخدمها في الطريق
فلما قربت من حلوان سل الأكراد منها جملاً محملاً فبلغه الخبر فأحضرني وقال
أنت سرقت الجمل بما عليه فقلت غلمانك يعلمون أن الأكراد سلبوه فقال
الأكراد إنما جاؤه بمواطأة منك ثم أمر فضربت ضرباً عظيماً ، وقيدت
وطرحت على بعض جمالي فلما وردت الحضرة أنفذت إلى الحبس وتملك
الجمال ولم يكن لي متظلم ولا مذكر فطالت بي المحنة إلى الآن فقال لبعض
الخدام مضى الساعة إلى فلان يعني الأمير واقعد على دماغه ولا تبرح أو يرد على
هذا جهاله أو قيمتها على ما يدعى الجمال فإذا قبض فاحمله إلى الخزائن وأكسه
كسوة حسنة وادفع إليه كذا وكذا ديناراً واصرفه إلى شأنه ، ثم في حبسك
رجل يعرف بفلان بن فلان الحداد ؟ قال : نعم قال : هاته الساعة فأحضره
فأحضر . وقال : ما قصتك ؟ فقال أنا رجل حبست بظلم منذ كذا . وكذا

قال : ما كان سبب ذلك فقص عليه قصة طويلة ، فقال لصاحب الشرطة : خل عنه . وقال الخادم آخر : خذه فغير حاله واكسبه وادفع اليه كذا وكذا ديناراً . وقال لصاحب الشرطة انصرف ، ثم رفع رأسه وقال يا ابن حمدون : الحمد لله الذى وفقنى لهذا الفعل ففرج عنى . فقلت وكيف تكلف أمير المؤمنين النظر فى هذا بنفسه فى مثل هذا الوقت ؟ فقال : ويحك إني رأيت الساعة رجلاً فى منامى يقول فى حبسك رجلاً مظلوماً يقال لأحدهما فلان بن فلان الجمال ، والآخر فلان بن فلان الحداد . فاطلعهما الساعة وانصفهما من خصومهما وأحسن إليهما فانتبهت مذعوراً ثم نمت فمنا استثقلت حتى رأيت الشخص بعينه . فقال ويلك أمرك أن تطلق رجلاً مظلوماً فى حبسك قد طال مكثهما وتحسن إليهما فلا تفعل وترجع إلى نومك لصممت أن أوجعك وكان يمد يده إلى فقلت يا هذا : من أنت قال محمد رسول الله . فكأنى قد قبلت يده وقلت يا رسول الله : ما عرفتك ولو عرفتك ما تجاسرت على النوم . ولا على تأخير أمرك . فقال : قم فافعل فى أمرهما الساعة ما أمرتك به فانتبهت واستدعيتك لتشهد ما يجرى فقلت هذه عناية رسول الله صلى الله عليه وسلم واهتمام لأمير المؤمنين بما أصبح دينه وثبت ملكه ومنة عظيمة لله عز وجل ولرسوله صلى الله عليه وسلم فليشكر الله تعالى أمير المؤمنين وليكثر من الصدقة . فقال امض فقد أزعجتك فعدت إلى حجرتى فلما كان من غد عشيما دخلت إليه وهو جالس على الرسم للشرب فأحببت أعرف الجلوس ما جرى ليس هو بذلك ، وكنت أعرف من طبعه أنه يحب الاطراء والمدح ونشروا هذا سبيله إذا عمل جميلاً أكثر من ذكره ويتبجح به وإن كان صغيراً ، فقلت أرى أمير المؤمنين لم يخبر خدومه بما كان من المعجزة البارحة من أمر صاحب الشرطة والجمال والحداد ورؤياه النبي صلى الله عليه وسلم وما أمره به وما تقدم به إلى أمير المؤمنين من إحصافهما والإحسان إليهما . فقال : والله ما أذكر من هذا شيئاً وما كنت إلا سكراناً ما أطول ليلتى ما انتبهت . فقلت ياسيدى فتذكر ؟ قال يا ابن حمدون : اتغالطى وتخادعنى بالكذب ؟ فقلت أعيند أمير المؤمنين بالله هذا أمر مشهور فى الدار عند الخدم الخاصة فقال : من

كان حاضراً ؟ قلت : فلان الخادم وفلان صاحب الشرطة واقصصت القصة وشرحتها فاستدعى الخدم فخدموه بنشل ذلك فأظهر عجباً شديداً وحلف بالله عز وجل وبالقراءة من رسول الله صلى الله عليه وسلم وبأنه نفي من العباس ابن عبد المطلب أنه لم يذكر من هذا كله شيئاً ، ولا يعلم إلا أنه كان نائماً ولا رأى مناماً ولا اتبعه ولا جلس ولا استدعى أحداً ولا أمر بأمر فما رأيت بأعجب من المتام والحال ولا أظرف من نسيانه .

ووجدته في بعض الكتب على قريب من هذه الألفاظ إلا أنه ليس فيه حديث الأثرج وذكر فيه : أن الجمال كان يسمى نصرأ وأن قمته إنه كان من أهل نها وندا وله جمال يكرهها فأكترى عامل المعونة منها عشرين جملاً وحمل عليهم عشرين رجلاً من الأكراد أسرى ليحملهم إلى الحضرة فسار الجمال فهرب في بعض الطريق واحد من جماله فوقع لصاحب المعونة أن نصراً الجمال هربه فقيده وحمله مكانه فلما دخلوا الحضرة أنفذ الجمال مع القوم إلى الحبس وأخذ صاحب المعونة جماله * وإن قمته الحداد أنه كان رجلاً من أهل الشام وكانت له نعمة فزالت عنه فهرب من بلده فاتصلت محنته إلى أن وافى الحضرة طالباً للتصرف فتعذر عليه حتى تلف جوعاً فسأل عن عمل يعمل ليلاً ليتوفر نهاراً عن طلب التصرف وينتقم من أجرة ما يكسبه ليلاً فأرشد إلى حداد يعمل بالليل فقصدته فاستأجره بدرهم في كل ليلة فكان يعمل معه هو وغلّام آخر يضربان بالمطرقاة فأفسد ذلك الغلام على الحداد نعلًا كان يطرقها فاغتناظ عليه فرماه بالنعل الحديد فوقعت على قلبه فتلف في الحال فهرب الحداد وبقيت أنافي الموضع متحيراً لا أدري أين أمضى وأحس الحارس بما أسكره في الدكان فهجم فوجد الغلام ميتاً ووجدني قائماً فلم يشك أني القاتل فقبض على فخبست ثم تتقارب الروايتان * وحدثني أبو محمد المصالحى قال : حدثني أبو بكر محمد بن علي المارداني بمصر وكان شيخاً جليلاً عظيم الحال والنعمة والجاه قديم الرياسة والولايات الكبار للأعمال وقدوزر لخارويه بن أحمد بن طولون وتقلد مصر مرات وعاش نيفاً وتسعين سنة ومات في سنة نيف وأربعين وثلاثمائة (قال) : لما كتبت لخارويه كنت حدثاً فركبتني الأشغال وقطعتني ترادف الأعمال عن تصفح أحوال

المتعطلين ، وكان يباني شيخ من شيوخ الكتاب قد طالت عطلته وقد غفلت
عن تصريحه فرأيت ليلة في منامي أبي وكأنه يقول : ويحك يا بني أما تستحي .
من الله عز وجل أن تتشاغل بأعمالك والناس ببابك يتلفون ضراً وهذا
هذا فلان من شيوخ الكتاب ، وقد أفضى أمره إلى أن تقطع سراويله وما
يمكنه أن يشتري بدلها انظر ان لا تنغل أمره أكثر من هذا . فانتبهت متعجباً
واعتقدت الإحسان إلى الشيخ من غد ونمت وأصبحت وقد أنسيت أمره
فركبت إلى دار خمارويه وإذا بالرجل على دويبة له ضعيفة ثم أومى إلى
الرجل فانكشف فاذا هو لابس خفاً بلا سراويل فحين وقعت عيني عليه
ذكرت المنام وقامت قياتي فوقعت في موضعي واستدعيتني وقلت يا هذا :
ما حالك ؟ وما صنعت بنفسك في ترك أذكاري أمرك ما كان في الدنيا من يوصل
إلى رقعة أو يخاطب في أمرك الآن قد قلدتك الناحية الفلانية وعيلت لك
رزقها وهو في كل شهر مائتا دينار وأطلقت لك من خزانتي ألف دينار
معونة وأمرت لك من الثياب والحملان بكذا وكذا فاقبض ذلك واخرج فان
حسن أثرك في عملك زدتك وفعلت بك وصنعت . قال : وضممت إليه من
ينجز له ذلك .

حدثني أبو الحسن أحمد بن يوسف بن يعقوب بن البهلول التنوخي قال :
خرج أخى أبو محمد الحسن بن يوسف يقصد أخاه أبا يعقوب اسحاق بن يوسف
وهو حيلند بمصر ومعه زوجته كانت لأبي يعقوب ببغداد وصبية منها
فلما عاد حدثني أنه سلك في قافلة كبيرة من هيت على طريق السماوة يريد
دمشق قال : فلما حصلت في أعماق السماوة أخبرتني خنراؤنا وجاء قوم من
الأعراب ظاهرهم علينا وأظهروا أنهم من غيرهم وقطعوا علينا واستاقوا
ركابنا وبقيت أنا والناس مطروحين على الماء الذي كنا نزلنا عليه بلا جمل
ولا زاد فأيسنا من الحياة فقللت للناس : إن الموت لا بد منه على كل حال
أقناني مكائنا أو سرنا ، ولأن نسير في طلب الخلاص فلعل الله سبحانه وتعالى
يرحمنا ويخلصنا أولى من أن نموت ها هنا ، وإن متنا في سيرنا كان أعذر
فساعدوني وسرنا يومنا وليلتنا وأنا أحمل الصبية بلى أخى لأن أمها بحزت

عن حملها ولما طال الطريق ولم تر محجة ولا إنساناً أحسننا بالهلاك ومات منا قوم (قال) : وأنا فى خلال ذلك قد بدأت بختمة وأنا متشاغل بها وبالدهاء إلى أن وقعنا فى اليوم الثالث على حلة اعراب فأنكرونا فلم أعمل أنا عملاً حتى ولجت بيت امرأة منهم وأمسكت ذيلها وكنت سمعت أن هذا إذا عمله الإنسان فهو آمن من شرهم وقد وجب حقه عليهم قال فتفرقنا فى بيوتهم ، واختلف أحوال الناس فأما أنا فإن صاحب البيت الذى أنزلت عليه لما رأى هيبتي ودرسى للقرآن وأنى لم أزل أحادثه وأرفق به قال لى : ما تشاء ؟ قلت تركبني وهذه المرأة وهذه الطفلة راحلة لك وتسير معى إلى دمشق حتى أعطيك ثمن راحلتك واهبها لك وأقضى حقلك بعد هذا فتذمم واستحيى وقدرت أنى إذا دخلت إلى دمشق وجدت بها من أصدقاء أخى من آخذ منه ماأريده . فكسانى الأعرابي وكسا المرأة والصبية ووطأ لى راحلة ولهما راحلة وحمل معنا من الزاد والماء مايكفيهما وركب معنا راحلة وكان أكثر من وصل معنا إلى ذلك الموضع قد تأتى له مثل ما تأتى لى قال فسرنا ونحن رفقة صالحة العدد فلما كان بعد أيام شارفنا دمشق مع طلوع الشمس فاذا أهلها قد طلوعوا يستقبلون الناس ، وكل من له صديق أو معرفة يسأل عنه وقد بلغهم خبر القطع فما شعرت إلا وإنسان يسأل عن كنييتى ونسبتى فقلت ها أنا ذا فعدل إلى فقال : أنت أبو محمد بن الأزرق الانبارى ؟ قلت : نعم . فقام إلى فأخذ بخطام راحلتى وتبعنى الأعرابي برواحله حتى دخلنا مع الرجل إلى دمشق فجاء بنا إلى دار حسنة تدل على نعمة حسنة فأنزلنا فلم أشك فى أنه صديق لأخى فنزلت والأعرابي ، وأخذت جمالنا ، وأدخلنا الحمام . والبست خلعة نظيفة وفعل بالمرأة والصبية كذلك وأفنت يومى وغده فى خفض عيش لأسأله عن شىء ولايسألنى ، فلما كان فى اليوم الثالث قال لى : ماصورة هذا الأعرابي فأحبرته بنا أخذنا منه . فقال خذ ما تريد من الدباير فقلت كذا وكذا ديناراً فأعطانيها فدفعتها إلى الإسراى وسلمت اليه الجمال ، وسألت الرجل أن يزوده زاداً لا يكون مثله فى البادية فأخرج له شيئاً كثيراً وخرج الأعرابي شاكراً . فقال الرجل : أين تريد الآن من البلاد وكم يكفيك من النعقة ،

فلما قال لي ذلك ارتببت به وقلت لو كان هذا من أصدقاء أخى الذين كاتبتهم
بتفقدى لكان قد علم مقصدى فقلت له كم كاتبتك أخى أن تعطينى ؟ قال :
ومن أخوك ؟ فقلت : أبو يعقوب بن الأزرق الكاتب الأنبارى المقيم بمصر .
قال والله ما سمعت باسم هذا الرجل قط ولا أعرفه ، فورد على أعجب مورد
فقلت : يا هذا إنى ظننتك صديقاً له وإن ماعاملتني به من الجميل بسببه فانبسطت
إليك بالطلب ولو لم أعتقد هذا لانتفضت فما السبب فيما عاملتني به قال أمر
هو أوكد من أمر أخيك يحب أن يكون انبساطك به أتم . فقلت ما هو ؟
قال : إن خبر الوقعة بالقافلة اتى كنت فيها بلغنا فى يوم كذا وكذا فما بقى
بدمشق أحد إلا وردت عليه مصيبة عظيمة إما بذهاب مال ، أو بغم على
صديق غيرى فانه لم يكن لي بشيء من ذلك تعلق واستعد الناس للخروج إلى
تلقى المنقطعين وإصلاح أحوالهم ، ولم أعزم أنا ، فلما كان فى الليل رأيت
النبي صلى الله عليه وسلم فى منامى ، وكأنه يقول لي : أدرك أبا محمد بن الأزرق
الأنبارى فأغثه وأصلح شأنه بما يبلغه مقصده ، فلما أصبحت خرجت مع
الناس أسأل عنك ، فكان ما رأيت فهات فاذكر الآن ما تريده . قال : فبكيت
بكاء شديداً لم أقدر معه على خطابه مدة ، ثم نظرت ما يبلغنى مصر فطلبته
منه وأخذته وأصلحت أمرى وسألت الرجل عما يعرف به ؟ فقال : أنا فلان
ابن فلان الصابونى . ذكره أبو محمد وأنسيه أبو الحسن . فلما بلغت إلى مصر
حدثت أخى بالحديث فتعجب منه وبكى . وقال أبو الحسن : وضرب الدهر
من ضربه ، وورد أخى أبو محمد إلى بغداد بعد سنين كثيرة فتذاكرنا هذا
الحديث . فقال لي : لما عرفنى أخى أبو محمد ما عامله به ابن الصابونى الدمشقى
جعلته صديقاً وكنت أكاتبه فلما وردت إلى دمشق وجدت حال الرجل قد
اختلفت بمحن لحقته فوهبت له ضيقتى بدمشق وكانت جليلة الغلة والقيمة
وسلمتها اليه مكافأة على ما فعل وعامل به أخى أبا محمد .

قال محمد بن عبدوس فى : « كتاب الوزراء » حدثنى الحسين بن على
الباطقائى ، قال : حدثنى أبى ، قال : قال أحمد بن المدبر : لما أمر محمد بن
عبد الملك بجبسى ادخلت محبسا فيه أحمد بن إسرائيل وسليمان بن وهب ،

وهما يطالبان قال : فجعلت في بيت ثالث وكنا نتحدث ونأكل جميعا ، وربما أدخل الينا النبيذ فشرب ، وكان أحمد بن اسرائيل شديد الجبن ، وكان ينكر علينا ويمنعنا أن نتحدث بشيء أو نرجو لأنفسنا لجأنا يوماً سليمان بن وهب فقال : رأيت البارحة في نومي كأن قائلاً يقول لي : يموت الواثق إلى ثلاثين ليلة ، فقم بنا إلى أبي جعفر حتى نخدثه . فقلت : والله لئن سمع أبو جعفر هذا ليشقن ثوبه وليسدن أذنه . فقال لي قم على كل حال فقمنا فدخلنا عليه فأخبره سليمان بالخبر فقال يا هذا : أنت أحسن الناس وأشدهم تحمنا على نفسك وعلينا ، وإنما تريد أن يشيع هنا فتقتل . فقال له : فتكتب هذه الرؤيا عندك لئمتحن صدقها ، فنفر ، وقال : أنا لا أكتب مثل هذا . فكتبت أنا في رقعة صغيرة اليوم . فلما جاز يوم الثلاثين دخل إلى أحمد بن اسرائيل فقال لي : يا أبا الحسن هذا يوم الثلاثين . فأخرجت الرقعة فإذا هو قد حفظ اليوم قال : ومضى يومنا إلى آخره فلما كان في الليل لم نشعر بالباب إلا وقد دق دقاً شديداً ، وصاح بنا صائح : البشري قد مات الواثق واخرجوا . فقال أحمد : قوموا بنا فقد حقق الله الرؤيا وآتى بالفرج . فقال سليمان بن وهب : كيف نمشي مع بعد منازلنا ، ولكن نوجه من يحيئنا بما نركب فاغتاظ أحمد ابن اسرائيل وقال : نعم نعهد حتى يجلس خليفة آخر ، ويقال له في الحبس جماعة من الكتاب عليهم أموال فيأمر بالتوقي بنا إلى أن ينظر في أمرنا قم عافاك الله تعالى حتى نخرج . فخرج وخرجنا على أثره فقبل أن نخرج من باب الهادوني ، رأينا رجلين يقول أحدهما لصاحبه : سئل أمير المؤمنين جعفر عن في الحبس فقيل له جماعة من الكتاب ، فقال : يكوون فيه إلى أن ينظر في أمورهم فجدينا في السير وقصدنا غير منازلنا فاستترنا وبحشنا عن الأخبار ، فبلغنا إقرار الخليفة محمد بن عبد الملك فكتبت إليه رقعة عن جماعة نعرفه خبرنا واتساع آمالنا ونستأذن فيما نفع ، فلما وصلت إليه وقع على ظهرها ، ولم استخفيم وليس منكم إلّا من عنايتي تخصه ورأيت فيه جميل أما أبو أيوب فقد تكلم في أمره أبو منصور إيناخ واستوهبه فوهبته له ، وأمرت بإحضاره ليخلع عليه فليحضر ، وأما أبو جعفر فإنه طوب بما ليس

يلزمه وقد وضحت حجته في بطلانه فليصر إلى ، وأما أبو الحسن فإنه قدف
بساطه فأظهروا جميعاً واثقين بما عندي من حياطةكم ورعاية حرمانكم
فصرنا إليه جميعاً وزال لنا ما كنا فيه وخلع على سليمان بن وهب خاصة ،
قال : وفي هذه الحبسة كتب سليمان بن وهب إلى أخيه الحسن بن وهب
فيما حكاه محمد بن داود :

هل رسول وكيف لي برسول إن ليلى إن نمت حد طويل
هل رسول إلى أخى وشقيقى ليت أنى مكان ذاك الرسول
يا أخى لو ترى مكانى في الحبس س وحالى وزفرتى وعويل
وعشارى إذا أردت قياماً وقعوداً في مشكلات الكبول
لرأيت الذى يغمك في الاعداء داء إذ يسلكوا جميعاً سبيل
هذه جملة أرانى غنياً معها عن أداك بالتفصيل
ولعل الإله يأتى بصنع وخلاص وفرجة عن قليل

وذكر أبياتاً أخر تماماً لهذه الأبيات لم أذكرها لأنها ليست من هذا
المعنى ثم قال : وقد ذكر محمد بن داود في كتابه المسمى : « كتاب الوزراء »
من أمر خروج سليمان بن وهب من حبس الوراق غير هذا وترك ذكره
وإعادته . حدثني علي بن محمد الأنصارى الخطمى ، قال : حدثني أبو عبد الله
الحسن بن محمد السمرى كاتب الديوان بالبصرة قال : كان أبو محمد المهلبى
في وزارته قد قبض على بالبصرة وطالبى فأطال حبسى حتى آيست من
الفرج فرأيت ليلة في المنام كأن قاتلاً يقول : اطلب من ابن الزاهبوني
دفتراً قديماً خلقا عنده على ظهره دعاء قادم الله به فإنه عز وجل يفرج
عنه . قال : فكان ابن الزاهبوني صديقاً لى من أهل ثنائة واسط وهو
بالبصرة فلما كان من غد قلت له : عندك دفتر على ظهره دعاء ؟ فقال : نعم .
فقلت فجننى به ، فرأيت على ظهره مكتوباً : « اللهم أنت أنت انقطع الرجاء
إلا منك ، وخابت الآمال إلا فيك ، صل على محمد وعلى آل محمد ،
ولا تقطع اللهم رجائى ولا رجاء من يرجوك في شرق الأرض وغربها ،

يا قريباً غير بعيد ، يا شاهد ألا يغيب ، ويا غالباً غير مغلوب ، اجعل لي من أمرى فرجاً ومخرجاً وارقتى رزقاً واسعاً من حيث لا أحتسب إنك على كل شيء قدير . قال : فواصلت الدعاء بذلك فنامت لمدة يسيرة حتى وجه المهلبى فأخرجنى من الحبس وقلدنى الاشراف على أحمد بن محمد الطويل فى أعماله بأسافر الأهواز .

حدثنى أبو الربيع سليمان بن داود وكانت جدته تعرف بشمسة قهرمانة كانت فى دار القاضى أبى عمرو محمد بن يوسف رحمه الله قال : كان فى جوار القاضى قديماً رجلاً انتشرت عنه حكاية وظهر فى يده مال جليل بعد فقر طويل وكنت أسمع أن أباء عمرو حماه من السلطان فسألت عن الحكاية فدافعنى طويلاً ثم حدثنى فقال : ورثت عن أبى مالا جليلاً فأعرفت فيه وأتلفته حتى أفضيت إلى بيع أبواب دارى وسقوطها ، ولم يبق لى فى الدنيا حيلة وبقيت مدة لا قوت لى إلا من بيع أمى لما تغزله وتطعمنى ونفسها منه فتمنيت الموت فرأيت ليلة فى منامى كأن قائلاً يقول لى غناك بمصر فأخرج إليها فبكرت إلى أبى عمرو القاضى وتوسلت إليه بالجوار والخدمة التى كانت من أبى لأبيه وسأله أن يزودنى كتاباً إلى مصر لا تصرف بها ففعل وخرجت فلما حصلت مصرراً وصلت الكتاب وسألت التصرف فسد الله على التصرف حتى لم أظفر بتصرف ولا لاح لى شغل ، ونفذت نفقتى فبقيت متحيراً وفكرت فى أن أسأل الناس وأمد يدي إلى الطريق فلم تسمح نفسى بذلك فقلت أخرج ليلاً وأسأل الناس بين العشاءين فما زلت أمشى فى الطريق وتأبى نفسى المسألة ويحملنى الجوع عليها وأنا ممتنع إلى أن مضى من الليل نصفه فلقينى الطائف فقبحض على فوجدنى غريباً فأنكر حالى فسألنى فقلت رجلاً غريب ضعيف فلم يصدقنى ويطحنى وضربنى مقارع فصحت وقلت له أنا أصدق فقال هات فقصاصت عليه قصتى من أولها وحديث المنام فقال لى : أنت رجل مارأيت أحق منك والله لقد رأيت منذ كذا وكذا سنة فى النوم كأن قائلاً يقول لى ببغداد بالشارع الفلانى بالحملة الفلانية - قال - فذكر شارعى ومحلى فسكت

وأصغيت وأتم الشرطى الحديث فقال :- دار يقال لها دار فلان فذكر دارى واسمى وفيها بستان فيه سدرة تحتها مدفون ثلاثون ألف دينار فامض فخذها فما فكرت فى هذا الحديث ولا التمت اليه وأنت أحق فارقت وطنك وأهلك وجئت إلى مصر بسبب منام قال : فقوى قلبى بذلك وأطلقتى الطائف فبت فى مسجد وخرجت فى غد من مصر وقدمت بغداد فقلعت السدرة وأثرت مكانها فوجدت فيها ققماً فيه ثلاثون ألف دينار ، فأخذتها ودبرت أمري فأنا أعيش من تملك الدنياير ، وكلما ابتعته منها من ضيعة وعقار إلى الآن .

وجدت فى كتاب أبى الفرج عبد الواحد الخزومى الخطبى ، عن على ابن العباس النحويحقى قال : حدثنى أحمد بن عبد الله التغلبى قال : كان من بقايا شيوخ خراسان من يلزم دار العامة بسر من رأى شيخ يكنى أبا عصمة وكان يحدثنا كثيراً بأخبار الدولة وأهلها فحدثنا أن خزيمة ابن حازم كان يجلس فى داره للناس فى كل يوم ثلاثاً فلا يجيب عنه أحد ولا يستأذن لمن يحضره إنما يدخلون إرسالاً بغير إذن فمن كان من أشرف الناس ووجوههم سلم وانصرف ، ومن كان من طلاب الحوانج أو خطاب التصرف دفع رقعة إلى الحاجب ، وكان قد أفرد لهذا كاتباً حصيفاً يقال له الحسن بن سلية يتصفح الرقاع قبل عرضها عليه فما كان يجوز أن يوقع فيه عنه وقع وسلمه إلى أربابه ، وما كان لابد من وقوفه عليه وتوقيعه فيه بخطه عرضه عليه ، وما كان من زائر ومسترفد عرضه عليه رقعة فيكون هو الموقع فيها بما يراه . ولا يكاد أن ينصرف أحد من هذا الجمع العظيم المفراط إلا وهو مسرور بقضاء حاجته . قال أبو عصمة وكان من يتصرف فى الأعمال رجل من العرب له لسان وفصاحة يقال له حامد بن عمرو الحرانى ، وكان فيه إلحاح شديد وملازمة تامة إذا تعطل فيؤذى بذلك ويبرم ولا يقنع بذلك حتى يلزم بابه فى كل يوم ، وإذا ركب خاطبه على الطريق وبما تعرض له فى دار الخليفة فيخاطبه ولم يكن فى طبع خزيمة الاحتمال لمثل هذا . قال أبو عصمة فحدثنى

الحسن بن سلمة كاتب خزيمية قال : نظر خزيمية يوماً إلى هذا الرجل في داره وكان لقيه وخاطبه قبل ذلك بيوم وأضجره ووافق من خزيمية ضجراً بشيء حدث من أمور المملكة مع ما فيه من الجبروتية والكبر فحين خاطبه الرجل صاح فيه وأمر بإخراجه من داره إخراجاً عنيفاً ثم دعاني فقال : والله لئن دخل هذا الرجل دارى لأضرب عنقه فأخبره بذلك وحذره ، وتقدم إلى البوابين والحجاب بذلك . وكان خزيمية إذا وعد أو توعد فليس إلا الوفاء فخرجت إلى البوابين والحجاب وأصحاب المقارع فبالغت في تحذيرهم وعرفتهم ما قال وأنه حلف أن يضرب أعناقهم وأكدت القصة والوصية بجهدى مستظهِراً لِنَفْسِي ومضيت خارج الدار فإذا الرجل واقفاً فأعلمته أن دمه مرتين بنظرة ينظرها إليه خزيمية في دار السلطان ، أو على بابه أو في بعض الطريق وحذرتة تحذيراً شديداً ، وخوفته بالله عز وجل في دمه أن لا يجعل على نفسه سبيلاً فشكرنى على تحذيره وانصرف كتيئلاً . فلما أصبحنا من غد غدوة إلى دار خزيمية على رسمى في الملازمة فلما دنوت من الباب إذا بالرجل واقفاً كما كان يقف منتظراً الركوبه فعظم ذلك على فقلت يا هذا : أما تخاف الله عز وجل أتحب أن تقتل نفسك ، أما تعرف الرجل ؟ فقال : والله ما أتيت هذا الرجل جهلاً منى ولا اغتراراً بل أتيت على أصل قوى وسبب وثيق وسترى من لطف الله عز وجل ما يسرك وتعجب منه . قال الحسن بن سلمة فزاد عجبى منه ودخلت الدار فصادفت خزيمية في صحن الدار يريد الركوب فحين نظر إلى قال لى ما فعل حامد بن عمرو ؟ قلت رأيته الساعة بالباب وقد تهددته فلما رأيته اليوم بالباب تعجبت من جهله وعوده مع ما أعذرت إليه من الوعيد . وأمرته بالانصراف فأجابنى بجواب لا أدري ما هو فأنا برىء من فعله . فقال : بأى شيء أجابك ؟ وأخبرته فسكت خزيمية وخرج فركب فحين رآه ترجل له حامد فصاح خزيمية لا تفعل وألحقنى إلى دار أمير المؤمنين قال وسرنا ودخل إلى دار أمير المؤمنين الرشيد ودخلنا معه إلى حيث جرت عادتنا أن نبلغه معه من الدار فجلسنا فيه ومضى خزيمية يريد دار الخليفة وجاء حامد فجلس (١٢ - الفرج - أول)

إلى فقلت : أصدقني عن خبرك والسبب في جسارتك على خزيمة ولينه لك بعد الغلظة وعرفته ماجرى بيني وبين خزيمة ثانياً فقال : طب نفساً فما أبدى لك شيئاً إلا بعد بلوغ الأمر . فبينما نحن كذلك إذ دعى بحامد بن عمرو وأدخل إلى حيث كان بأن موسوماً يدخل إليه من يخلع عليه فتحيرت فلم يكن بأسرع من أن خرج وعليه خلع الخليفة ، وبين يديه لواء عقده له وقد ولي طريق الفرات بأسره . فقممت إليه وهنأته وقلت له : ولا الساعة تخبرني الخبر ؟ فقال ما فات شيء وودعني ومضى وأقمت بمكاني إلى أن خرج خزيمة فسرت معه إلى داره فلما استقر فيها دعاني فسألني عن أمور من خدمته ثم قال : أظنك قد أنكرت ماجرى في أمر حامد بن عمرو ؟ قلت أي والله أيها الأمير . قال فاسمع الخبر : إعلم أني كنت في نهاية الغيظ عليه فأمرت فيه بما أمرت فلما كان البارحة رأيت فيما يرى النائم كأنه قائم يصلي ورفع يديه إلى الله عز وجل يدعو على فكأنه قد وقع في نفسي أنه يريد أن يدعو على قال : فصحت به لا تفعل وادن مني فانقتل من صلاته فجاء فوقف بين يدي فقلت له ما حملك على أن تدعو على ؟ فقال لأنك أهنتني واستخففت بي وأخرجتني من دارك ذليلاً آيساً وأشمت بي أعدائي ووددتني بالقتل ظلماً ، وقطعت أملِي في طلب رزقي وقوتي ، فأنا أشكوك إلى الله عز وجل ، واستعينه عليك فكأنني أقول له طب نفساً ولا تدع على وإني أحسن إليك غداً وأوليك عملاً واستعطفته . فعمجت من المنام ، وعلمت أني ظلمت الرجل وقلت في نفسي شيخ من العرب وله سن وشرف أسأت إليه بغير جرم . وأرعبته وماذا على إذا لح في طلب الرزق ، وعلمت أن المنام موعظة في أمره وحث على حفظ النعم ولا أنفرها بقلة الشكر واستعمال الظلم ولم واعتقدت أن أوليه كما وعدته في المنام فكان ما رأيته . قال الحسن بن سلمة : فصوبت رأيه في هذا ودعوت وانصرفت فجاءني من العشي حامد بن عمرو مسلماً وهو دعا لي يخرج إلى عمله فقلت : هات الآن خبرك ؟ قال : نعم انصرفت من باب خزيمة موجع القلب قلماً مرتاعاً فأخبرت عيالي بما جرى فكأنه في داري مأتم عظيم ، ولم أطعم أنا ولا عيالي

يومى وليلتى طعاما وأمسييت على ذلك ، فلما هدأت الهيون توضأت واستقبلت
القبلة وصليت ماشاء الله وتضرعت اليه عز وجل ودعوته يا خلاص طوية
وصدق نية وأطلت فحملتني عيني وأنا ساجد في القبلة فرأيت في منامى كأنى على
حالى في الصلاة والدعاء وكأن خزيمة بن حازم قد وقف على وأنا أدعو فصاح
بى لا تفعل ، وعد إلى فإنى أحسن اليك وأوليك . فانتهت مذعوراً ، وقد قويت
نفسى فقلت أبكر اليه فلعل الله عز وجل أن يطرح في قلبه الرقة لى . فغدوت
إليه فكان ما رأيت فتال الحسن : فكثير تعجبي لاتفاق المنامين وقلت لحامد
لقد أخبرنى الأمير بمثل هذا لم يحرم منه حرفاً . وبكرت إلى خزيمة وحدثته
الحديث وأحضر حامداً حتى سمع ذلك منه فعجب منه وأمر له بعلة وكسوة
وحملان ولم يزل بعد ذلك متمهداً لإكرامه ولا يتعطى . ويقارب هذا الحديث
جديشان : أحدهما حدثنى به غير واحد من أهل بغداد أن عطاراً من أهل
الكرخ بها كان مشهوراً بالستر والأمانة فارتكبه دين وقام عن دكانه ولزم
بيته مستتراً وأقبل على الدعاء والصلاة إلى أن صلى ليلة جمعة صلاة كثيرة
ودعا ونام . قال : فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في منامى وهو يقول أقصد على
ابن عيسى وكان إذ ذاك وزيراً فقد أمرته لك بأربع مائة دينار فخذها وأصلح بها
أمرك . قال : وكان على ستمائة دينار ، فلما كان من غد قلت : قال النبي صلى الله
وسلم : « من رأى في منامه فقد رأى حقاً فان الشيطان لا يتمثل بى » فلم لأقصد
الوزير قال : فقصدته فلما صرت بيابه منعت من الوصول اليه فجلست إلى أن
ضاق صدرى وهممت بالانصراف فخرج الشافعى صاحبه وكان يعرفنى معرفة
ضعيفة ، فأخبرته الخبر فقال يا هذا : الوزير والله فى طلبك منذ السحر إلى
الآن ، وقد سألى نك فأنسيك وما عرفك أحد والرسول مبثوثة فى طلبك
فكن بمكانك ورجع ودخل فما كان بأسرع من أن دعا بى فدخلت على
ابن عيسى فقال : ما اسمك ؟ فقلت فلان بن فلان . قال من أهل الكرخ ؟
قلت : نعم . فقال يا هذا أحسن الله جزاك فى قصدك إيمانى هو الله ماتهنأت
بالعيش منذ البارحة ، فإلى رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءنى البارحة

في منامى فقال لى: أعط فلان بن فلان العطار بالسكرخ أربع مائة دينار يصلح بها شأنه فكنت اليوم طول نهاري في طلبك وما عرفك أحد . فقلت : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاني البارحة في منامى فقال لى كيت كيت . قال فبكى على بن عيسى وقال أرجو أن تكون هذه عناية من رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم قال : هاتوا ألف دينار فجاء بها عينا فقال خذ أربع مائة دينار امتثالا لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وستائة دينار هبة منى لك : فقلت ما أحب أن ازداد على عطاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فأبى أرجو البركة فيه لافيهما . فبكى على بن عيسى وقال : هذه ألف دينار فخذ ما بدالك . فأخذت أربع مائة دينار وانصرفت فقصصت قصتي على صديق لى وأريته الدنانير وسألته أن يقصد غرمائى ويخبرهم ويتوسط بينى وبينهم ففعل ذلك فقالوا : نؤخر بالمال ثلاث سنين فليفتح دكانه فقلت لأولئك تأخذون منى اثلث في كل سنة فأعطيتهم مائتى دينار وفتحت دكانى بالمائتى الباقية فما حال الحول إلا ومعى ألف دينار ، فقضيت دينى كله وما زال مالى يزيد وحالى يصلح إلى الآن . والآخر حدثنى به أبو الحسن على بن يوسف الأزرق التميمي ، قال : حدثنى أبو القاسم بن ماجور المنجم ، قال : حججت فرأيت عند طاهر ابن يحيى العلوى بالمدينة رجلا خراسانياً كان يحج في كل سنة فإذا دخل المدينة جاء إلى طاهر بن يحيى فأعطاه مائتى دينار من ماله كانت كالجراية له منه . فلما كان سنة قبل ذلك جاء يريد داره ليعطيه المال فأعترضه رجل من أهل المدينة فسب عنده طاهراً وقال : تضع دنانيرك التي تدفعها إليه وهذا يأخذ منك ومن غيرك فيصرفه فيما يكرهه الله عز وجل فيفعل ويصنع ؟ وتكلم فيه بكل قبيح قال الخراساني : فلما سمعت ذلك عرضت نفسى عن دفع شئ إليه وتصدقت بالدنانير وخرجت من المدينة فلم ألقه ، فلما كان في العام الثانى دخلت المدينة فتصدقت بها كنت أريد أن أتصدق به وطويت طامراً فلم أمض إليه ، فلما كان في العام الثالث تأهبت للحج فرأيت النبى صلى الله عليه وسلم في منامى وهو يقول : ويحك قبلت في ابني طاهر بن يحيى

قول أعدائه ، وقطعت عنه ما كنت تبره به ؟ لا تفعل واقصده بما فاته ولا تقطعه عنه ما استطعت . قال : فانتبهت فزعا ونويت ذلك وأخذت صرة فجعلت فيها ستمائة دينار وحملتها معي فلما صرت بالمدينة بدأت بدار طاهر فدخلت وجلست وبجلسه حافل ، فلما رأي قال يا أبا فلان : لولم يبعث بك إلينا ما جئت فتغافلت عنه . وقلت : مامعنى هذا الكلام أصلحك الله ؟ قال قبلت في قول عدو الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم وعدوى ، وقطعت عادتك حتى لا ملك رسول الله صلى الله عليه وسلم في منامك ، وأمرك أن تعطيني الستمائة دينارها ، ومد يده إلى فتداخلى من الدهش ماذهلت معه . فقلت : أصلحك الله هكذا والله كانت القضية فاعلمك بذلك ؟ قال : إنه بلغنى خبر دخولك المدينة في السنة الأولى فلما خرج الحاج ولم تجمنى أثر ذلك في حالى . وسألت عن القضية فعرفت أن بعض أعدائنا لقيك فسبى عنك فألمنى ذلك . فلما كان في الحول الثانى بلغنى دخورك وأنت قد عملت على قوله في فزاد بذلك غمى ، فلما كان منذ شهور ازدادت إضاقتى وامتنع النوم على غما بما دفعت إليه ففرغت إلى الصلاة فصليت ما قضى لى ودعوت الله سبحانه وتعالى بالفرج بما أنا فيه ، ونمت في المحراب ، فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في منامى وهو يقول : لا نغتم فقد لقيت فلاناً الخراسانى وعاتبته على قبوله فيك قول أعدائك ، وأمرته أن يحمل اليك ما فاتك لستين ، ولا يقطع عنك بعدها ما استطاع . فحمدت الله عز وجل وشكرته فلما رأيتك الآن علمت أن المنام جاء بك . فأخرجت الهرة التى فيها ستمائة دينار فدفعتها إليه وقبلت رأسه وبين عينيه وسألته أن يجعلنى في حل من قبول قول ذلك الرجل فيه .

• •

حدثنى أبو محمد يحيى بن محمد بن سليمان بن فهد الأزدي الموصلى قال : كانت في شارع دار الرقيق ببغداد جارية علوية أقامت مرممة نحو خمس عشرة سنة وكان أبى أيام نزولنا من هذا الشارع في دار شفيع المقتدرى التى كان اشتراها يتفقدها ويرها ، وكانت مسجاة لا تنقلب من جنب إلى جنب حتى تنقلب ، ولا تقعد حتى تقعد ، وكان لها من يخدمها في ذلك وكانت فقيرة

لا قوت لها هي وخادمتها إلا بما تبرها الناس ، فلما مات أبي اختل أمرها ، وبلغ تجنى جارية الوزير المهلبى خبرها فكانت تقوم بأمرها ، وأجرت عليها جارية في كل شهر وكسوة في كل سنة . قال فباتت ليلة من الليالي على حالها تلك . ثم أصبحت من غد وقد برئت ، ومشيت ، وقامت . وقعدت ، وكنت مجاوراً لها فكانت أرى الناس يتناوبون باب دارها فأخذت امرأة من دارى ثقة تعرفها حتى شاهدها وسمعتها تقول : إني ضجرت من نفسى ضجراً شديداً ، فدعوت الله عز وجل طويلاً بالفرج بما أنا فيه أو بالموت ، وبكيت بكاء متصلاً وبت وأنا قلقة متأللة ضجيرة وكان سبب ذلك : أن الخادمة تضجرت وخاطبتني بما ضاق منه صدرى فلما استثقلت في نومى دخل على رجل فارتعدت منه وقلت : يا هذا كيف تستحل أن ترانى ؟ فقال أما أبوك فظننته أمير المؤمنين . فقلت : يا أمير المؤمنين ما ترى ما أنا فيه ؟ فقال : أما أبوك محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم . فبكيت ، وقلت يا رسول الله : ادع لى بالعافية . قال فرك شفتيه بشيء لم أفهمه ثم قال : هاتى يديك فأعطيته يدي ، فأخذها وجذبني بهما فقممت . فقال لى : امشى على اسم الله تعالى . فقلت : كيف أمشى ؟ فقال : يديك فأخذهما وما زال يمشى وهما في يديه ساعة . ثم أجلسنى حتى فعل بى ذلك ثلاث مرات ، ثم قال : قد وهب الله عز وجل لك العافية فأحديه واتقيه ، وتركنى ومضى . فانتبهت وأنا لأشك أنه واقف لسرعة المنام . فصحت فظننت الجارية أنى أريد البول فتشاقلت . فقلت : ويحك اسرجى السراج فانى رأيت النبي صلى الله عليه وسلم . فانتبهت المرأة فوجدتنى مسجاة فشرحت لها المنام . فقالت : أرجو أن يكون الله عز وجل قد وهب لك العافية هاتى يديك فأعطيتها يدي فأجلستنى . ثم قالت لى : قومى فقممت معها ومشيت متوكئة عليها ثم جلست وفعلت ذلك ثلاث مرات . الأخيرة منهن مشيت وحدى فصاحت الخادمة سروراً بالحال وإعظاماً لها فقدر الجيران أنى قدمت فجأؤنى فقممت ومشيت معهم . قال أبو محمد : وما زالت قوتها تزيد لى أن رأيتها قد جاءت لى والدن فى خوف وإزار بعد أيام ولا قلبه بها فبررتها وهى باقية وهى من أصلح النساء . وأورعهن

من أهل زماننا ، وقد زوجت من رجل علوى موثر وصلحت حالها ولا تعرف الآن إلا بالعلوية المزممة ، ومضى على هذا الحديث شهور كثيرة فجرى بينى وبين أبى بكر محمد بن عبد الرحمن بن فريضة مذاكرة بالمنامات فحدثني بحديث منام هذه العلوية وقصتها وعلتها على ما حدثني به أبو محمد بن فهد ، قال : قال لى أبو بكر : أما كنت أحمل اليها جرايتها من عند تجنى جارية الوزير أبى محمد المهلبى وكسوتها على طول السنين . وسمعت منها هذا المنام ورأيتها تمشى بعد ذلك صحيحة بلا قلبة وتجي إلى تجنى وتجنى زوجها من العلوى ، وأعطتني مالا قمت منه بتجهيزها وأمرها حتى اعرس بها زوجها . وهى الآن من خيار النساء .

قال مؤلف هذا الكتاب : وحدثني بهذا الحديث جماعة أسكن اليهم من أهل الشارع دار الرقيت بخبر هذه العلوية على مثل هذا وهى باقية إلى الآن وآخر معرفتى بخبرها فى سنة ثلاث وسبعين وثلثمائة ولا تعرف الآن إلا بالعلوية الزمنى . حدثني أبو محمد يحيى بن فهد الأزدى الموصلى ، قال : سمعت أبا القاسم السعدى يحدث أبى رحمه الله قال : كنت وأنا حدث السن مشغولاً بسلام لى شغفاً شديداً وكنت منهمكا على الفساد ، وكان ربما هجرنى فأترضاه بكل ما أقدر عليه حتى يرضى (قال) : وأنه غضب على مرة غضباً شديداً وهرب واستتر عني حتى لحقتى من الخيرة والولة ما قطعنى عن النظر فى أمرى ، واجتهدت فى صرف ذلك عني فلم ينصرف ، وحضر وقت خروج الناس إلى الحائر على ساكبه أفضل الصلاة والسلام فمكتبت رقعة أسأل الله الفرج مما أدا فيه ودفعتهما إلى بعض من خرج وسأله أن يدفعها فى ناحية من القبر وأتت ليلة النصف من شعبان ففرغت إلى الله عز وجل فى كشف ما بى ، وصليت ودعوت ، ثم غلبنى النوم فرأيت فى منامى كأننى فى مقابر قریش والناس مجتمعون فيها إذ قيل جاء الحسين بن على ، وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم للزيارة فلتشوقت لرؤيتهما ، فاذا بالحسين رضى الله عنه فى صورة كهل ، وعليه دراعة وعمامة ومعه فاطمة عليهما السلام متنقبة بنقاب بياض ، فاعتبرضت الحسين رضى الله عنه وقلت له يا ابن رسول الله : كتبت

إليك رقعة في حاجة لي أسألك فإن رأيت أن تعمل فيها . فلم يجبني ودخل القبة بالمدفن ودخلت فاطمة وكأن قوما قد وقفوا يمنعون الناس من الدخول اليهما . فلم أزل أتوصل إلى أن دخلت . فأعدت الخطاب عليه فلم يجبني ، فقلت ياسيدة : إني رأيت على أن تعمل في أمرى . فقالت على أن تتوب . قلت : نعم . فقالت : قل الله . فقلت الله . فكررت على ثلاثاً ثم أومأت إلى جماعة ممن كانوا قياماً ودفعت اليهم خاتماً كان في يدها وكلمتهم بما لم أفهمه فحملوني حتى غبت عنهما ، ثم حلوا سراويلي وشدوا ذكرى بخيط شداً قوياً ثم وضعوا على الشد طيباً وختموه بالخاتم فورد على من الألم ما أنبهني فانتبهت وأثر الخيط في الموضع ، وصار أثر الختم كالجدري مستديراً حول الموضع ثم قال : ان شئت كسفت لك فأريت لك فقد أريته لجماعة . فقلت إني لا أستحل النظر إلى ذلك . قال السعدى فأصبحت من غد ولم يبق في قلبي شيء من الغلام فاشتريت الجوارى وكنت لا أنكر من جماعى شيئاً . ثم طالبتني نفسي بالعلماء وغلبتني الشهوة فاستدعيت غلاماً فلم أقدر عليه وبطل العضو قال فلما فارقه أتعظت ، فعاودته فاسترخى . فحزبت ذلك مع عدة غلمان فكانت صورتي واحدة فجددت التوبة بعد ذلك وما نقضتها إلى الآن .

حدثنا أبو علي الحسين بن محمد الأنباري الكاتب ، قال : كان ابن الفرات يتبع أبا جعفر بن بسطام بالأذية ، ويقصده بالمسكاره فلقى منه في ذلك شذائد كثيرة ، وكانت أم أبي جعفر محمد قد عودته مذ كان طفلاً أن يجعل في كل ليلة تحت مخدته التي ينام عليها رغيفاً ، فإذا كان من غد تصدقت به عنه ، فلما مضت مدة من أذية ابن الفرات له دخل إلى ابن الفرات في شيء احتاج إليه فيه . فقال ابن الفرات يا أبا جعفر : لك مع أمك خبر في رغيف ؟ فقال : لا . قال لا بد أن تصدقني . فذكر أبو جعفر الحديث فحدثه به على سبيل التطاير بأحوال النساء . فقال ابن الفرات : لا يعمل فإني بت البارحة وأنا أدبر عليك أمراً لو تم لاستأصلتكم ، ونمت فرأيت في منامى كأن بيدي سيناً مسلولا ، وقد قصدتك فاعترضتني أمك بيدها رغيف تترسك به مني فما وصلت إليك

وانتهت . فعاتبه أبو جعفر على ما كان بينهما ، وجعل ذلك طريقا على استصلاحه ، وبذل له من نفسه ما يريد ولم يرح حتى أرضاه وصار اصدقاء . وقال له ابن الفرات : لا رأيت بعدها مني سوءاً ما عشت أبداً . وروى عن محمد بن علي بن يونس عن أبيه أنه كتب لرجاء بن أبي الضحاك وهو بدمشق ، وإن علي بن إسحاق بن يحيى بن معاذ كان يتفقد خلافة خمارتكين على المعونة على دمشق ، فوثب على رجاء فقيده وقبض على جماعة من أسبابه وأمر بحبس في يدي سجان كان جاراً لي ، وكان يأتيني بالخبر ساعة بعد ساعة . فدخل إلى وقال : اخرج والله رأس صاحبك رجاء على قناة ، ثم جاءني وقال : قد قتل مطببه ، ثم جاءني فقال : قد قتل ابن عمه ، ثم جاءني فقال : قد قتل كاتبه الآخر فلان ، ثم قال : الساعة يدعى بك لتقتل . فلما سمعت ذلك نالني جزع شديد وخرج السجان وقفل الباب ودعى بي فدافع عني وقال : مفتاح القفل مع شريكى والساعة يحضر ، فنالني في تلك الساعة نهاس فرأيت في منامي كأنني ارتطمت في طين كثير ، وكأنني قد خرجت وما بليت قدمي واستيقظت وتأولت الفرج ، وسمعت حركة شديدة فلم أشك أنها لطبي فعاودني الجزع ، فدخل السجان وقال ابشر : فقد أخذ الجند علي بن إسحاق فحبسوه ، فلم البث حتى جاءني الجند فأخرجوني وجاءوا بي إلى مجلس علي بن إسحاق الذي كان فيه جالسا وقدامه دواية وكتاب قد كان كتبه إلى المعتصم في تلك الساعة يخبره بخبر قتله رجاء وجعل له ذنوباً ولنفسه معاذير ويسمى رجاء المجوسى الكافر . فخرقت الكتاب وكتبت بالخبر كما يجب إلى المعتصم من نفسي وما أجرى اليه علي بن إسحاق وأنفذت الكتاب ، ولم أزل أدبر العمل حتى تسلم مني وحمل إلى المعتصم فحبس حبساً طويلاً ، وأظهر الوسواس وتكلم فيه أحمد بن أبي داود فأطلق . وجدت في بعض الكتب أن المنصور استيقظ من منامه ليلة من بعض الليالي وهو مذعور لرؤيا رآها فصاح بالربيع وقال له : صر الساعة إلى الباب الذي يلي باب الشام فإنك ستصادف هناك رجلاً مجوسياً مستنداً إلى الباب الحديد فخنني به . فضى الربيع مبادراً وعاد والمجوسى معه . فلما رآه المنصور قال : نعم هو هذا ما ظلامتك ؟ فقال : إن عاملك بالابار

جاورنى فى ضيعتى فساومنى أن أبيعها لإياها فامتنعت لأن معيشتى منها ، وقوت عيالى . فغصبتنى عليها . فقال له المنصور : فأى شىء دعوت به قبل أن يصل إليك رسولى ؟ قال قلت : اللهم إنك حلیم ذو أناة ولا صبر لى على أمانتك . فقال المنصور للربيع : أشخص إلى هذا العامل وأحسن أدبه وانتزع الضيعة من يده وسلمها إلى هذا المجوسى وابتع من العامل ضيعته وسلمها إليه أيضاً ففعل الربيع ذلك كله فى بعض نهار وانصرف المجوسى وقد فرج الله عنه وزاده وأحسن إليه . وجدت فى كتاب حديث القاسم بن كرسوع صاحب أبى جعفر بخبره وقال : إن ابن أبى عون صاحب الشرطة قد وعد بخبره أن يجيئه للإقامة عنده والشرب مصطبحاً على ستارته فى يوم ثلاثاء فأبطأ عنه وتعلق قلب بخبره بتأخره فبعث غلاماً له فى طلبه وتعرف خبره فعاد إلى مخبره ، وقال : وجدته فى مجلس الشرطة يضرب رجلاً بالسياط وقد ذكر أنه يجيئ الساعة . فلما كان بعد ساعة جاء ابن أبى عون . فقال له أبو جعفر : قد وعدتني ببيكورك وشغلتنى بتأخرك فما سبب ذلك ؟ فقال لى رأيت البارحة فى منامى كانى بكرت بليل لأجيتك وليس معى سوى غلام واحد ، فسرت فى خراب إسحاق بن إبراهيم بن مصعب لأجىء إلى رحبة الجسر فإنى لأسير فى القمر إذ رأيت شيخاً بهياً نظيف الثوب وعلى رأسه قلنسوة لاطية وفى يده عكاز فسلم على وقال : لى أرشدك على ما فيه مشوبة لك . فى حبسك شيخ مظلوم وفى البارحة من المدائن فى وقت ضيق فاتهم أنه قتل رجلاً وهو برىء من دمه وقد ضرب وحبس ، وقاتل الرجل غيره وهو فى غرفة وسطى من ثلاث غرف مبليسة على طاق التلك بالكرخ واسمه فلان بن فلان إبعث من يأخذه فالك ستجده عريان سكران وفى يده سكين مخضبة بدم ، فاصنع ما ترى به وأطلق الشيخ البائس . فقممت فانتبهت فركبت وسرت حتى وافيت رحبة الجسر فقلت ما حدث فى هذه الليلة ؟ فقالوا : وجدنا هذا القليل وهذا الشيخ معه فضر بناه فلم يقر قرأيت به أثر ضرب عظيم فسألته عن خبره . فقال أنا معروف بالمدائن بسلامة الطريقة ومعاشى التغيث أنفذنى فلان بن فلان إلى فلان بن

فلان من أهل بغداد بهذه الكتب فأخرج اضبارة فدخلت وقت العتمة أوائل بغداد فوجدت في الطريق رجلاً مقتولاً فخرجت ولم أدر أين آخذ فأنا على حالي إذ أدركني الأعوان فظنوني قتلته ، والله ما أعرفه ولا رأيت قط ، ولا أدري من هو ولا من قتله . ولا قتلت أحداً قط وقد ضربوني وحبسوني فأنه الله في دمي . فقلت قد فرج الله عنك . انطلق حيث شئت ثم أخذت الرجالة ومضيت إلى طاق التل فوجدت الغرف مصفوفة كما وصف الشيخ فهجمت على الوسطى فإذا رجل سكران عليه سراويل فقط ، وفي يده سكين مخضبة بالدم وهو يقول أخ عليك نعم ياسيدي أنا جرحته ابن القهجة ، وإن مات فأنا قتلته فأنزله مكتوفاً وبعثت به إلى الحبس وانحدرت إلى الموفق فحدثته الحديث فتعجب منه وتقدم إلى أن اضرب القاتل بالسياط إلى أن يتلف ، وأصلبه في موضع جنايته فتشأغلت بذلك إلى أن فرغت ثم جئتك .

حدثني محمد بن علي بن إسحاق قال: خرجت مع أبي وهو يكتب لمحمد بن القاسم الكرخي المكنى بأبي جعفر لما تقلد الموصل والديارات ، وكان قد ضم إلى أبي جعفر جماعة من قواد السلطان فلما صرنا بنصبيين كان أبي قد مضى وأنا معه إلى أبي العباس أحمد بن كشمرد مسلماً عليه فتحدثنا فسمعته يحدثه قال : لما أسرنى أبو طاهر القرمطي فيمن أسره بالهيرة فحبسني ، وأبا الهيثماء والغمر في ثلاث حجر متقاربة ومكننا من أن نتزاور ونجتمع على الحديث فمكن أبا الهيثماء خاصة واختص به وعمل على إطلاقه وشفعه في أشياء فسألت أبا الهيثماء أن يسأله إطلاقي فوجدني واستدعاه القرمطي . ففضى إليه وعاد إلى حجرته فجئت وسألته هل خاطبه فدافعني فقلت لعلك أنسيت فقال : لا والله ولوددت أني ما ذكرت لك إني وجدته متغيظاً عليك . فقال والله لأضربن عنقه عند طلوع الشمس في غد ، ورحل أبو الهيثماء فورد على أمر عظيم وعدت إلى حجرتي وقد يئست من الحياة فلما كان في الليل رأيت في منامي كأن قائلاً يقول لي اكتب في رقعة « بسم الله الرحمن الرحيم من العبد الذليل ،

إلى المولى الجليل ، مسنى الضر والخوف وأنت أرحم الراحمين . فبحق محمد وآل محمد اكشف همى ، وحزنى وفرج عنى . واطرح الرقعة ، فى هذا النهر وأوماً إلى ساقية كانت تجري هناك فى المطبخ فالتهمت من نومى وكتبت الرقعة وطرحتها فى الساقية فلما كان السحر استدعانى القرمطى فمأشك أنه القتل . فلما دخلت إليه أدناى وأجلسنى وقال : قد كان رأى فىك غير هذا إلا أنى قد رأيت تخليتك فخرجت فإذا على الباب - احلة ورجل يصحبنى فركبت ودخلت البصرة سالمأ ولحمت أبا الهيجاء بها فدخلنا معا إلى بغداد . وقال أبو الحسن على ابن زكى . قال : كنت مع صاحبى عيسى البوسرى وكان مضافاً لمحمد بن سليمان الكاتب على حرب الطولونية إلى أن افتتحت مصر فتقلد قال : قال عيسى خرج يوماً محمد بن سليمان إلى ظاهر القسطنطين فالتهمى به السير إلى قبة كانت لأحمد ابن طولون يقال لها قبة الهواء مظلة على النيل وعلى البر فجلس فيها ومعه الحسين ابن حمدان ، وجماعة من القواد ثم قال : الحمد لله الذى بيده الأمر كله يفعل ما يشاء . فقال له : الحسين بن حمدان لاشك أن تجد يدك الحمد لأمر ؟ قال : نعم . وهو عجيب ظريف ذكرته الساعة وهو أنى نزعت إلى مصر وأنا فى حال رثة فى زى صغار الاتباع فضاق على المعاش بها فاتصلت بلؤلؤ الطولونى فأجرى على دينارين فى كل شهر ، وصيرنى مشرفاً فى اصطبله على كراعته فكنت هناك من حيث لا يعرف وجهى جيداً ولا أقدم على الوقوف بين يديه ، فلما كان بعض الأيام أحضرنى فقال : ويحك من أين يعرفك الأمير ؟ يعنى : أحمد بن طولون . فقلت : والله ما رأى قط ولا وقعت عينه على إلا فى الطريق ولا يحلى محل من يتصدى للقائه . فقال دعانى الساعة وهو فى قبة الهواء فقال : معك رجل أشقر أشهل يقال له محمد بن سليمان . فقلت : ما أعرفه فقال : بل هو فى جنبتك فابعده عنك فإنى رأيته البارحة وفى يده مكنسة يكس دارى بها . فتوق ويحك ولا تتعرف إلى أحد من حاشيته وأقرنى على أمرى فامتثلت أمره ومضت لهذا الحديث شهور ثم دعانى ثانية فقال : ويحك ماذا بليت به منك وبليت أنت به من هذا الأمير دعانى بعدة من أصحاب الرسائل

فوافيته وأنا في غاية الوجع فنال : أليس أمرتك بصرف محمد بن سليمان
الأزرق الأشقر . فقلت : قد عرفتك ياسيدي أني ما استخدمت من هذه
سبيله . ولا وقعت لي عليه عين . فقال لي : كذبت وهو معك في اصطبلك
فاخرجه عن البلد الساعة ، فاني رأيته في النوم أيضا وفي يده مكينة وهو يكس
بها سائر دورى وحجرى ونسأل الله الكفاية . فقلت للؤلؤ أى ذنب لي
ياسيدي في الأحلام ؟ فقال لي صدقت فاستتر إلى أن يتناسى الأمير ذكرك
وكان يجرى على رزقي في كل شهر وأنا لا أعمل شيئا فلما تهيأ من إنفاذ لؤلؤ
إلى الشام مات هيأ نهضت معه وتخلف عنه كتابه لما كانوا علموا من تغيير حاله عند
صاحبه فادناني وقربني واجرى على عشرة دنانير في كل شهر وجملي على دابة
فلزمت خدمته ولقيته واستخدمت اليه فزادني من رأيه ولم ينتبه أحمد بن
طولون من استيحاش لؤلؤ فكتب له بالرجوع إلى مصر ، فشاورني فأشرت
اليه بالانحدار إلى نواحي ديار مصر وأخذ كل ما استخف نيله من المال .
ولم أترك غاية إلا أتيتها في تضرعته وتأليبه حتى أوردته مدينة السلام . ثم
تقلبني في الأحوال في خدمة السلطان وخدمة الدولة وتوفي أحمد بن طولون
وحبس ابنه وقتل أبو الجيش وتولى بعدهم هارون بن خاروية بن أحمد وضم
إلى القواد والرجال وكان فيهم لؤلؤ صاحبي وكان أصغرهم حالا ، فلم أقصر
في صلاح حاله والإحسان اليه ومعرفة حقه فلم ادن من الشام حتى تلقاني
بدر الحماني مطيعاً ، وتلاه طنج بن حف مسرعاً وصرت إلى مصر فلما
شارفتها وثب شيبان بن أحمد بن طولون ومن معه من جند مصر فقتلوا
هارون وتولى شيبان الأمر أياماً وانشأ إلى القواد في الأمان ولحق بهم
شيبان وتخلف الرجال وقطعة من الفرسان ، وأظهروا الخلاف فأوقعت بهم
وأفنيهم قتلاً وأسراً ، ودخلت القسطنطينية وحوت النعم والمهج
واشخصت الطولونية من البلد إلى الحضرة حتى لم يبق فيها منهم أحد وصح
بذلك منام أحمد بن طولون فسبحان الذي ما شاء فعل ، وإياه نسأل خير ما تجرى
به أقداره ، وأن يحتم لنا بخير رحمته .

حدثني أبو الفرج عبد الواحد بن نصر "مكاتب المعروف بالبغداد قال :
 اعتلت بحلب علة خف منها بدني كله فكنت كالخشية لا أقدر أن أنحرك ،
 ونحل جسمي وتقلبتي في إغلال متصلة متضادة وأنا من هذا ألقى خلف
 فراش ثلاث سنين متواليات وآيس الأطباء من برئي ، وقطعوا مداواتي وكان
 لي صديق يعرف بأبي الفرج بن دارم من أهل بلدي يعني نصيبين مقيم بحلب
 يلزم عيادتي وكان لفرط اغتمامه بي وإن الأطباء أيسوا مني يظهر لي حزناً
 يؤلم قلبي ويؤيسني من نفسي ويحاوز ذلك إلى التصريح لي باليأس . وتوطيني
 ثم تعدى هذا إلى أن صار لا يملك دمعته إذا خاطبني فضعفت عن تحمل ذلك ،
 وتضاعفت به عنتي وخارت معه قوتي فاعتقدت أن أقول لغلامي أن يترصده
 فإذا جاء ليدخل علي قال له عني أني لا أستحسن حجابي ، وإن عنتي قد تضاعفت
 بما أشاهده واسمع من خطابه ، ويسأله أن ينقطع عني أو يقطع مخاطبتي بما
 فيه إيماي ، وقررت عزمي على ذلك في ليلة من الليالي ولم أخاطب به غلامي .
 فلما كان في صبيحة تلك الليلة باكرني ابن أبي دارم فحين وقعت عيني عليه
 تشاقلت به خوفاً من أن يسلك معي مذهبه ، وهممت أن أفتتح مخاطبته بما كنت
 عزمت على مراسلته به فسبقني بأن قال لي : قد جئتكم مبشراً فقلتم بماذا ؟
 قال : رأيتم البارحة كأنني بالرقعة والناس يهرعون إلى زيارة قبور الشهداء .
 فقال أبو الفرج : وهم بن قتلوا مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله
 عنه بصفين منهم عمار بن ياسر رضي الله عنه ، وحملوا إلى ظاهر الرقة فدفنوا
 بها والحال في ذلك مشهور والقبور إلى الآن مغطاة مغمورة ، فقال ابن أبي
 دارم : ورأيت كأن أكثر الناس مطبقون بقبة فسألت عنها . فقيل لي :
 قبر عمار بن ياسر . فقصدتها وأطلعت فيها فإذا القبر مكشوف وفيه رجل
 شيخ جالس بثياب بيض وفي رأسه ضربات بيضة دامية ، وعلى لحيته دم والناس
 يقولون : هذا عمار بن ياسر . وكانني سلمت عليه والناس يسألونه فيجيهم .
 فلحقته حيرة ولم أدر عما أسأله . فقلت ياسيدي : لعلك عارف بأبي الفرج
 عبد الواحد بن نصر المخزومي المعروف بالبغداد قال : أنا عارف به . قلت :
 أعترف ما به من الجهد والبلاء بالعلة الطويلة ؟ فقال : نعم . قلت : أفيغيبين

ويبرأ أم لا ؟ فقال : يعيدش ويبرأ ، ولكن أنت لك ابن الحذر عليه من علة تلحقه قريباً واستيقظت . قال : وأخذ يهنيئني بالعافية ويقول قد سرني لك ماجرى ، ولكن قد أوحشني في أمر ابني فاسأل الله الكفاية . قال أبو الفرج وكان الرجل ابن عمره نحو الثلاثين سنة وهو في الحال معاني فلما مضت خمسة أيام من الرؤيا حمم الفتى فقويت بنفسى في صحة المنام وماضت إلا أيام يسيرة حتى مات الفتى وأدبر مرضى ، ولم تزل العافية تتزايد إلى أن قويت وعادت إلى عادتي بعد مدة قريبة * وجدت في بعض الكتب أنه لما اشتدت الحرب بين الاسكندر وبين دار ابن دارا استظهر دارا عليه فأشرف الاسكندر على الهلاك وآيس من النصر وحال المساء بينهما فانصرف الاسكندر إلى معسكره قلقاً مغموماً متحيراً مهموماً عامة ليلته ثم نام فرأى في منامه كأنه صارع دارا فصرعه دارا ، فانتبه وقد زاد همه وغمه فقصر رؤياه على بعض فلاسنته . فقال : لمبشر أيها الملك بالغلبة والنصر وإنك تملك على دارا الأرض لأنك كنت قلبها لماصرعك . فلما كان بعد أيام يسيرة انهزم دارا وقتل وجاؤا برأسه إلى الاسكندر وملك بمالكه .

* * *

قال مؤلف هذا الكتاب رحمه الله : ومثل هذا مشهور في روايات أصحاب السير والأخبار أن عبد الله بن الزبير رأى في منامه كأنه صارع عبد الملك بن مروان فصرع عبد الملك وسمره في الأرض بأربعة أوتاد فأرسل راجعاً إلى البصرة وأمره أن يلقي ابن سيرين ويقص الرؤيا عليه ولا يذكر له من أنفذه ولا يسمى عبد الملك ، فسار الراكب حتى أناخ بباب ابن سيرين فقص عليه المنام فقال له ابن سيرين من رأى هذا ؟ فقال : أنا رأيته في رجل بيني وبينه عداوة . فقال ليس هذه رؤياك هذه رؤيا ابن الزبير ، أو عبد الملك ابن مروان أحدهما في الآخر فسأله الجواب فقال : ما أفسرها أو تصدقني فلم يصدقته فامتنع من التفسير وانصرف الراكب إلى ابن الزبير فأخبره بما جرى . فقال له : ارجع إليه فاصدقه إنى رأيته في عبد الملك . فرجع الراكب إلى ابن سيرين برسالة ابن الزبير فقال له : قل له أيها الأمير عبد الملك يغلبك

على الأرض ، ويلي هذا الأمر من ولده لصلبه بعده أربعة بعدد الأوتاد التي سمته بها في الأرض » قال : وحدثني أبو القاسم الحسين بن بشر الادمدي الكاتب المقيم بالبصرة إلى أن مات بها قال : لما سعى أبو أحمد طلحة بن الحسين بن المنتبى مع جيش أبي القاسم بن أبي عبد الله اليزيدى في أن يقبضوا عليه ويحبسوه عند أبي أحمد وأن يرد المطيع لله أو جيش له بالبصرة فيملكوها ويتسلموا منه أبو القاسم اليزيدى وكانت القصة مشهورة في ذلك ، فبلغتني خفوت بأبي أحمد وكنت أكتب له حينئذ وكان لا يحتمل شمني في أموره ونهته على هذا الرأي ، وعرفته وجوه الغلط عليه ، والغلط في ذلك والمخاطرة والغدر بدمه ونعمته وهو غير قابل لمشورتى إلى أن أكثرت عليه . فقال لى : أعلم أنى رأيت رؤيا وأنا بها واثق فى تمام ما شرعت فيه من القبض على هذا الرجل . فعجبت من نفسى فى رجل يخالف الحزم الظاهر ، والرأى الواضح من أجل منام ثم قلت له : ما الرؤيا ؟ قال : رأيت كأن حية عظيمة قد خرجت على من حائط هذا العرض . قال : وكان جالسا فى عرض ذكره قال : وكأنى قد رميتها فأثبتتها فى الحائط فذكرت تأويل ابن سيرين لمنام ابن الزبير وقص المنام الذى ذكرته . قال فسبقت إلى قلبى تأويل منام أبى أحمد أنه قد أثبت عدوه فى حائطه وأنه سيغلبه على البلد . فأمسكت وقطعت الكلام . فنامت مدة يسيرة حتى شاع التدبير وصح الخبر عند القاسم اليزيدى فبادر بالقبض على فائق الأعسر ، وكان هو الذى ندبه أبو أحمد للقبض على اليزيدى ، وأن يكون أمير البلد إلى أن يرد جيش الخليفة فقرره فأقر بالخبر على شرحه فقبض أبو القاسم على أبى أحمد بعد قبضه على فائق بيومين أو ثلاثة أيام فاستصفاه وأهله وولده ثم قتله بعد ذلك بأيام .

بلغنى عن إبراهيم بن المهدي أنه قال : كنت فى جنوة شديدة من أخفى الرشيد أثرت فى جامى ، ونقصت حالى وأفضيت معها إلى الإضافة بتأخر رزقى وظهور أطراحه إياى ، واختلت لذلك ضيعتى ، وركبنى دين فادح فبلغ منى القلبنى بذلك والعكر فيه ليلة من الليالى مبلغا شديدا ، ونمت فرأيت فى منامى

كانني واقف بين يدي المهدي وهو يسألني عن حالي وأنا أشكو اليه ما تكفيني به الرشيد وأنهميت حالي اليه وأقول : ادع عليه يا أمير المؤمنين فكأنه يقول : اللهم أصلح ابني هارون . يكررها فكأنني أقول له يا أمير المؤمنين : أشكو اليك ظم هارون لي واسألك أن تدعو عليه فتدعو له . فقال لي : وما عليك إذا أصلحه الله لك ولل كافة أن يبقى على حاله هوذا أمضى اليه الساعة وأمره أن يرجع لك ويقضى دينك ويوليكَ جند دمشق فكأنني أومئ اليه بسبابتي وأقول له دمشق . دمشق استقلالها ١٩ فكأنه يقول حركت مسبحتك استقلالاً لا لدمشق إنما رؤيا . وكيف قل حظك منها كان في العاقبة أجود لك . فانتبهت وأحضرت مؤدباً كان لي في أيام المهدي فسألته عن المسبحة فقال : كان عبد الله بن العباس يسمى السبابة بالمسبحة فما سبب سؤالك أيها الأمير عنها ؟ فقصصت عليه الرؤيا وامتنع النوم عني ، فأخذ يحدثنني وأنا جالس في فراشي إذ جاءني رسول الرشيد فأتعت له ارتياحاً شديداً ولم أعبأ بالنام ، وخففت أن يكون يريدني بسوء يوقعه بي فخفت وقلت أدافعه إلى أن تطلع الشمس ثم أدخل عليه نهراً فإن كان أراد بي غيلة لم تتم . فتقاطرت رسله حتى أمجلوني عن الرأي واضطروني إلى الركوب في الحال فدخلت عليه وأنا شديد الجزع ، وهو جالس في فراشه ينتحب فلما رأي قال سألتك بالله يا أخى هل رأيت الليلة في منامك شيئاً ؟ قلت : نعم . الساعة رأيت المهدي فلما قلت له ازداد بسكاؤه . ثم قال ويمحك : بالله شكوتني اليه وسألته أن يدعو علي . قلت كان ذلك ، ولكنه قال : كذا ، وكذا . وشرحت عليه ما قال . فقال : والله الساعة جاءني في منامي فقص علي ما ذكرت . وقد وفي بعهده ، والله لأمثلهن أمره ولأصلن رحي منك ، كم دينك ؟ قلت : كذا . وكذا . فأمر بقضائه وقال : لا تبرح حتى أصلي وأعقد لك على دمشق . فانتظرت حتى وجبت الصلاة فاستدعاني فأظهر تكرمي ، وعقد لي لواء على دمشق ، وأمر الناس فصاروا معي إلى منزلي فماد جاهي وصلحت حالي » وقال : حدثني أبو القاسم طلحة بن محمد الشاهد ، قال : حدثني أبو الحسين (١٣ - الفرج - أول)

عبدالواحد بن محمد الحمصي ، قال : حدثني أبو الفضل ميمون بن مهران ، قال :
حدثني موسى بن عبد الملك ، قال : رأيت في منامي وأنا في الحبس قائلاً يقول
هذه الآيات :

لا زلت تعلو بك الجودود نعم وحفت بك السعود
أبشر فقد نلت ما تريد بيد أعدائك المبيد
لم يمهلوا ثم لم يقالوا والله يأتي بما يريد
فأصبر فصبر الفتي حميد واشكر فني شكرك المزيـد
فأنقذت وقد طفيء السراج فطلبت شيئاً حتى كتبت الآيات على الحائط
وأصبحت وقد قويت نفسي وأطلقت بعد مدة يسيرة .

وقال : وذكر المدائني في كتابه «الفرج بعد الشدة والضيق» ، قال : توبة
العنبري : أكرهني يوسف بن عمر على العمل ، فلما رجعت حبسني حتى لم
يبق في رأسي شعرة سوداء فأتاني آت في منامي وعليه ثياب بيض فقال
يا توبة : أطالوا حبسك ؟ فقلت : أجل . فقال : سل الله العفو والعافية في
الدنيا والآخرة ثلاثاً ، فاستيقظت فكتبتها ، ثم توضأت وصليت ماشاء الله ، ثم
جعلت أدعو حتى وجبت الصلاة للصبح . فصليتها فجاء حرسى فقال : أين توبة
العنبري ، ثم حملني في قيودي وأنا أتكلم بهن فلما رأني يوسف بن عمر أمر
بإطلاقي . قال توبة العنبري : وكنت عليها وأنا في السجن رجلاً فقال لي : لم ادع
إلى عذاب قط فقلت لهن لإلاخلى عني . فجئني بي يوماً إلى العذاب فجعلت أذكرها
ولا أذكرها حتى جلدت مائة سوط ، ثم ذكرتهن بعد فدعوت بهن فخلى
سبيلي . وروى المدائني أيضاً في كتابه عن أبي المثنى علي بن القاسم ، قال :
حدثني رجل ، قال : رأيت في أيام الطاعون في المنام أنهم أخرجوا من
داري اثنتي عشرة جنازة ، وأنا وعيالي اثنا عشر نفساً فمات عيالي وبقيت
وحدي فاغتممت فضاقت على الأرض ، فخرجت من الدار ثم رجعت من
الغد فإذا لص قد دخل ليسرق فطعن في الدار ، فخرجت جنازته منها فسرى
عني ما كنت فيه ووهب الله عز وجل السلامة .

وذكر القاضي أبو الحسن في كتابه «كتاب الفرج بعد الشدة» : أن وهب ابن منبه قال أملت حتى قنطت أو كدت فأتاني آت في منامي ومعه شبيه بالمستفة فدفعها إلى وقال : افضض فضضتها فإذا فيها حرير فقال : انشرها فشرتها فإذا هي ثلاثة أسطر بيباض . الأول : لا يلغى لمن عرف من الله عدله . الثاني أو عقل عن الله أمره . الثالث : إن يستبطىء الله في رزقه . قال فأعطاني الله عز وجل بعدها فأكثره وذكر الواقدي أنه قال : ضقت ضيقة شديدة ، وهجم شهر رمضان وأنا بغير نفقة ، فضاقت ذرعى لذلك فكتبت إلى صديق لي علوى أسأله أن يقرضني ألف درهم فبعث إلى بها في كيس مختوم فتركها عندي ، فلما كان عشي ذلك اليوم وردت علي رقعة صديق لي يسألني إسعافه لنفقة شهر رمضان بألف درهم ، فوجهت بالكيس إليه بخاتمته ، فلما كان من الغد جاءني صديقي الذي اقترض مني والعلوى الذي اقترضت منه فسألني العلوى عن خبر الدراهم . فقلت صرفتها في المهم ، فأخرج الكيس بختمه وضحك وقال : اعلم أنه قرب هذا الشهر وما عندي إلا هذه الدراهمات فلما كتبت إلى وجهت بها إليك ، وكتبت إلى صديقنا هذا اقترض منه ألف درهم فوجه إلى الكيس فسألته عن القصة فشرحها لي . وقد جئناك لنقسمها وإلى أن تنفقها يأتي الله عز وجل بالفرج قال الواقدي فقلت لهما : لست أدري أينما أكرم واقتسمناها ودخل شهر رمضان فانفقت أكثر ما حصل لي منها ، وضاقت صدري فجعلت أفكر في أمري فبينما أنا كذلك إذ بعث إلى يحيى بن خالد البرمكي في سحرة يومي فقال لي يا واقدي : رأيتك البارحة فيما يرى النائم وأنت على حال دلتني أنك في غم شديد وأذى فاشرح لي أمرك ، فشرحت له إلى أن بلغت إلى حديث العلوى وصديقي والألف درهم فقال والله لا أدري أيكم أكرم وأمر لي بثلاثين ألف درهم ولهما بمثلها وقلدني الغضاء .

﴿ انتهى الجزء الأول من كتاب الفرج بعد الشدة ﴾
﴿ ويليه الجزء الثاني أوله الباب السابع ﴾

الفرج بعد الشدة

للقاضي أبي علي المحسن بن أبي القاسم التنوخي
(٣٢٧ - ٣٨٤)

الأصل مأخوذ عن نسخة خطية محفوظة
بدار الكتب المصرية

الجزء الثاني

الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الباب السابع

﴿ من استنقذ من كرب وضيق خناق * بإحدى حالتي عمدا أو اتفاق ﴾

قال أبو علي : حدثنا علي ابن الحسين المعروف بالأصفهاني إمامنا من حفظه ، قال : حدثني أبو مسلم محمد بن بحر الأصبهاني الكاتب ، قال : كان محمد بن زيد العلوي الداعي بطبرستان إذا افتتح الخراج نظر في بيت المال من خراج السنة التي قبلها ففرق في قبائل قريش قسما على دعوتهم ، وفي الأنصار ، وفي الفقهاء ، وأهل القرآن ، وسائر طبقات الناس حتى يفرغ جميع ما بقي . فجلس في سنة من السنين ففرق المال كما كان يفعل ، فلما فرغ من بني هاشم دعى بسائر عبد بني عبد مناف فقام رجل . فقال له من أي عبد مناف أنت ؟ قال : من بني أمية . قال : من أيهم أنت ؟ فسكت : فقال : لعلك من ولد معاوية ؟ قال : نعم . قال فمن أي ولده ؟ فأمسك . قال : لعلك من ولد يزيد ؟ قال : نعم . قال بئس الاختيار اخترت لنفسك في قصدك بلداً ولايته إلى أبي طالب ، وعندك ثارهم في سيدهم وإخوتهم وبني عمه ، وقد كانت لك مدوحة عندهم بالشام والعراق عند من يتولى جدك ويحب برك ، فإن كنت جئت على جهل بهذا فما يكون بعد جهلك شيء ، وإن كنت جئت متمرياً فقد خاطرت بنفسك قال : فنظر إليه العلويون نظراً شديداً . فصاح بهم محمد وقال : كفوا كأنكم تظنون أن من قتل هذا دركا أو ثاراً بالحسين بن علي رضي الله عنهما ، أو بأحد من أقاربه ، وأي جرم لهذا ؟ إن الله تعالى قد حرم أن تطالب نفس بغير ما كسبت ، والله لا تعرض له أحد إلا أفديته منه واسمعوا حديثاً أحدثكم به يكون قدوة لكم فيما تستأفون . حدثني أبي ، عن أبيه رضوان الله عليهما قال : حج المنصور فعرض جوهر فاخر كان لهشام بن عبد الملك فقال : هذا

بعينه قد بلغنى خبره أن عند ابنه محمد وما بقى منهم أحد غيره . ثم قال للربيع :
 إذا كان غدا وصليت بالناس في المسجد الحرام وحصل الناس فيه فأغلظ
 الأبواب كلها ، ووكّل بها ثقاتك من الشيعة ، وافتح للناس بابا واحدا وقف
 عليه فلا يخرج أحد إلا من عرفته . فلما كان من الغد فعل الربيع ما أمره
 وتبين محمد بن هشام القصة فعلم أنه هو المطلوب ، وأنه مأخوذا ، فأقبل عليه
 محمد بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم فرآه
 متحيرا وهو لا يعرفه . فقال يا هذا : أراك متحيرا فمن أنت ولك أمان الله
 وأنت في ذمتي حتى أخلصك ؟ قال : أنا محمد بن هشام بن عبد الملك . فمن
 أنت ؟ قال أنا محمد بن زيد بن علي بن الحسين . قال : فعند الله أحسب دمي
 إذن . قال لا بأس عليك ، فإنك لست قاتل زيد ، ولا في قتلك إدراك ثار .
 وأنا الآن بخلاصك أولى مني بتسليمك وتعذرنى في مكروه أتناولك ، أو قبيح
 أخاطبك به يكون فيه خلاصك . قال : أنت وذاك . قال فطرح رداءه على
 رأسه ووجهه ولبيه به وأقبل يحمله ، فلما وقع عين الربيع عليه لطمه لطمات ،
 وجاء به إلى الربيع وقال يا أبا الفضل : إن هذا الخبيث جمال من الكوفة
 أكراني جماله ذاهبا وراجعا ، ثم هرب مني واكرى بعض القواد الخرسانية
 ولى عليه بذلك بيته . قال فضم اليه حرسيين وقال لهما امضيا معه فمضيا معه
 فلما بعدا عن المسجد قال له تؤدى إلى حق ؟ قال نعم يا ابن رسول الله صلى الله
 عليه وسلم . فقال انصرفا فانصرفا وأطلقه فقبل محمد بن هشام يده وقال : بأبي
 أنت وأُمّي الله أعلم حيث يجعل رسالته ، ثم أخرج جوهرآ له قدر فدفعه إليه
 وقال : تشرفني بقبول هذا . فقال يا ابن عم : إنا أهل بيت لا نقبل على
 المعروف مكافأة ، وقد تركت لك أعظم من هذا ، تركت لك دم زيد بن
 علي فانصرف راشدا ، ووار شخصك حتى يخرج هذا الرجل ، فانه مجد في
 طلبك فضي وتواري . قال : ثم أمر محمد بن زيد الداعي بطبرستان للأموى
 بمثل ما أمر به لسائر بني عبد مناف وضم اليه جماعة من مواليه وأمرهم أن
 يخرجوه إلى الرى ويأتوه بكتاب بسلامته . فقام الأموى ومضى ومعه القوم
 حتى وصل إلى مأمته . قال أبو مسلم الأصهباني : وكان أبو مسلم محمد بن بحر

وزيد بن محمد بن زيد الداعي بطبرستان وخبرني أن هذا الخبر سمعه وشاهده
من لفظ الداعي .

وحدثني أبو الفرج المعروف بالأصبهاني أملاء من حفظه وأنا أسمع
قال : قرأت في بعض الأخبار للأوائل أن الإسكندر لما انتهى إلى بلد الصين
ونزل على ملكها أتاه حاجبه وقد مضى من الليل شطره ، فقال له : رسول
ملك الصين يستأذن عليك . فقال أئذ له فأدخله فوقف بين يدي الإسكندر
وسلم وقال : إن رأى الملك أن يستخيلني فأمر الإسكندر من بحضرته أن
ينصرفوا فانصرفوا وبقي خاصته . فقال : إن الذي جئت له لا يمكن أن يسمعه
غيرك . فقال : فقال فتشوه ففتش فم يوجد معه سلاح فوضع الإسكندر بين
يديه سيفاً مسلولا وقال له : قف بمكانك وقل ماشئت . وأخرج كل من كان
عنده فقال الرسول : أنا ملك الصين لأرسوله وجئت أسألك عما تريده ، فإن
كان مما يمكن عمله ولو على أصعب الوجوه عملته وأغنيتك عن الحرب ، فقال :
له الإسكندر وما أمنك مني ؟ قال علمي بأهلك رجل عاقل وليست بيننا عداوة
متقدمة ولا مطالبة بدخل ، وأنت تعلم أنك إن قتلتني لم يكن ذلك سبباً بأن
يسلم اليك أهل الصين ملكهم ، ولا يمنعهم قتلي من أن ينصبوا لأنفسهم ملكاً
غيري وتنسب إلى غير الجميل وضد الحزم ، فأطرق الإسكندر متفكراً وعلم
أنه رجل عاقل . فقال : الذي أريده منك ارتفاع ملكتك اثلاث سنين
عاجلاً ، ونصف ارتفاعها في كل سنة . قال هل غير ذلك ؟ قال : لا . قال قد
أجبتك . قال فكيف تكون حالك حينئذ ؟ قال : أكون قتيلاً محارباً .
قال : فإن قنعت منك بارتفاع سنتين . فكيف يكون حالك ؟ قال : يكون
أصلح مما كانت وأفسح في المدة . قال فإن قنعت منك بارتفاع سنة واحدة ؟
قال : ذلك يكون مضرأبى ومذهباً لجميع لذاتي . قال : فإن قنعت منك بارتفاع
الثلاث كيف يكون حالك ؟ قال يكون الثلث موفراً والباقي لجيشي ولأسباب
الملك . قال فقد اقتصرت منك على ذلك . فشكره وانصرف فلما طلعت
الشمس أقبل جيش الصين حتى طبق الأرض وأحاط بجيش الاسكندر حتى

خاف الهلاك ، وتوانبت أصحابه فركبوا الخيل واستعدوا للحرب فبينما هم كذلك إذ طلع ملك الصين وعليه التاج فلما رأى الإسكندر ترجل . فقال له الإسكندر : غدرت ؟ قال : لا . قال فما هذا الجيش ؟ قال أردت أن أعلمك أني لم أطعك من قلة ، ولا ضعف ، ولا عجز ، وأنت ترى هذا الجيش . وما غاب عنك أكثر ولكني رأيت العالم الأكبر مقبلا عليك ممكنا لك فعلت أن من حارب العالم الأكبر . غلب ، فأردت طاعته بطاعتك ، والتذلل له بالتذلل لك . فقال الإسكندر ليس مثلك من يؤخذ منه شيء . فاني لم أجد بيني وبينك من يستحق بالتفضيل والوصف بالعقل غيرك ، وقد أعفيتك من جميع ما أردته منك وأنا راحل عنك . قال ملك الصين . أما إذا فعلت ذلك فلبست تخسر ، فلما انصرف الإسكندر أتبعه ملك الصين من الهدايا والتحف بأضعاف ما كان ، فرده عليه الاسكندر .

* * *

قال : أخبرني أبو بكر محمد بن يحيى الصولي فيما أجازته لي قال : حدثني الحسين بن يحيى ، قال : كان لاسحاق الموصلي غلام يقال له فتح يستقي الماء لأهل داره على بغلين له دائما فقال إسحاق : قلت يوما له : أي شيء خبرك يافتح ؟ قال : خبري أنه ليس في هذا الدار أشقى منك ومني . أنت تطعم أهل الدار الخبز ، وأنا أسقيهم الماء . قال : فاستظفرت قوله وضحكت منه وقلت له فأى شيء تحب ؟ قال : تعتقني وتهب لي البغلين لأستقي عليهما لنفسي ففعلت . وأخبرني أبو الفرج الأصبهاني . قال : أخبرني جرمي بن أبي العلاء ، قال : حدثني الزبير بن بكار عبد الأعلى بن عبد الله بن محمد بن صفوان الجمحي ، قال : حملت دينا وأنا بعسكر المهدي فركب المهدي يوما بين أبي عبيد الله ، وبين عمر ابن بريغ وأنا وراءه في موكبه على برذون قطوف فقال المهدي ما أنسب بيت قالت له العرب ؟ فقال أبو عبيد الله : قول امرئ القيس :

وما ذرفت عيناك إلا لتضربني بسهميك في أعشار قلب مقتل

فقال هذا أعرابي قح . فقال عمر بن بريغ : قول كثير عزة يا أمير المؤمنين .

قال ما هو ؟ قال :

أريد لأنسى ذكرها فكأنما تمثل ليلي بكل سبيلي
فقال له : ما هذا بشيء . وما له يريد أن يلسى ذكرها حتى تمثل له . فقلت
أما عندي حاجتك يا أمير المؤمنين . فقال . الحق بي . فقلت : ليس بي لحاق
لأن ليس ذلك في دابتي . فقال : احمليه على دابة . قلت : هذا أول الفتح .
لحملت على دابة فلحقته قال ما عندك قلت قول الأخوص :
إذا قلت أنى مشتف بلقائها خم التلاقي بيننا زادنى سقم
فقال : أحسبت حاجتك ؟ قلت : على دين . قال : اقضوا دينه
فقضوا ديني .

قال وذكر محمد بن عبدوس في « كتاب الوزراء » : حدث أحمد بن محمد
ابن زياد قال الديان بن الصلت : كنت في خدمة الفضل بن سهل على ما كنت
عليه من ثقتي بي واستنابته ، فدعاني في وقت من الأوقات إلى أن يضم إلى
أربعة آلاف من الجند والساكرية ويقودني عليهم ويحبرني بحرى قواده
فامتنعت عليه من ذلك وأعلمته أنى لا أقوم بذلك ولا أصلح له ولا أمن أن
أثقل له ما يقع التقصير فيه فيسقط ذلك حالى عنده ومنزلتي لديه . فأنكر ذلك
على أشد الإنكار وعاودنى فيه مرارا فلم أجبه اليه . فلما رأى إقامتى على
الامتناع جفانى وأعرض عني ، وامتدت الأيام على هذا السبيل حتى أدى بي
ذلك إلى الاختلال الشديد ، الذى أضرني فدخل على غلامى يوما فأخبرني
أنه لا نفقة عنده ، ولا مقدرة له في احتياها لامتناع التجار من اعطائه
لتأخر ما لهم عنهم ، ولا علف لدوابنا ولا قوت لنا فأومأت إلى عمامة
كانت عندي فأمرته ببيعها وصرف ثمنها فيما يحتاج اليه فباعها بثمانية عشر
درهما وورد على في هذا اليوم كتاب وكيلى على أهلى بمدينة السلام يعلمنى
ضيق الأمر فيما يحتاج اليه من إقامته للعيال وأنه التمس من التجار ألنى درهم
فلم يجيبوا اليها فعظم على ما ورد من ذلك وضائق بي المذاهب فيه . فبينما أنا
قاعد عشية يومى ذلك إذ أتانى رسول الفضل يأمرنى بحضور الدار والمقام
فيها إلى وقت خروجه من عند المأمون فحضرتها بعد صلاة العتمة ، وأتت إلى

أن خرج الفضل في وقت السحر فلم يفته وبين يديه خرائط محمولة فقال لي :
صليت صلاة الليل ؟ فقلت : نعم . فقال : لكنني ما صليت فكن هنا حتى
أصلي . فصلى ثم انفل من صلاته فدعاني وقال : أتدري ما هذه الخرائط ؟
قلت : لا . قال : هذه ثمان وستون خريطة وردت فقرأتها وأجبت عنها
جميعها بخطي . فدعوت له بحسن المعونة والتوفيق . ثم قال لي باديا : إن أبا
محمد الحسن بن سهل قد دفع إلى واسط ورأى أمير المؤمنين أن يمدّه
بدينارين عبدالله ، ونعيم بن حازم في عشرة آلاف رجل . وأن تقلد الاتفاق
على عسكريهما وأن يجرى لك في كل شهر عشرة آلاف درهم ولكاتبك
ثلاثة آلاف درهم ولقراطيسك ألف درهم وأن يوظف لك على كل عسكري
عشرة أحمال تحملك أو خمسمائة درهم عوضا عنها ، ثم أمد في ذلك الوقت أن
يحمل لي أرزاق ثلاثة أشهر . فما صليت صلاة الصبح حتى حمل لي اثنان
وأربعون ألف درهم . وأخذ في جهاز العسكرين قال : وبعث إلى الفضل بن
سهل بفارس من دوابه ، وأمرني أن أبعث إلى نعيم بن حازم ، وأظهر أنه
خصمه به ، وأنه من خيله الذي يركبها . فوجهت به إلى نعيم بن حازم وأظهر
السرور والابتهاج بذلك ، والتعظيم له فوهب لغلامي عشرة آلاف درهم ،
وبعث إلى بخمسين ألف درهم فكتبت بذلك إلى الفضل . فوقع على رقعتي
أردد على نعيم ما أمر لك به ووهبه لغلارك وأقبض لنفسك عوضا منه مائة
وعشرون ألف درهم . ثم أمر بعد أيام لدينار بسبعمائة ألف درهم صلة ومعونة
ولنعيم بخمسمائة ألف درهم فبعثت بها إليهما فبعث إلى كل واحد منهما بخمسين
ألف درهم . فكتبت إلى الفضل رقعة أخبره فيها بما فعلاه فوقع على ظهرها
أقبل من دينار ما بعث به ، وأردد إلى النعيم ما بعث به . وأقبض لنفسك
عوضا عن ذلك مائة ألف درهم . قال : ونقلنا عن مرو فلما صرنا في الطريق
ورد على كتاب الفضل يأمرني فيه : أن أحمل إلى دينار ألف ألف درهم
 وخمسمائة ألف درهم ، وإلى نعيم ألف ألف درهم فبعث إلى دينار ألف درهم
 وخمسين ألف درهم وبعث إلى نعيم مائة ألف درهم فقبلت من دينار ما بعث
 به إلى ، ورددت على نعيم حسب ما كان حد لي في رقعته الأولى والثانية ،

ولم أكتب بالخبر في ذلك إلى الفضل لئلا يتوهم بذلك استدعاء العوض ،
فكتب بذلك صاحب سرّ كان علينا فوق على ظهر كتابه قد علمت أنك إنما
أمسكت عن الكتاب بما فعله دينار ونعيم لئلا يتوهم عليك الاستدعاء
للصلاة ، وقد رأيت أن تقبض لنفسك عوضاً من ذلك مائتي ألف درهم .
قال الريان : فلم تمض سبعة وعشرون يوماً حتى حصلت عندي سبعمائة
ألف درهم .

وذكر محمد بن عبدوس في كتابه عن جبريل بن بختيشوع الطيب في خبر
طويل أنه سمع المأمون يقول : كان لي في خراسان يوماً عجيباً وأولاني الله فيه
يا حسانه الجليل ، وذلك لما توجه طاهر بن الحسين لحرب على بن عيسى بن ما
كما قد عرفتموه من ضعف طاهر وقوة على وقع في نفوس عسكري جميعاً
أن طاهر ذاهب ، ولحق أصحابي إضافة شديدة وظهرت فيهم خلة ، ونفذ
ما كان معي ولم يبق منه قليل ولا كثير وأفضيت إلى حال كان أصلح ما فيها
الحرب ، فلم أدر إلى أين أهرب ولا كيف أجد ، فبقيت حائراً متفكراً وأما
والله كذلك نازلاً في دار أبوابها حديد ، ولي متشرفات أجلس فيها إذا
شئت ، وعدة غلماني ستة عشر غلاماً لا أملك غيرهم إذا بالقواد والجيش
جميعاً قد شغبوا على ، وطلبوا أرزاقهم وولغوا جميعاً يشتمون وتكلموا بكل
قبيح ، وكان الفضل بن سهل بين يدي فأمر بإغلاق الأبواب وقال لي : قم
فاصعد إلى المجلس الذي يتشرف فيه إشفاقاً على من دخولهم ، وسرعة
أخذهم إياي وتعليل لي بالصعود . فقلت له : ويحك ما يعني الصعود والقوم
يدخلون الساعة ليأخذوني . فلئن أكون بموضع أصليح . فقال : اصعد
فوالله ما تنزل إلا خليفة ، فجعلت اهزأ به وأعجب منه وأحسب أنه ما قال إلا
ليستجسني وأردت الحرب من أبواب الدار ، فلم يكن إلى ذلك سبيل لا حاطة
القوم بالدار والأبواب . كلها . فألح على أن صعدت وأنا وجل فجلست
في المشرفات ، وأما أرى العسكر فلما علموا بصعودي اشتد طلبهم وشتمهم
وضجيجهم ، ونادوني بالوعيد والشتم فأغلظت على الفضل بن سهل وقلت له :

إنك أنت جاهل ، وقد غررتني فلم تدعني أعمل برأيي وليس العجب إلا من قبل منك ، وهو في هذا يحلف أني لا أنزل إلا خليمة وغيظي عليه يزداد وتعجبي منه ومن حقه ومواصلته الإيمان بما يشاهده من الحال ، وكان ما أقاسيه منه أشد مما أقاسيه من الجند ، ثم وضعوا القوم النار في شوك وضعوه وأدنوه من الدار ونقبوا في سورها عدة نقوب ، وثلبوا فيه جزاء فذهبت نفسي جزعاً ، وعلمت بأنني أن أحترق وبين أن يصلوا إلى فيقتلوني فهممت بأن ألقى نفسي إليهم ، وقدرت أنهم إذا رأوني استحيوا وانصرفوا وجعل الفضل بن سهل يقبل يدي ورجلي ويناشدني أن لا أفعل ، وحلف أني لا أنزل إلا خليفة وفي يده الاضطراب ينظر فيه في الوقت بعد الوقت ، فلما علا الأمر واستحكم اليأس قال لي ياسيدي : والله أتاك الفرج أرى شيئاً في الصحراء قد أقبل ومعه فرجنا فازددت من قوله غيظاً ، وأمرت غلماناً يتأمل الصحراء فلم يروا شيئاً وجد القوم في الهدم والحريق ، حتى هممت لما دخلني أن أرمي الفضل إليهم فقال الغلمان ياسيدي إننا نرى شيئاً في الصحراء قد أقبل يلوح فنظرت فإذا شيخ وجعل يزيد تيباً إلى أن تبينوا رجلاً على بغل يلوح ثم قرب من العسكر ، فقويت له قلوبنا ورأى الجند ذلك فتوقفوا وخالطهم فإذا هو يقول البشري . هذا رأس علي بن عيسى معي في الخلافة ، فلما رأوا ذلك أمسكوا عنا وانقلبوا بالدعاء لي ، والسرور بالظفر والفتح فقال لي الفضل ياسيدي : انذن لي في ادخال بعضهم . فأذنت فشرط عليهم أن لا يدخل إلا من يريد . فأجابوا إلى ذلك وسمى قوماً من القواد يعدم واحد أو اثنان ففعلوا ذلك وإطعاماً الله عز وجل تلك الثائرة ووهب لي السلامة وقلدني الخلافة وظننت من أموال علي بن عيسى وماني عسكره بما أصلحنا به جنودنا . وذكر أيضاً في كتابه ، قال : حدثنا محمد بن محمد بن مخلد ، عن أبيه مخلد بن أزدي المدائني الكاتب قال : كان مخلد يلقب لبسداً طول عمره فحدثني أن المأمون لما قدم العراق خطر له أن يقتل الأعمال إلى السبعة الذين قدموا معه من خراسان فطالت عطلة كتاب السواد وعمله ، وكانوا يحضرون داره في كل يوم حتى ساءت أحوال أكثرهم فخرج يوماً ببعض مشايخ الشيعة ، وكان مغضلاً فتأمل مخلداً فلم ير أسماً فجلس إليه

فقال له : إن أمير المؤمنين قد أمرني أن أتخير ناحية من نواحي الخراج صالحة المرفق ليوقع بتقليدي إياها فاختر لي ناحية من نواحي الخراج فقال : لأعرف لك عملاً أولى بك من بريدات البحر وصدقات الوحش . فقال له أكتبه لي فكتبه له فعرض الشيعي الرقعة على المأمون وسأله تقليده العمل . فقال له : من كتب هذه الرقعة ؟ فقال شيخ من الكتاب يحضر الدار في كل يوم . فقال هلمه فلما حضر قال له ما هذا يا جاهل ؟ تفرغت لأصحابي . فقال : يا أمير المؤمنين أصحابنا هؤلاء ثقات يصلحون لحفظ ما يقع في أيديهم من الخزائن والأموال ، وأما شروط الخراج وحكمه ، وما يجب تعجيل استخراجه ، وما يجب تأخيرها ، وما يجب إطلاقه ، وما يجب منعه ، وما يجب انفاقه ، وما يجب احتباسه ، فلا يعرفونه وتقليدهم إياه يعود بذهاب الارتفاع فإن كنت يا أمير المؤمنين لانتق بنا فمر إلى أن يضم إلى كل رجل منهم رجل منافيكون الشيعي يحفظ المال ونحن نجعله . فاستصاب المأمون كلامه وأمر بتقليد عمال السواد ، وكتابه وأن يضم إلى كل واحد منهم رجلاً من الشيعة وضم مغلد إلى ذلك الشيخ فقلده ناحية جليلة .

ووجدت في كتاب أبي الفرج الحنظلي الخزومي الكاتب أن محمد بن عبد الحميد الحسبي قال : حججت في سنة ثلاث وثلاثين ومائتين وأنا في بعض المنازل راجعاً إذ غشيتنا فقراء المدينة يستميجون ، فوقفت على جارية تتصدق بوجه كأنه القمر حين استدار ، ولون الشمس حين أنار ، فرددت طرفي عنها واستعدت بالله من الفتنة بها ، فلم تزل بين رجال الحاج وتعود إلى رحلي حتى وقفت فقلت لها : أما تستحين أن تبدين مثل هذا الوجه في مثل هذا الوقت والموضع بحضرة الخلائق فلطمعت وجهها وقالت :

لم أبدعه حتى نقضت حيلتي أبديته وهو الأعز الأكرم
ويعز ذلك علي إلا أنه دهر يحور كما تراه ويظلم
قد صلته وحجبته حتى إذا لم يبق لي طمع ومات الهيثم

أبرزته من حجبته مقهورة والله يشهد لي بذلك ويعلم
كشف الزمان قناعه في بلدة قل الصديق بها وعز الدرهم
أصبحت في أرض الحجاز غريبة وأبو ربيعة أسرني ومحكم
قال فأعجبني ما رأيت من جمالها وفصاحتها وأدها وشعرها فبرتها
وكتبت الأبيات منها وقلت لها ما اسمك؟ قالت: المهناة بنت الهيثم الشيباني.
وكان أبي جار النبي صلى الله عليه وسلم فزاره واعتل ونفذ ماله وتوفي وتركني
فقيرة فاحتججت إلى التكايف قال: ورحلنا فلما صرنا إلى الدجلة دخلت إلى
مالك بن طوق مسلماً فسألني عن طريق وسفري وما رأيت فيه من الأعاجيب
فحدثته بمحدث الجارية فأعجبه واستظرفه وكتب الأبيات مني، فدخلت إلى
مزلي بالشام فلما كان بعد مدة أتاني رسوله يستزيرني فصرت إليه فلما كان
بعد أيام من اجتماعنا كنت جالسا بمحضرتة فاذا خادمان قد جاءا ومعهما
أكياس مختومة، وتخوت ثياب مشدودة فوضعاها إلى جانبي فقلت لمالك
ما هذا؟ قال حق دلالتك على المهناة بنت الهيثم الشيباني حتى أظفرني الله تعالى
بها وهي أرسلت هذا إليك من مالها، ولك من مالي ضعفه قلت فما الخبر:
قال إنك لما انصرفت أنفذت رسلا إلى البادية من أثق بعقولهم وأمانتهم
فما زالوا يسألون عنها حتى ظنموا بها، وحملوها إلى وليها معها فلما جاءني
رأيت منها زيادة عما كان زرعه في نفسي حديثك عنها فتزوجتها من وليها،
وجعلته أحد قواذي وأفضت عليها من دنياي حسب تمكنها من قلبي،
فسألت عن سبب طلبها فأخبرتها خبرك، وكتبت أستزيرك لأعرفك
هذا، وأقضى حقلك فلما عرفت حضورك أنفذت هذا إليك،
وقد أمرت لك بعشرين ألف درهم وعشر تخوت ثيابا، قال ابن عبد الحميد:
فكانت أم عدة من أولاده «حدثني أبو القاسم سعيد بن عبد الرحمن الكاتب
الأصمعياني قال: كان أبو الحسن بن أبي المفضل يتقلد بلدنا فقدم عليه من
بغداد شيخ من الكتاب يطلب التصرف وأورد عليه كتباً من إخوانه بالحضرة
يذكرون طول عطالته وموقعه من الصناعة ويسألونه تصريفه فسلم الرجل
وجلس، وأخرج اضبادة الكتب فتركها بين يديه، وكان في الأمير حدة

وضيجر ، فاستكثر الكتب وفض واحداً وقرأه وأقبل على شغله من غير أن يقرأ باقي الكتب وضيجر ، وتغيظ وقال أليس كلها في معنى واحد ؟ . قد والله بلينا بكم معاشر المتعطلين ، كل يوم يصير إلينا منكم واحد يريد تصرفاً أو برأ ، ولو كانت خزائن الأرض لى لكانت قد نفذت . يا هذا : مالك عندي شيء ولا تصرف ، ولا لى عمل شاغر فأوده اليك ، ولا فى مالى فمضل لبرك فدبر أمرك بمعرفتك . كل هذا والرجل ساكت إلى أن أمسك ابن أبى الفضل ، فلما سكن قال الرجل : أحسن الله جزاءك ، وتولى مكافأتك الحسنى ، وفعل بك وصنع . قال وأعرف الرجل فى شكره ، والدعاء له . ثم ولى منصرفاً . فقال ابن أبى الفضل : ردوه . فرد . فقال يا هذا : أتسخر بى على أى شيء تشكرنى على إثاسك من التصرف ، أو قطع رجائك فى الصلة وضيجرى لك ، أو تريد خداعى بهذا الفعل ؟ فقال : ما أريد خداعك وما كان من قبيح الرد غير منكر لأنك حاكم ، ويلحقك ضيجر ، ولعل الأمر كما ذكرت من كثرة الواردين عليك ، وقد تعبت بهم ، ولم أشكرهم إلا فى موضع الشكر ، لأنك صدقتنى عما لى عندك فى أول مجلس ، فأعتقت عنقى من ذل الطمع ، وأرحتنى من التعب بالغدو والرواح إليك ، وكشفت لى ما أدبر أمرى به ، وكسوتى لم تخلق ، وبقية نفقتى معنى ، ولعلمها يحملانى إلى بلد آخر ووجه سواك . قال : فأطرق الأمير . ومضى الرجل . فرفع رأسه . وقال : ردوه . فلحقوه فردوه فاعتذر اليه ، وأمر له بصلة وقال : تأخذها إلى أن أقلدك عملاً يصلح لك ، فأتى أرى فيك مصطنعاً . فلما كان بعد أيام قلده عملاً جليلاً ، وصلحت حال الرجل معه .

قال أبو الفرج المعروف الأصهبانى ، قال : حدثنى جحظة وهو أبو الحسن أحمد بن جعفر بن موسى بن يحيى بن خالد بن برمك ، قال : أحلت بى إضاقة أنفقت فيها جميع ما أملك حتى بقيت وليس فى بيتى غير البوارى ، فأصبحت يوماً وأنا أؤلس من طنبور بلا وتر ، كما قال (١٤ - الفرج - أول)

المثل ، ففكرت كيف أعمل ؟ فوق لي أن أكتب إلى محبرة بن أبي عباد الكاتب وكنت أجاوره ، وكان قد ترك انصرف قبل ذلك بسنين ولزم بيته وحالفه النقرس فأزمه حتى صار لا يتمكن من انصرف إلا محمولا على الأيدي أو المحفة . وكان مع ذلك على غاية الظرف ، وكبر النفس ، وعظم النعمة ، ومواصلة الشرب وإن أتطايب عليه ليدعوني فأخذ منه ما أنفقه مدة فكتبت إليه :

ماذا ترى في جدى وفي عضبا وبوارد
ومشمع ليس يخطى من نسل يحيى بن خالد
وقهوة ذات لون تحكى حدود الجرائد

قال : فاشعرت إلا بمحفة محبرة تحملها غلمانة إلى دارى وأنا جالس على بابى فقلت له : لم جئت ومن دعاك ؟ قال : أنت . قلت : لما قلت ماترى وعذيت بيتك وما قلت لك أنه فى بيتى ، ويبتى والله أفرغ من فؤاد أم موسى . فقال : الآن قد جئت ولا أرجع ، ولكن ادخل اليك واستدعى من دارى من أريد ، قلت : ذاك اليك فدخل بيت فلم ير إلا بارية . فقال يا أبا الحسن : هذا والله ضرمدقع ، ثم أزمذ إلى داره فاستدعى فرشاً وآلة وقاشاً وغلماناً وجاء فراشوه ففرشوا ذلك ، وجاءوا بالآلات الصفر والشمع وغير ذلك مما يحتاج إليه ، وجاء طبائخه بما كان فى مطبخه وهو شئ . كثير الآلات وجاء شرايبه بالصوانى ، والمخروطى ، والفاكهة وآلة التبخير ، والبخور ، وألوان الأنبذة وجلس يومه ذلك وليلته عندى . فشرب على غناء مغنية أحضرتها له كنت ألفتها . فلما كان من غد سلم إلى غلامه كيساً فيه ألف درهم ، ورزمة ثياب صحاح مفصلة من فاخر الثياب ، واستدعى محفته فجلس فيها فشيعته فلما بلغ آخر الصحن قال : مكالك يا أبا الحسن احفظ بابك . فكل ما فى دارك لك . فلا تدع أحداً يحمل منه شيئاً . وقال لغلمانة اخرجوا فخرجوا بين يديه وأغلقت الباب على قماش بألوف كثيرة . وحدثنى عبدالله بن محمد بن عبدالله العباسى ، قال : حدثنى بعض تجار أهل الكرخ ببغداد عن صديق له قال : كنت أعامل رجلاً من الخراسانية أبيع له فى كل سنة متاعاً يقدم به فأنتمعه من سميرته

بالوف كثيرة فلما كان سنة من السنين تأخر عن الحاج ، فأثر ذلك في حاله ،
ثم توالى على محن وأغلقت دكانى . وجلست في بيتى مستترا من دين ركبى
ثلاثاً أو أربع سنين ، فلما كان في وقت ورود الحجاج تنبعت نفسى لأعرف
خبر الخراسانى طمعا لإصلاح حالى بوروده ، ففضيت إلى سوق يحيى فلم اعط
له خبراً ، ورجعت فنزلت إلى الجزيرة وأما تعب مغموم ، وكان يوماً حاراً
ونزلت إلى دجلة فسبحت وصعدت وأنا رطب ، فابتل موضع قدمى وخطوت
فعلقت برجلي قطعة رمل فانكشف سير فلبست ثيابى ، وغسلت رجلى
وجلست مفكراً أولع بالسير فأنجز فلم أزل أجره حتى بان لى هميان من
جلد فأخرجته فاذا هو مملوء فأخفيته تحت ثيابى ، وجئت إلى منزلى ففتحته
فاذا فيه ألف دينار عينا فقويت نفسى به قوة شديدة وقلت : اللهم لك على
أنى متى صلحت حالى بهذه الدنانير وعادت ، أن أتحرى خبر هذا الهميان فمن
علمت أنه له رددته عليه بقيمة ما فيه من الدنانير واحتفظت بالهميان ،
وأصلحت أمرى مع غرمائى ، وفتحت دكانى وعدت إلى رسمى فى التجارة
والسمسرة فما مضت على إلا ثلاث سنين حتى صار فى ملكى عين وورق
بالوف دنانير ، وجاء الحجاج فتبعتهم لأعرف خبر الهميان فلم يعطينى أحد خبره .
فصرت إلى دكانى فأنا جالس وإذا برجل قائم حيال دكانى أشعث أغبر
وافى السبال ، فى خلقه سؤال الخراسانية وزبهم فظننته سائلاً ، فأومأت
إلى درهمات لأعطيه فأسرع الانصراف فارتبت به وقت فلاحقته فتأملته
فاذا هو صاحبى الذى كنت أنفّع من سمسرتة فى كل سنة . فقلت له :
ما الذى أعابك ؟ وبكى رحمة له . فبكوا قال : حديثى طويل . فقلت : البيت
البيت . لحملته فأدخلته الحمام ، وألبسته ثياباً نظافاً وأطعمته ، ثم سألته عن
خبره فقال : أنت تعرف حالى ونعمتى وإنى أردت الخروج إلى الحج بعد
آخر سنة جئت إلى بغداد فقال لى أمير بلدى : عندى قطعة ياقوت أحمر
كالكف ، لاقيمة لها عظما وجلالة ، ولا تملح إلا للخليفة . فخذها معك فبعها
لى ببغداد واشترى لى بها متاعاً طلبه من عطر وظرف بكذا وكذا واحمل الباقي

مالا . فأخذت القطعة وهي كما قال فجعلتها في هميان من صفته كيت وكيت . قال : ووصف الهميان الذي عندي ، وجعلت في الهميان ألف دينار عينا من مالى وجعلته على وسطى ، فلما جئت إلى بغداد ، نزلت أسبج في الجزيرة بسوق يحيى وترك الهميان وثيأبى بحيث لاحظتهما ، فلما صعدت من دجلة لبست ثيابى وقد غربت الشمس وأنسيت الهميان فلم أذكره إلا من غد ، فغدوت لطلبه وكأن الأرض قد ابتلعتة فهوت على نفسى المصيبة ، وقلت : لعل قيمة الحجر خمسة آلاف دينار أغرمها فخرجت إلى الحج وقضيت حجبى ورجعت إلى بلدى فأذهبت اليه ماحملته به ، وأخبرته بخبرى وقلت له : خذ منى تمام الخمسة آلاف دينار فطمع وقال : قيمة الحجر خمسون ألف دينار وقبض على جميع ما أملكه من مال ومتاع وأنزل صنوف المسكاه بى ، وحبسنى سبع سنين كنت أتردد فيها فى العذاب . فلما كان فى هذه السنة سأله الناس فى أمرى فأطلقنى فلم يمكننى المقام فى بلدى ، وتحمل شماتة الأعداء فخرجت على وجهى أعالج الفقر بحيث لأعرف ، وجئت مع الخراسانية أمشى أكثر الطريق ، ولا أدرى ما أعمل فجئت لأشاورك فى معاش أتعلى به . فقلت يا هذا : قد رد الله عز وجل عليك ضالتك هذا الهميان الذى وصفته عندي ، وقد كان فيه ألف دينار أخذتها ، وعاهدت الله عز ذكره أنى ضامنهما لمن يعطينى صفة الهميان ، وقد أعطيتنى صفته وعلمت أنه لك ، وقت فجئت بكيس فيه ألف دينار فقلت : خذها وتعيش بها ببغداد فانك لا تعدم خيرا إن شاء الله تعالى . فقال لى ياسيدى : الهميان بعينه عندك لم يخرج عن يدك . قلت : نعم فشبهق شهقة ظننت أنه قد تلف منها . وخر ساجدا فافأفاق إلا بعد ساعة ثم قال : ائتنى بالهميان ، فجئته به فقال : سكين فأطيقته نفرق أسفله واستخرج هذه حجر ياقوت أحمر كاللؤلؤ . فأشترى به ثيابا . دأب يأخذ بصرى شعابه وأقبل يشكرنى ويدعولى وقلت : خذ مايسرك فحارب بكل به أنه لا يأخذ منها شيئا إلا ثمن ناقة . وحمل ونفقة تبلغه . فاجتهدت به فبعد جهد أخذ ثلثائة دينار وأحلنى من الباقي . فلما كان فى العام المقبل جاءنى بقريب بما كان يجهئنى به سالما . فقلت :

ما خبرك ؟ فقال مضيت وشرحت لأهل البلد خبري وأريتهم الحجر فجاء معي وجوههم إلى الأمير وأعليوه القصة ، وخاطبوه في إنصافي فأخذ الحجر ورد على جميع ما كان أخذه مني من مال وعقار وضياع وغير ذلك ، ووهب لي مالا من عنده وقال : اجعلني في حل بما عذبتك به . فأحلمته وعادت نعمتي على ما كانت عليه وعدت إلى تجارتى ومعاشي وكل هذا بفضل الله عز وجل وبركتك فعل الله بك وصنع . قال : وكان يجهتي في كل سنة إلى أن مات .

* * *

حدثني عبد الله بن محمد بن الحسن الصروري قال : حدثني أبي أن رجلا حج وفي وسطه هميان فيه دنانير وجواهر قيمة الجميع ثلاثة آلاف دينار . وكان : الهميان من ديباج أسود فلما كان ببعض الطريق نزل ليبول فأنحل الهميان من وسطه فسقط ولم يعلم بذلك إلا بعد . أن سار عن الموضع فراسخ فاتفق أن جاء رجل في أثره فجلس يبول في مكانه فرأى الهميان فأخذه وكان عليه دين فحفظه . قال : وكان الرجل من أهل بلدنا فأخبرني أنه لم يؤثر في قلبي ذهابه لأنني استخلفته عند الله تعالى ، وكنت في طريق الله عز وجل ، وكانت تجارتى عظيمة وأموالي كثيرة . قال : فلما قضيت حجي وددت وتناجعت المحن على حتى لم أملك شيئا فهربت على وجهي من بلدي فلما كان بعد سنين من فقرى وقد أفضيت إلى أن أتصدق على الطريق وزوجتي معي وما أملك من تلك الليلة إلا دافقا ونصف ، وكانت الليلة مطيرة وقد أويت في بعض القرى إلى خان خراب فضرب زوجتي الطلق فتحدت وولدت . فقالت يا هذا : الساعة تخرج روحى فأخرج وخذلى شيئا أتقوى به . فخرجت أخبط في الظلمة والمطر حتى جئت إلى بقال . قال : فدققت عليه فكلمني بعد جهد وشرحت له حالى فرحمنى وأعطانى بتلك القطع حلبة وزيتا وأغلاهما راعارنى غضارة جعلت ذلك فيها ، وجئت أريد الموضع فلما مشيت بهيبدأ ، قربت من الخان زلقت رجلى وانكسرت الغضارة وذهب جميع ما فيها .

فورد على قلبي أمر عظيم ماورد على مثله قط . فأقبلت أبكي وألطم وأصيح
فإذا برجل قد أخرج رأسه من شباك في داره فقال ويلك مالك تبكي . ما تدعنا
أن ننام ؟ فشرحت له القصة فقال يا هذا : البكاء كله بسبب دائق ونصف
فداخلني من الغم أعظم من الغم الأول فقلت يا هذا : والله ما تندی قدر لما
ذهب مني ، ولكن بكائي رحمة لزوجتي ولنفسى بما قد وقعت اليه فان امرأتى
تموت الآن وولدى جوعا ، والله العلى الأعلى ، وعلى وحلف أينا ما غليظة لقد
حججت في سنة كذا وكذا وأنا أملك من المال شيئا كثيرا فذهب مني هيمان
فيه دنائير وجواهر تساوى ثلاثة آلاف دينار فما فكرت فيه ، وهو ذا
تراني الساعة أبكي بسبب دائق ونصف فضة فأسأل الله تعالى السلامة ، ولا
تعايرني فتبلي بمثل بلواي . قال فقال لي : بالله يارجل ما كان صفة هميانك ؟
فأقبلت ألطم وقلت ما ينفعني ما خاطبتني به وما تراه من جهدى وقيامى
في المطر حتى تستهزئ بي أيضا وما ينفعني وينفعك من صفة همياني الذي
الذي ضاع منذ كذا وكذا سنة ؟ . قال : ومشيت فإذا الرجل قد خرج وهو يسيحني
فقال : يارجل خذ هذا فظننته يتصدق على فجئت وقلت له أى شيء تريد ؟
فقال لي صف هميانك وقبض على فلم أجد للخلاص سبيل غير وصفه له
فوصفته . فقال لي أدخل . فدخلت . فقال : أين امرأتك قلت في الخان
الفلاني . قال فأفسد غلبانه فجأوا بها فأدخلت إلى حرمه فأصلحوا شأنها
وأطعموها كل ما تحتاج إليه وجأوني بحبة وقيص وعمامة وسراويل وأدخلني
الحمام سحرا ، وطرح ذلك على فأصبحت في عيشة راضية . فقال : أقم عندي
أياما فأقمت عشرة أيام فكان يعطيني في كل يوم عشرة دنائير وأنا متحير
في عظم بره بعد شدة جفائه فلما كان بعد ذلك قال لي : في أى شيء تتصرف
قلت كنت تاجرا . قال فلي غلات وأنا أعطيك رأس مال تتجر فيه وتشركي ؟ .
فقلت افعل ، فأخرج لي مائتي دينار فقال خذها واتجر فيها ها هنا . فقلت :
هذا معاش قد أغنانى الله يجب أن ألزمه فلزمته فلما كان بعد شهر وربحنا فجئته
وأخذت حقي وأعطيته حقه . فقال لي : اجلس فجلست فأخرج إلى همياني

بعينه وقال أتعرف هذا؟ لحين رأيت شهقت وأغمى على فما أفقت إلا بعد ساعة ثم قلت له يا هذا؟ أملك أنت أم نبي؟ فقال أنا ممتحن بحفظه منذ كذا وكذا سنة . فلما سمعتك تلك الليلة تقول ماقلت وطالبتك بالعلامة فأعطيتها أردت أن أعطيك للوقت هميانك فخفت أن تلتشق مرارتك فأعطيتك تلك الدنانير التي أوهمتكم أنها هبة وإنما أعطيتكمها من هميانك . والدنانير المائتان قرض فخذ هميانك واجعلني في حل . قال فشكرته ودعوت له وأخذت الهميان وارتجع دنانيره ورجعت إلى بلدي فبعت الجوهر وضممت ثمنه إلى مامعي واتجرت فامضت إلى أسبانيا حتى صرت صاحب عشرة آلاف دينار ووصلت حالي فأنا أعيش في فضل الله تعالى وفي فضل تلك الدنانير إلى الآن .

* * *

عن أبي سهل زياد القطان صاحب علي بن عيسى قال : كنت مع علي بن عيسى لما نفي إلى مكة ودخلنا في حر شديد وقد كدنا أن نتلف ، وطاف علي بن عيسى وجاء فالتقى نفسه وهو كالميت من الحر والتعب وقلق قلقلنا شديدا وقال انتهى على الله تعالى شربة ماء مثلوج . فقلت له ياسيدنا أيدك الله : أنت تعلم أن هذا مما لا يوجد في هذا المكان . فقال هو كما قلت ، ولكن نفسي ضاقت عن ستر هذا القول ، فاستروحت إلى المني . قال فخرجت من عنده فرجعت إلى المسجد الحرام فما استقررت فيه حتى نشأت سحابة وكذفت وبرقت ورعدت رعدا متصلا شديدا ثم جاءت بمطر يسير وبرد كثير فبادرت إلى الغلمان فقلت اجمعوا فجمعوا منه شيئا كثيرا وملأنا منه جررا كثيرة ، وجمع منه أهل مكة شيئا عظيما قال : وكان علي بن عيسى صائما فلما كان وقت المغرب خرج إلى المسجد ليمسلي المغرب فقلت له أنت والله مقبل والشمكة زائلة ، وهذه علامات الإقبال فاشرب الثلج كما طلبته . (قال) : وجثته في المسجد بأقداح مملوثة بأصناف الأسوقة والأشربة مكبوسة بالبرد قال : فأقبل يسقي من يقرب منه من الصوفية ، والمجاورين ، في المسجد الحرام ، والضعفاء ويشربونه ونحن نأتميه بما عندنا من ذلك وأقول له اشرب . فيقول : حتى تشرب الناس فخبئت له خمسة أرطال وقلت له لم يبق شيء . فقال الحمد لله

ليتني كنت تمنيت المغفرة بدلا من تني ثلج فلعني كنت أجاب . فلما دخی المبيت حللت عليه أن يشرب ومازلت أداريه حتى شرب منه بقليل - وبن بقية ليلته - حدثني عبدالله بن محمد بن الحسين بن الحنا العقبسى . قال : حدثني أبى ، قال : كان مجاورنى فتى من أولاد الكتاب ورث عن أبيه مالا جميلا أتلفه فى القيان ، وأكله إسرافا وبدارا حتى لم يبق منه شيء فاحتاج إلى بعض داره فلم يبق منها إلا بيت بأويه فحدثني بعض من كان يعاشره قال : صرت إليه يوما بعد انقطاعى عنه بنحو سنة لأعرف خبره فدخلت عليه فوجدته نائما فى ذلك البيت فى يوم بارد على حصير خلق ، وقد توطأ وطأ كأنه حشو فراش ، وقد تغطا بقطن كأنه حشو لحاف ، فهو بين ذلك القطن كأنه السفرجل . فقلت ويحك : بلغت إلى هذا الحال ؟ قال هو الحد ما ترى . قلت فهل لك حاجة ؟ قال أو تقضيها . فظننته يطلب منى شيئا لنفقة فقلت : أى والله . قال انتهى أن تحملنى إلى بيت فلانة المغنية حتى أراها . يعنى المغنية التى يعشقهها وأتلف ماله بسببها . قال وبكى فرفقت له ومضيت إلى منزلى فخبته من ثيابى بما لبسه وأدخلته الحمام وحملته إلى بيتى ، فأطعمته وبغرتة وأخذت بيده وقصدنا دار المغنية فلما رأتنا لم تشك فى أن حاله صلحت وأنه قد جاءنا بدراهم فبشت به وسألته عن خبره ؟ فصدقها عن حاله حتى انتهى إلى ذكر الثياب وأنها لى . فقالت له فى الحال : قم فقال : لم ؟ قالت لئلا تجى سقى قتراك وليس معك شيء فتحرد على فأخرج إلى برا حتى أصعد فأكلبك من فوق . فخرج وجعل ينظر أن تخاطبه من روزنة فى الدار إلى الشارع وهو جالس فقلبت عليه مرقعة سكباح فصيرته آية ونكالا وضحكت فبكى وقال : يا أبا فلان : بلغ أمرى إلى هاهنا ، أشهد الله وأشهدك أنى تائب عنها ، فأخذت أعظم به وقلت : أى شيء تنفعك التوبة الآن ورددته إلى بيته ونزعت ثيابى عنه وتركته بين القطن كما كان أولا ، وحملت ثيابى وغسلتها وأيست منه فما عرفت له خبرا نحو ثلاث سنين . أما ذات يوم فى باب الطاق فإذا بغلام يطرق لرجل راكب فرفعت رأسى فإذا به على برذون فاره ، يركب خيبر ، مليح ، وثياب حسنة وكان قديما فى أيام يساره يركب ، من الدواب والمراكب

أنفخها وآلته وثيابه وقماشه أنفخ شيء ، فخير رأي قال فلان فعلت أن حاله
صلحت وقبلت نخذه وقلت سيدى أبو فلان . قال : نعم . فقلت أى شيء
هذا ؟ قال صنع الله عز وجل وله الحمد والشكر البيت . البيت . قال فتبعته
حتى انتهيت إلى بابه فإذا الدار الأولى قد رمها وجصصها وطبقها وبني فيها
مجلسين متقابلين وخزائن ومستراحاً وجعل ما كان فى الدار من البيوت
والمجالس صحناً كبيراً وقد صارت طيبة إلا أنها ليست بذلك السرور الأول ،
وأدخلنى حجرة كان يخلو فيها قديماً وأعادها كأحسن ما كانت وفيها فرش
حسنة ، ولكن ليس من ذلك الجنس الأول ، وليس فى داره إلا ثلاث غلمان
وخادم قد كنت أعرفه لأبيه قد رده وأقامه على حرمه ، وشيخ بواب ، من كان
يصحبهم قديماً ، ووكيل يتسوق له فجلس وأجلسنى ، وجاؤنا بغنا كهة حسنة
نظيفة قليلة فى آلة مقتصدة مليحة ، ثم جاؤا بعدها بطعام نظيف كاف غير
مسرف ولا مقصر ، فأكلنا ثم نام ولم تكن تلك عادته ومدت ستار ، وأحضرت
مشام ورياحين فى صيوان وزبدات والجميع متوسط غير مسرف وانتبه
فصلى وتبخر بقطعة ند جديدة وبخرنى بشمها : فقلت يا سيدى : ما هذه
الترديدات التى لست أعرفها ؟ . فقال : دع ماضى وخذ مانحن فيه وأقبل
يشرب وغنى من وراء ستارة ثلاث جوار فى نهاية طيب الغناء كل واحدة
منهن أحسن وأطيب من التى أتلف عليها ماله ، فلبسنا طابت نفسى ونفسه قال
يا أبا فلان : تذكر زماننا الأول ؟ قلت نعم . قال أنا الآن فى هممة متوسطة
وما أفدته من العقل والعلم بأمر الدنيا ليسلمنى عما ذهب منى ، وهو ذا ترى
فرشى وثيابه ، ومركبى ، فلم يكن ذلك بالعظيم المفرط ففنيه جال وبغال ، وتنعم
وكفاية وهو مغن عن ذلك الإسراف والتبذير وقد تخلصت من تلك الشدة
الشديدة تذكر يوم عاملتنى فلانة المغنية لعنها الله تعالى بما عاملتنى به .
قلت : نعم . والحمد لله الذى كشف عنك ذلك . فمن أين هذه النعمة ؟ قال
مات خادم كان مولى لأبى وابن عم فى يوم واحد فدخلنى من تركتهما أربعون
ألف دينار وصل أكثرها وأنا بين القطن كما رأيته ، فخدمت الله تعالى
واعتقدت التوبة من التدبير السيئ . وأنا أدبر ما رزقته فعمرت هذه الدار

بألف دينار ، واشترت من الآلة والفرش والشياب والجوارى ماتراه وغيره
بسبعة آلاف دينار ، وسلمت إلى بعض التجار الثقات ألفي دينار يتجرى
فيها ، وأودعت بطن الأرض عشرة آلاف دينار للشهداء والحوادث ،
وابتعت بالباقي ضيعة تغل في كل سنة ما يزيد على مقدار نفقتى هذه التى
شاهدتها فما أبقي أحتاج إلى الاستزادة وما تقبل غلة إلا وعندى بقية من الغلة
الأولى ، وأنا أتقلب في نعم الله تعالى كاترى ، ومن تمام النعمة أن لا أعاشرك
ولا أحد من كان يحسن إلى الإسراف . يا غلبان : اخرجوه قال : فأخرجت ووالله
فما أذن لي بعدها في الدخول عليه .

حدثني أبي قال بلغني من غير واحد أن أبا يوسف صحب أبا حنيفة على
فقر شديد ، وكان ينقطع بملازمته عن طلب المعاش فيعود إلى منزله إلى فقر
شديد ، وكانت أمه تحنّال فيما يقناته يوما بيوم ، فلما طال ذلك عليها خرج
إلى المجلس يوما فأقام فيه وعاد ليلا وطلب ما يأكل ، فجاءته بغضارة مغطاة
فكشفتها فإذا فيها دفاتر . فقال ما هذا ؟ قالت ما أنت مشغول به نهارك أجمع
فكل منه ليلا . قال : فبكى وبات جائعا وتأخر من غد عن المجلس حتى احتال
فيما أكلوه فلما جاء إلى أبي حنيفة سأله عن سبب تأخره فصدقه .
فقال : ألا عرفتني فكنت أمدك ولا يجب أن أقتم فيه إن طال عمرك
فستأكل بالنفقة اللوزينج بالفسق المقشر . قال أبو يوسف : فلما
خدمت الرشيد واختصصت به قدم بحضرته يوما لوزينج بنسقة مقشر
فدعاني إليها فحين أكلت منها ذكرت أبا حنيفة فبكيت وحمدت الله تعالى .
فسألني الرشيد عن السبب فأخبرته . حدثني أبو الحسين محمد بن عبد الواحد
الهاشمي : أن شيخا من التجار كان له عند بعض القواد مال جليل فباطله
واستخف به . قال فعملت على الظلامة إلى المعتضد لأنى كنت تحملت عليه
واستشفعت ، وتظلمت إلى عبيد الله بن سليمان فلم ينجح ذلك . فقال لي بعض
إخواني : على أن أمخذ لك المال ولا تحتاج إلى الظلامة إلى المعتضد . قم معي
الساعة ، فقممت معه فجاءني إلى خياط في سوق الإلثاء وهو جالس يخط

ويقرأ القرآن في مسجد ، فقص عليه قصتي فقام معنا فلما مشينا تأخرت وقلت لصديقي : إنك قد عرضت هذا الشيخ ونفسك وإياي لما كروه عظيم هذا إذا حصل على باب الرجل صفع وصفعنا معه لم يلتفت لفلان وفلان ، ولم يفكر في الوزير فكيف يفكر في هذا الفقير ؟ فضحك الرجل وقال : لا عليك امش واسكت . فحسنا إلى باب القائد فحين رآه غلبناه أعظموه ، وأهروا لتقبيل يده ، فمنعهم من ذلك وقالوا : ما حاجتك أيها الشيخ فان صاحبنا راكب ؟ فان كان أمراً نعلمه نحن بادرنا إليه وإلا فادخل واجلس إلى أن يجيء فقويت نفسي فدخلنا وجاء الرجل . فلما رأى الخياط أعظمه إعظاماً تاماً وقال : لست أخلع ثيابي حتى تأمر بأمرك . فخاطبه في أمري . فقال : والله ما عندي إلا خمسة آلاف درهم فتسأله أن يأخذها ورهننا بباقي ماله إلى شهر ، فبادرت بالإجابة فأحضر الدرهم وحلياً بقيمة الباقي فقبضت ذلك وأشهدت الخياط ورفيقي عليه إلى شهر يكون الرهن عندي على البقية فان حان الأجل ولم يسدد أنا ووكيل أبيي وأخذ مالي من ثمنه وخرجنا . فلما بلغنا إلى موضع الخياط طرحت المال بين يديه ، وقلت يا شيخ : إن الله تعالى قد رد هذا المال بك . فأحب أن تأخذ ربه ، أو ثلثه ، أو نصفه بطيب قلب مني . فقال ما أسرع ما كفتني عن الجليل بالقبيح ؟ انصرف بمالك بارك الله لك فيه . فقلت له : قد بقيت لي حاجة فقال : قل . قلت : تخبرني عن سبب طاعة هذا لك بعد تهاونه بأكثر أهل المملكة ؟ فقال يا هذا : قد بلغت مرادك فلا تقطعني عن شغلي . فألحت عليه فقال : أنا رجل أوم واقري في هذا المسجد منذ أربعين سنة ، ومعاشي هذه الخياطة لا أعرف غيرها وكنت منذ دهر قد صليت المغرب وخرجت أريد منزلي فاجترت بتركي كان في هذه الدار ، وامرأة جميلة تجتاره فتعلق بها وهو سكران ليدخلها داره ، وهي ممتعة تستغيث وليس أحد يغيثها ولا ينعه منها . وتقول في جملة كلامها : قد حلف زوجي بطلاقي أن لا أبيت إلا عنده ، فان يبتني هنا حرمني مع ما يرتكبه مني من المعصية . قال فحسنت إلى اتركي ورفقت به وسألته تركها فضرب رأسي بدبوس فشحني وأدخل المرأة داره نصرت ، إلى منزلي فغسلت الدم وشددت الشبهة وخرجت أصلي عشاء الآخرة . فلما فرغت منها

قلت لمن حضر قروا معي إلى عدى الله هذا التركى ننكر عليه ، ولا نبرح أو يخرج المرأة . فقاموا وجئنا فصحننا على بابہ نفرج علمينا فى عدة من غلمانہ وأوقع بنا ، وقعدنى من دون الجماعة فضربنى ضرباً عظيماً حتى كدت أتلغ منه ، فحملنى الجيران كالتالف فمالجنى أهلى ونمت نوما ثقيلا وفقت نصف الليل فمالجنى النوم للألم وفكرآ للقصة فقلت : هذا قد شرب طول ليلته ، ولا يعرف الأوقات فلو أذنت لوقع له أن الفجر قد طلع فأطلق المرأة فلحقمت يديها قبل الفجر فسلبت من إحدى المكر وهين . فخرجت إلى المسجد متحاملا وصعدت المنارة فأذنت ، وجعلت أتطلع منها إلى الطريق أراقب خروج المرأة فان خرجت وإلا أقت الصلاة لئكى لا يشك فى الصباح فيخرجها فما مضت إلا ساعة والمرأة عنده إلا وقد امتلأ الشارع خيلا ورجلا ومشاعل وهم يقولون : من هذا الذى أذن الساعة أين هو ؟ ففرغت وسكت ثم قلت لأخطابهم لعلى أستعين بهم على إخراج المرأة فصحت من المنارة أنا أذنت . فقالوا : أجب أمير المؤمنين . فقلت دنا الفرج ، فنزلت فإذا بدر وعدة غلمان معه فحملنى وأدخلنى على أمير المؤمنين فلما رأته هبته ، وارتعدت فسكن منى وقال : ماحملك على أن تغرر بالمسلمين بأذنانك فى غير وقته ، فيخرج ذوا الحاجة فى غير حينها ، ويمسك المرید للصوم فى وقت قد أبيع له فيه الإفطار ، وينقطع العسس عن الطواف والحرس . فقلت : فليؤمننى أمير المؤمنين لأصدق . قال : أنت آمن . فقصصت عليه القصة وأريته الضرب . فقال : يا بدر على بالغلام والمرأة فى هذه الساعة ، وعزلت فى موضع ، ومضى بدر وأحضر الغلام والمرأة فسألها المعتضد عن الصورة فأخبرته بمثل ما قلته ، فقال لبدر : بادربها الساعة إلى زوجها مع ثقة يدخلها دارها ويشرح لزوجها خبرها ، ويأمره عنى بالتمسك بها والإحسان إليها ، ثم استدعانى فوقمت وجعل يخاطب للغلام وأنا قائم اسمع الكلام . فقال له : يا فلان كم جرايتك فى كل سنة ؟ قال كذا وكذا قال : وكم عطاؤك ؟ قال كذا وكذا . قال فإكان لك فيهن وفى هذه النعمة العظيمة العريضة كف عن ارتكاب معاصى الله تعالى وخرق هيبة السلطان حتى استعملت ذلك وتجاوزته بالوثوب على من أمرك بالمعروف ؟ قال : نأسقط

الغلام في يده ولم يدرك جوابا . فقال هاتوا جوالقا ومداق الجص وقيداه وغلاه فقيده وأغله وأدخله الجواق وأمر الفراشين بدقة بمداق الجص وأنا أرى ذلك وهو يصيح ثم انقطع صوته ومات فأمر به فغرق في دجلة . وتقدم لبدر بمحمل مائى داره ثم قال لى ياشيخ أى شىء رأيت من أجناس المسكروه ولوعلى هذا وأومى بيده إلى بدر فالعلامة بيننا أن تؤذن فى هذا الوقت . فإنى أسمع صوتك وأستدعيك وافعل مثل هذا بمن لا يقبل منك أو يؤذيك . قال فدعوت له . وانصرفت . وانتشر الخبر عند الأولياء والعلماء لما خاطبت منهم أحدا بعدها فى إنصاف أحد ، أو كف عن قبيح إلا طاو عنى كما رأيت خوفا من المعتضد . وما احتجت أن أؤذن إلى الآن .

وجدت فى بعض الكتب عن الأصمعى قال : كنت بالبصرة أطلب العلم وأنا مقبل ، وكان على بابنا يقال إذا خرجت بكرة يقول لى إلى أين ؟ فأقول إلى فلان المحدث ، وإذا عدت المساء يقول لى من أين ؟ فأقول : من عند فلان الاخبارى واللغوى . فيقول ياخذنا : إقبل وصيتى أنت شاب فلا تضيق نفسك ، واطلب معاشا يعود عليك نفعه ، واعطنى جميع ما عندك من الكتب أطرحها فى هذا الدن وأصب عليها من الماء للعشرة أربعة وأنبذه وانظر ما يكون منه ، والله لو طلبت منى بجميع ما لديك من الكتب جوزة ما أعطيتك . فيضيق صدرى بمداومة الكلام حتى كنت أخرج من بيتى ليلا ، وأدخله ليلا وحالى فى خلال ذلك يزداد ضيقا حتى أقضيت إلى بيع آخر أساسات دارى وبقيت لأهتدى إلى نفقة يوم ، وطال شعرى واخلق ثوبى ، واتسخ بدنى وأنا كذلك متعير فى أمرى إذ جاء لى خادم للأمير محمد بن سليمان قال : أجب الأمير . فقلت ما يصنع الأمير برجل قد بلغ به الفقر إلى ما ترى ؟ فلما رأى سوء حالى وقبيح منظرى رجع فأخبر الأمير بخبرى . وعاد إلى ومعه ثياب ودرج فيه بخور ، وكيس فيه دنانير وقال : قد أمرنى الأمير أن أدخلك الحمام ، وألبسك من هذه الثياب ، وأدع باقىها عليك ، وأطعمك من هذا الطعام ، وإذا بخوان كبير فيه صنوف الأطعمة ، وأبخرك لترجع اليك روحك . ثم أطلعك عليه

فسررت بذلك سروراً شديداً ودعوت له . فقامت وعملت ما قاله ومضيت معه حتى دخلت على محمد بن سليمان فسلمت عليه فقربني ورفعني ثم قال يا عبد الملك : قد اخترتك لتأديب ولدي أمير المؤمنين فاعمل على الخروج إلى بابيه وانظر كيف يكون فشكرته ودعوت له وقلت : سمعاً وطاعة ساخرج شيئاً من كتبي وأتوجه فقال : ودعني وكنّ على الطريق فقبلت يده وأخذت جميع ما احتجيت إليه من كتبي وجعلت باقيةا ربيت وسددت بابيه وأقعدت على الدار عجوزاً من أهلنا تحفظها ، وباكرني رسول محمد بن سليمان وأخذني إلى ذلال قد اتخذني وفيه ما أحتاج إليه وجلس معي ينفق علي حتى وصلت إلى بغداد ودخلت على أمير المؤمنين فسلمت عليه فرد علي السلام وقال : أنت عبد الملك بن قريب الأصمعي ؟ قلت : نعم . أنا عبد أمير المؤمنين ابن قريب الأصمعي قال : اعلم أن ولد الرجل مهجة قلبه وثمره فؤاده ، وهوذا أسلم اليك ابني محمد بأمانة الله فلا تعلمه ما ينسد عليه دينه فلعل أن يكون للمسلمين إماماً . قلت : السمع والطاعة وأخرجه إلى وتحوّلت معه إلى دار قد أخليت لنا لتأديبه فيها وبها من أصناف الخدم والفرش ما يسر وأجرى علي في كل شهر عشرة آلاف درهم ، وأمر بأن يخرج إلي في كل يوم مائدة فلزمته ، وكنت مع ذلك أقضي حوائج الناس ، وأخذ عليها للرغائب ، وأنفذ جميع ما يجتمع أولاً فأولاً إلى البصرة فابني دارى وأشتري ضياعاً وعقاراً فأقمت معه حتى قرأ القرآن وتفقه في الدين وروى الشعر . واللغة . وروى أيام الناس وأخبارهم ، واستعرضه الرشيد فأعجب به وقال يا عبد الملك : أريد أن يصلي بالناس إماماً في يوم الجمعة فاختر له خطبة وحفظه إياها فحفظته عشراً . فخرج وصلى بالناس وأمامه ، فأعجب الرشيد به وأخذته نثار الدراهم والدنانير من الخاصة والعامة واثني الجوائز والصلاة على من كل ناحية فجمعت مالا عظيماً . ثم استدعاني الرشيد فقال : يا عبد الملك قد أحسنت الخدمة فتمنى . فقلت : ما عسيت أن أتمنى وقد حزت آمالي فأمر لي بمال عظيم وكسوة كثيرة وطيب فاخر ، وعبيد وإماء ، وظهر وفرش وآلة فقلت ان رأى أمير المؤمنين أن يأذن لي بالإمام إلى البصرة والكتابة إلى عالمه بها أن يخاطب الناس الخاصة والعامة بالسلام على ثلاث أيام ، وإكرامى بعد ذلك فكتب لي عنه بما أردت

وانحدرت إلى البصرة ودارى قد عمرت ، وضيعى قد كثرت ، ونعمنى قد
فشت فما تأخر عنى أحد فلما كان في اليوم الثالث تأملت أصاغر من جاءنى فاذا
البقال وعليه عمامة وسخة ، ورداء نظيف ، وجبة قميرة ، وقميص طويل في
رجله جرموقان وهو بلا سراويل فقال لى : كيف أنت يا عبد الملك ؟
فاستضحكت من حماقته وخطابه لى بما كان يخاطبني الرشيد . فقلت بخير وقد
قبلت وصيتك وجمعت ما عندي من كتب العلم وطرحتها في الدن كما أمرت
وصببت عليه من الماء للعشرة أربعة نفر ج مآثرى ، ثم أحسنت اليه بعد ذلك
وجعلته وكيلي .

* * *

أخبرني القاضي أبو علي محسن بن علي قال مسرور الكبير : استدعاني
المأمون ليلة وقد مضى من الليل ثلثه فقال لى : خذ معك فلاناً وفلاناً
وسماهما لى أحدهما علي بن محمد والآخر دينار الخادم . واذهب مسرعاً لما
أقول لك فإنه بلغنى أن شيخاً يحضر ليلاً إلى آثار دور البرامكة وينشد شعراً
ويذكرهم ذكراً كثيراً ويندبهم ويبكى عليهم ثم ينصرف فامض أنت وعلى
ودينار حتى تردوا تلك الخرائب ، فاستتروا خلف بعض الجدران فإذا الشيخ
قد جاء وبكى وندب وأنشد أبياتاً فأتوني به . قال : فأخذتهما ومضيئنا حتى
أتينا الخرائب فإذا نحن بغلام قد أتى ومعه بساط وكرسی حديد ، وإذا شيخ
قد جاء وله جمال وعليه مهابة ولطف ، فجلس على الكرسي وجعل يبكي ويلتجب
ويقول هذه الأبيات :

ولما رأيت السيف جندل جعفرأ ونادى مناد للخليفة يا يحيى
بكيت على الدنيا وزاد تأسفى عليهم وقلت الآن لا تتمع الدنيا
مع أبيات أطلها فلما فرغ قبضنا عليه وقلنا له : أجب أمير المؤمنين
فزع فزعاً شديداً وقال : دعوني حتى أوصى بوصية فإنى لا أوقن بعدها
بحمياة ، ثم تقدم إلى بعض الدكاكين واستفتح وأخذ ورقة وكتب فيها وصية
وسلمها إلى غلامه ، ثم سرنا فلما مثل بين يدي أمير المؤمنين قال حين
رآه : من أنت ؟ وبما استوجبت منك البرامكة ما تفعله في خرائب دورهم ؟

قال الخادم ونحن نسمع يا أمير المؤمنين : إن للبرامكة أيادى خضرة عندي
أفتأذن لي أن أحدثك محاملى معهما ؟ قال : قل . فقال يا أمير المؤمنين : أنا المنذر
ابن المغيرة من أولاد الملوك ، وقد زالت عني نعمتي كما تزول عن الرجال ،
فلما ركبنى الدين واحتججت إلى بيع ما لي رأسي ورؤوس أهلي وبقي الذي
ولدت فيه أشاروا على بالخروج إلى البرامكة فخرجت من دمشق ومعني نيف
وثلاثون امرأة وصبي وصبية وليس دعنيا ما يباع ولا يوهب حتى دخلنا
بغداد ونزلنا في بعض المساجد ، فدعوت ببعض ثياب كنت عددتها لأستبر
بها فلبستها وخرجت وتركهم جياعا لاشيء . فندمهم ودخلت شوارع بغداد
سائلا عن البرامكة فإذا أنا بمسجد مزخرف ، وفي جانبه شيخ بأحسن زى
وزينة وعلى الباب خادمان وفي الجامع جماعة جلوس فطمعت في القوم ودخلت
المسجد وجلست بين أيديهم ، وأنا أقدم رجلا وأؤخر أخرى والعرق
يسيل مني لأنهما لم تكن صنائتي ، وإذا الخادم قد أقبل ودعا القوم فقاموا
وأنا معهم وإذا يحيى جالس على دكة له وسط بستان فسلمنا وهو يعد لنا مائة
وواحد أو بين يديه عشرة من ولده ، وإذا بامرء نبت العذار في خديه قد أقبل
من بعض المقاصير وبين يديه مائة خادم متمنطقون ، في وسط كل خادم
منطقة من ذهب يقرب وزنها من ألف مثقال ، مع كل خادم بحجرة من ذهب
وفي كل بحجرة قطعة من عود كهنة الفهد وقد قرن به مثله من العنبر السلطاني
فوضعه بين يدي الغلام وجلس إلى جنب يحيى ثم قال للقاضي تكلم : وزوج
عائشة من ابن أخي هذا . فخطب القاضي خطبة النكاح وزوجه وشهد أوائك
الجماعة وأقبلوا علينا بالنثار بينادق المسك والعنبر ، فالتقطت والله يا أمير
المؤمنين ملء كمي ونظرت وإذا نحن في المكان ما بين يحيى والمشايخ وولده
والغلام مائة وإثنى عشر ، فإذا بمائة وإثنى عشر خادما قد أقبلوا ومع كل
خادم صينية من فضة على كل صينية ألف دينار فوضعوا بين يدي كل رجل
مننا صينية فرأيت القاضي والمشايخ يضعون الدايير في أكمامهم ويجعلون
السواني تحت آباطهم ويقوم الأول فالأول حتى بقيت وحدي لا أجسر على
أخذ الصنية فغمزني الخادم فجسرت وأخذتها وجعلت الذهب في كمي

والصليبة في يدى وقت ، وجعلت أتلفت إلى ورأى مخافة ان أمنع من الذهاب فبينما أنا كذلك وقد وصلت إلى صحن الدار وبجى يلاحظنى فقال للخادم : اتقنى بهذا الرجل . فأتيته فقال : مالى أراك تلتفت يمناً وشمالاً فقصدت عليه قمى . فقال للخادم : اتقنى بولدى موسى . فأناه به ، فقال له : يا بنى هذا رجل غريب نخذه إليك واحفظه بنفسك وبنعمتك . فقبض موسى ولده على يدى وأدخلنى إلى دار من دوره فأكرمنى غاية الإكرام وأقت عنده يرمى ويلقى فى ألد عيش وأتم سرور . فلما أصبح دعا بأخيه العباس ، وقال له الوزير : أمرنى بالعطف على هذا الفتى وقد علمت اشتغالى فى بيت أمير المؤمنين فاقبضه إليك وأكرمه ففعل ذلك وأكرمنى غاية الإكرام ، ثم لما كان من الغد تسلمنى أخوه أحمد فلم أزل فى أيدي القوم يتداولونى مدة عشرة أيام لأعرف خبر عيالى وصبيانى أفى الأموات هم أم فى الأحياء ، فلما كان اليوم الحادى عشر جاءنى خادم ومعه جماعة من الخدم فقالوا : قم اخرج إلى عيالك بسلام . فقلت واويلاه سلبت الدنانير والصليبة واخرج على هذه الحالة إنا لله وإنا إليه راجعون فرفع الستر الاول ، ثم الثانى ، ثم الثالث ، ثم الرابع ، وقال لى مهما كان لك من الخوائج فارفعها إلى فانى مأمور بقضاء جميع ماأمرنى به . فلما رفع الستر الأخير رأيت حجرة كالشمس حسنا ونورا واستقبلنى منها رائحة الند والعود ونفحات المسك ، وإذا بضبيانى وعيالى يتقلبون فى الحرير والديباج وحمل إلى مائة ألف درهم وعشرة آلاف دينار ، ومشور بضيعتين وتلك الصليبة التى كنت أخذتها بما فيها من الدايير والبنادق . وأقت يا أمير المؤمنين مع البرامكة فى دورهم ثلاث عشر سنة لا يعلم الناس أمن البرامكة أنا أم رجل غريب . فلما جاءتهم البلية ونزل بهم يا أمير المؤمنين من الرشيد ما نزل أحجف بن عمرو بن مسعدة ، وألزمنى فى هاتين الضيعتين من الخراج ما لا يقى دخلهما به ، فلما تحامل على الدهر كنت فى آخر الليل أقصد خرابات دورهم فاندبهم واذكر حسن صليعهم إلى وأبكى على إحسانهم . فقال المأمون : على بعمر بن مسعدة فلما أتى به (١٥ - الفرج - أول)

قال له : أتعرف هذا الرجل ؟ قال يا أمير المؤمنين هو بعض صنائع البرامكة قال : كم ألزمته في ضيعته ؟ قال : كذا . وكذا . فقال له : رد إليه كل ما أخذته منه في مدته ، وأفرغهما له ليكونا له ولعقبه من بعده ، قال : فعلا نحبب الرجل فلما رأى المأمون كثرة بكائه قال له يا هذا : قد أحسنا إليك فما يبكيك ؟ قال يا أمير المؤمنين : وهذا أيضا من صنيع البرامكة لولم آت خراباتهم فابكيهم وأندبهم حتى اتصل خبري إلى أمير المؤمنين ففعل بي ما فعل من أين كنت أصل إلى أمير المؤمنين ؟ قال إبراهيم بن ميمون : فرأيت المأمون وقد دمعت عيناه وظهر عليه حزنه . وقال : لعمرى هذا من صنائع البرامكة فعليهم فابك ، وإياهم فاشكر ، ولهم فأوف ، ولإحسانهم فاذكر .

* * *

بلغنى أنه كان رجل من أهل الكوفة من ذوى الأدب والظرف يعاشر الناس وتأتبه أظافهم فيعيش بها متسعا ثم انقلب الدهر عليه فأمسك الناس عنه وجهوه ، حتى قعد في بيته وانتجا إلى عيابه وشاركه في فضل مغازلهن فاستتم ذلك عليه ، وناسيه الناس ولزمه الفقر . قال : فبيما أنا ذات ليلة في منزلى على أسوء حال ، وإذا بوقع حافر دابة ورجل يدق الباب فكلمته من ورائه وقلت له : ما حاجتك ؟ قال إن اخأ لك لأسميه يقرأ عليك السلام ويقول : إني مستتر وليس آنس بكل أحد فان رأيت أن تصير إلى لنتحدث ليلتنا قلت : لعل سعدى يكون قد تحرك ، ثم لم أجد شيئا ألبسه فاشتملت بإزار امرأتى وخرجت فقدم إلى فرسأ مجنوبا كان معه فركبته إلى أن أدخلنى إلى فتي أجمل الناس فقام إلى وعانقنى ، ودعا بالعشاء . فأكلنا وبالشراب فشربنا ، وأخذنا في الحديث فما خضت في شيء إلا وسبقنى إليه حتى إذا صار السحر قال : إن رأيت أن لاتسألنى عن شيء من أمرى أو تجعل هذه الزيارة بينى وبينك إذا أرسلت إليك . فقال : وهنا دارهم تقبلها ولا تردها ، وأخرج إلى جراباً مملوءاً دراهم ودراير فدخلتنى أريحية الشراب فقلت : اخترتنى على الناس لسرك فأخذ على ذلك جزاء لا حاجة لى بالمالى فجهدنى فم آخذه . وقدم إلى المرس فركبته ودعت إلى منزلى فدخلته مخفقا وعيالى

يتطلعن إلى ما أجيء به. فأخبرتني بجزيرة وأصبحت نادما على فعلی وقد ورد على وعلى عیالی ما لم یکن فی حسابنا فکثرت حینا لایأتی رسول الرجل إلى أن جاءنی بعد مدة فصرت الیه فعاودنی مثل ذلك الفعل وعاودته الامتناع وانصرفت مخفقا فأقبلت امرأتی علی باللوم والتوبيخ فقلت لها : أنت طالق ثلاثا إذ عاودنی فلم آخذ ما یعطينی . فکثرت علی ذلك مدة أطول من الأولى ثم جاءنی رسوله ، فلما أردت الركوب قالت لی امرأتی یا مشؤم اذ کریمینک وبکاء بناتی ، وسوء حالک وصرت إلى الرجل فلما مضینا إلى الشراب وأما أحادثه إلى أن أبلغ الفجر وأخرج إلى الجراب فعاودنی فی الکلام . فأخذته ، فقبل رأسی وتنكرنی علی قبوله وقدم إلى الفرس وانصرفت عنه إلى منزلی فلقيت الجراب فلما رأینہ عیالی یحمدن لله شکرا وفتحناه فاذا هو مملوء دناییر فأصلحت من حالی ، واستترت مرکوباً وثياباً حسنة وأماناً وضیعة قدرت أن غلتها تنی بی وبعیالی بعدی واستظهرت علی زمانی ببقیة الدنانیر وانهاال الناس علی یظهرون الفرح بما تجدد لی وظنوا أنى كنت غائبا فی اتبجاع ملک وعدت مسریاً . وانقطع رسل الرجل عنی فبینما أنا أسیر فی القرب من منزلی ولذا ضوضاء شديدة وجماعة متجمعة فقلت ما هذا ؟ فقالوا : رجل من مدینة فلان یقطع الطریق فطلبه السلطان إلى أن عرف خبره هنا فهجم علیه فخرج علی الناس بالسیف یمنع عن نفسه فقربت من الجميع وتأملت الرجل فإذا هو صاحبی بعینه یقاتل الناس والشرط فینکشف الناس عنه ویکرون علیه ویضایقونه ، فنزلت عن فرسی واقبلت أقوده حتى دنوت منه وقد انکشفت الناس فقلت له : بأبی أنت وأمی أنت شأنک والفرس ، واطلب النجاء فاستوی علی ظهره فلم یلحقوه فقبض علی وأقبلوا یتهددونى حتى جاؤ إلى عیسی بن موسی وكان لی عارفا فقالوا : أیها الامیر لانا کدنا أن نأسر الرجل فجاء هذا فأعطاء فرساً فنجاه علیه ، فاشتد غضب عیسی بن موسی وكاد أن یوقع بی وأنا مسکر وشرحت له ما کان أفضی بی الحال الیه وما عاملی به الرجل من الجلیل وإنی کافأته فمالی : أحسنت لأبأس علیک . ثم انقضت إلى الناس وقان یأحقی هذا مستتمل بسیف قد تکلمتم عنه بأجمعکم

فكيف كان هو يدفعه عن فرسه انصرفوا . ثم خلا سبيل فانصرفت إلى منزلى وقد قضيت زمام الفتى وخلصت النعمة بعد الشدة وأمنت عواقب الحال وكان آخر عهدي به والسلام . سرق لجعفر بن سليمان الهاشمى جوهر بالبصرة وهو أميرها فجهد أن يعرف له خبرا يخفى عليه الفاعل فأغاطه فجاء بالشرط وضرهم فجذوا في الطلب ، فلما كان بعد ذلك بشهور أتاه بعضهم رجلا وجده يبيع في سمنط درة فاخرة من ذلك الجوهر وقد قبض عليه وضر به ضرباً عظيماً إلى أن أقر فأخبر جعفر بخبره فأذن له في دخوله فلما رأى الرجل جعفر استغاث به وبكى فرحمه جعفر وقال : ألم تكن طلبت منى هذه الدرة في وقت كذا فوهبتها لك . فقال للشرط خلوا عنه واطلبوا الغريم . وروت الفرس قرياً من هذا فذكروا أن بعض ملوكهم سخط له على حاجب سخطاً عظيماً فألزمه بيته وكان فيه كالمحبوس وقطع عنه أرزاقه وجراياته وأقام على ذلك سنين حتى تهتك ولم يبق له مال ، ثم بلغه أن الملك قد اتخذ سماً عظيماً يحضره الناس في غد ذلك اليوم فأرسل إلى أصدقائه وأعلمهم بأن له مال ويجب أن يبعث بعض ولده ليحضره واستعار منهم دابة بسرجهما ولجامها وغلاما ليسعى بين يديه وخلعة يلبسها وسيفاً ومنطقة داعير ذلك فلبسه وركب الدابة وخرج من بيته حتى جاء دار الملك ، فلما رآه البوابون لم يشكوا في أنه لم يقدم على ذلك إلا بإذن الملك وتقدموا إليه وأقبلوا عليه حتى يستأذنون فدخل وهو مظهر لقوة الجأش ولم يذل حاله مع طائفة منهم يقوى نفسه إلى أن وصل إلى الملك وقد أكل وهو جالس يشرب فلما رآه الملك قطب وأنكر حضوره وهم أن يأمر به بالحجاب والبوابين فكروه أن ينقص يوماً قد أفرد به السرور على نفسه وأقبل الرجل يخدم فيما كان يخدم فيه قديماً فازدادت حالته تمويهاً على الحجاب والحاشية إلى أن كاد المجلس ينصرف وغفل أكثر من كان حاضراً فيه فتقدم إلى صليبة من ذهب وزن ألف مثقال ملوئة مسكاً فأخذها بخفة وجعل المسك في كفه والصليبة في حقه ، وخرج فركب وعاد إلى منزله ورد العواري على أهلها وباع المسك

وكسر الصينية وجعلها دنانير واتسع بها وأفاق الملك في غد من سكرته وقد سمع الذين يخدمون في الشراب يطلبون الصينية وقهرمان الدار يطالب بها ويضرب قوماً من أجلها فذكر حديث الحاجب وعلم أن ماحله على الإقدام على مثل ذلك الأمر إلا من وراء شدة ضرر . فقال لقهرمانه : لا تطلب الصينية فما لأحد في ضياعها ذنب قد أخذها من لا يردها ومنظره لا ينم عليه . فلما كان بعد سنة عاد ذلك الحاجب إلى شدة الاضافة لنفاد الدنانير وبلغه خبر سباط يكون عند الملك في غد يومه فاحتال بحيلة أخرى حتى دخل على الملك فلما رآه الملك قال يا فلان : قد نفذت تلك الدنانير فقبل الأرض بين يديه وبكى ومرغ خديه وقال أيها الملك : قد احتملت مرتين في أن تقتلني فأستريح بما أنا فيه من ظم الضر الذي أعانيه أو تعفوا عني كما يليق بك وتذكر حرمتي فأعيش في ظلك وليس لي بعد هذه الكرة حيلة فرق له الملك وعفا عنه وأمر برد أرزاقه ونعمته وردده إلى حالته الأولى في خدمته .

وذكر القاضي أبو الحسين في كتابه قال : نالت عمر بن هبيرة ضائقة شديدة فأصبح ذات يوم في نهاية السكسل وضيق الصدر والضجر مما هو فيه فقال له أهله ومواليه : لو ركبت فلقيت أمير المؤمنين فلعله إذا رأيك أن يجرى لك شيئاً فيه محبة ، أو يسألك عن حالك فتخبره . فركب ودخل على يزيد بن عبد الملك بن مروان فوقف بين يديه ساعة فخطبته ، ثم نظر يزيد فوجد عمر وقد تغير تغيراً شديداً أنكره . فقال له : أتريد الخلاء ؟ قال : لا . قال إن لك لشأناً ؟ قال يا أمير المؤمنين : أجد بين كتنى إذا لا أدرى ماهو ؟ قال يزيد : انظروا ماهو ؟ فنظروا فإذا بين كتفيه عقرب قد ضربته عدة ضربات فلم يبرح حتى كتب عهده على العراق ، وجعل يزيد يصفه بالرجولية وسعة الصدر . وذكر القاضي أبو الحسين في كتابه قال : حدثني ميمون بن موسى ، قال : خرج رجل من المتصرفين من عسكر المعتصم بالله إلى مصر . قال : لحدثني عنه بعض المتصرفين قال : نزلت في دار بالقرب منه ، لحدثني :

الرجل بما كنت وقعت على بعضه قال : أصبحت ذات يوم وقد نفذت نفقتي ،
وتقطعت ثيابي ، وأنا من الهم والغم على ما لا يوصف . فقال لي غلامي :
أى شيء نعمل اليوم ؟ فقلت له خذ بلجام الدابة فبعه وانه محلي ، وابتع مكانه
لجأما جديدا واشتر لنا خبزا سميدا ، وجديا حنيذا . فقد قرمت نفسي إلى
أكلها وعجل ولا تنس أيضا أن تبتاع أيضا كوز نبيذ لسروري . ففضى الغلام
وجلست مفكرا في أمري وما ألاق وكيف أعمل . فإذا بباب الدار قد دق
دقا عظيما حتى كاد أن ينكسر فإذا رهق شديد . فقلت للغلامي وكان واقفا
بين يدي : أخرج فانظر ما هذا ؟ فذهب الغلام وفتح الباب فلم ينتح فكسره
وامتلأت الدار على غلمانا من الأتراك وغيرهم وإذا بأشتاس وهو حاجب
المعتصم ومحمد بن عبد الملك الزيات وقد دخلا وطرحت لهما زولية فجلسا
عليها وإذا معهما حفارون قال : فلما رأيت ذلك بادرت فقبلت أيديهما
فسألاني عن خبري فخبرتتهما به ، وأني خرجت من جملة أهل العسكر طمعا
في التصرف وذكرت حالي وما توالى إليه فوجدت وعدا جميلا والحفارون
يحفرون فالتفت اشتاس إلى محمد بن عبد الملك فقال : أنا والله جائع . فقال له
محمد : وأنا والله جائع . فقلت عند ذلك ياسيديا عند خادمكما شيء قد اتخذله
فاذا أذنتما في إحضاره حضر فقالا : هات . فقدمت الجدي وما كان ابتيع
فأكلا واستوفيا وغسلا أيديهما ثم قال لي أشتاس عندك من ذلك الفن شيء ؟
فقلت نعم فسقيتهما من الكوز ثلاث أفداح فجعل أحدهما يقول للآخر
ظريف وما ينبغي لنا أن نضيع هذا الجميل . فبينما الحال على ذلك إذ ارتفع
تكسير الحفارين فاذا هم قد كشفوا عن عشرين مرجلا دنانير وأخرجت
ليتوجهوا بها إلى المعتصم ، فلما نهضوا قال أحدهما للآخر فهذا الشقي الذي
أكلنا طعامه وشربنا شرابه ندعه هكذا . فقال الآخر ماذا نعمل ؟ فحفن له
حفنة من كل مرجل لا تؤثر فيه فـ يكون قد أغنيناه ، وزعمدق أمير المؤمنين
على الحديث . ثم قال حبرك فجعل كل واحد منهما لي حفنة من كل مرجل ثم
حملا المال وانصرفا فنظرت فإذا قد حصل لي عشرين ألف دينار ، فانصرفت
بها إلى العراق فابتعت بها ضياعا وتركت التصرف .

وذكر القاضي أبو الحسين في كتابه قال : حدثني أبي عن أبي قلابة المحدث قال : ضقت ضيقة شديدة فأصبحت ذات يوم والمطر يحيم كالفواه القرب والأولاد يتضورون جوعاً وما عندي حبة واحدة أتقوتها فبقيت متحيراً في أمرى فخرجت فجلست في دهليز وفتحت بابي وجعلت أفكر في أمرى ونفسي تكاد تخرج غماً أنا فيه وليس يسلك الطريق أحد لشدة المطر ، فإذا بامرأة على حمار فاره وخادم أسود أخذ بلجام الحمار ، والحمار يخوض في الوحل فلما صار بمحذاً سلم على وقال : أين منزل فلان ؟ فقلت : هذا منزله وأنا هو . فسألتني المرأة عن مسألة فأفتيتها بها فصادف ذلك ما أحبت فأخرجت من حفيها خريطة ودفعت إلى منها ثلاثين ديناراً ، ثم قالت يا أبا قلابة : سبحان مخالقتك لقد تنوق في قبج وجهك وانصرفت . وحدثني أبو القاسم التنوخي في المذاكرة بإيغناد ذهب عن حنظلي قال : كان أحمد بن أبي خالد بغيضاً قبيح التهجيم ، وكان مع ذلك حراً ، وكان يلزمه رجل متعطل من طلاب التصرف يقال له ابن صالح الأضخم من وجوه الكتاب لحدث قال : لما آلت بي العطلة في أيام المأمون والوزير إذذاك أحمد بن أبي خالد ، وضائق حالي حتى خشيت التكشف فبكرت إلى أحمد بن أبي خالد مغلساً لأكله في أمرى فرأيت بابه قدفتح ، وخرج وبين يديه بريد المأمون ، فلما نظرتني أنكر بكوري وعبس وجهه وقال : في الدنيا أحد بكر هذا البكور ليشفلنا عن أمرنا ؟ فلم تصبر نفسي أن قلت : ليس العجب منك أصلحك الله فيما استقبلتني به ، وإنما العجب مني كيف أسهرت نفسي ليلتي وأسهرت من داري تأملاً لك وتوقفاً للصبح لأصير اليك وأبثك أمرى فأستعين بك على إصلاح حالي ، وحلمت يميناً غليظة أن وقفت ببابك أو سألتك حاجة حتى تصير إلى معتذراً عما كلمتني به . وانصرفت مغموماً مكروباً بما لقيني به متذمراً على ما فرط مني غير شاك في العطب إذ كنت لا أقدر على الحث ، وكان ابن أبي خالد لا يلتفت إلى تبرئة قسيمي فإني كذلك وقد طلعت الشمس إذ دخل بعض غلمانى وقال : أحمد بن أبي خالد مقبل في الشارع ، ثم دخل آخر فقال : قد دخل دار . ثم آخر فقال قد وقف على الباب ، ثم تبادر الغلمان يدخلون الدهليز فخرجت مستقبلاً له فلما استقر في مجلسه من داري

ابتدأت أشكره على إبراره قسمى . فقال : إن أدير المؤمنين كان أمرني بالركوب اليه في بعض مهماته فدخلت اليه وقد غلبني السهو مما فرط مني اليك حتى أنكر ذلك فقصصت عليه قصتي معك . فقال : أسأت بالرجل . قم : فامض اليه واعتذر بما قلته له . فقلت : أفأَمْضِي اليه فارغ اليد . قال : فتريد ماذا ؟ قلت له : تقضى دينه قال : كم هو ؟ قلت ثلثمائة ألف درهم . قال : وقع له بذلك . قلت : يرجع بعد إلى الدين . قال : وقع له بثلثمائة أخرى . قلت : وولاية يتشرف بها . قال : وله مصرا أو غيرها بما يشتهيها قلت : ومعونة على سفره . قال : وقع له بمائة ألف درهم . قال : وأخرج التوقيع من ختمه بالولاية وبسبعمائة ألف درهم فدفعه إلى وانصرف . وذكر أبو الحسين القاضى قال : حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم الخياط قال : كان في جيراني بالجانب الشرقى من بغداد رجل من الأتراك له رزق في الجند فتأخر رقه في أيام المكتنى ، ووزارة العباس بن الحسين . فسأمت حاله ، ورثت ديته حتى لزم الجلوس عند خباز كان بالقرب منا وكان يستشفعه على جماعة يسألهم ويشفعه أيضا بأن يعطيه في كل يوم خمسة أرطال خبز آتقوت بها هو وعماله فاجتمعت عليه للخباز شيء فضاقت به صدر الخباز أن يعطيه شيئا آخر فتمعه فخرج ذات يوم فجلس وهو عظيم الهم ، ثم كشف لى حديثه وقال : لقد علمت أن لا بد لى من مسألة الناس ، وقد عملت على مسألة كل من يشتري من الخباز أن يتصدق على وقد حملنى الجوع على هذا كله ، لكن لما ذكرت ما فى ذلك من الذل منعتنى نفسى فبينما هو على ذلك إذ جاء رجل بزى نقيب يسأل عنه فدل عليه ، فوجده جالسا عند الخباز فقال له : قم . فقال : إلى أين ؟ قال : إلى الديوان حتى تقبض رزقك فقد خرج لك وإصاحبك رزق شهرين ، فضى معه فلما كان بعد ساعة جاءنى وقد قبض ما تين وأربعون دينارا . فرم منزله وأصلح حاله وحال عياله ، وابتاع دابة وسلاحا ، وخرج مع قائد كان برسمه وحسن حاله .

وذكر القاضي أبو الحسين في كتابه بإسناده عن الفضل بن عياض قال :
حدثني رجل أن رجلاً خرج بفزل له فباعه بدرهم ليشتري به دقيقاً فمر على
رجلين كل واحد منهما أخذ برأس أخيه ، قال : ما هذا ؟ قال يصطخبان في
درهم فأعطاهما ذلك الدرهم وليس له شيء غيره . فجاء إلى امرأته فأخبرها
فجمعت له شيئاً من البيت فذهب يبيعه فكسده عليه فمر عليه رجل ومعه
سمكة قد أروجت . فقال له : إن معك شيء قد كسده ومعى شيء قد كسده فهل
لك أن تبيعني هذا بذاك ؟ فباعه ، وجاء الرجل بالسمكة إلى البيت فقامت
المرأة تصلحها ، وإذا بلؤلؤة في جوفها ، فقالت له : أتعرف قدر اللؤلؤة ؟
قال : لا . ولكن أعرف من يعرفه ، فانطلق بها إلى صديق له وهو في سوق
الجوهر ، وقال : بعها لي . قال لك بها على أربعون ألف ، وإن شئت فذهب بها
إلى فلان فهو أئمن لك بها منى . فذهبت بها إليه فقال : لك بها ثمانون ألفاً وإن شئت
فأذهب إلى فلان فهو أئمن لك بها منى . فذهبت إليه فقال : لك بها مائة وعشرين
ألفاً . ولا أدري أحد أزيدك . قال : فحمل لي اثني عشر بدرية في كل بدرية عشرة
آلاف درهم . فذهب بها إلى منزله ليضعها فيه فإذا رجل في الباب يسأل .
فقال : هذه قصتي التي كنت عليها أدخل . فدخل فقال له : خذ نصف هذا
المال . فأخذ الرجل الفقير ست بدر ثم تباعد غير بعيد ، ورجع إليه وقال :
ما أنا بمسكين ولا فقير . ولكن أرسلني إليك ربك تعالى الذي أعطاك بالدرهم
عشرين قيراطاً فهذا الذي أعطاك قيراط واحد لك الباقي . وذكر أبو الحسين
القاضي في كتابه القرطبي : كان في جيران رجل من أهل البيوتات ، وكانت
له نعمة فزالت له وساءت حالته ، وكانت له زوجة وأربع بنات فحملت
زوجته ، وأخذها الطلق في الليل . قال : فلم يكن لي حيلة شيء في الدنيا فخرجت
ليلاً هارباً على وجهي أمشي حتى أتيت جسر النهر وان فأملت أن ألقى عاملها
وكان يعرفني فأسأله تصريفي في شيء . وتعجيل رزقه ببعض الشيء لأنفذه
إلى زوجتي ، فوصلت إلى الموضع ، وقد ارتفع النهار فجلست أستريح بالقرب
من بقال فإذا برجل قد جاء ، ووضع مخلاته وعصاه ثم قال : أعطى كذا
كذا من خبز وآدم فأعطاه فأكل ووزن له الثمن ثم فتح مخلاه ففوضها وميز

ما فيها من الكتب فرأيت فيها خطاباً إلىّ وعليه وصفة منزلي . فقلت : هذا إلى : فقال : أتدرى ما تقول ؟ قلت : نعم . قال : أفتعرف من كتبه ؟ قلت : لا . قال : فان فيه سفتجة بمال وبسبب هذا الكتاب من دون جميع ما معي استؤجرت وخرجت من الدينور ، فقلت له : قد قلت لك الحقيقة ، وإن مضيت إلى بغداد لم تجد صاحب الكتاب غيري . فقال أما هنا إنسان يعرفك ؟ قلت : نعم . قال : قم بنا إليه . فجئنا إلى العامل فلما دخلت عليه قال لي : ما أقدمك يا أبا فلان علينا ؟ فقلت له : قبل كل شيء من أنا أعزك الله ، وأين منزلي ببغداد ؟ قال : أنت أبو فلان بن فلان الفلاني ، ومنزلك بمدينة السلام مدينة المنصور في سكة كذا منها . فقلت للرجل : عرفت صدقي ؟ قال : نعم . تحدثت العامل بحديثي ، وأخذت الكتاب من الرجل ، وإذا هو من بعض المستورين من الدينور يذكر ابن عم كان لي فيها قد توفي بعد أن أوصى إليه أني أنا وارثه وأسماني له ووصف مسكني ببغداد ، وأن اثلك من ماله يصرف في وجوه البر ، وباقي التركة لي وأنه باع اثاث المنزل وما خاف فسادَه وصرف اثلك منه ، وبعض ما كان أوصى به وأنفذ إلى سفتجة بالثلثين من ذلك مبلغها سبعمائة دينار وكذا وكذا دينار بأجل أربعين يوماً على تاجر في دار القطن بالكرخ ، وقال : والقصد أن تبادر إلى الدينور لتبيع العقار ، والضياع أو تبيع اثلك منها لتصرفه في مهم وتمسك بالباقي إن شئت . قال : فورد على من السرور مالا عهد لي بمثله وحمدت الله تعالى وقلت للرجل : قد وجب حقك وسأحسن إليك . وشرحت له قصتي وأنه لاجبة فضة معي . فجاءني إلى البقال وقال : زن لأستاذي بكذا . وكذا . خبزاً وادماً وما يريد غيرهما فتغذيت ووزن الرجل ثمن ذلك من عنده واستأجر حمارين فأركبني أحدهما وركب هو الآخر ، ووزن الأجرة من عنده وجئنا في بقية يومنا إلى بغداد وقصدنا دار القطن وفي النهار بقية صالحة . فأوصلت السفتجة إلى التاجر فقال : صحيحة إذا حل الأجل فاحضر للقبض . فقلت له : خذ حديثي وافعل بعد ذلك ما يوفقك الله تعالى له ، ويرى في مروءتك ، وقصصت عليه قصتي . فقال : بالله الذي لا إله إلا هو أنت صادق ؟ فخلقت له . فأخرج كيساً كان يقربه فوزن منه مال السفتجة ، وأخذ خطي بذلك ، وصرت من وقى إلى السوق فاشترت

عسلا وسكراً وشيرجا وخبزاً كثيراً وحملاً مشويًا وما يصلح للنساء في
النفس ، ومهداً وقشوة وعطراً صالحاً وشيئاً من الثياب وصرت إلى منزلي
وقد قربت عشاء الآخرة ، فوجدت كل من فيه من النساء يدعوا علي ويلعنني
فقدمت الخالين ودخلت منزلي ، فانقلبت الدار وانقلب الدعاء علي ، فصار
دعائي ، وصار الغم سروراً ، ووجدت زوجتي قد ولدت ابناً وعرفت الصبيان
خير السفينة والميراث والرجل ، وأعطيت الزوجة والقابلة من الدنانير ،
وأقمت الرجل عندي أياماً ، حتى أصلحت أمري وأمر عيالي وخلفت
لهم نفقة ، وأعطيت الرجل منها وأجزلت واكثريت منها حمازين لي وله
واستصحبته إلى الدينور فوجدت فيه ما يخصني . اتركه ابن عمي نحو عشرة
آلاف دينار . فبعت ذلك كله ، وأخذت بحصتي سفاتي إلى بغداد وعدت
وقد فرج الله عز وجل عني وأصلح حالي فأنا أعيش في بقية تلك
الحال إلى الآن .

وذكر أبو الحسين الفاضل قال : حدثني أبي عن بعض اخوانه وأحبيه
أبو يوسف بن يعقوب بن ثابت قال : أملك بعض الكتاب في أيام الرشيد
حتى أفضى إلى بيع دابته ، ونقض داره فلم يبق فيها إلا بيت يأوي إليه هو
وولده ، فانقطع عن الناس وانقطعوا عنه دهرأ ، وكان الرشيد يولي أعمال
اذريجان وأرميلية في كل سنتين أو ثلاثاً رجلاً فاضلاً فمرة عين رجلاً
هاشمياً فاضلاً فطلب كاتباً فارها يصطنعه وشاور فيه صديقاً له من الكتاب ،
فوصف له هذا الرجل المتعطل ، ووعده بإحضاره وصار إليه فطرق الباب
تليه فوجده لما دخل إليه على حال من الفقر لا يتهيأ له معها القاء أحد فمضت
إليه من منزله بخمسة من ثيابه ودابة وغلّام وبخوراً ودراهم ، وركب معه
إلى الهاشمي فلقى فيه بها فاستجوبه الهاشمي ، فوجده بارعاً في صناعته ،
فاستكتبه وقرر جرائته ، وأمر له بمال معجل معونة له على سهره ، وأمره
بالقعود على اذريجان فعاد الرجل إلى منزله وأصلح من حاله وخلف نفقة
لعياله وشخص إلى تلك البلد فلما بلغ الوالي المصر وفانهر رحل عن البلد ،

وأخذ غير الطريق الذى بلغه أن الكاتب سلكه وخلف كاتبه لرفع الحساب فلما شارف الناحية خرج اليه الكاتب المعزول ولقيه وسأله عن صاحبه . فلما أعلمه بشخصه إلى دار السلام أنكر ذلك فقال له : الكاتب المعزول مل بنا إلى موضع نجلس فيه نتحدث ونرى رأيك فما لا ونزلا وطرح لهما ما جلسا عليه فقال : أعزك الله لا تنكر انصراف صاحبي فانه رجل كبير المقدار وأخاف من مهابة تلحقه فشخص إلى دار السلام ، وقد خلف قبلى مائة ألف درهم فاقبض ذلك وأكتب لنا كتابا بإزاحة علمته وانفصال ما بيننا وبينك ، ونحن ننصب لك من يرفع الحساب رفع من لا يغيب ولا يستعصى عليه . فقبل كاتب الوالى ذلك ، وركبا وقد زال الخلاف بينهما إلى تقبيل تلك الأشياء النفيسة لنفسه ولصاحبه ، وكتب الكاتب الرشيد بإزاحة علمته ، وانفصال ما بينهما وبينه ، وخرج الكاتب لاحقا لصاحبه ، وخلف من يسلم الحساب . فأنصل ظاهر الخبر بالهاشمى الوالى فكتب إلى كاتبه ينكر عليه فكتب اليه لاني قد بلغت من الأمر مبلغاً مرضياً إذا وقعت عليه . فلما صار إلى الناحية عرفه ماجرى فحسن موقعه منه وتبرك به ، وغلب على عقله فكسب مالا عظيماً فلما مضت عليه ثلاث سنين صرف الهاشمى وخلفه الذى كان قبله والياً ، وبلغ الهاشمى الخبر . فقال لكاتبه ما رأى ؟ فقال : نفعل به مثل ما فعل بنا ، وأقيم أنا ومعى مثل ما كان أعطانا فأعطيه إياه ، وأخذ كتابه بانفصال ما بيننا وبينه والحق بك . ففعل ووافى الكاتب الذى كان مصروفا فتلقاه الكاتب فى الموضع الذى كانا التقياً فيه فى مبدأ الأمر فعدلا ونزلا وعرض عليه ما خلفه صاحبه له وسأله قبول ذلك ، والكتابة بمثل ما كان كتب له إلى الرشيد . فامتنع من قبول ذلك ، وكتب له بانفصال ما بينهما إلى الرشيد كتاباً وكيداً وقال : أراك رجلاً فاضلاً فطناً ، وأرى صاحبك عاقلاً ، وقبول هذا لا يكون مكافأة له بل يكون كأنه يبيع له وشراء منه . ولكن قد تذكرت أمراً أجمع لنا ولكم من هذا . قال ما هو ؟ قال اعقد بيننا وبين صاحبك صهراً ونكون إخوة وأصدقاء . قال : فعل الله بك وصنع فما فى الدنيا أكرم ولاية منك . فعقد بينهما الصهرين وسارا إلى مقصدهما

ودخل الكاتب بغداد ، وقد حصل الهاشمي صاحبه وأخبره الخبر فحمد ربه وأمضى عقده في المصاهرة فصار الكاتب من أرباب الأحوال وعاد إلى أفضل ما كان عليه قبل محنته * وذكر القاضي أبو الحسين في كتابه قال : حدثتني جدتي أم أبي قالت : كان زوجي يعقوب بن علي قد نهض إلى مصر وتصرف بها وعمل وتعطل وأقام هناك وأضقتنا إضافة شديدة وعرضنا بيع ضيعة لنا فلم نجد لها ثمننا ، وتأخر كتابه عنا وانقطع خبره حتى توهمنا أن حادثا حدث عليه ، وكان أولاده صغارا فكنت أحتال وأنفق عليهم حتى لم يبق لي في المنزل شيء وحضر وقت عمارة الضيعة فاحتجنا إلى بزر ونفقة فتعذر ذلك علينا حتى كدنا أن نتعطل ويفوت وقت الزراعة فأصبحت يوما وبني من الغم من اجتماع هذه الأحوال أمر عظيم ووجهت إلى بعض من كنت أتق به وأتوهم أني لو سألتهم اسعافنا بالكثير من ماله أن لا يخالفنا لأقترض منه شيئا لذلك . فرد رسولنا واعتذروا عن رقي الرسول أنه قال : إذا بعثت لهم ما طلبوا والضيعة لم تعمروا ولم يحصل لهم غلة وزوجها لم يعرف له خبر فمن أين تردون على المال ؟ قال : فكذبت أموت غما وامتنت من الطعام يومي وليلتني فأصبحت فما انتصف النهار حتى ورد علي كتاب زوجي بسلامته ، وذكر السبب في تأخر كتابه وبسفنجة أنفذهاطى كتابه بمائتي دينار ، وذكر ثيابا أنفذهها مع آخر من أهل البصرة مبلغها خمسون دينارا فعمرنا الضيعة وزرعت في تلك السنة وحلست حالي .

* * *

وذكر القاضي أبو الحسين في كتابه أيضا قال : روى أن سعيد بن العاص قدم الكوفة عاملا لعثمان بن عفان وكان يتعشى عنده من القراء رجل قد ساءت حاله فقالت له امرأته ويحك قد بلغنا عن أميرنا هذا كرم فاذا ذكر له حالك فلمعه أن ينيلنا شيئا فلم يبق للصبر فينا بقية فقال : ويحك لا تخلق وجهي فقالت : فاذا ذكر له ما نحن فيه على كل حال فلما كان بالعشاء أكل عنده ولما انصرف الناس ولم يبق الرجل فقال له سعيد : أظن دلو ساء الحاجة فاذا ذكرها فاجعل

الرجل فقال سعيد لغلبلانه : تنحوا . ثم قال : يرحمك الله أنا وأنت فاذا كنت حاجتك فنجعل فندفع سعيد المصباح فأطفاؤه ثم قال : يرحمك الله لست ترى وجهي فاذا كنت حاجتك . قال : أصلح الله الأمير أصابتنا حاجة وأحببت ذكرها لك قال : فإذا أصبحت فأنت فلانا وكيلي . فلما أصبح الرجل لقي الوكيل فقال إن الأمير قد أمر لك بشيء فهاهنا من يحمله معك . فقال : ما عندي من يحمل معي وما أظن الأمير إلا قد أمر لي بقوصرة تمر وقد ذهب ماء وجهي ، ولو كان دراهم أو دنانير لاد طائنها يد بيد . فلما كان بعد أيام قالت له امرأته يا هذا قد بلغ بنا الأمر إلى ما ترى ومهما أعطاك الأمير فذهبه نتقوت به أياما فاذهب والى وكيله . فلقينه فتمال أين أنت لقد أخبرت الأمير أن ليس لك من يحمل ما أمر به لك . فأمرني أن أوجه معك من يحمل ذلك . قال ثم أخرج إليه أناس من السودان على رأس كل واحد منهم بدرة دراهم وقال : امضوا معه فلما بلغ الرجل باب منزله فتح بدرة وأخرج منها دراهم فدفعها للسودان وقال انصرفوا . قالوا : إلى أين نحن عبيدك إنه ما حمل مملوك لأمر هدية فرجع المملوك إلى مالكه قال : فصلحت حال الرجل واستظهر في أمر دنياه . وذكر القاضي أبو الحسين في كتابه عن الأصمعي قال : لزم باب الرشيد وكنت أقيم عليه طول نهاري ، وأبيت بالليل مع الحراس أسامرهم وأتوقع طالع سعدي حتى كدت أموت قرا وهزالا وأما أتصبر وأتذكر عاقبة الصبر وما وراءه من النرج وآمل صلاح حالي بانفاق محمد ، فبينما أنا ذات يوم وقد أثر في السهاد خرج بعض الحجاب فقال : هل بالباب أحد يحسن الشعر ؟ فقلت الله أكبر رب مضيق فكيف اليسر أنا ذاك الرجل . فأخذ يبدى وقال ادخل فانه ختم لك بالسعادة ولعلها ليلة تكون فزت فيها بالغنى فقلت بشرك الله بالخير ، ودخلت فواجهت الرشيد في البهو جالسا والخدم وقوا على رأسه وجعفر بن يحيى البرمكي إلى جانبه ، فوقف بي الحاجب حتى يسمع تسليمي فسلمت ثم قال : تنح قريبا لتسكن نفسك إن كنت وجدت للردعة حسنة فقلت في نفسي إن سكنت فهمي فرصة تفوتني إلى

آخر الدهر فلا أعتاض عنها إلا كدأ حتى يضيق على الضريح . فقلت بصوت
اضاءة : كرم أمير المؤمنين وبها مجده مدبران لمن نظر إليه من آذية النفس
يسألني أيده الله فأجيبه أم ابتدى فأصيب . فتبسم إلى جعفر وقال ما أحسن
من استدعى الاحسان وأحرى به أن يكون محسنا ثم قال لي أشاعر أنت
أم راوية للشعر ؟ قلت : راوية قال لمن قلت لكل أمر ذى جسد وهزل بيد
أن يكون محسنا قال ﴿ أنصف الفارة من رماها ﴾ ما معنى هذه الكلمة ؟
قلت لها وجهان : زعمت التبابعة أنه كان لها رماة لا يقع سهامها في غير الخدق
فكانت تسكون في الموكب الذى فيه الملك على الجياد البلق فخرج فارس معلم
بعذبات سمور وقلمسوة فنادى أين رماة الخدق ؟ فقالت العرب انصف الفارة
من رماها . والوجه الآخر : المرتفع من الجبل الشاهق فمن ضاهاه بفعاله
فقد رماه وما أحسب هذا هو المعنى لأن الرماة كالمعطاة ، فكما أن المعطاة
للنديم هو أن يأخذ كأسا . كذلك المراماة ترميها وترميه قال أصبت أرويت
للحجاج شيئا ؟ قلت ألا أكثر قال أنشدني قوله ﴿ ارقى طارق هم طارق ﴾
فمضيت فيها مضى الجواد تهدر أشد اقي . فلما بلغت مدحه ابني أمية ثلثت عنان
اللسان لأمداحة المنصور . قال : أعن عمد أو غير عمد ؟ فقلت بل عن عمد
قال تركت كذبه إلى صدقه بما اصف المنصور من مجده . قال جعفر : بارك الله
عليك مثلك يؤهل لمثل هذا الموقف . ثم انتفت إلى الرشيد وقال : أرويت لعدى
ابن الرفاع ؟ قلت ألا أكثر قال أنشدني قوله « بانث سعاد فاخلف ميعادها »
فابتدرت بها تهدر أشد اقي . فقال لي جعفر : يا هذا أنشد على مهل لـ
تنصرف إلانا . فقال الرشيد : هل قطعت على لشركى في الجائزة ؟ قال :
فطابت نفسى وقلت أفلا ألبس أردية البتة على العرب وأنا أرى الخليفة
والوزير يتشاطران المواهب لى فتبسم ومضيت فيها . ثم قال : أرويت لذى الرمة
شيئا ؟ قلت : الكثير . قال أنشدني قوله « أمن حذر الهجران قلبك يطمح »
فقلت هي عروس شعره . قال فأية لجة قلت قوله : (ما بال عينك منها الماء ينسكب) ؟
قال : امص فيها فمضيت حتى انتهيت إلى وصفة جميلة . قال جعفر : تغى علينا ما تسع
من مسامرة الشين بمهل أجرب . فقال الرشيد : اسكت فهى التى سلبت تاج

ملكك وإن عجتك عن قرارك ، ثم جعلت جلودها سياطاً لتضرب بها أنت وقومك عند الغضب . فقال جعفر : الحمد لله عوفيت من غير ذنب . قال الرشيد : أخطأت في كلامك لو قلت أستمعين الله قلت صواباً . إنما يحمد الله عز وجل ويستعان على الشدائد . ثم قال : إنى لأجد مللاً ، وهذا جعفر ضيف عندنا فسامره في ليلتك فاذا أصبحت فان تابعى يلقيك بثلاثين ألف درهم ثم قام . وقربت إليه النعل فجعل الخادم يسلح عقب النعل في رجله . فقال : أرفق ويحك أحسبك قد عقرتني . فقال جعفر : قاتل الله العجم لو كانت سديه ما احتاج أمير المؤمنين إلى هذه الكلمة . فقال : هذه نعلي ونعل أبائي ولا تدع نفسك والتعرض لما تكره . ففضى . فقال جعفر : لولا أنه مجلس أمير المؤمنين ولا يجوز أن آمر فيه بمثل ما أمر لك لأمرت لك بثلاثين ألف درهم ولكن قد أمرت بتسعة وعشرين ألف درهم فاذا أصبحت فاقبضها فما صليت ظهر الغد إلا في منزلي وقد صرف لي المال فأيسرت ولازمته ، وزال ما كنت فيه من الضر وأتى الاقبال .

* * *

وذكر القاضي أبو الحسين في كتابه قال : بلغني عن عمرو بن مسعدة أنه قال : كنت مع المأمون عند قدومه من بلاد الروم حتى إذا نزلت الرقة قال يا عمرو : ما ترى الرجحي قد احتوى على الأهواز وهي سلة الخير وجميع المال قبله وطمع فيها وكتبه متملة بحملها وهو يتعلل ويتربص بي الدوائر ؟ فقلت : أنا أكفي أمير المؤمنين هذا ، وأنفذ من يضطره إلى حمل ما عليه . فقال : ما يقنعني هذا . فقلت فيأمر أمير المؤمنين بأمره ؟ فقال فاخرج إليه بنفسك حتى تصفده بالحديد فتحمله إلى بغداد وتقبض على جميع ما في يده من أموالنا وتنظر في أعمالنا وترتب لها عمالاً فقلت السمع والطاعة . فلما كان في غد دخلت عليه فقال ما فعلت فيما أمرتك به ؟ قلت أنا على ذلك . قال أتريد أن تجيء في غد مودعا ؟ قلت السمع والطاعة . فلما كان في غد جئته مودعا فقال : أريد أن تحلف لي أنك لا تقم ببغداد إلا يوماً واحداً فاضطربت من ذلك إلى أن حشني واستحلني أن لا أقم فيها أكثر من ثلاثة أيام فخرجت

حتى قدمت بغداد فلم أقم فيها إلا ثلاثة أيام وانحدرت في زلال أريد البصرة ،
وجعل لي في الزلال خيش واستكثرت من انشلاج لشدة الحر ، فلما صرت
بين جرجاي وحبل سمعت صوتاً من الشاطئ يصيح يا ملاح ؟ فرفعت سحفي
الزلال وإذا بشيخ كبير السن جالس حاسر الرأس حافي القدمين خلق
القميص فقلت للعلام أجبه فأجابه . فقال يا غلام أنا شيخ كبير السن على هذه
الصورة التي ترى وقد أحرقني الشمس وكادت تتلفني وأريد حبل فأحملوني
معكم فإن الله يحسن أجر صاحبكم . قال : فشتمه الملاح وانتهره فأدركتني رقة
عليه وقلت خذوه معنا فتقدمنا الشط وصحنا به وحملناه فلما صار معنا في الزلال
وانحدرنا نتقدم فدفعت إليه قيصاً ومنديلاً وغسل وجهه واستراح وكأنه
كان ميتاً ، وعاد إلى الدنيا فحضر وقت الغذاء وتقدمت وقلت للعلام هات
ياكل معنا . فجاء وقعد على الطعام فأكل كل أكل أديب نظيف غير أن الجوع أثر فيه
فلما رفعت المائدة أردت أن يقوم ويغسل يده ناحية كما تفعل العامة في مجالس
الخاصة فلم يفعل . فغسلت يدي وتذمت أن أمر بقيامه فقلت قدموا له الطشت
فغسل يده وأردت بعدها أن يقوم لأنام ، فم يفعل فقلت يا شيخ : أي شيء
صناعتك ؟ قال حائك أصلحك الله . فقلت في نفسي هذه الحياكة علمته سوء
الأدب فتناومت عليه ومددت رجلي فقال : قد سألتني عن صناعتي وأنت
أعزك الله ما صناعتك ؟ فأكبرت ذلك وقلت أنا جنيت . على نفسي هذه
الجنسية ولا بد من احتمالها أنراه الاحتمى لا يرى زلالى وغلباني ونعمتي
وأن مثلي لا يقال له هذا . فقلت كاتب : فقال كاتب كامل أو كاتب ناقص ؟
فإن الكتاب خمسة فأيهم أنت فورد على من قول الحائك مورداً عظيماً
وسمعت كلاماً أكبرته ، وكنت متكئاً فجلست ثم قلت : فصل الخمسة . قال :
نعم . كاتب خراج : يحتاج أن يكون عالماً بالشروط ، والعطسوت ،
والحساب ، والمساحة . والبشوق ، والفنون ، والرتوق . وكاتب أحكام :
يحتاج أن يكون عالماً بالحلل . والحرام ، والاحتجاج . والاجماع ،
والأصول ، والفروع . وكاتب معونه : يحتاج إلى أن يكون عالماً بالقصاص
(١٦ - الفرج)

والحدود، والجراحات . والمواثبات ، والسياسات . وكاتب جيش : يحتاج أن يكون عالماً بحلى الرجال ، وشيات الدواب ، ومدارات الأوليا وشيئا من العلم بالنسب ، والحساب . وكاتب رسائل : يحتاج أن يكون عالماً بالسدور ، والفصول ، والإطالة ، والإيجاز ، وحسن البلاغة . والخط . قال فقلت : إني كاتب رسائل . قال فاسألك عن بعضها ؟ قلت قل : فقال لى أصلحك الله : لو أن رجلا من إخوانك تزوج أمك فأردت أن تكتابه مهنشاً فكيف كنت تكتابه . ففكرت فى الحال فلم يخطر ببالى شىء ، فقلت ما أرى للتهنئة وجهها قال : فكيف تكتب اليه تعزية ؟ ففكرت فلم يخطر ببالى شىء . فقلت اعفنى قال قد فعلت . ولكنك لست بكاتب رسائل . قلت أنا كاتب خراج . قال : لا بأس لو أن أمير المؤمنين ولاك ناحية وأمرك فيها بالعدل والإنصاف وتقضى حاجة السلطان فيتظلم اليك بعضهم من مساحيك وأحضرتهم للنظر بينهم وبين رعيتك فخلف المساح بالله العظيم لقد أنصفوا وماظلموا وحلفت الرعية بالله أنهم لقد جاروا وظلموا وقالت الرعية قف معنا على ما مسحوه وانظر من الصادق من الكاذب فخرجت لتقف عليه فوقنوا على قراح شكله قاتل قثاء كيف كنت تمسحه ؟ قلت : كنت آخذ طوله على انعراجه وعرضه ثم اضربه فى مثله . قال إن شكل قاتل القثاء أن يكون زاويتاه محدودتين وفى تحديده تقويس . قلت فأخذ الوسط فاضربه فى العرض قال إذا ينشئ عليك العمود فأسكتنى . فقلت : ولست كاتب خراج . قال : فإذا ما أنت ؟ قلت : أنا كاتب قاض . قال أرايت لو أن رجلا توفى وخلف امرأتين حاملتين إحداهما حرة والأخرى سرية فولدت السرية غلاماً والحرة جارية فعدت الحرة إلى ولد السرية فأخذته وتركته بدله الجارية فاختصمنا فى ذلك فكيف الحكم بينهما قلت لا أدرى . قال : فلمست بكاتب قاض . قلت : فأنا كاتب جيش . فقال : لا بأس أرايت لو أن رجلين جاء إليك لتحليمهما وكل واحد منهما إسمه واسم أبيه كاسم الآخر إلا أن أحدهما مشقوق الشدة العليا والآخر مشقوق الشدة السفلى كيف كنت تحليمهما ؟ قلت فلان الأعم . وفلان الأعم ، قال إن رزقها مختلفان وكل واحد منهما يحى . فى دئوة الآخر .

قلت لأدرى . قال : فليست بكاتب جيش . قلت : أنا كاتب معونة . قال : لا تبالي لو أن رجلين رفعاً إليك قد شج أحدهما الآخر شجة موضحة ، وشج الآخر شجة مأمونة كيف كنت تفصل بينهما ؟ قلت : لأدرى . قال لست إذا كاتب معونة اطلت لنفسك أيها الرجل شغلا غير هذا . قال فصغرت إلى نفسي وغازني فقلت : قد سئلت عن هذه الأمور ويجوز أن لا يكون عندك جوابها كما لم يكن عندى فإن كنت عالماً بالجواب فقل . فقال : نعم . إن الذى تزوج أمك فتكتب إليه أما بعد : فإن الأمور تجري من عند الله بغير محبة عباده ولا اختيارهم ، بل هو تعالى يختار لهم ما أحب وقد بلغنى تزويج الوالدة خات الله لك فى قبضها ، وأن القبور أكرم الأزواج وأستر العيوب والسلام . وأما قراح قاتل قثاء فدمسح العمود حتى إذا صار عداداً فى يدك ضربته فى مثله ومثل ثلثه فما خرج فهو المساحة . وأما الجارية والغلام : فيوزن لبن الاثنين فأيهما كان أخف فالجارية له . وأما الجنديان المتفقان الإسمين فإن كان الشق فى الشفة العليا قيل فلان الأعلم ، وإذا كان فى الشفة السفلى قلت فلان الأفلح . وأما صاحب الشجتين فلصاحب الموضحة ثلث الدية ، ولصاحب المأمونة نصف الدية ، فلما أجاب بهذه المسائل تعجبت منه وامتحنته بأشياء كثيرة غيرها فوجدته ماهراً فى جميعها حاذقاً بليغاً فقلت : ألست زعمت أنك حائك ؟ فقال أما أصلحك الله حائك كلام ولست بحائك نساجة وأنشأ يقول :

مامر بؤس ولا نعيم إلا ولى فيهما نصيب
فذاقت حلوا وذاقت مرأ كذاك عيش القتي ضروب
نوابب الدهر أدبتنى وإنما يوعظ الأديب

قلت فما الذى بك من سوء الحال ؟ قال : أنا رجل كاتب دامت عطلى ، وكثرت عيلى ، وتواعت عيلى بختى ، وقلت حيلتى ، فخرجت أطلب تصرفاً ففقطعت على الطريق نصرت كما ترى فشيت على وجهى فلما لاح لى الزلال استعنت بك قلت فإنى قد خرجت إلى إلى متصرف جليل احتاج فيه إلى جماعة مثلك ، وقد أمرت لك مخرقة حسنة تصلح لمثلك وخمسة آلاف درهم تصلح بها أمرك ،

وتنفذ منها إلى عيالك ، وتقوى نفسك بباقيها ، وتصير معي إلى عمى فأوليك
أجله فقال : أحسن الله جزاك إذا تجددني بحيث أسرك ولا أقوم مقام معذر
إليك إن شاء الله . وأمرت بتقريبه ما رسمت له فقبحه وانحدر إلى
الاهواز معى فجعلته المناظر المرجحى والمحاسب له بحضرتى ، والمستخرج لما
عليه فقام بذلك أحسن قيام وعظمت حاله معى وعادت نعمته إلى أحسن
ما كانت عليه .

ن ب د

قال مؤلف هذا الكتاب : بلغنى لعمر بن مسعدة فى زلاله هذا خلاف
حدثنى به عبد الله بن الحسن العيسى وهو يذكر أن أهل أمه أقرباء لبنى
مازنة الذين كانوا أبناء البصرة ، وأهل النعم بها . قال . حدثنى أبى قال : سمعت
شيوخا يتحدثون أن عمرو بن مسعدة كان مصعداً من واسط إلى بغداد فى
حر شديد وهو جالس فى زلال ، فناداه رجل يا صاحب الزلال بنعمة الله
عليك إلا نظرت إلى . قال : فكشفت سحيف الزلال فاذا شيخ ضعيف حاف
حامى ، فقال له : قد ترى ما أنا فيه ولست أجد من يحملنى فابتغ الأجر فى
وتقدم إلى ملاحيك يطرحونى بين مجاذيفهم إلى أن أبلغ بلداً يطرحونى فيه .
قال عمرو : فرحمته وقلت خذوه فأخذوه فغشى عليه ، وكاد يموت لما لحقه من
الشمس والمشى . فلما أفاق قلت له يا شيخ ما حالك ، وقصصتك ؟ فبكى وقال :
قصصتى طويلة . فسليته من بسكائه وطرحته عليه قيصاً ومنديلاً ، وأمرت له
بدرهم فاستمسك وشكرنى وحمد الله جللت عظمته فقلت له : لا بد أن تحدثنى
بقصصتك ؟ فقال : أنا رجل كانت لله على نعمة ، وكنت صيرفياً فابتعت جارية
بخمسمائة دينار فعشقتها عشقاً عظيماً فكنت لأفارقها إلا ساعة واحدة ، فإذا
خرجت إلى الدكان أخذنى الجنون والهيمان حتى أعود إليها فأجلس معها بقية
يومى . ندام ذلك حتى تعطل دكانى وبطل كسبى ، وأقبلت أربى رأس مالى
حتى لم يبق منه قليل ولا كثير ، وأنا مع ذلك الحال لأألمن أن أفارقها بقدر
ما أقعدنى الدكان لأتعيد . وحبلى الجارية وأقبلت أقتن دارى وأبيع
أقاضها حتى فرغت من ذلك ، ولم يبق لى حيلة وضررها أطلق فقالت لى :

يا هذا هو ذا أموت فاحتل ما تبتاع به عسلا ودقيفا وشيرجا وإلامت . فبكيت وحزنت وخرجت على وجهي وجشت لأغرق في الدجلة ، فذكرت حلاوة الروح والنفس وخوف العقاب في الآخرة ، ثم خرجت على وجهي إلى النهروان ، وما زلت أمشي من قرية إلى قرية حتى بلغت خراسان فصادفت من عرفني ، فتصرفت في صناعتني ورزقني الله جللت عظمته ، فأثريت واتسعت حالي وكتبت ستة وستين كتاباً لأعرف خبر منزلي فلم يعد إلى الجواب فلم أشك أن الجارية قد ماتت فقطعت المكاتبة فتراخت السنون حتى حصل معي ما قيمته عشرون ألف دينار . فقلت : قد صارت لي نعمة فلو رجعت إلى وطني ، فابتعت بالمال كله متاعاً من خراسان وأقبلت أريد العراق من طريق فارس والاهواز فلما حملت بينهما خرج على القافلة اللصوص فأخذوا جميع ما فيها ونجوت بثيابي وعدت فقيراً كما خرجت من بغداد . فدخلت الاهواز وبقيت فيها متحيراً حتى كشفت خبري لبعض أهلها ممن لا أعرفه فأعطاني ما تحملت به إلى واسط ، ونفذت نفقتي فشيت إلى هذا الموضع وقد كدت أتلغ فاستغثت بك ، ولي منذ فارقت بغداد ثمانية وعشرون سنة . فهجبت من محنته ورفقت به وقلت له : إذا صرنا إلى بغداد وعرفت خبر أهلك فصر إلى فاني آسر بتصرفك فيما يصلح لمثلك ما تعيش . فشكر ودعاني ، ودخلت بغداد ومضت على ذلك مدة نسيته فيها . فبينما أنا يوماً قد ركبت أريد دار المأمون ، فإذا بالشيخ على بابي راكباً بغلاً فارها بمركب محلي ثميل وغلामين أسودين بين يديه كأنهما بماليكهما ، وثياب حسنة فلما رأيته رحبت به وقلت له ما الخبر ؟ فقال : طويل . فقلت عد إلى فلما كان من الغد جاءني فقلت له . عرفني خبرك . فقد سررت بحسن ظاهر حالك . فقال : إني لما صعدت من زلالك قد دت داري فوجدت حائطها الذي يلي الطريق كاخلاء غير أن باب الدهليز بواو نظيف وتلمية دكتان وبغال مع شاكزية . فقلت : إنا لله ما انت جاريتي ويملك الدار بعض الجيران وباعها لرجل من أصحاب السلطان فقدمت على رجل بهاء كنت أرى في المحلة فإذا في دكانه غلام حدث فقلت من تكون من فلان البقال ؟ فقال : ابنه . فقلت : ومتى مات أبوك ؟ قال منذ عشرين

سنة . قلت هذه الدار لمن ؟ قال لابن داية أمير المؤمنين وهو الآن صاحب
جبهة وصاحب بيت ماله . فقلت بمن يعرف ؟ قال بابن فلان الصيرفي
فسماني . فقلت : هذه الدار من باعها عليه قال هذه دار أبيه . فقلت وهل
يعيش أبوه ؟ قال : لا . قلت أفتعرف عن حديثهم شيئاً ؟ قال : نعم . حدثت
أن هذا الرجل كان صير فيا جليلاً وافتقر وأن أم هذا الفتى ضربها الطلق فخرج
أبوه يطلب لها شيئاً ففقد وهلك . فقال أبي : فجاءني رسول أم هذا الغلام
تستغيث بي فقممت لها بمحوائج الولادة . ودفعت لها عشرة دراهم فما أنفقتها حتى
قيل قد ولد للأمير المؤمنين الرشيد مولود وقد عرض عليه جميع المراضع
فلم يقبل ثديهن ، وقد طلب له الحراير فجأزه بغير واحدة فما أخذتدي واحدة
منهن وهم في طلب مرضع فأرشدت الذي طلب الداية إلى أم هذا ، فحملت
إلى دار الرشيد وحين وضع فم الصبي على ثديها قبله فأرضعته . وكان الصبي
هو المأمون وصارت تندهم في حالة جليلة ، ووصل إليها منهم خير عظيم . ثم
خرج المأمون إلى خراسان فخرجت هذه المرأة وابنها هذا معهم ولم يعرف
أخبارهم إلا منذ قريب لما عاد المأمون وعادت حاشيته ، وقد رأينا هذا قد جاء
رجلاً وأنا لم أكن رأيته قط . وقد كان أبي قد مات فقالوا : هذا ابن فلان
الصيرفي وابن مرضعة الخليفة فبنى هذه الدار وسواها . فقلت له : أفعندك
علم من أمه أم هي حية أم ميتة ؟ فقال : هي حية تمضي إلى دار الخليفة أياماً
وتكون عند ابنها أياماً وهي الآن هنا . فخدمت الله على هذه الحالة وجئت
حتى دخلت الدار مع الناس فرأيت الصحن في نهاية العمارة والحسن ، وفيه
مجالس كثيرة مفروشه بفرش ظاهرة ، وفي صدره رجل شاب بين يديه كتاب
وجهاً بذهاب حساب يستوفيه عليهم ، وفي ضفاف الدار ومجالسها جهابذة بين
أيديهم الأموال والتخوت والشواهي ، يقبضون ويقبضون ، وبصرت بالفتى
فرأيت شبهي فيه . فعلمت أنه ابني فجلست في غمار الناس إلى أن لم يبق في
المجلس غيري فأقبل إلى فقال : يا شيخ مل من حاجة تقولها ؟ قلت : نعم ،
ولسكنها لا يجوز أن يسمعها غيرك . ثم أوماً إلى غلمان كانوا أقياماً حوله فاصرفوا
فقال : قل أعزك الله . قلت أنا أبوك . فلما سمع ذلك تغير وجهه ولم يكلمني

بحرف ووثب مسرعا وتركني في مكاني فلم أشعر إلا بخادم قد جاءني وقال :
قم يا سيدي . فقممت معه حتى بلغت ستارة منصوبة في دار لطيفة وكرسى
بين يديه والفتى خارج الستارة على كرسى آخر فقال اجلس أيها الشيخ .
فجلست على الكرسي ودخل الخادم فإذا بحركة خلف الستارة فقلت : أظنك
تريد أن تختبر صدق قولي من جهة فلانة ؟ وذكرت اسم جاريتي أمه . فإذا
أنا بالستارة قد هتكت والجارية قد خرجت إلى وجعلت تقبلني وتبكي
وتقول : مولاي والله . قال فرأيت الفتى قد بهت وتحمير فقلت للجارية ويحك
ما خبرك ؟ فقالت : دع خبري ففي مشاهدتك لما تفضل الله بهجت عظمته على
كفاية عن أن أخبرك . فقل ما كان خبرك أنت ؟ قال فقصصت عليها خبري منذ
خروجي من عندها إلى يومى ذلك وقصيت ما كان قصه على ابن البقال
وشرحت ذلك كله بحضرة الفتى ومستمع منه . فلما استوفى الحديث خرج وتركني
في مكاني فإذا بخادم قال : يا مولاي يسألك ابنك أن تخرج اليه . قال فخرجت
فقال لي : معذرة إلى الله واليك يا أبت من تقصيري في حقك ، فإنه جاء أمر
لم يظن مثله يكون ، فالآن هذه النعمة لك ، وأنا ولدك وأمير المؤمنين يحتد
بى منذ دهر أن أترك الجبهة وأتوفر على خدمته فما فعلت تمسكا بصنعتي ،
والآن فإنى أسأله أن يرد عملى اليك وأخدمه أنا غيرها عاجلا وأصلح أمرك .
فأخذت إلى الحمام وتطيت وجاؤني بخلعة لبستها ، وخرجت إلى حجرة والدته
فجلست فيها ثم أنه أدخلني على أمير المؤمنين وحدثه حديثي ثم أنه امرى
بخلع وهي هذه ورد إلى العمل الذى كان لابنى وأجرى لى في كل شهر من
الرزق . كذا ، وكذا . وقلد ابنى أعمالا هى أجل من عمله ، وأضعف لى
أرزاقه فحيت لأشكرك على ما عاملتنى به من الجميل ، وأعرفك بتجدد
النعمة . قال عمرو : فلما أسمى الفتى عرفته وعليت أنه ابن داية أمير
المؤمنين كما قال :

د . ن .

وحدثني محمد بن عبد الله بن الحسين السقطي ، قال : حدثني محمد بن زكريا
الأصاري . قال : غلست يوما إلى المربد أريد مسجد الزياتين بشارع المربد

لوعده كان على فيه وكانت الريح قوية وبين يدي أذرع رجل يمشي ، فلما بلغنا دار رياح قلعت الرياح ستر آجر وجما على رأس حائط فرمت بها عليه فلم أشكك في اتلافه ، وارتفعت غبرة عظيمة أفزعني فرجعت . فلما سكنت عدت أسلك الطريق ، ولم أر الرجل فعجبت وتممت طريقي حتى دخلت مسجد الزياتين فرأيت أهل المسجد مجتمعين فحدثتهم بما رأيت في طريق متوجعا للرجل وشاكرآ لله تعالى سلامتي . فقال رجل منهم يا أبا الخطاب : أنا الذي وقعت على السترة وذلك أني قصدت هذا المسجد لما وعدت ، فلما سقطت السترة ولم أحس لها بضرر لحقني ووجدت نفسي سالما قائما فحمدت الله تعالى ، وتمحيرت ووقفت حتى انجلت الغبرة ، فتأملت الصورة فاذا في السترة باب كبير وقد اتفق أن وقع راسي وسائر جسدي في موضع الباب فخرجت منه وسقطت باقى السترة حوالى فلم يضرنى شيء فتخطيت على المهندم وسبقته إلى هاهنا . وحدثني : أن الفتح بن خافان اجتاز على بعض القناطر وهو متصيد وقد انقطع عن عسكره وانخسفت القنطرة من تحته فغرق فرآه اكار وهو لا يعرفه فطرح نفسه عليه وخلصه ، وقد كاد أن يتلف ولحقه أصحابه فأمر للاكار بمال عظيم وتصدق بثله فدخل عليه البحرى فألشده قصيدته التي أولها :

« متى لاح برق أو بدا طلل قمر »

إلى أن قال :

لقد كان يوم النهر وان عظيمة أطلت ونعما جرى بهما الدهر
أجزت عليه عابرا فتشعبت أواديه لما أن طغى فوقه البحر
وزالت أواخر الجسروانهدمت به قواعده الظلمات وما ظلم الجسر
فما كان ذاك الهول إلا عناية بدا طالعا من تحت ظلماتها البدر
فان ناس نعمى الله فيك لحظنا أضعننا وأن نشكر فقد وجب الشكر
فقال له الفتح : الناس يهنونا بنثر وأنت بنظم وأجزل صلته .

وحدثني أبى بكر محمد بن عبد الله الرازى المعروف بابن حمدون ، عن الحسن بن محمد الانبارى الكاتب . قال : كان لى أيام مقامى بارجان رجل

تاجر يعرف بجعفر بن محمد فكنت أنس به يحدثني قال : كنت أحج دائماً وأنزل بالكوفة على رجل حسيني فقير مستور فألفقه وافتقده فأنارت عن الحج سنة ثم عدت فوجدته مثيراً فسألته عن سبب غنائه فقال : كان قد اجتمع معي دريهمات على وجه الدهر فمكرت عام أول في أن أتزوج فإني كنت عزباً كما علمت ، ثم قلت على فرض الحج قد تعين على فرأيت أن أقدم أداء الفروض وأتوكل ان الله تعالى إن سهل لي بعد ذلك ما أتزوج به . فلما حجبت طفت طواف الدخول فأودعت رحلي وما كان معي بيتا من خان وقنلت بابه وخرجت إلى منا ، فلما عدت وجدت الباب مفتوحاً فارغا فتحيرت ونزلت في شدة ما رأيت مثلها قط . فقلت هذا أمر عظيم لثوابي فما وجه النعم ، واستسلمت لأمر الله تعالى وجلست في البيت لاحيلة لي ولا تطيب نفسي بالمسألة فالتصل مقامى ثلاثة أيام ما طعمت فيها شيئا فلما كان في اليوم الرابع بدا بي الضعف سحرا ، وخنمت على نفسي وذكرت قول جدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ماء زمزم لما شرب له . فخرجت حتى شربت منها ورجعت لأريد الباب باب إبراهيم لأستريح فيه ، وكان في الطريق بقية من سدفة فعثرت في الطريق بشيء أوجع أصبعي فأنكبت عليه لأمسكه فوقعت يدي على هميان ادم أحمر كبير فأخذه فلما حصل في يدي ندمت وعلمت أن اللقطة حرام ، وقلت إن تركته الآن كنت المضيع له ، وقد لزمى أن أعرفه ولعل صاحبه إذا رجع إليه أن يهب لي شيئا أقتاته حلالا . فخرجت إلى بيتي وحلته في المصباح فاذا هي دنانير صفر تزيد على ألف دينار فشددته ورجعت إلى المسجد وجلست على الحجر وناديت من ضاع منه شيء فليأتني بعلامته ويأخذه . فانقضى يومى أنادى ما جاءني أحد ، وأنا على حالى في الجوع وبت في بيتي ليلتي كذلك ، وغدوت إلى الصفا والمروة فعرفته عندهما يومى حتى كان ينقضى فلم يأتني أحد فضعمت ضعفا شديدا فخشيت على نفسي فرجعت متحاملا مقبلا حتى جلست على باب إبراهيم فقلت قبل انصراف الناس قد ضعفت عن الصياح ، وأنا ماض اجلس على باب إبراهيم فن رأيتموه يطلب شيئا قد ضاع منه فارشده إلى ، فلما قربت المغرب وأنا في

الموضع إذا بخر اساني محتاز ينشد ضالة فصحت به وقلت له صف ماضع منك؟ فأعطاني صفة الهميان بعينه وذكر وزن الدنانير وعدتها فقلت: إن أرشدتك إلى من يعطيك إياه تعطيني مائة دينار؟ قال: لا. قلت فخمسين. قال: لا. فم أزل أمازل إلى أن بلغت إلى دينار واحد فقال لا إن أراد من هو عنده إيماناً واحتساباً وإلا فهو الضر وولى لينصرف، فورد على أعظم وارد وهممت بالسكوت، ثم خمنت الله تعالى وأشفققت أن يفوتني الخرساني فصحت به ارجع. فرجع فأخرجت الهميان فدفعته اليه فمضى فجلست ومالي قوة على المشي إلى بيتي فما غاب عني حيناً حتى عاد فقال لي من أى البلاد أنت؟ ومن أى الناس أنت؟ فاعتظت منه غيظاً عظيماً فقلت وما عليك هل بقي لك عندى شيء؟ قال: لا. ولكنى أسألك بالله العظيم من أى الناس والبلاد أنت تعرفنى ولا تضجر فقلت: من أهل الكوفة. فقال: ومن أيهم أنت؟ واختصر. قلت: رجل من ولد الحسين بن علي بن أبى طالب عليهما السلام فقال ما حالك وما لك؟ فقلت ما أملك من الدنيا شيئاً إلا ما تراه على وقصصت عليه قصتى وما كنت طمعت فيه من صلاحها بما تعطيه من الهميان، وما انتهيت اليه من الضعف وشدة الجوع. فقال أريد أن تعرفنى صحة نسبك وحالك حتى أقوم بأمرك كله. قلت: ما أقدر على المشي لشدة الضعف ولكن اعرض الطواف وصح بالكوفيين وقل رجل من بلدكم علوى يباب إبراهيم يريد الجيئة بينكم من ينشط لحال هو فيها فمن جاء معك فهاته فغاب غير بعيد وجاء ومعه من الكوفيين جماعة اتفق أنهم كلهم يعرفون باطن حالى فقالوا: ما تريد أيها الشريف؟ فقلت هذا رجل يريد أن يعرف حالى ونسبى لشيء بينه وبينى. فعرفوه ما تعرفونه من صحة نسبى فوصفوه له طريقى وعزى فمضى وجاء وأخرج الهميان بعينه كما كنت سلمته له فقال: يا هذا خذ هذا بأسره بارك الله لك فيه. فقلت: ما يكفيك ما علمتنى به حتى تستهزى. بى، وأنا فى حال الموت: فقال: معاذ الله هو والله لك. فقلت فلم يخلت على بدینار منه ثم وهبت الجميع لى. فقال: ليس الهميان لى فما كان لى أن أعطيك منه شيئاً قل أم كثير، وإنما أعطانيه رجل من بلدى وسألنى أن أطلب

بالعراق أو بالحجاز رجلا علويا حسينا فقيرا مستورا فاذا علمت هذا من حاله أغنيته بأن أسلم اليه هذا الهميان كله ليصير أهلا لنعمة تمنعه فله فلم يجتمع لي هذه الصفة في أحد ، فلما اجتمعت فيك لما شاهدته من الأمانة والفقر والعفة والصبر ، وصح عندي نسبك أعطيتك إياه فقلت : إن كنت تحب استكمال الأجر فخذ منه ديناراً وابتع لي دراهم واشتر لي منها ما آكله وصر به الساعة إلى هاهنا . فقال لي اليك حاجة فقلت : قل . فقال : أنا رجل موسر والذي أعطيتك ليس لي فيه شيء كما عرفتك ، وأنا أسألك أن تقوم معي إلى رحلي فتكون في ضيافتي إلى الكوفة وتتوفر دنائيرك عليك . فقلت ما بي حركة فاحتل في حملي كيف شئت فغاب وجاء بمركوب فأركبني به إلى رحله وأطعمني في الحال ما كان عنده وقطع لي من الغد ثياباً وكان يخدمني بنفسه ، وعادني في عماريته إلى الكوفة فلما بلغنا أعطاني من عنده دنائير أخرى وقال لي ضفها على ما عندك قال وفارقتة وأنا أدعو اليه وأشكره ولم أمس الهميان بل أنفق من الدنائير التي أعطانيها الرجل باقتصاد إلى أن اتفقت لي ضبعة رخيصة فابتعتها بما في الهميان فأغلت وأثمرت وأنا بعافية .

الباب الثامن

من أشقى على أن يقتل فكان الخلاص إليه أبجل

وجدت في كتاب أبي الفرج الخزومي الحنفى : أن إبراهيم بن المهدي لما طال استناره عن المأمون ضاق صدره فخرج ليلة من موضع كان مستخفياً فيه يريد موضعاً آخر في زى امرأة ، وكان عطرا فعرض له حارس فلما شم رائحة الطيب ارتاب به فكلمه . فلما علم أنه رجل ضبطته فقال خذ خاتمي فثمنه ثلاثون ألف دينار وخلصني فأبى وتعلق به فحمله إلى صاحب الشرطة فأتى به المأمون فلما دخل عليه بالحالة التي هو عليها جلس المأمون مجلساً عاماً وقام خطيب بحضرته يخطب بفضله وما رزقه الله جلّت عظمته من الظفر بإبراهيم ، ولما دخل إبراهيم بين يديه سلم عليه بالخلافة فرد عليه السلام . فقال إبراهيم : يا أمير المؤمنين إن ولى النصارى محكم في القصاص ، والعفو أقرب للتقوى . ومن تناولته يد الأقدار بما مدله من أسباب الرجاء ما يأمن معه عادية الدهر وقد جعل الله عفوك فوق كل ذى عفو كما جعل كل ذى ذنب دوني ، فإن تؤاخذ فبحقك وإن تعفو فبفضلك ثم قال :

ذنبى إليك عظيم وأنت أعظم منه
تخذ بحقك أولاً فاصفح بحلمك عنه
إن لم أكن في فعلى من الكرام فكنته

وقال

أتيت ذنباً عظيماً وأنت للعفو أهل
فإن عفوت فمن وإن جزيت فعدل

فرق له المأمون وأقبل على أخيه ابن إسحق وابنه العباس والقواد وقال ماترون في أمره ؟ فقال بعضهم يضرب عنقه . وبعضهم قال : يقصص لجه إلى أن يتلف . وبعضهم قال تقطع أطرافه ويترك إلى أن يموت . فكل أشار بقتله وإنما اختلفوا في الصفة فقال المأمون لأحمد بن أبي خالد ما تقول أنت يا أحمد ؟

فقال يا أمير المؤمنين : إن قتلتني وجدنا مثلك قد قتل مثله كثيرًا ، وإن عفوت لم نجد مثلك عني عن مثله فأيا أحب إليك أن تفعل فعلا تجد لك فيه شريك أو تنفرد بالفضل ؟ فأطرق المأمون ملياً ثم رفع رأسه . فقال : أعد ما قلت يا أحمد ؟ فأعاد فقال بل منفرد بالفضل ولا رأي لنا في الشركة فكشف إبراهيم المقنعة عن رأسه وكبر تكبيرة عالية وقال قد عفني والله أمير المؤمنين بصوت كاد الإيوان أن يتزعزع ، وكان إبراهيم طويلاً آدم جعد الشعر جهر الصوت فقال له المأمون : لا بأس عليك يا عم وأمر بحبسه في دار أحمد بن أبي خالد فلما كان بعد شهر أحضره المأمون فقال اعتذر من ذنبك . فقال يا أمير المؤمنين ذنبي أجل من أن أتفوه فيه بعذر ، وعفو أمير المؤمنين أعظم من أن أنطق بشكر ولكني أقول :

تفديك نفسي أن تضيق بصالح والعمومك بفضل خلق واسع
إن الذي خلق المحارم حازها في صلب آدم للإمام السابع
ملئت قلوب الناس منك مهابة وتظل تكلوهم بقلب خاشع
فعفوت عمن لم يكن عن مثله عفوا ولم أشفع اليك بشافع
ورحمت أطفالا كافر أخ القطا وحنين والدته بقلب جازع
فقال المأمون : لا تثريب عليك يا عماء قد عفوت عنك فاستأنف الطاعة ورد ماله وضياعه فقال إبراهيم يشكره

رددت مالي ولم تبخل علي به وقبل ردك مالي قد حققت دمي
أمنت منك وقد خولتني نعمها نعم الحياتان من موت ومن عدي
فلوبذلت دمي أبغى رضاك به والمال حتى اسل النعل عن قدمي
ما كان ذلك سوى عاربة رجعت اليك لو لم تعرها كنت لم تلهم
وقام علمك بي فاحتج عندك لي مقام شاهد عدل غير متهم
فقال المأمون : إن من الكلام كلاماً كالدر وهذا منه . وأمر له بخلع ومال قيل إنه ألف ألف درهم . وقال له إن أبا إسحاق وولدي أشارا بقتلك . فقال إبراهيم فما قلت لهما يا أمير المؤمنين ؟ قال قلت لهما إن قرابته قوية ورحمه ماسة وقد ابتدأنا بأمر فينبغي أن نستتمه فان سكث فأنه مغير ما به . قال إبراهيم :

لقد نصحنالك واسكن أبيت إلا ما أنت أهله ودفعت ماخنت بما رجوت ، فقال المأمون : قد مات حتمدى بحيات عذرك ، وقد عفوت عنك وأعظم من عفوى عنك أنى لم أجرعك مرارة امتنان الشافعين ، ووجدت فى بعض الكتب أنه لما حمل إبراهيم بن المهدي فى قبضة المأمون لم يشكك هو وغيره أنه مقتول فأطال حبسه فى مطمورة بأسوأ أحوال وأقبحها . قال إبراهيم : فأيست من نفسى ووطنها على القتل وتعزيت عن الحياة حتى صرت أتمنى القتل للراحة من العذاب وما أؤمله فى الآخرة من حصول الثواب فبينما أنا كذلك إذ دخل على أحمد بن أبى خالد مبادرا فقال : اعهد فقد أمرنى أمير المؤمنين بضرب عنقك . فقلت اعطنى دوانا وقرطاسا فكتبت وصية ذكرت فيها كلها احتجت اليه واسندتها إلى المأمون ونهضت فتطوعت ركعات ومضى أحمد وفرغت من الصلاة وجلست أتوقع القتل فعاد إلى أحمد بعد ساعتين وقال أمير المؤمنين يقرئك السلام ويقول أنا أحمد الله جللت عظمته الذى وفقنى لصلة رحلك والصلح وقد أمنتك ورد عليك نعمك وجميع ضياعك وملاكك فانصرف إلى دارك . قال : فبدأت أسمى للمأمون فغلبنى البكاء والاشحاب وهو يظالبنى بالجواب وأنا غير متمكن منه . فقال لى أحمد : لقد رأيت منك عجبا أخبرك انى امرت بضرب رقبتك فلم تجزع ، ولم تبك ثم أخبرتك بتفضل امير المؤمنين عليك وصفحه عنك فلم تنالك من البكاء ؟ فقال : اما السكوت عن الخبر الاول فلأنى لم اتوهم منذ ظفرتى ان اسلم من القتل ، فلما ورد على مالم اشك فيه لم اجزع ولم ابك واما بكائى عند الخبر اثنانى فوالله شأنا ما هو لسرور بالحياة ، ولالرجوع النعمة ولا بكائى إلا لما كان منى فى قطيعة رحم من بعد استحقاقى منه للقتل بخوانى مثل هذا الصلح الذى لم يسمع به فى جاهلية ولا إسلام . فقد استحق امير المؤمنين الثواب من الله تعالى فى صلة رحمه وإظهاره إحسانه عند إسماعى وحلمه عند جهلى ، وفضله عند نقضى وجوابى هو ما شهدت وسمعت . فرجع إلى المأمون وأخبره ثم عاد إلى بالمال والخلع ومركوب فانصرف به إلى دارى ونعمتى . وقال على ابن هشام بن قباط الكاتب ببغداد بإسناد ذكره يحدث عن أحمد بن يوسف الكاتب قال كنت اشرب مع المأمون وانا دمه وانا انقلب له فى ديوان المشرق وديوان الرسائل قبل وزاتى له وكان كثير أما نادمه على

الانفراد وربما يجمع بيني وبين البريدى ، فلما رضى عن ابراهيم بن المهدي وناداه صار لا يكاد يشرب مع غيره وغيرى ويقتصر على استماع الغناء من وراء الستائر وربما حضر اسحق بن ابراهيم الموصلى فتحن ذات يوم على شرب ومعنا اسحاق إذ غنى ابراهيم بن المهدي فقال :

صونوا جيادكم واجلوا سلاحكم وشمروا انها أيام من غلبا
فاستعاده المأمون مراراً وبان لى في وجهه الغيظ والغضب والهم وزوال
الطرب ولم يظن ابراهيم وترك المأمون القدح الذى كان في يده ونهض فظنناه
يريد الوضوء ثم عاد فما شعرنا إلا وقد استدعانا إلى مجلس آخر فاذا هو جالس
على سرير الخلافة بقلنسوة وثياب الهيبة وبين يديه اسحاق بن ابراهيم المصعبى
وجلة القواد فاستدعى ابراهيم نزيه فحضر باخس صورة وأقبحها وعليه ثياب
المنادمة ينضح بذلك . فلما وقف بين يديه قال : يا ابراهيم ما حملك على الخروج
على والخطبة لنفسك بالخلافة ؟ قال أحمد بن يوسف وقد كنت لما أبطأ
المأمون عن مجلس الشرب عرفت الصورة ، فلما استدعانى جئت وقد لبست
ثياب العمل ومحيت ثياب المنادمة ، فلما سئل ابراهيم ذلك بمثل ذلك المجلس
علمت أن الصوت قد ذكره ، فأقبل عليه ابراهيم بوجه ضيق وقلب ثابت
فقال يا أمير المؤمنين : لست اخلو من أن أكون عندك عاقلاً أو جاهلاً ،
فإن كنت جاهلاً فقد سقط حق اللوم من الله تعالى ثم منك . وإن كنت
عاقلاً فيحسن أن تعلم أنى قد علمت أن محمداً أخاك مع أمواله وذخائره
وأموال والدته وكثرة ضياعها وصنائعها والأعمال التى كانت في يده وارتفاعها
ومحبة بنى هاشم له لم يثبت لك وهو خليفة وأنت أمير من أمرائه ، فكيف
أثبت أنا لك وأنا فى قوم أكثر رزق الرجل ثلاثون درهماً فى الشهر وقد
غلبنى على بغداد بن أبى خالد العباد وأصحابه يقطعون ويضربون ويمسسون
ويطلقون ، والله جل شأنه ، وحق رسول الله وحق جدى العباس ما دخلت
فيما دخلت فيه إلا لأبقى هذا الأمر عليك وعلى أهل بيتك لما رأيت الحسن
ابن سهل قد حمله البطر والرفض على أن يخرج الخلافة عنك ، فاردت ضبط
الأمر إلى أن أتقدم فتسلمته . قال : فرأيت المأمون وقد اصفر وجهه فقال

على بيناء الخادم . فاحضر فقال رقعة سلبتها اليك بمرور قبلي رحيلي عنها وأمرتك بحفظها فماتها فمضى وجاء بسفط ففتحها وأخرج منه الرقعة فإذا مكتوب بخط المأمون لئن أظنم في الله عز وجل بابراهيم بن المهدي لأسأله بحضرة الأولياء والخاصة من أهل بيتي وأجنادي عن السبب الذي دعاه إلى الخروج على فان ذكر أنه إنما أراد بذلك حفظ الأمر على أهل بيتي لما جرى في أمر علي بن موسى لأخلى سبيله ولأحسن اليه ، ولئن ذكر غير ذلك من العذر كائنا ما كان لأضرب عنقه . قال أحمد بن يوسف : ولم يكن بحضرته كاتب غيري فدفعها إلى وقال يا أحمد ادفعها اليه . ثم قال يا عم خذ برأيتك من أحمد وعد إلى مجلسك الذي خلعتك فيه . قال فسلمنا الرقعة اليه وعدنا إلى مجلسنا وموضعنا فطرح ابراهيم نفسه مغشيا عليه فما شعرنا إلا بالمأمون قد رجع بثياب بذلته فقمنا وجلس مجلسنا وقال : ارجعوا إلى ما كنا فيه وآتمنا يومنا ذاك .

* * *

وجدت في بعض الكتب ان كسرى ابرويز ركب يوما فرسه الشهبندر فتلكأ عليه فجذب عنانه فانقطع فأحضر صاحب السروج وقال : يكون عنان مثلي ضعيفاً ينقطع اضربوا عنقه . فقال أيها الملك : اسمع وانصف . قال : قل . قال ما بقاء جلدة تنازعها ملكان ملك الناس وملك الدواب . قال : زه . زه أطلقوا عنه وأعطوه اثني عشر ألف درهم وعفا عنه . وذكر محمد ابن عبدوس في كتابه قال . لما صار الرشيد إلى طوس واشتدت علمته اتصل خبره بالأمين فوجه بيكر بن المعتمر ودفع اليه كتاباً إلى الربيع بن الفضل واسماعيل بن صبيح وغيرهما يأمرهم بالقول إلى بغداد إن حدثت الحادثة بالرشيد والاحتياط على مائ الخزان وحمله ، وقد كان الرشيد جدد الشهادة للمأمون بجميع ما في عسكره من مال وأثاث وخزن وكراع وغير ذلك فلما ورد بكر بن المعتمر أوصل كتباً ظاهرة كانت معه بعبادة الرشيد ، وكانت الكتب الباطنة مخفاة فاتصل خبرها بالرشيد فأحضره وطالبه بالكتب الباطنة فجحدتها . قال : فدكر عبيد الله بن عبد الله بن طاهر . قال : حدثني أبي قال :

كنت مع الرشيد بطوس لما نقلت علمته وقد ورد بكر بن المعتمر والمأمون حينئذ عمرو ، وقد ظفر الرشيد بأخى رافع بن الليث . فأحضر ذلك اليوم ومعه قرابة له فخلع الرشيد على بكر وصرفه إلى منزله . ثم أمر بإحضاره ومطالبته بالسكتب فجعلها فأمر بحبسها ثم جلس الرشيد مجلساً عاماً في مضرب خز أسود ، استدارته أربعمائة زراع ، قبابه مغطاة بخز أسود وهو جالس في فارة خز أسود في وسط المضرب ، والعمد كلها سود وقد جعل مكان الحديد فضة ، والآوناد والحبال كلها سود وعليه جبة خز سوداء وعليه فتك قد استشعره لما هو فيه من شدة البرد والعلة ، وفوقها دراعة خز أسود مبطنة بفتك وقلنسوة طويلة وعمامة خز سوداء وهو عليل لما به وخلف الرشيد خادم يمسكه لئلا يتميل يبدنه ، والفضل بن الربيع جالس بين يديه فقال للفضل : مريبكرا باحضار مامعه من السكتب السرية فأنكرها وقال : ما كان معي إلا السكتب التي أوصلتها . فقال للفضل : تودعه وأعلمه أن لم يفعل قتلته فأقام ينكر وقال : ما كان معي إلا السكتب التي أوصلتها . فقال الرشيد بصوت قنبوه . فتجى بكر وجىء بالقنب وقنب من قرنه إلى قدمه . قال بكر : فأيتنت بالقتل ويئست من نفسي وعملت على الاقرار فأنا على ذلك حتى أحضر هارون أخى رافع وقرابته الذين كانوا معه وقال أيتوهم رافع أنه بغلبنى والله لو كان معه عدد نجوم السماء لألتقطهم واحداً بعد واحد حتى أقتلهم عن آخرهم . فقال الرجل : الله الله يا أمير المؤمنين فإن الله تعالى يعلم ، وأهل خراسان أنى برىء من أخى منذ عشرين سنة ملازم مسجدي فاتق الله تعالى فى وفى هذا الرجل . فقال له قطع الله لسانك . فسكت فقال : أخى الثالث أنت والله منذ كذا وكذا تدعو الله تعالى بالشهادة قلباً ولساناً على يدي أشر خلقه أخذت في الاعتذار فاعتناظ الرشيد وقال : على بجزارين فقال له قرابتى يا هارون . إفعل ما شئت . فانا نرجو أن نكون نحن وأنت بين يدي الله تعالى فى أقرب مدة فتعلم كيف يكون حالك . فصاح وأمر الجزارين بهما فقطعا عضواً عضواً فوالله ما فرع منهما حتى توفى الرشيد . فقال بكر وأنا أتوقع القتل بعدهما (١٧ - الفرج - أول)

حتى أتاني غلام لأبي العتاهية قد بعث به مولاه ، وكتب في راحته شيئاً
أرانيه فإذا هو :

هي الأيام والعبر وأمر الله ينتظر
أتى أن ترى فرجاً نأين الله والقدن

فوثقت بالله ، وقويت نفسى . ثم سمعت واعية لا أفهم معناها فإذا
الفضل بن الربيع قد أقبل إلى فقال : حلوا أبا حامد ليس هذا يكفينى فحلت
ودعالي بخلع فجعلت على ثم قال : أعظم الله أجرك فى أمير المؤمنين وأخذ
بيدى ، وأدخلنى بيتاً فإذا الرشيد مسجى فيه ، وكشفت عن وجهه فلما رأيته
ميتاً سكنت . فقال : هيه هات الكتب الباطنة اتى معك ، وكنت اتخذت
صندوقاً للطبخ قد ثقت قوائمه . وجعلت الكتب فيها ، وجعلت الجلد
فوقها ، فشق الجلد وكسرت القوائم وسلمت الكتب إلى أصحابها ، وأخذت
الأجوبة وانصرفت . قال مؤلف هذا الكتاب : وقد أتى أبو الحسين القاضى فى
كتابه بهذين البيتين لأبي العتاهية ، ولم يذكر القصة وزاد بين البيت الأول
والبيت الثانى بيتاً ، وهو هذا :

~ ~ ~

فلا تجزع وإن عظم البلاء ومسك الضر

حدثنى إبراهيم بن على النصيبى المتكلم قال : جماعة من أهل نصيبين : إنه كان
بها أخوين ورثا عن أبيهما مالا جليلا ، فاقتسماه وأسرع أحدهما فى ائماق
حصته فلم يبق له شيء حتى احتاج إلى مائى أيدى الناس ، وثمر الآخر حصته
فزادت وعرض له سفر فى تجارته . فجاءه أخوه الفقير فقال يا أخى : إنك
تحتاج إلى أن تستأجر غلاماً فى سفرك ، وأنا أحتاج أن أخدم الناس فاجلبنى
بدل غلام تستأجره ، فيكون ذلك أصون لى ولك . فلم يشك الأخ أن أخاه
قد تأدب ، وأن هذا أول إقباله ، وآثر أن يصون أخاه ، ورق عليه فأحذه
معه . فسكان للأخ الغنى حمار يركبه ، وقد استأجر بغالا لأحماله فركب أخوه
أحدها والمسكارى أحدها ، وساروا فلما استتم بهم السفر حصلوا فى جبل فى
الطريق فيه عين ماء فقال الأخ الفقير للأخ الغنى لو نزلت هاهنا وأرشنا
دوابنا وسقيناها من هذا الماء وأكلنا ثم ركبنا . فقال : افعل فنزل التاجر

على باب الكهف الذى فى الجبل وأدخل متاعه اليه وبسط السفرة لياكل ،
وأخذ أخوه الفقير والمكارى الدواب ومضيا ليسقيها وانتظر التاجر أخاه
والمكارى فاحتسبا طويلا . ثم جاء أخوه وحده وشد الدواب فقال له :
أين المكارى ؟ فقال له : قد أقام فى الجبل . فقال له : تعالى نأكل . فتركه
وهضى ، ثم عاد يسعى اليه ويده أحجار يرميه بها ويقول لأخوه : استكشف
يا ابن الناعلة . فقال : ويحك مالك ماتريد ؟ فقال : أريد قتلك يا ابن الفاعلة
أخذت مال أبى وعملت تجارة لك ، وجعلتني غلامك قال ورفسه فألقاه على
ظهره ثم أوثق كتافا ، وأثمنه ضرباً بالحجارة وشجا وصاح الرجل فلم يجبه
أحد فترك أخوه الفقير على صدره ، وأخرج من وسطه سكيناً عظيماً فى قراب
لها ليزججه فرام استخرجها من القراب فتعسرت عليه فقام عن صدر أخيه
وعلى يده اليسرى السكين فى قرابها ، وجذبها بيده اليمنى وقد صار القراب
من خلفه فخرجت السكين بحمىة الجبدة فذبحت فوق وقع يخور فى دمه وينزف
إلى أن مات ، وجنت يده على السكين بعد موته ، وهى فيها وحصل على تلك
الصورة وأخوه الغنى مشدود لا يقدر على الحركة والسفرة منشورة والطعام
عليها ، والدواب مشدودة . فأقام على تلك الصورة بقية يومه وليلته وقطعة
من غد فاجتازت قافلة على المحجة ، وكان بينها وبين الكهف بعد فأحست
البغال بالدواب المجتازة ، ونهق الحمار وجذب الرسن وجذبت البغال
أرسانها فقلعت وعادت تطلب الدواب القادمة فلما رأى أهل القافلة دواباً
غائرة ظنوا أنها تقوم قد أسرهم اللصوص ، وكانوا فى منعة فتسارعوا إلى
البغال فلما قصدوها رجعت تطلب موضعها وتبعها قوم من أهل القافلة فأنتهوا
إلى التاجر ، وشاهدوه مكتوفاً والسفرة منشورة والأخ مذبحوا ويده السكين
فشاهدوا عجباً واستنطقوا الرجل فأومأ اليهم أنه لا قدرة لى على الكلام فخلوا
كتافه وسقوه ماء ، وأقاموا عنده إلى أن أفاق ، وقدر على الكلام وأخبرهم
الخبر فطلبوا المكارى فوجدوه غريقاً فى الماء قد أغرقه الأخ الفقير فحملوا
ثقله لما حار على بغله ، وأركبوه حمارة وسيره معهم إلى المنزل ، وحدثني
ابراهيم ابن على النصيبى قال : حدثني ابراهيم بن على الصفار شيخ كان جارا

لنا بنصيبين قال : خرجت من نصيبين بسيف نفيس كنت ورثته عن أبي
أقصد به عباس بن عمرو السلمي أمير ديار ربيعة ، وهو براس العين لأهديه
له ، واستجديه بذلك ، فصحبني في الطريق شيخ من شيوخ الأعراب
فسألني عن أمري ، فآنست به فحدثته الحديث ، وكنا قد قربنا من العين
فدخلناها واقترقنا ، وكان يجيئني ويرايني ، ويظهر لي أنه مسلم على وأنه
يبرني بالقصد ويسألني عن حالي ، فأخبرته أن الأمير قبل هديتي وأجاز لي
بألف درهم وثياب ، ولاني أريد الخروج يوم كذا وكذا . فلما كان ذلك
اليوم خرجت عن البلد راكباً حماراً ، فلما أحمرت إذا بالشيخ على دويبة
ضعيفة متقلداً سيفاً ، فحين رأيته استربت منه وأنكرته ، ورأيت الشر في
عينيه ، فقلت : ما تصنع هاهنا ؟ فقال : قضيت حوائجي وأريد الرجوع ،
وصحبتك عندي أثر من صحبة غيرك . فقلت : على اسم الله تعالى ، وما زلت
متحذراً منه وهو يجتهد أن ادنو منه فلا أفعل ، وكلما دنى مني بعدت عنه إلى
أن سرنا شيئاً يسيراً ، وليس معنا ثلث فقصر عني ، واحتثت الحمار لأفوته فما
حسيت إلا بركضة فالتفت فإذا هو قد جرد سيفه ، وقعدني فرميت بنفسي
عن الحمار وعدوت ، فلما خاف أن أفوته صاح : يا أبا القاسم إنما مزحت
معك فلم ألتفت إليه ففرع دابته وزاد في التحريك ، وبان لي ناووس فطلبته ،
وكاد الأعرابي يلحق بي فدخلت الناووس ووقعت وراء باب . قال : ومن
صفات تلك النواويس أنها مبلية بالحجارة ، وباب كل ناووس حجر واحد
عظيم قد نقروا جنف وملس فلا تستمكن اليد منه ، وله في وجهه حلقة وليس
من داخله شيء تتعلق اليد به وإنما يدفع من خارجه فينفتح فيدخل إليه وإذا
خرج منه وجذبت الحلقة انغلق الباب وتمكن اردامه من ورائه فلم يتمكن
فتحه من داخل قال فحين دخلت الناووس وقعت خلف بابي ، وجاء الأعرابي
فشددابته في حلقة ، ودخل يريدني مخترطاً سيفه والناووس مظلم فلم يرني ومشى
إلى صدر الناووس فخرجت أنا من خلف الباب وجذبتته معي حتى صار الباب
مردوداً وحصلت الحلقة في ردة هناك وحللت الدابة وركبتها وجاء الأعرابي
إلى باب الناووس فرأى الموت عياناً فقال : يا أبا القاسم اتق الله في أمري

فاننى أتلف قلت له تتلف أنت أهون من أن أتلف أنا . قال فاخرجنى وأعطيك أماناً واستوثق منى بالإيمان أنى لا أتعرض لك بسوء أبداً واذكر الحرمة التى بيننا . قلت : لم ترعها أنت وإيمانك فاجرة لا أثق بها فى تلف نفسى فأخذ يكرر الكلام . فقلت لا تهذى هو ذا اركب دابتك واجنب حمارى والوعد بيننا بعد أيام هاهنا ، فلا تبرح حتى أجي وإن احتجت إلى طعام فعليك بحيف العلوج فنعم الطعام لك وأخذت ألحوا به فى هذا القول وأخذ يبكى ويستغيث ويقول قتلتنى والله . فقلت : إلى لعنة وركبت دابته وجنبت دابتي ووجدت على دابته خرجا فيه ثياب يسيرة فجئت إلى نصيبين فبعث الثياب وكانت دابته شهباء فصيرتها أدهم وبعثه لئلا يعرف صاحبه فأطالب بالرجل وانفق أنه اشتراه رجل من المحتاجين وكفيت أمره وانكتمت القصة . فلما كان أكثر من سنة عرض لى خروج إلى رأس العين فخرجت فى ذلك الطريق فلما لاح لى الناووس تذكرت فقلت اعدل إلى الناووس وانظر إلى ماصار إليه أمره فجئت اليه فاذا بابه كتر كته وفتحته ودخلته فإذا أنا بالاعرابى وقد صار رمة فلا زلت أحمد الله عز وجل على السلامة ثم حركته برجلي وقلت على سبيل العبث ما خبرك يا فلان فإذا بصوت شيء يتخشخش ففقدته فاذا هيمان فأخذته وأخذت سيفه وخرجت وفتحت الهميان فإذا فيه خمسائة درهم وبعث السيف بعد ذلك بجملته دراهم .

* * *

حدثنى أبو المغيرة محمد بن يعقوب بن يوسف الشاعر البصرى قال حدثنى أبو موسى عيسى بن عبد الله البغدادى . قال : حدثنى صديق لى قال : كنت قاصدا الرملة وحدى وما كنت دخلتها قط فانهيت إليها وقد نام الناس ليلا فعدلت إلى المقبرة ودخلت بعض القباب التى على القبور فطرحت درقة كانت معى واتكأت عليها وعلقت سيفى واضطجعت أريد النوم لأدخل البلد نهرا فاستوحشت من الموضع وأرقت فلما طال أرقى أحسست بحركة فقلت لصوص يجتازون وإن تصديت لهم لم آمهم ولعلمهم يكونون جماعه ولا أطيعهم فاعزلت بمكانى ولم أتحرك وأخرجت رأسى من بعض أبواب القبة على

تخوف منى شديد فرأيت دابة كالذئب تمشى فأخنيتم نفسي فاذا بها قد قدسدت
قبة حيمالى فما زالت تتلفط طويلا وتدور حوالىها ثم دخلتها فارتبت وأنكرت
أمرها وتطلعت نفسي إلى علم ماهى . ثم دخل القبة وخرج غير مطيل ثم جعل
ينظر ثم دخل وخرج بسرعة ثم دخل وعينى اليه فضرب بيده إلى قبر فى القبة
يبحرته فقلت نباش لاشك فيه وتأملتته يحفر بيديه فعلمت أن فيها آلة من حديد
يحفر بها فتركته إلى أن اطمأن وأطال وحفر شيئا كثيرا ثم أخذت سيفى
ودرقتى ومشيت على أطراف أناملى ودخلت القبة فأحس بى فقام إلى بقامة
إنسان وأومىء إلى ليلطمنى بكفيه فضربت يده بالسيف فأبتهها وطارت فقال :
أواه قتلتنى لعنك الله وعدا من بين يدى وعدوت خلمه وكانت ليلة
مقمرة حتى دخل البلد وأنا أراه ولست ألحقه إلا أنه بحيث يقع بصرى عليه ،
إلى أن اجتاز بى فى طرق كثيرة وأنا فى حلال ذلك أعسم "طريقين مثلا
أضل حتى جاء إلى باب فدفعه ودخل فأغلقه وأنا اسمع فعلت الباب ورجعت
أففوا أثرى والعلامات التى علمتها فى طريقى حتى انتهيت إلى نقبة التى كان
فيها النباش ، وطلبت الكف فوجدتها فأخرجتها إلى القمر فوجدت جهدا تزعجت
الكف المقطوعة من آلة حديد مصنوعة على شكل الكف وتأملت الكف
فوجدت فيه نقش حنا وخاتمان من الذهب وهى أحسن كنف فى الدنيا
نعومة ورطوبة وسمنأ وملاحة فاغتممت ومسحت الدم منها ونمت فى القبة
التى كنت فيها ودخلت البلد من الغد أطلب العلامات حتى انتهيت إلى الباب
وسألت لمن الدار فقالوا لقاضى البلد فاجتمع إليها خلق كثير وخرج منها
رجل بهى فصلى بالناس وجلس فى المحراب فازداد عجبى من الأمر وقلت
لبعض الحاضرين بمن يعرف هذا القاضى ؟ فقال بفلان فأطلت الحديث
فى معناه حتى عرفت أنه له ابنة عاتقا وزوجة فم أشك أن الماتة ابنته
فتقدمت اليه فقلت يبنى وبين القاضى أعزه الله حديث لا يصلح إلا على حوة
فقام ودخل المسجد وخلا بى . وقال قل : فأخرج الكف وقد أعرف
هذه فتأما طويلا فقال أما الكف فلا ، وأما الخواتم فخواتم سعة لى مانى
فما الخبر فقصصت عليه القصة بأسرها فقال : قم معى وأدخلنى بيده وأعدنى

الباب واستدعى طبّقاً وطعاماً فأحضر واستدعى امرأته فقال له الخادم
تقول لك كيف تخرج ومعه رجل غريب؟ فقال لا بد من خروجها تأكل معنا
فهذا لا تحتشمه، فأبت عليه فحلف بالطلاق لتخرجن. قال: فخرجت وهي
باكية. جلست معنا. فقال لها: أخرجي ابنتك. فقالت له: يا هذا جئت
فما الذى حل بك قد فضحتنى وأنا امرأة كبيرة فكيف تهتك صبية عاتقاً
فحلف بالطلاق لتخرجنها، فخرجت. فقال لها: كلى معنا، فرأيت صبية
كالدينيا مليحة ما لمحت مقلتاى أحسن منها إلا أن لونها قد اصفر جداً وهى
مريضة فقلت إن ذلك لنزف الدم من يدها فأقبلت يمينها وشمالها مخبأة.
فقال: أخرجى يدك اليسار. فقالت: قد خرج بها خراج عظيم وهى
مشدودة، فحلف لتخرجها فقالت امرأته يارجل استر على نفسك وابنتك.
فوالله وحلمت بأيمان كثيرة ما أطلعت لهذه الصبية على سوء قط إلا البارحة
فإنها جاءتني بعد نصف الليل فأيقظتني فقالت يا أمى الحقينى وإلا تلفت
فقلت ما بالك. فقالت: قد قطعت يدى وهو ذا نزف الدم والساعة أموت
فعالجينى وأخرجت يدها مقطوعة فلطمت فقالت لا تفضحينى ونفسك
بالصياح عند أبى والجيران وعالجينى. فقلت: لا أدرى بما أعالجك. فقالت
اغلى ريتا وأكوى يدى به ففعلت ذلك وكويتها وشددتها، فقلت الآن
خبرينى مادهاك فامتنع، فقلت والله لئن لم تحدثنى لأكشفن أمرك لأبيك.
فقالت: إنه قد وقع فى نفسى منذ سنين أن أنبش الموتى فتقدمت إلى هذه
الجارية فاستترت لى جلد ماعز بشعره واستعملت كفأ من حديد فكنت إذا
نمتم أفتح الباب وأمرها أن تنام فى الدهليز ولا تغلق الباب فألبس الجلد
والكف الحديد وأمشى على أربع فلا يشك الذى يرانى من فوق سطح أو
غيره أنى كلب ثم أخرج إلى المقبرة وقد عرفت من النهار خبر من يموت من
الجلّة والمياسير وأين دفن فأقعد قبره فأبشبه وأخذ الأكفان وأدخلها معى
فى الجلد وأمشى مشيتى وأعود والباب غير مغلق فأدخل وأغلقه وأزعر
تلك الآلة فأدفعها إلى الجارية مع الكف فتأخذه وتخفيه فى بيت لا تعلمون
به. قد اجتمع عدد ثلثمائة كمن أو ما يقاربها لا أدري ما أضع بها إلا أنى

كنت أجد لذلك الخروج لذة لاسبب لها أكثر من أن أصابتي هذه المحنة فلما كانت الليلة سلط على رجل أحس بـ كأنه كان حارساً لذلك القبر فقامت لأضرب وجهه بالكف الحديد فيشتغل عني وأعدوا فداخلى بالسيف ليضربني فتوقيت الضربة بشمالي فأباد كفى . فقلت لها أظهرى انه قد خرج على كفك خراج وتعالى فإن الذى يرى ما بك من الصفار يصدق قولك فإذا مضت أيام قلنا لأليك ان لم يقطع يدك خبت جميع جثتك وتلف فيأذن لنا فى قطعها فتظهر أنا قطعناها ويشيع الخبر حينئذ ويستتر أبوك فعملنا على هذا بعد أن استتبناها فتأبى وحلفت بالله لا عادت ، وكنت عولت على أن أبيع الجارية هذه وأراعى مييت الصبية وأيئتها إلى جاني فغضبتها ونفسك . قال : فقال لها القاضى فما تقولين . قالت : صدقت أمى ووالله لا عدت أبداً وتبت إلى الله . فقال لها القاضى هذا صاحبك الذى قطع يدك فكادت تتلف جزعا ، ثم قال لي يا فتى من أين أنت ؟ قلت من العراق . قال فقيم وردت قلت أطلب الرزق قال قد جاءك حللاً طيباً نحن قوم مياسير والله علينا نعمة وستر فلا تنغص النعمة ولا تهتك السترك أزوجك ابنتى هذه وأغنيك بمالى عن الناس وتسكون معنا فى دارنا . قال نعم فأمر ثم خرج إلى المسجد والناس يحتمعون ينتظرونه فخطب وزوجنى وأقعدنى فى الدار ووقعت الصبية فى نفسى حتى كدت أموت عشقاً لها فافترعتها وأقامت شهوراً معى وهى نافرة منى وأنا أوأنسها وأبكى حسرة على يدها وأعتذر اليها وهى تظهر قبول عذرى وأنا الذى بها غمما على يدها يزيد حنقا على إلى ان نمت ليلة واستأنست فى نومى على رسمى فاحسست بشقل شديد على صدرى فالتقيت جزعا فإذا هى باركة على صدرى وركبتها على يدي مستوثة منهما وفى يدها موسى وقد أهوت لتذبحنى فاضطربت ورمت الخلاص وتعذر وخشيت أن تبادرنى فسكت وقلت لها كلمينى واعمل ما شئتى فقالت : قل . قلت ما يدعوك إلى هذا ؟ قالت أظننت تقطع يدي وتمتكنى ويتزوجنى بذلك وتنجرا سالماً والله لا كان هذا . فقلت أما الذبح لقد فانتك ولكنك تتمكنين من جراحات توقيعهما

في ولا تأمنين أن أفلت فأذبحك وأهرب أو أكشف هذا عليك ثم أسلمك إلى السلطان فتتكشف جنيتك الأولى والثانية ، ويتبرأ منك أبوك وأهلك وتقتلين فقالت : أفعل ما شئت لا بد من ذبحك ، وقد استوحش كل منا من صاحبه فنظرت فاذا الخلاص منها بعيد ولا بد من أن تخرج الموضع فيكون فيه تلقى فقلت : الحيلة اعمل فيها فقلت لك غير هذا ؟ فقالت : قل . قلت : أطلقيني وأنا أطلقك الساعة وتخرجين عني فأخرج غدا عن البلد فلا أراك ولا تريني ، ولا ينكشف لك حديث في بلدك ، ولا تنفضحين وتزوجين من شئت فقد شاع أن يدك قطعت بخراج خبيثة ، وترجمين الستر . قالت : لا أفعل حتى تحلف لي أنك لا تقيم في البلد ولا تنفضحين أبدا ، وتعجل لي بالطلاق . فطلقتها ، وحلفت أني أخرج ولا أفضحها بالآيمان المغالطة فقامت عن صدرى تعدو خوفا من أقبض عليها حتى رمت المومسي حيث لا أدري وعادت وأخذت تظهر أن الذي فعلته مزاح وتلاعبني فقلت : اليك عني فقد حرمت علي ، ولا يحمل لي ملاستك ، وفي غدا أخرج عنك . فقالت : الآن علمت صدقك ، والله إن لم تفعل لا نجوت من يدي فقامت فجاءتني بصرة ، وقالت : هذه مائة دينار خذها نفقة لك واكتب رقعة طلاق ، واخرج غدا فأخذت الدنانير وخرجت سحرة ذلك اليوم بعد أن كتبت إلى أبيها أني طلقها ، وأنى خرجت حياء منه ، ولم ألتق معهم أبدا . وحكى محمد بن بديع العقيل قال : رأيت رجلا من بني عقيل في ظهره كله شرط كشرط الحجام إلا أنها أكبر فسألته عن سبب ذلك فقال : إني كنت هويت ابنة عم لي ، وخطبتها فقالوا لي : لا تزوجك إلا أن تجعل الشبكة صداقها ، وهي فرس سابقة كانت لبعض بني بكر بن كلاب فتزوجتها على ذلك ، وخرجت أحتال في أن أسل الفرس لأتمكن من الدخول بابنة عمي فأتيت الحى الذى فيه الفرس بصورة مجتاز مقتر إلى أن عرفت مربط الفرس من الحيا . ورأيت لهم مهرة فاحتلت حتى دخلت البيت من كسره وحصلت خلف النضد تحت عنن لهم كابوا ذنشوه ليغزل فلما جاء الليل وفى صاحب البيت ، وقد أصلحت له المرأة عشاء فجعل ياكلان وقد استحكمت الظلمة ولا مصباح لهم ، وكنت ساغياً فأخرجت يدي وأهويت إلى القصعة

وأكلت معهم فأحس الرجل يدي ، وأنكرها وقبض عليها فقبضت على يد المرأة يدي الأخرى فقالت له المرأة : مالك يدي . فظن أنه قابض على يد المرأة فغلى يدي فخلت يد المرأة وأكلنا ثم أسكرت المرأة يدي فقبضت عليها فقبضت على يد الرجل فقال لها : مالك فخلت عن يدي وخلت عن يده وانقضى الطعام ، واستلقى الرجل ونام . فلما استيقظ وأما مرادهم والفرس مقيد في جانب وابنتها في البيت غير مقيدة ، ومفتاح قيد الفرس تحت راس المرأة فوأنى عبد له أسود فنبذ حمالة وانتبهت المرأة وقامت إليه ، وتركت المفتاح في مكانها ، وخرجت من الخبا إلى ظهر البيت ورمقتها بعيني فإذا هو قد علاها ، فلما حصل في شأهما دبت فأخذت المفتاح وفتحت القفل ، وكان معي لجام شعر فأوجرته الفرس وركبتها وخرجت عليها من الخبا فقامت المرأة من تحت الأسود فدخلت الخبا ثم صاحت وذعر الحى فصاحوا وأحسوا بى ، فركبوا في طلي وأنا أكد الفرس وخلقني خلق منهم فأصبحت ولست أرى إلا فارسا واحدا يرمح فلحقني وقد طلعت الشمس فأخذ يقطعني فلم يصل طعنه إلى أكثر مما تراه في جلدي لا فرسه تلحق بى فيتمكن طعنه منى ، ولا فرسى يبعث بى إلى حيث لا يمسنى الرمح حتى وافينا إلى نهر جرار فصحت بالفرس فوثبتها . وصاح الفارس بفرسه فلم يشب فلما رأيت عجزها عن العبور نزلت عن فرسى لأستريح وأريحها فصاح بى الرجل وقال : يا هذا أنا صاحب الفرس الذى تحتك وهذه ابنتها فإذا قد أخذتها فلا تمد عنها فانها تساوى عشر ديات وعشر دبات وما طالبت عليها شيئا قط إلا لحقته ولا طلبنى أحد عليها إلا فاتته ، وإنما سميت الشبكة لأنها لم تر شيئا إلا أدركته فكانت كالشبكة فى التعلق به فقلت : إما إذا بصحتى والله لا يصحك ولا أكذبك إنه كان من صورتي البارحة كيت وكيت حتى قصصت عليه قصة امرأته والعبد وحيلتى في الفرس . فأطرق رأسه ساعة ثم قال . لا جزاك الله من طرف خيرأ أخذت فرسى وقتلت عبدى وطلقت ابنة عمى . وحكى رجل من الجند قال : خرجت من بعض بلدان الشام وأنا على دابتي وخرج لى فيه

ثياب ودنانير . فلما سرت عدة فراسخ لحقنى المساء ، فاذا بدير عظيم فيه راهب فى صومعة فنزل واستقبلنى ، وسألنى المبيت عنده . وأن يعينى ففعلت فلما دخلت الدير لم أجد فيه غيرى ، فأخذ دابى وطرح لها شعيراً ، وعزل رحلى فى بيت ، وجاءنى بما جاد ، وكان الزمان شديد البرد ، وأوقد بين يدى ناراً ، وجاءنى بطعام طيب من أطعمة الرهبان . فأكلت ونبيذ فشربت ، ومضت قطعة من الليل فأردت النوم . وقلت أدخل المستراح فسأته عنه فدلنى على طريقه ، وكنا فى غرفة فمشيت فلما سرنا على باب المستراح فاذا بادية مطروحة فلما صارت رجلاى عليها خلت ونزلت ، فاذا أنا فى الصحراء وإذا البادية كانت مطروحة على غير سقف ، وكان الثلج سقط تلك الليلة سقوطاً عظيماً فصحت ، وقدرت أن ذلك تم من غير قصد فما كلمنى فقامت ، وقد جرح بدنى إلا أنى سالم لم يمت وتظلمات بطارق باب الدير من الثلج فما وقعت فيه حيناً حتى رأيت فيه براج من فوق رأسى قد جاءنى منها حجارة لو تمكنت من دماغى لطحنته ، فخرجت أعدو وصحت به فشتمنى ففعلت أن ذلك من حيلته طمعاً فى رحلى ، فلما خرجت وقع الثلج على ففعلت أنى تالف إن دام ذلك فولد لى الفكر أن طلبت حجراً فيه ثلاثون رطلا فوضعت على عاتق وأقبلت أعدوا فى الصحراء وهو على عاتق شوطاً حتى إذا تعبت وحميت وجريت عرقاً طرحت الحجر وجلست أستريح ، فاذا نالنى البرد أخذت الحجر وعمدت حتى أبلغ خلف الحصن فأجلس من حيث يتبع لى أن الراهب لا يرانى ، فاذا أحسست بأن البرد قد بدا يأخذنى تناولت الحجر وسعيت من الدير إلى ذلك الحصن ، وأنا على هذا إلى الغداة . فلما كان قبل طلوع الفجر ، وأنا خلف الدير سمعت بمحركة بابه فتخفيت فاذا بالراهب قد خرج فجاء إلى موضع سقوطى فلما لم يرنى . قال وأنا أسمعه : يا قوم ما فعل المشؤم ؟ أظنه قد رأى بقره قرية فقام يمشى إليها كيف أعمل فأتى سلمه . وأقبل يمشى يطلب أثرى فخالفته أما إلى باب الدير ، وكان فى وسطى سكين فوقعت خلف الباب فطاف ولم يعد فلما لم ير لى أثر أعاد ودخل ، فحين بدأ برد الباب ثرت به ففصمت عليه . وجاءته بالسكين وصرعته فذبحته وأغلقت باب الحصن ، وصعدت الغرفة فاصطلمت

بنار كانت موقدة ، ودفيت وطرحت عنى تلك الثياب ، وفتحت خرجى فلبست منه ثياباً ، وأخذت كساء الراهب ونمت فيه إلى العصر ثم انتبهت ، وأما سالم غير منكر شيئاً من نفسى ، فطمنت بالدير حتى رأيت طعاماً فأكلت وسكنت نفسى ، وظفرت بمفاتيح بيوت الحصن فى يدى فأقبلت أفتح بيتاً بيتاً فإذا أنا بمال من عين وثياب وآلات ورحلات أقوام واخراجهم ، وإذا عادته كانت هكذا مع كل من يجتاز به منفرداً فلم أدر كيف أعمل فى نقل المال وما وجدته فلبست ثياب الراهب ، وأقمت فى موضعه أياماً أترأى لمن يجتاز بى من بعد فلا يشكون فى أنى هو ، وإذا قربوا لم أبرز لهم وجهى إلى أن خفى لهم خبرى ثم نزع تلك الثياب ، وأخذت جواليقاً فلأتها مالا وجعلتها على الدابة ، ومشيت وسقت إلى أقرب قرية ، واكتريت فيها منزلاً ، ولم أزل أنقل إليه كلها وجدته حتى لم أدع شيئاً له قدر إلا حصلته فى القرية ثم أقمت إلى أن انفقت لى قافلة ، وحملت من تلك الأمتعة كل ما قدرت عليه ، ورفعته إلى المحمل ، وسرت فى قافلة عظيمة لنفسى بغنيمة هائلة حتى قدمت بلدى . وقد حصلت لى عشرات ألوف دراهم ودنانير وسلمت من الموت .

حدثنى أبو القاسم عبد الله بن محمد بن الحسين العبقي الشاعر قال : كان لأبى مملوك يسمى مقبل فأبق منه . ولم يعرف له خيراً سنين كثيرة ، ومات أبى وتغربت عن بلدى ، ووقعت إلى نصيبين ، وأنا حدث فينبها أنا مجتاز يوماً فى سوقها وعلى لباس فاخر ، وفى كمى منديل فيه دراهم كثيرة رأيت غلاماً مقبلاً فحين رآنى انكسب على يدى فقبلها وأظهر سروراً شديداً بى ، وأقبل يسألنى عن أبى وأهلنا فأعرفه موت من مات وخبر من بقى ثم قال لى : ياسيدى متى دخلت لى هاهنا ، وفى أى شيء ؟ فعرفته . فأخذ يعتذر من هربه منا ثم قال : أنا مستوطن هاهنا ، وأنت مجتاز فلو أنعمت على وجشت فى دعوتى فانى أحضر لك نبيذاً طيباً وغذاء حسناً . فاعتزرت به وبالصبأ ، ومضيت معه حتى بلغ بى إلى آخر البلد ، وإلى دور خراب ثم انتهى إلى دار عامرة مغلقة الباب فدقته ففتح له ، ودخل فدخلت ، وحين حصلت الدهليز أغلق الباب بسرعة واستوثق منه فتشكرت لذلك ودخلت الدار فإذا أنا بثلاثين رجلاً بالسلاح

وهم جلوس على بادية فلم أشكك في أنهم لصوص ، وأيقنت بالشر وبادرتني أحدهم يلطمني ، وقال : انزع ثيابك . فطرحت كل ما كان علي حتى بقبت بالسراويل . فخلوا الدراهم التي كانت معي ، وأعطوا مقبلا شيئا منها وقالوا : امض فهات بهذا ما نأكله فإننا جياع فطارت روحى فقال لهم الغلام : ما أمض أو تقتلوه . فقلت لهم يا قوم : ماذا تريدون حتى تقتلونى ؟ قد أخذتم ما معي ، ولستم تترثونى إذا قتلتمونى ، ولألى حال غير ما أخذتموه فالله الله فى . ثم أقبلت أستعطف مقبلا ، وهو لا يجيبنى ويقول لهم : إنكم إن لم تقتلوه ويفلت دل السلطان عليكم فقتلتكم كلكم قال : فوثب إلى أحدهم بسيف مسلول ، وسحبني من الموضع الذى كنت فيه إلى البالوعة لئلا يذبحنى ، وكان بقربى غلام أمرد فملقت به وقلت : يا قى ارحمنى وأجرنى فإن سنك قريب من سنى واستدفع البلاء من الله بخلاصى . فوثب الغلام وطرح نفسه على وقال : والله لا يقتل وأنا حى ، وجرد سيفه وقام فقام أستاذه لقيامه وقال : لا يقتل من أجاره غلامى ، واختلفوا وصار مع غلامه جماعة فانزعوني وجعلوني فى زاوية من البيت الذى كانوا فيه : ووقفوا بينى وبين أصحابهم وقال لهم رئيسهم . كفوا عن الرجل إلى أن ننظر فى أمره ، وشمتم مقبلا وقال : امض فهات ما نأكله فإننا جياع ، وليس يفوتنا قتله . فضى مقبل وجاءهم بما كول كثير ، وجلسوا يأكلون وترك جماعة منهم الأكل حراسة لى لئلا يغتالنى أحدهم إذا تشاغلوا بالأكل فلما أكلوا انفرد بعض من كان يتعصب لى بحراستى وأكل من لم يكن أكل منهم ثم أفضوا إلى الشراب فقال لهم : الآن قد أكلتم فترك هذا يؤدى إلى قتلكم فدعوا الخلاف فى أمره واقتلوه . فوثب من يريد قتلى ووثب الغلام ومن معه للمنع عنى ، وطال الكلام بينهم وأنا فى الزاوية ، وقد اجتمع إلى من يمنع قتلى . فصرت بينهم وبين الحائط ، إلى أن جرد بعضهم السيوف على بعض فقال لهم رئيسهم : هذا الذى أنتم فيه يؤدى إلى قتلكم والله رأيت رأيا فلا تحالفوه . فقالوا ماذا نأمرنا ؟ فقال : اغمدوا السلاح واصطلمحوا ونشرب إلى وقت نريد أن نخرج عن هذه الدار ثم نكتبه ونسدد فاه ، وندعه فى الدار ونصرف فانه لا يتمكن من الخروج وراءنا ، والصياح

علمينا إلى أن نصبح من غد فنمر على بلاد ولا يجرح بعضكم بعضا ولا تنصرف
كليةكم ، فقالوا هذا صواب وجلسوا يشربون وجاء الغلام ليشرّب معهم .
فقلت له : الله الله في فتمم ما قد عملت ولا تشرب معهم وتحرسنى لئلا يثب
على أحد منهم على غنلة فيضربنى ضربة يكون فيها تلف نفسى ثم لا تتمكن
أنت من ردها ولا تنفعنى أن تقتل قاتلى فرحنى وقال افعل ثم قال لأستاذك
أحب أن تترك شربك اليوم وتفعل كما أفعل فجاءا فجلسا قدامى وأنا فى الزاوية
أتوقع الموت ، ساعة فساعة . إلى أن حلت العتمة وقام القوم ، فتحزموا
ولبسوا ثيابهم وخرجوا وبقي الغلام وأستاذك فقالا لى يافقى قد علمت أنا
خدائنا دمك فلا تكافئنا بقبح وهو ذا نخرج ولا يحسن أن نكتبك واحذر
أن تصيح فأخذت أقبّل أيديهما وأرجلهما وأقول أيتها أحييتانى فكيف
أكافئكما بالقبيح فمالا قم معنا فقممت فنتشما الدار حتى علمنا أنه لم يختلف فيها
من يريد قتلى ثم قال لى يا هذا . قد أمنت فإذا خرجنا فاستوثق من الباب
ونم وراة فلا يكون إلا خيرا ، ثم خرجا ، فاستوثقت من غلق الباب .
ثم جزعت جزعا ، ولم أشكك فى أنه يخرج من تحت الأرض منهم من يقتلنى ،
وزاد على الجزع . وأقبلت أمشى فى الدار وأدعوا وأصبح إلى أن كذت
أتلف . وآنست باستمرار الوقت على السلامة ، فحملتنى عيني ونمت ، فلم
أحس إلا بالشمس وحرارتها على الباب . فقممت وخرجت أمشى عريانا
بسر اويل ، إلى أن حصلت فى الموضع الذى كنت أسكنه ، وما حدثت أحدا
بهذا الحديث مدة لبقية الفزع . ثم بعد انقضاء سنة أو قريب منها ، كنت
يوما عند صاحب الشرطة بنصيبين لصداقة كانت بينه وبين أبى ، فلم ألبث
أن حضر من عرفه عن عشور الطوف على جماعة من اللصوص بقرية سماها
من قرى نصيبين ، وقبضه على سبعة نفر منهم ، وفوت الباقي . فأمر
باحضارهم فوقع بصرى منهم على ذلك الغلام الذى أجارنى ذلك اليوم ،
وعلى أستاذك ثم على مقبل ، فأخذتنى رعدة تبينت فى وأخذ مقبل من بينهم
مثل ما أخذنى . فقال لى صاحب الشرطة مالك ؟ فقلت له : إن حديثى
لطويل . ولعل الله أراد بحضورى هذا المجلس سعادة نفر وشقاوة نفر .

فقال هات : فقصدت عليه قصتي مع القوم إلى آخرها ، فتعجب وقال هلا
شرحتهالى فيما قبل ، حتى كنت أطلبهم ؟ وأنتصف لك منهم . فقلت : إن
الفرع الذى كان فى قلبى منهم لم ييسط لسانى به . فقال : فمن الذى كان
معك من هؤلاء ؟ قلت : الغلام وأستاذه وواحد من الباقيين ، فأمر بحل كتابهم
وتمييزهم من بين أصحابهم ودعاهمقبل . فقال : ما حملك على ما فعلت بآبن أستاذك ؟
قال سوء الأصل ، وخبت العرق فقال لا جرم تقابل بهلك وأمر به فضرب
عنقه وأصحابه الباقيين ، ودعاهبالغلام وأستاذه وصاحبهما وقال لهما : لقد أحسنتما
فى دفعكما عن هذا الفتى ، والله يجزيكما عن فعلكما الخير ، فتوبا إلى الله من
فعلكما ، وانصرفا فى صحة الله مع صاحبكما ، ولا تعودا لما كنتم عليه من
التلصص . فقد مثلت عليكما لحسن صنعكما مع هذا الفتى ، فإن ظهرت
مذنبكما ثانياً ، ألحقتهكم بأصحابكم . فشكروه ودعوا له وانصرفوا وشكروه على
ما فعل والحمد لله على توفيق لقضاء حق من أجارنى والانتقام من ظلمنى ثم
صار ذلك الغلام وأستاذه من أصدقائى وكان يختلفان إلى

* * *

وحكى إبراهيم بن عبد السلام الهاشمى البصرى . قال : كان عندنا بالمريد
رجل من خول محمد بن سليمان الهاشمى وكان مؤثماً يسمى عياد ، وكان يحمل
السلاح فاجتمع يوماً مع قوم من الخول على شراب لهم ، فتيجاروا حديث
الشجاعة فعابوه بما فيه من التأنيث فخاطروهم فى شئ ، يعمل به بما يعرضون عليه
يبين به من شجاعته فقالوا له يخرج الساعة بغير سلاح إلى صهاريج الحجاج
فيدخل منها الصهرىج الفلانى ويسمر فى أرضه فى هذا الوتد ويعود وهذه
الصهارىج على أكثر من فرسخ من البصرة فى البرية وهى موحشة المكان خالية
يجتمع فيها المساء وكان الحجاج قد عملها لشرب أهل الموسم والقوافل . قال :
فأخبرنى عباد . قال : خرجت وليس معى إلا وتد ومطرقة حتى بلغت
الصهرىج الذى خاطرت عليه ، وكان أعظمها وأرخصها فدخلت وكان جافاً
وجلست وضربت الوتد بالمطرقة فى أرضه فطن الصهرىج فسمعت صلبة
شديدة وصوت سلسلة فقطعت الدق وانقطع الصوت وأعدت الدق فعاد

الصوت وظهرت حركة وأنا ثابت القلب أتأمل ولا أدري شيئا من الظلمة ، إلى أن أحسست بالحركة والصوت قد قربا مني ، وتأملت فإذا بشخص لطيف لا يشبه قدر خلعة الإنسان ، فاستوحشت وثبتت نفسي وأنا أدق والشخص يقرب مني فوثبت وألقيت نفسي عليه واستوثقت منه فإذا هو قرد في عنقه سلسلة ، فظننت أنه قد أفلت من قراد أو قافلة ، فسحبته فلان في يدي وآنس بي ، فأخذته على يدي وساعدى وجئت أريد باب الصهرج ، فلما بلغته سمعت كلاما غثثيت أن يكون بعض من يطلبني من العصبية هناك ، فوقفت أنسمع فإذا كلام امرأة مع رجل وهي تقول له : يا فلان ويحك ، أتقتلني ، أتذبحني ؟ أتبلغ بي الموت ، اتق الله . وهو يقول : الذنب كله لك ، وأنت أذنت لهم في أن يزوجوك ، ولوأيت ما قدر أبوك أن يزوجك ، وإنما فعلت به مللا بي وأنا تالف عشقا وأنت تتمنعين . والله لأذبحنك ، استكنفي يا ابنة الفاعلة . قال : فنظرت فإذا ظهره إلى باب الصهرج فصحت عليه صيحة عظيمة وضربت قناه بالقرد ففزع القرد وقبض على عنق الرجل وتمكن من ظهره ، فورد على الرجل ماحيره وأفرعه ، وذهب بعقله فخر مغشيا عليه ووقع السيف من يده ، فأخذته ورأيت الجحفة هناك فأخذتها وقسمدت الرجل ، وكان عقله ثاب إليه ، ورى القرد عن ظهره وسعى هاربا . فقصدت المرأة وحملت كتابها . وقلت لها : ما سمعتك ؟ فقالت : أنا بنت فلان وذكرت رجلا من أهل المربد ، وهذا ابن عمي وكان يعشقتني فخطبني من أبي فامتنع من تزويجه بي ، وزوجني من رجل غريب ودخل بي منذ شهر فلما كان أمس خرجت أنا وجماعة من نساء الجيران ننظر إلى الصحراء وقت العصر ، وبلغه خبرنا فكذبنا في الصحراء ومعه عدة رجال بالسلاح ، فأخذ كل رجل امرأة وانمرد بها ، وحملني هذا إلى هذا الصهرج ففجر بي طول الليل . ولما كان الآن عزم على قتلي ، فأغاثني الله بك ، وما أعرف للنسوة خيرا . قلت : لا بأس عليك امشي فحشت بين يدي حتى دخلت البصرة ، فدقت باب والدها وفتح لها فدخلته وعدت إلى أصحابي

فخذتهم الحديد وأريتهم القرد ، وخرجنا من الغد فرأوا الوند ، وذهبنا إلى باب المرأة فأريتهم إياه ، وأخذت خطري ه قال وحكى أبى قال : كان فى جوارى رجل يعرف بأبى عبيدة ، حسن الأدب كثير الرواية للاخبار ، وكان قديما ينادم إسحق بن ابراهيم المصعبى فحدثنى أن إسحاق استدعاه ذات ليلة فى نصف الليل قال : فهالى ذلك وأفزعى وأوحشنى لما كنت أعرفه من زعارة الأخلاق ، وشدة الاسراع إلى القتل ، وخفت أن يكون قد بلغه عنى أمر باطل فيسرع إلى قتلى قبل كشف حالى فخرجت طائر العقل حتى أتيت داره فأدخلت إلى بعض دور الحرم فاشتد جزعى ، وذهب على أمرى فأنتهى بى إليه ، وهو فى حجرة لطيفة فسمعت فى دهليزها بكاء امرأة ونحيبها ، ودخلت فإذا هو جالس على كرسى وبيده سيف مسلول . وهو مطرق فأيقنت بالقتل ، وسلمت ووقفت . فرفع رأسه وقال : اجلس يا أبا عبيدة فسكن روعى وجلست فرمى إلى رقاعا كانت بين يديه ، وقال : اقرأ هذا فقرأتها جميعا فإذا هى رقع أصحاب الشرط يخبره كل واحد منهم بخبر يومه وما جرى فى عمله وفى جميعها ذكر كبسات وقعت على نساء وجدن على فساد من بنات الوزراء والأمراء والأجلاء الذين بادوا ، وذهبت مراتهم ويسألوه عما يعملون فى أمرهن فقلت : قد وقعت أعز الله الأمير على هذه الرقاع فما يأمرنى الأمير . قال : ويحك يا أبا عبيدة إن هؤلاء الناس الذين ذكروا حال بناتهم كلهم كانوا أجل منى وامثل ، وقد أفضى بهم الدهر فى حرمهم إلى ما قد سمعت ، وقد وقع لى أن بناتى بعدى سيبلغن إلى هذا المبلغ وقد جمعتهن وهن خمس وجعلتهن فى هذه الحجرة لأقتلن الساعة ، وأستريح ثم أدركتنى رافة البشرية ، والخوف من الله تعالى فأردت أن أشاورك فى إمضاء رأى أو شئ تشير به على فيهن فقلت أيها الأمير : إن آباء هؤلاء النساء اللواتى قرأت رقاع أصحاب الاخبار بها جرى عليهن أخطاءوا فى تدبيرهن لأنهم خلفوا عليهن النعم ، ولم يحفظوهن بالزواج فخلفون بأنفسهن ونعمهن ففسدن ، ولو كانوا جعلوهن فى أنفاق الكفاء ما جرى منهن هذا . والذى أرى أن أستدعى فلان العابد وله خمس بنين كلهم جميل الوجه (١٨ - الفرج - أول)

حسن اللبسة والنشو فتزوج كل واحد من بناتك واحداً منهم فتسكن في العار والنار ، فتسكون قد أخذت بأمر الله عز وجل وبالحزم ، ويراك الله قد أردت طاعته في حفظهن فيحفظك فيهن . فقال : امض الساعة اليه ، وأفرغ لي معه من هذا . قال : فمضيت إلى الرجل وقررت الأمر معه وأخذت الفتيتان وآباهم ، وجئت إلى دار إسحق بن إبراهيم فما طلع الفجر حتى عقدت للخمس فتيتان على الخمس بنات في خطبة واحدة ، وحمل إسحق بين يدي كل واحد منهم خمسة آلاف دينار عينا ، وشيئا كثيراً من الطيب والثياب ، وحمل كلاهم على فرس بمركب ذهب ، وأعطاني كل واحد من الأزواج مالا بما دفع اليه كثيراً وأمر لي إسحاق بخمسمائة ديناراً ، وخلعة وطيباً وأنفذ لي أمهات البنات هدايا وأموالاً جليلاً وشكرتني على مخلص بناتهن من القتل ، وقلبي بتلك الغمة فرحاً فعدت إلى دارى ومعى ما قيمته ثلاثة آلاف دينار . ودعا الرشيد صاحب الموصل حين تنسك للبرامكة فقال له : أخرج إلى المنصور بن زياد فقل له قد صحت عليك عشر آلاف ألف درهم فأحملها إلى في هذا اليوم وانطلق معه فان دفعها إليك كاملة قبل مغيب الشمس فأقبلها وإلا فأحمل إلى رأسه ، وإياك ومراجعتي في شئ . من أمره . قال صالح : فخرجت إلى منصور بن زياد وعرفته الخبر . فقال : إيا الله وإيا الله راجعون ذهبت والله نفسى ثم حلف أنه لا يعرف موضع ثلاثمائة ألف فكيف بعشرة آلاف ألف درهم فقال له : خذ في عملك . فقال له : امض بي إلى منزلى حتى أوصى . فها هو إلا أن دخله حتى ارتفع الصباح من منارله وحجر نسائه فأوصى وخرج وما فيه دم فقال لصالح : امض بنا إلى أبي على يحيى بن خالد لعل الله أن يأتينا بفرج من عنده . فمضى معه إلى يحيى وهو يبكي فقال له : ما وراءك ؟ فقص عليه القصة فأقلق يحيى أمره ، وأطرق مفكراً ثم دعى بخازنه فقال له : كم عندك من المال ؟ قال : خمسة آلاف ألف درهم فقال احضرنى بها فأحضرها ثم وجه للفضل ابنه أنك قد أعلمتني فذاك أبوك ان عندك ألفى درهم تريد أن تشتري بها ضيعة ، وقد أصبت ضيعة يبق لك ذكرها ، وتحصد ثمرتها فوجه إلى بالمال فوجه به ثم قال للرسول : امض إلى جعفر وقل له ابعث فذاك أبوك ألف ألف درهم

لحق لزمى فوجه بها إليه ثم قال لصالح هذه ثمانية آلاف درهم ثم اطرق
اطراقه لأنه لم يكن عنده شيء ثم رفع رأسه إلى خادم له فقال له امض إلى
دنانير فقل لها وجهى إلى بالعقد الذى كان أمير المؤمنين وهبه لك فجاءه
به فإذا بعقد كعظم الذراع ثم التفت إلى صالح وقال له قد اشتريت هذا
العقد لأمير المؤمنين بثمانية وعشرين ألف دينار وقد حسبته عليك الآن بألف
ألف درهم وهذا تمام حقك فانصرف وخل عن صاحبنا فلا سبيل لك عليه
قال صالح فأخذت ذلك ورددت منصورا معى فلما صرت بالباب أنشأ
منصور متمثلا بقول :

فما بقى على تركتماني ولكن خفتما ضرب النبال

فقال صالح ماعلى وجه الأرض رجل أنبل من هذا الذى خرجنا من
عنده ، ولا سمعت بمثله فيما مضى من الدهر ولا على وجه الأرض أخبت
سريرة ولا أكفر نعمة ولا أدنى طمعا من هذا النطى ، لم يشكر من أعطاه
وزن عن هذا المال العظيم . قال : وصرت إلى الرشيد فقصصت عليه القصة
وطويت عنه ما تمثل به منصور ، خوف أن يقتله إذا سمع ذلك . فقال الرشيد :
قد علمت أنه إن نجح إنما ينجو بأهل هذا البيت ، اطلق الرجل واقبض المال
واردد العقد ، فإنى لم أكن لأهب هبة وترجع إلى مالى . قال صالح : فلم أطب
نفسا إلا بتعريف محبي ما قاله منصور عند خروجه من المنزل من عنده . فرجعت
إليه وأطنبت فى شكره والدعاء له ، ووصف ما كان منه . وقلت : ولكن
أنعمت على غير شاكر قابل أكرم فعل بالأم قول . قال : وكيف ؟ فأخبرته
بما كان ، فجعل والله يطلب له المعاذير ، ويقول يا با على ان المنحوت القلب
ربما سبقه لسانه بما ليس فى ضميره ، وكان الرجل فى حال عظيمة . قال صالح :
فقلت له والله ما أدري من أى أمر بك أعجب من أوله أم من آخره ، ولكنى
أعلم أن الدهر لا يخلف مثلك أبدا . قال : وكان على بن عيسى القمى ضامنا
يعمل الخراج والضياع ببلده ، فبقيت عليه أربعون ألف دينار . ولح
المأمون فى طلابته حتى قال لعلى بن صالح حاجبه طالبه بالمال وانظره ثلاثة
أيام وإن أحضر المال قبل انقضائها وإلا فاضربه بالسياط حتى يؤديها

أوتلف ، وكان بين علي بن عيسى وغسان بن عباد عداوة فأنصرف من دار
المؤمن آيساً من نفسه لا يقدر على شيء من المال فقال له كاتبه : لو عرجت
على غسان وأخبرته بخبرك لرجوت أن يعينك عليه . قال : فحملتته على قبول
ذلك فدخل على غسان فتلقاه بحميل ووفاه حقه فقص عليه كاتبه قصته .
فقال له : أرجوا أن يكفيه الله ، ونهض علي بن عيسى آيساً من نفسه كاسف
البال نادماً على قصده . وقال لكاتبه لما انصرف : ما أفدتني بقصد غسان
إلا لتجعل المهانة والذل لي ، وتشاغل في طريقه ببقاء بعض إخوانه وعاد إلى
داره ، فوجد على داره بغالا عليها أربعون ألف ديناراً مع رسول غسان
ابن عباد فبلغه سلامه وعرفه عنه بما دفع إليه وسلم إليه المال وتقدم
بمحضور دار المؤمن في غد ذلك اليوم . فذكر علي بن عيسى فلما وصل الناس
إلى المؤمن مثل غسان بن عباد بين الصفوف . وقال يا أمير المؤمنين : إن
لعلي بن عيسى حرمة وخدمة وسالف أصل ولأمر المؤمنين عليه سالف
إحسان وقد لحقه من الخسران في ضمانة ما قد تعارفه الناس وجرى عليه من
حدة المطالبة وشدها والوعيد بضرب السياط ماحيره وقطعه عن احتيال
مأليه ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يسعفى ببعض ما عليه ويضعه عنه فعل .
قال : فلم يزل به إلى حطه النصف واقتصر منه على عشرين ألف دينار . قال
غسان على أن تجدد عليه الضمان وتشرفه بخلع . فأجابته المؤمن إلى ذلك .
قال : فيأذن لي أمير المؤمنين أن أحمل الدواة إليه لموقع بذلك فيبقى شرف
حملها علي وعلى عقي . قال : افعـل ففعل . وخرج علي بن عيسى والتوقيع
معه بذلك وعليه الخلع . فلما وصل إلى منزله رد العشرين ألف ديناراً إلى
غسان وشكره فردّها غسان وقال إنني لم استحطتها لنفسى وإنما أحببت
توفيرها عليك واستحطتها لك ، وليس والله يعود شيء من المال إلى ملكي .

❦ ❦ ❦

وحكى أحمد بن أبي داود . قال : ما صحب السلطان أجلد من عمر بن فرج
الرجحي ، ولا أزجل ولا أخبث منه . غضب عليه المعتصم يوماً وهم بقتله
وأمر بمحضوره فجاء وقد نرف دمه . فقال المعتصم : السيف يا غلام . فجعلت

ركبتا عمر تصطليكان . فقلت إن رأى أمير المؤمنين أن يسأله عن ذنبه فلعله أن يخرج منه بعد لعذر . فقال له يا ابن الفاعلة : أمرتك في ولد أبي طالب أن تعرف خبر منازلهم ؟ قال : لا . قال : فلم فعلت . فقال عمر : إنما فعلت ذلك لأنه بلغنى عن واحد منهم أن أصل قوم يكاتبونه ، فأردت أن أعرف ما فى الكتب الواردة عليه . وجعل عمر فى خلال ذلك يلمس البساط الذى كان تحت المعتصم فزاد ذلك فى غضبه . وقال يا ابن الفاعلة : ماشغلك ما انت فيه عن لمس البساط كأنك غير مكترث بما أريده منك ؟ فقال : لا والله أمير المؤمنين ، ولكن العبد يعنى من أمر سيده بكل شئ على جميع الأحوال ، وإنى ما استحسن هذا البساط لأنه ليس من بسط الخلافة . فقال له ويلك : هذا البساط ذكر محمد بن عبد الملك أنه قام علينا بخمسين ألف درهم . فقال ياسيدى : عندى خير منه بسبعمائة دينار . قال : فذهب عن المعتصم والله ذلك الفور الذى كان به وسكن غضبه وقال : وجه الساعة من يحضره . فجاء البساط وما كان قد قام عليه فيما أظن بأكثر من ثلاثة آلاف دينار فبسط واستحسنه المعتصم واستلافه وقال : هذا والله أحسن من بساطنا ، وأرخص ، وقد أخذناه منك بما أقام عليك ، والله ما برح ذلك اليوم حتى نادى وخلق عليه . قال وأخذ مصعب ابن الزبير رجلا من أصحاب المختار فأمر بضرب عنقه فقال أيها الأمير : ما أقبح بك أن أقوم يوم القيامة إلى صورتك هذه الحسنة ، ووجهك هذا الجميل الذى يستضاء به فأعلق بك ثم أقول يارب سل هذا فيم قتلنى ؟ قال : قد عفوت عنك . قال أيها الأمير : اجعل ما وهبت لى فى حياتى فى خفض فإنه لا عيش لفقير . فقال : ردوا عليه عليه عطاءه ، واعطوه مائة ألف درهم . فقال : أشهد الله أنى قد جعلت نصفها لابن قيس الرقيات . قال : ولم قال لقوله :

إنما مصعب شهاب من الله تخلت عن وجهه الظلماء
ملككم ملك رحمة ليس فيه جبروت ولا به كبرياء
يتقى الله فى الأمور وقد أو لمح من كان همه الاتقاء

فضحك مصعب وقال : أرى فيك للصنعة موضعاً ، وجعله في ندائه وأحسن صلته .

• • •

وقيل للفضل بن يحيى قد أفسدت جودك بكبرك . فقال : والله مالى حيلة في النزوع عنه وما كان طبعى هكذا ، إلا أننى حملت نفسى عليه لما رأيت من عمارة بن حمزة فتشبهت به فصار طبعاً لا أقدر على الإقلاع عنه ، وذلك أن أبى كان يضمن فارس من المهدي فحملت عليه ألف ألف درهم وكان المهدي قد سام رأيه فيه فحرك ذلك ما كان في نفسه وأمر أبا عاون أن يأخذه فيطأ به بالمال ، فإن غربت الشمس عن يومه ذلك ولم يسلم جميعه أو يبقى درهم منه أتاه برأسه من غير أن يسأذه أو يراجعه . قال : فأخذه أبو عاون فاستدعاني إليه وقال يا بنى قد ترى مانحن فيه فلا تدعوا في منازلكم شيئاً إلا أحضرتموه ، فجمعنا كل ما في منازلنا من صامت وحلى فلم يبلغ عشر المال . فقال لى يا بنى : إن كانت لنا حيلة في الحياة فهى من قبل عمارة بن حمزة وإلا فأنا مقتول العشية فألقه واذكر له الصورة فضيت إلى بابه فاستدزذن لى عليه فدخلت عليه وهو مضطجع قد غاص في فرش له ما كاد يبين غير وجهه ، فوالله فوالله ما تحرك . وسلبت فأوماً إلى بالجلوس فجلست بعيداً منه فلم يعرنى الطرف فانكسرت نفسى وقلت : أى خير عند من هذا لقاءه وعنوان أمره ، فأمسكت لا أتكلم منكراً في الكلام والقيام . فقال : اذكر حاجتك إن كنت أتيت بها . قال فقصصت عليه القصة وعرفته بما جشت بقصده وما نحن فيه من المضايقة والتشديد . قال : فوالله ما أجابنى بأكثر من أن قال امض فإن الله تعالى يكفيك . فقممت متحيراً أجز رجلى لا أشك في أنه قد آيسنى من حاجتى وقلت إن عدت إلى أبى بهذا الجواب مات عما قبل ضرب العنق ، فتوقفت ساعة لا أدري ما أصنع ، ثم قلت على كل حال لا بد من أن أمضى وأوانسه فإن كان له حيلة أخرى شرعنا فيها قبل أن ينصرم النهار . قال : فجئته فوجدت على الباب بغالاً محملة فقلت لمن معها من أنتم ومن بعث بكم ؟ فقالوا : أنفذنا عمارة إليكم بمال على هذه البغال فدخلت وأخبرت أبى بما جرى

وأخذنا المال فصطحناه وما صليت العصر إلا وسلمنا المال ، ولما عرف المهدي الصورة فاستحيا وأفرج عن أبي . وكان ذلك سبب رضاه عنه ، وصلاحيته له ، فلما كان بعد شهرين ورد لنا من فارس مال كثير فقال لي أبي : خذ المال وامض به إلى عمارة واشكره ورده عليه ، فحملت المال وجئت به إلى بابه حتى استؤذن لي فدخلت عليه وهو على فرشه فما زادني على ما عاملني به أولا ولا نقصني ، فشكرته عن أبي ودعوت له وعرفته إحضاري المال وسألته الأمر بقبضه . فقال لي : أكنت قسطارا لأبيك أقرضه وأرتجع منه ؟ فقلت لا يا سيدي بل أحبيته وحققت دمه ومننت عليه وما أحب أن ينقمك ، فلما حصل له المال أنفذه فقال له أما إذا رده أبوك فقد وهبته لك خذه وانصرف . فقممت وقد أعطاني ما لم يعظه أحدا فجئت إلى أبي فعرفته ماجرى . فقال : لا والله يا بني ما تطيب لك نفسي به كله ، ولكن تأخذ منه مائتي ألف درهم فأعطاها . فهي أول مالي وأصل نعمتي فتعلمت من عمارة الكرم والكبر معاً فصار لي طبعاً .

* * *

وحكى المعروف بالهايم الرواية فيما حدثني به . قال : كنت أسير من الشام أريد العراق فلما انتهيت إلى قرية في بعض الطريق لقيني خرساني معه بخلافة فقال أين تريد ؟ قلت : ببغداد . فقال : أما رفيقك فسرنا إلى قرية خراب على شاطئ الفرات في برية الشام فرأينا على باب القرية رجلاً أسود منكر الخلق عريانا لا يتوارى بشيء البتة فعدا بجفلا عنا ، فدخلنا القرية فجلسنا في دار خراب على شاطئ الفرات وأخرجنا زاداً كان معنا فجعلنا نأكل ، فإذا الحجارة تجمينا متداركة حتى خبنا أن نهلك منها ، وما تمالكنا أن نقوم إلا بجهد وتأملنا أمره فرأينا الأسود يرجنا فطلبناه ، وطلبنا فلمادخلنا وأم الأسود أن يقبض على وفزعته منه فقبض على الخرساني وقبض عليه الآخر وجعل يتعاركان فاسكب الأسود على كتف الخرساني فعضه فصاح الخرساني يا بغدادى أدركنى فقد قتلنى . فدنوت من خلف الأسود وتعلقت بخصيئته ولصمتهما بكلمات شديده فخرمغشياً عليه ، وقام الخرساني فجلس على

صدره وخنقه بيده حتى تلف وصرنا والخرساني يصيح من ألم العضة فاتهمنا
الى حيال قرية عامرة فصحبنا بملاح فقدم زورقه لنعبر الى القرية فطرح الخرساني
نفسه على الشط كالتالف فشهجته وقلت : مالك وأى شىء قدر عضه ؟ فقال
ويحك أنظر اليها فرأيتها فإذا هي قد أخذت كتفه كله واسودت واحمر بدنه
كله فحملته أنا والملاح حتى حملنا في الزورق وعبرنا فلما صرنا بالقرب من
الشط تلف فأخرجناه ميتاً فاجتمع أهل القرية وسألوا عن شأنه فحدثتهم
الحديث . فقالوا : هذا عبد فلان أصابه داء الكلب وتغرب في تلك الخرابات
وقد قتل خلقاً كثيراً بالعض وتبادر قوم منهم يريدون الموضع للنظر إلى
الأسود وسرت أنا في طريقى وحمدت الله على سلامتى من الأسود ، قال :
وقرأت في كتب الفرس . أن ابرويز الملك كان معجباً بالقهليذ لطيب غنائه
فنشأ للقهليذ غلام أحسن غناء منه فأهداه إلى ابرويز متقرباً به اليه واستطابه
ابرويز وغلب على قلبه حتى قدمه على القهليذ فحسده القهليذ فقتله وبلغ ذلك
ابرويز فغضب غضباً شديداً ، واستدعا القهليذ وأمر فأحضروا له السيف
والنطع وعزم على ضرب عنقه وقال له يا كلب : علمت أن شطر لذتى بالغناء
كان فيك ، وشطرها في غلامك فقتلته لتذهب بشطر لذتى والله لا تقتلنك وأمر
به فخر ليقتل . فقال أيها الملك : اسمع منى كلمة ثم اعمل ما شئت . قال : قل .
قال : إذا كانت لذتك شطرين وقد أبطلت أنا بالجهل والخطأ أحدهما فهل
تبطل أنت على نفسك الشطر الآخر بطاعة الغضب فإن جنايتك على نفسك
أعظم من جنايتى عليك . فقال ابرويز : ما نطقك بهذا الكلام فى مثل هذا
المقام إلا لما فى أجلك من التأخير ، ولما يريد الله اسعادى به من الالتذاذ بالغناء
وقد عفوت عنك فأطلقه .

وقال أبو إسحق أخبرنا أحمد بن أبي داود . قال : دخلت على
المعتصم يوماً فقال لى يا أبا عبد الله : لم يدعى اليوم أبو الحسن الأفشين حتى
أطلقت يده على القاسم بن عيسى فتمت من بين يديه ولم أبصر شيئاً جزعاً
على أبى دلف ودخلنى أمر عظيم وخرجت فركبت دابتي وسرت أشد سير

من الجوسق إلى باب الأتشين بقرب المطيرة أو مل أن أدرك أبا دلف من قبل أن يحدث عليه حادثة . فلما بلغت بابه كرهت أن أستأذن فيعلم أني قد حضرت بسبب أبي دلف فيعجل عليه فدخل فدخلت على دابتي إلى الموضع الذي كنت أنزل فيه وأوهمت حاجبه أني قد جئت برسالة من المعتصم ، ثم نزلت فرفع الستر فدخلت فوجدت الأتشين في مجلسه ، وأبا دلف مصفداً بالحديد بين يديه على نطح وهو يقرعه ويخاطبه بأشد غضب وأغلظ مخاطبة فحين قربت منه أمسك . فسلمت وأخذت مجلسي ثم قلت للأتشين : قد عرفت حرمتي بأمر المؤمنين وخدمتي إياه ، وموضعي عنده ، وموقعي من رأيه وتفردته بالصليعة عندي ، والإحسان إلى وعلمت مع ذلك ميل إليك ومحبتى لك وقد رغبت إليك فيما يرغب اليه مثلي إلى مثلك من رفع الله قدره ، وأجل خاطره ، وأعلى همته فقال : كلما قلت وكلما أردته مني فهو مبذول لك خلا هذا الجالس فاني لا أشفعك فيه . فقلت : ماجئتك إلا في أمره ، ولا ألتبس منك غيره ولو لا شدة غضبك وما تنوعده به من القتل لكان في جميل عفوك ما أغنى عن كلامك ، ولكني لما عرفت غضبك وما تنقمه عليه احتجت مع موقعه مني إلى كلامك في أمره ، واستيهاب عظيم جرمه إذ كان مثلك في جلالتك وإنما يستل جلائل الأمور فقال يا أبا عبد الله . هذا رجل طلب دمي ، ولم يقتصر على إزالة نعمتي . ولا سبيل إلى تشفيك فيه ، ولكن هذا بيت مالي ، وهذه ضياعي وكل ما أملك نخذ من ذلك ما أردت . فقلت : بارك الله لك في مالك وثمرها لك ، ولم آت لهذا وإنما أتيت في مكرمة يبق فضلها ، وتحسن أحوالها ، وتعتقد بها منة في عنقي لا أزال مرتها بشكرها . فقال : ما عندي في هذا شيء البتة . فقلت له : القاسم بن عيسى فارس العرب وشريفها فاستبقه وأعم عليه فإن لم تره لهذا أهلاً فهبه للعرب كلها ، وأنت تعلم أن ملوك العجم لم تزل تفضل على ملوك العرب ، ومن ذلك ما كان من كسرى إلى النعمان حتى ملكه ، وأنت اليوم بقية العجم فأعم على شريف من العرب بالعمو : نه ، فقال : ما عندي في هذا إلا ما سمعته ، وتسكروا تبست الشر في وجهه . فقلت في نفسي : أنصرف وأدع هذا يقتل أبا دلف لا والله ، ولكن أمش بين يديه قائماً وأسأله ولعله يستجني

فقممت وتوهمنى أريد الانصراف فتحضر لى . فقلت : لست أريد الانصراف وإنما مثلت بين يديك طالباً راغباً ضارعا سائلاً مستوهباً هذا الرجل منك . فكان جوابه أغلظ فتحيرت . فقلت : انكسب على رأسه فأقبله فدخلنى من ذلك أنفة شديدة وقلت : أقبل رأس هذا النذل لا يكون هذا أبداً ثم راجعتنى الشنقة على أبى دلف فقلبت رأسه وتضرعت فلم يجبنى ، فأخذ فى ما قدم وما حدث وددت فجلست وقلت يا أبا الحسن : قد طلبت اليك وتضرعت ، ووضعت خدى لك ومثلت بين يديك ، وقبلت رأسك فشففنى وأصر فى شاكراً فهو أجمل بك . قال : لا والله ما عندى غير ما قلته لك . قلت : فأما رسول أمير المؤمنين اليك وهو يقول لك لا تحدث فى القاسم بن عيسى حديثاً فانك إن قتلتَه قتلت به . قال : يقول أمير المؤمنين هذا لى بعد أن أطلق يدي عليه ؟ قلت : نعم . أنارسوله اليك بما قلته لك فان كنت فى الطاعة فاسمع وأطع ، وإن كنت قلت لاطاعة فافعل ؟ ونفضت يدي فى وجهه ونهضت فاضطرب حتى لم يقدر أن يدعو لى بدايتى ، وركبت فأعددت السير إلى المعتصم لأخبره الخبر وبما اضطرت اليه من تأدية رسالة باطلة عنه ، لأنى علمت أنه لم يقل لى ما قاله إلا وهو يحب استبقاء أبى دلف فأنتهيت إلى الجوسق فى وقت حار والحجاب جميعاً نيام والدار خالية فأنتهيت إلى ستر الدار التى فيها المعتصم وجلست وقلت إن جاء الأقرشين دخلت معه وتكلمت ، وإن سأل الوصول أخبرت أمير المؤمنين الخبر كله . فبينما أنا كذلك إذ خرج خادم صغير من وراء الستر ، ثم دخل وخرج فقال : ادخل . فدخلت وقلت يا أمير المؤمنين : أما لى حرمة ؟ أما لى زمام ؟ أما لى حق ؟ أما فى فضل أمير المؤمنين ونعمته على ما يجب رعايته ؟ فقال : مالك يا أبا عبد الله ما قصتكَ ؟ اجلس . اجلس . فقلت يا أمير المؤمنين قلت لى اليوم فى القاسم بن عيسى قولاً علمت أنك تريد استنقاذه ، وحقق دمه فضيت من فورى إلى أبى الحسن الأقرشين ، وقصصت عليه القصة ، وكلما دخلت معه فى الكلام يتغيظ ويفتل سباله حتى إذا أردت أن أعرفه الرسالة التى أديتها عنه قطع كلامى وقال يمضى قاضى وصليعى أحمد بن أبى داود إلى جندى فيخضع له ، ويقف بين يديه ، ويقبل رأسه فلا يشهده قتلنى الله إن لم أقتله يسكررها

فما استوفى كلامه حتى رفع الستر ودخل الأقبشين فلقية بأكبر البر والإكرام وأجلسه بقربه ، وقال في هذا الوقت الحار يا أبا الحسن ؟ فقال يا أمير المؤمنين رجل عرفت ما نالني منه وأنه طلب دمي ، وقد أطلقت يدي عليه ويحييني هذا ويقول إنك بعثت به إليّ تأمرني أن لا أحدث فيه حدثاً ، وإنني إن قتلته قتلت به فأظهر الغضب وقال : نعم أنا أرسلته اليك فلا تحدث علي القاسم بن علي حدثاً ، فمضى الأقبشين مغضباً يدمدم واتبعته لآتلافه فصاح بي المعتصم ارجع يا أبا عبد الله فرجعت . وقلت يا أمير المؤمنين إنه باق بما جرى كلاماً قد قطعني بكلامك عن تكلمته وهي بمعنى الرسالة قال قد فهمتها والقاسم بن عيسى يوافيك العشيّة فاحذر أن تتفوه بشيء بما جرى ؟ ومضى الأقبشين فأطلق القاسم وخلع عليه فجاءني القاسم من عشيته وما أخبرت بالحديث أحد حتى قتل الأقبشين ومات المعتصم .

قال قرأت في بعض كتب الفرس المنقولة إلى العربية أن ملكاً من ملوكهم قدم إليه صاحب ما تدته عضادة أسفيد باج فسقطت منها نقطة على ذراع الملك فأمر بقتل الرجل فقال الرجل : أعيذ الملك بالله من أن يقتلني ظلماً لغير ذنب قصده . فقال الملك : قتلك واجب ليعتظ بك غيرك فلا يهمل الخدمة فأخذ الرجل العضادة فصها بأسرها على الملك وقال : أيها الملك تسكره أن يشيع منك أنك قتلتني ظلماً ففعلت هذا لا أستحق القتل ، ويزول عنك قبح الأعدوة بظلم الخدم فشأنك الآن وما تريد . فقال الملك : ما أحسن الأجل قد عفوت عنك . قال أحمد بن أبي داود : وما رأيت رجلاً عاين الموت فما أكثر ث به ولا شغله عما أراده حتى بلغه وخلصه الله من القتل إلا تميم ابن جميل فإني رأيته بين يدي المعتصم بالله ، وقد بسط له النطع وانتضى السيف ، وكان رجلاً جسيماً وسيماً فأحب المعتصم أن يستنطقه لينظر أين منظره من مخبره ، فقال له : تكلم . فقال : إما إذا أذن أمير المؤمنين في الكلام فالحمد لله الذي أحسن كل شيء خلقه ، وبدأ خلق الإنسان من طين ، ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين . يا أمير المؤمنين : جبر الله

بك صدع الدين ، ولم بك شعث المسلمين ، إن الذنوب تخرس اللسان ، وتخلع
الافتدة ، وأيم الله لقد عظمت الجريمة ، وانقطعت الحججة ، وساء الظن ولم
يبقى إلا غموك أو انتقامك وأنشد :

أرى الموت بين النطع والسيف كامناً يلاحظني من حيث لا أدلت
وأكثر ظني أنك اليوم قاتلي وأى امرء بما قضى الله يفلت
وأى امرء يدلى بعذر وحجة وسيف المنايا بين عيابه مصلت
وما جزعى من أن أموت وأننى لأعلم أن الموت شيء موقت
ولكن خلقي بلية قد تركتهم وأكبادهم من حسرتى تتفتت
كأنى أراهم حين أنعى اليهم وقد لطموا تلك الوجوه وصوتوا
فإن عشت عاشوا سالمين بغبطة إذ ودالردى عنهم وإن مت موتوا
فاستعبر المعتصم ثم قال يا تميم : قد عفوت عنك من الهفوة ، ووهبتك
للصبية وأمر بفك قيوده وخلع عليه ، وعقد عليه سقى الفرات .

وقال أوتى معن بن زائدة بثلاثمائة أسير فأمر بضرب أعناقهم فأحضر
سيف ماض وسياف ونطع وقدم واحد منهم فقتل ، ثم قدم غلام كان فيهم
فقال يا معن : لا تقتل أسراك وهم عطاش . فقال اسقوهم ماء فشربوا . فقام
الغلام فقال أيها الأمير : لقد أطلعنا في السؤال وإن لكل كبداً حراً أجرة ، ونحن
والله جياع فإن رأيت أن تشبعنا قبل قتلنا فافعل . فأمر لهم بطعام فأكلوا
فلما شبعوا قام الغلام فقال أيها الأمير : كننا أسراك والآن سرنا أضيافك .
فقال خلوا عنهم فأطلقهم جميعاً . وقرأت في بعض الكتب كان موسى الهادى
قد طالب أخاه هارون أن يخلع نفسه من العهد لصهره لابنه من بعده
ويخرج هارون من الأمر فلم يجب إلى ذلك ، فأحضر يحيى بن خالد البرمكى
ولطف به وداره ووعدته ومناه وسأله أن يشير على هارون بالخلع فلم يجب
يحيى إلى ذلك ودافعه عنه ، وهدده الهادى وتوعده وجرت بينهما في ذلك
خطوب وأشرف يحيى معه على الهلاك وهو مقيم على مدافعتة عن صاحبه إلى
أن اعتل الهادى علته التي مات فيها واشتد به فدعا يحيى وقال له : ليس

ينفعني معك شيء ، وقد أفسدت أخى وقويت نفسه حتى امتنع بما أريده ،
ووالله لأقتلنك فدعا بالسيف والنطع وأبركه ليضرب عنقه . فقال له ابراهيم
ابن ذكوان الحراني يا أمير المؤمنين : إن ليحيى عندي يداً أريد أن أكافئه
عنها فأحب أن تهبه لي الليلة وأنت في غد أعلا عينسا وماتراه في أمره . فقال
وما فائدة ليلة ؟ فقال : إما أن يعود صاحبه إلى رضا أمير المؤمنين أو يعهدك
في أمر نفسه وولده فأجابه . قال يحيى فأقت من النطع وقد أيقنت بالموت
وعلمت أنه لم يبق من أجل إلا بقية الليلة فما اكتحل غمضاً إلى السحر سمعت
صوت القفل ففتح عني فلم أشكك أن الهادي استدعاني للقتل لما انصرف
إبراهيم كاتبه وانقضت الليلة فاذا بخادم قد أقبل وقال : أجب السيدة . فقلت :
مالي وللسيدة ؟ فقال : قم . قال : فقممت فأتيت الخيزران . فقالت لي : إن
أمير المؤمنين قد مات ، ونحن نساء فأدخل وأصلح أمره ، وأنفذ إلى هرون
بغية به فدخلت فإذا هو ميت على فراشه وأمة العزيز تبكي على رأسه
فغمضته وشدت لحيته ، وحمدت الله على لطيف صنعه وتفرجحه ما كنت
فيه ، وبادرت إلى هرون فوجدته نائماً فأيقظته فلهذا رأيتني عجب وقال
ويحك : ما الخبر ؟ فقلت يا أمير المؤمنين : قم إلى دار الخلافة . فقال : مات
موسى قلت : نعم . فقال الحمد لله هاتوا ثيابي فقبل أن يلبسها جامني من عرفني
سراً أنه قد ولد له ابن من مراجل ، ولم يكن عرف الخبر فقلت أقر الله عينك
يا أمير المؤمنين بابن مراجل فحمد الله كثيراً وسماه . جد الله المأمون وركب
وأنا معه إلى دار الخلافة .

* * *

ووجدت في بعض الكتب أن الحجاج كان يستعرض قوما من أصحاب
ابن الأشعث فقتل منهم جماعة ثم جىء برجل وأمر بضرب عنقه فسال أيها
الأمير : إن لي عليك حقاً . فقال : إنه سبك عبد الرحمن يوماً فرددت عليه
قال ومن يعلم هذا ؟ فصاح الرجل : أنشد الله رجلاً سمع ذلك إلا شهد به فقام
من الأسرى رجل وقال : قد كان ذلك . قال : خلوا عنه . ثم قال للشاهد : ما ذنبك
أن تذكر سي كما أنكروه ؟ قال : قديم بعضي لك . فقال خلوا عنهما هذا ليده

وهذا الصدقه هـ وذكر المدائني في كتابه يرفعه إلى رجل كان من أسراء
الحجاج من أصحاب بن الأشعث قال : جعل الحجاج يقتل عامة يومه الأسراء
وبقيت منا جماعة قليلة ، وآتى برجل ليضرب عنقه فقال يا حجاج : والله لان
كنا أسأنا الفعل فما أحسنت في العقوبة ، ولئن كنا لزمنا الجناية فما كرمت
في العفو . فقال : رده يا حرسى كيف قلت ؟ فأعاده . فقال الحجاج صدقت
والله أف لهذه الجيف والجثث أما كان فيها أحد يذنبنا كما نذنبنا أطلقوا عنه هـ
وذكر المدائني في كتابه عن معمر بن المثنى قال : آتى الحجاج يقوم بمن
كانوا خرجوا عليه أمر بهم فقتلوا ، وأقيمت الصلاة وقد بق منهم رجل
واحد فقال الحجاج لعنيسة : انصرف بهذا معك واغد على غدا . قال عنيسة
فخرجت به فلما سرنا في الطريق قال هل فيك خير ؟ قلت : وما ذاك . قال إني
والله ما خرجت على المسلمين ، ولم أستحل منا لهم ، وعندى ودائع وأموال
فتخلي عني حتى آتى أهلى وأرد على كل ذى حق حقه واجعل الله لك على
أنى أتصبح عندك فى غد فتعجب منى وتضاحكت ومضينا ساعة فأعاد على
القول . فقلت له : اذهب فذهب . فلما توارى عني شخصه سقط فى يدي فأثيت
أهلى فأخبرتهم فقالوا : لقد اجتراءت على الحجاج وبتنا بأطول ليلة فلما طلع
الفجر إذا به قد جاءنى . فقلت : أرجعت ؟ فقال : سبحان الله جعلت الله
عز وجل شاهدى ثم لم أرجع . قال فانطلقت إلى الحجاج فقال : أين أسيرنا ؟
قلت أصلح الله الأمير هو الباب وقد كانت لى وله قصة . قال : وما هى ؟
فأخبرته الخبر ، وأدخلته عليه فقال لى : أتحب أنى أهبه لك . قلت : نعم . قال
هو لك . فقلت للرجل خذ أى طريق شئت فرفع بصره إلى السماء وقال : الحمد
لله وانصرف . وما كئنى بكلمة فقلت فى نفسى هذا مجنون فلما كان فى غد أتانى
فقال يا هذا : جزاك الله خيراً أنى ما جهلت قدر ما صنعت ولاكن كرهت أن
أشرك فى حمد الله أحداً هـ وذكر محمد بن عمر القاضى أبو الحسين فى كتابه قال :
حبس رجل وقد وجب عليه حد ، فلما رفع خبره أمر بضرب عنقه فقال المخبر :
فدخلت بعدها الحبس إلى رجل يبنى وبينه سبب أتفق خبره فرأيت الذى
أمر بضرب عنقه يلعب بالنرد فقلت الذى دخلت إليه أنا أعلم بضرب عنق

ذلك الإنسان فما أفرغ قلبه يلعب بالنرد وهو محبوس . قال صاحبي : اظرف من هذا أنه قد أمر بضرب عنقه ، وقد علم بذلك وهو ذا ترى حاله قال : فازددت تعجبا فنظن الرجل لما نحن فيه فأخذ بيده فصا من فصوص النرد فرفعه وقال إلى : إن يسقط هذا من يدي إلى الأرض تكون قد حدثت أمور . فخرجت وأنا متعجب منه منتكر في قوله فما أمسينا ذلك ذلك اليوم حتى سمعت الجند وفتحت السجون وخرج من كان فيها والرجل فيهم وسلم من القتل .

* * *

الباب التاسع

من شارف الموت بحيوان مهلك رآه فكماه الله سبحانه ذلك بلفظه ونجاء

عن ابراهيم الخواص قال : ركبت البحر مع جماعة من الصوفية فكسر المركب بنا فنجى منا قوم على خشب من خشب المركب فوقنا إلى مكان لا ندرى أى مكان هو فأقننا فيه أياما لا نجد ما نقتاته فأحسنا بالموت فقال بعضهم لبعض تعالوا حتى نجعل الله على أنفسنا أن ندع له شيئا فلعله يرحمنا فيخلصنا من هذه الشدة فقال بعضهم : لا أفطر الدهر . وقال بعضهم : أصلي كل يوم كذا وكذا ركعة . وقال بعضهم : أدع اللذات ، إلى أن قال كل منا شيئا ، وأنا ساكت فقالوا لي : قل شيئا . فلم يجيء على لساني إلا أن قلت لا آكل لحم فيل أبدا . فقالوا : الهزل في مثل هذا الحال ؟ فقلت : والله ما تعمدت الهزل ، ولكني منذ بدأت وأنا أعرض على نفسى شيئا أدعه لله عز وجل فلا تطاوعنى ولا يخطر على قلبى غير الذى لفظت به وما أجرى هذا على لساني ، ولا ألهمة قلبى إلا لأمر . فلما كان بعد ساعة قال بعضهم : لم لا تطوف في هذه الأرض متفرقين فنطلب قوتاً فن وجد شيئا أنذر به الباقين والموعده هذه الشجرة . قال : فتفرقنا في الطرق فرجع أحدها بولد فيل صغير فلوح بعضهم لبعض فاجتمعنا وأخذ أصحابنا واحتالوا فيه حتى شوهه وقعدوا يأكلون وقالوا : تقدم . فقلت : أنتم تعلمون أنني منذ ساعة تركته لله عز وجل ، وما كنت لأرجع في شيء تركته له ، لعله جرى ذلك على لساني لأجل موتى من بينكم ، لأنى ما أكلت شيئا منذ أيام ، وما أطمع في شيء آخر ، وما يرانى الله أنقض عهده ولو مت ، واعتزلتهم وأكل أصحابي وأقبل الليل ، وتفرقنا إلى مواضعنا اتى كنا فيها نبيت وأويت إلى أصل شجرة كنت أبيت عندها فلم يكن إلا لحظة فاذا بميل عظيم قد أقبل وهو يعبر الصحراء تتدكدك بغيره وشدة شغبه وهو يطلبنا . فقال بعضهم : قد حضر الاجل فاستسلموا وتشهدوا وأخذنا في الاستغفار والتسبيح وطرح القوم نفوسهم

على وجوههم فجعل الفيل يقصد واحداً واحداً فيشمه من أول جسده إلى آخره فإذا لم يبق فيه موضع إلا شمه شال إحدى قوائمه فوضعها عليه وفسخه فإذا علم أنه قد أتلفه ، قصد آخر ففعل به مثل فعله في الأول إلى أن لم يبق غيرى وأنا جالس منتصب أشاهد ما جرى وأستغمره وأسبحه . فقصدني الفيل فحين قرب مني رميت نفسي على ظهري ، ففعل بي من الشم كما فعل بأصحابي ، ثم أعاد شمي مرتين أو ثلاثاً ولم يكن فعل بأحد منهم ذلك وروحي في خلال ذلك تكاد تخرج فزعا ، ثم لف خرطوميه على فشالني في الهواء فظننته يريد قتلي بقتلة أخرى فجهرت بالاستغفار فما نحى خرطوميه حتى جعلني فوق ظهره فانتصبت جالسا واجتهدت في حفظ نفسي بموضعي ، وانطلق الفيل يهرول تارة ويسعى أخرى ، وأما أحمد الله عز وجل على تأخير الفيل قتلي وأطمع في الحياة ، وتارة أتوقع أن يثور بي فيقتلني فأعاود الاستغفار ، وأما أقاسى في ذلك وأتجرع من الألم الشديد لسرعة سير الفيل أمراً عظيما . فلم أزل على ذلك إلى أن طلع الفجر واشتد ضوءه فإذا به قد لف خرطوميه عليّ فقلت قد حضر الأجل ، فاستكثرت من الاستغفار فإذا به قد أنزاني من ظهره وتركني على الأرض ورجع إلى الطريق التي جاء منها وأنا لا أصدق فلما غاب عن عيني ولم أسمع له حساً خررت ساجداً لله سبحانه فما رفعت رأسي حتى أحسست بالشمس ، فإذا أنا على ظهر محبة عظيمة فشيت عليها فخرجوا من فرسخين فاتهمت إلى بلد كبير فدخلته فعجب أهله مني وسألوني عن فأخبرتهم بالقصة فزعموا أن الفيل سار في هذه الليلة مسيرة أيام ، واستطرفوا سلامتي وأقمت عندهم حتى صلحت من تلك الشدائد التي قاسيتها وتندى بدني ثم سرت مع التجار إلى بلد على شاطئ البحر فركبته ورزقني الله السلامة إلى أن ددت إلى بلدي .

u o o

قال : حدثني أبو بكر البسطامي صاحب ابن دريد وكان زوج ابنته ، وكان شبيخا من أهل الأدب والحديث وقد استوطن الأهواز سبعين وكان ملازما (١٩ - الفرج - أول)

لأبي رحمه الله يتفقدته ويبره . قال : كان لامرأة ابن غاب عنها غيبة طويلة منقطعة وآيست منه فجلست يوماً تأكل فحين كسرت لقمة وأومت بها إلى نبيها وقفت بالباب سائل مستطعم فاستنعت من أكل اللقمة وحملت مع تمام الرغبة فتصدقت بها وبقيت جائعة يوماً وليلتها فما مضت إلا أيام يسيرة بعد ذلك حتى عاد ابنها فأخبرها بشدائد عظيمة مرت به . وقال : أعظم شيء جرى لي ، كنت منذ أيام أسلك أجمة عظيمة في الموضع الملاقي إذ خرج عليّ أسد فقبض علي من على ظهر حمار كنت راكبه وعاد الحمار وتشبكت مخالب الأسد في ثياب كانت علي فما وصل إلى بدني كثير شيء من مخالبه وذهب أكثر ثيابي فأدخلني الأسد الأجمة وبرك لي فترسني فرأيت رجلاً عظيم الخلقة أبيض الوجه والثياب قد جاء حتى قبض بيده من غير سلاح على قنما الأسد وشاله وخبط به الأرض وقال : قم يا كلب لقمة بلقمة . فقام الأسد هارباً يهرول وثاب إلى عقلي وطلبت الرجل فلم أجده وجلست ساعات إلى أن ثابت إلى قوتي ثم نظرت إلى نفسي فلم أجدها بأساً فمشيت حتى لحقت بالقافلة التي كنت فيها فتمعجبوا لما رؤوني فحدثتهم حديثي ولم أدر معنى القول من الرجل لقمة بلقمة فنظرت إلى المرأة فاذا هو وقت أن أخرجت اللقمة من فيها وتصدقت بها . وجدت في دفتر عتيق عن بعضهم . قال : خرجت إلى الحائر في أيام الحبشية أنا وجماعة مختلفين فلما صرنا في أجمة بر قال لي رفيق منهم يافلان : إن نفسي تحذني أن السبع يخرج فيمتدسني من بين الجماعة ، فإن كان ذلك فخذ حماري وما عليه فأده إلى بيالي في منزلي ، فقلت له هذا استشعار يجب أن تتعوذ بالله منه وتضرب عن الذكر فيه . قال : فما مضى دلى هذا الأمر إلا يسير حتى خرج الأسد لحين رآه الرجل سقط عن حماره يتشهد وقصده الأسد من بين الجماعة فأخذه ودخل به الأجمة وسقت الحمار وأسرعت من القافلة وبلغت الحائر وزرما ورجعنا إلى بغداد استرحت في بيتي يوماً أو يومين ، ثم أخذت الحمار وجئت به إلى منزله لأسلمه إلى عياله فدققت الباب فخرج إلى الرجل بعينه فما نقى وبكاو بكيت وقلت حديثك ؟ فقال : إن السبع ساعة أخذني وجرتني إلى الأجمة وأنا لا أعقل أمري سمعت

صوت شيء ورأيت السبع قد خلاى ومضى فمتحت عيني فاذا الذى سمعته صوت خنزير ، وإذا السبع لما رآه عن له أن يتركى ومضى فصاده وبرك عليه يترسه . وأنا أشاهده إلى أن فرغ منه ثم رجع السبع من الأجمة وغاب عن عيني فسكنت وتأملت حالى فوجدت خاليه قد وصلت إلى نخذى قليلا ، وقوتى قد عادت فقلت : لآى شيء جلوسى فقممت أتسحب فى الأجمة أطلب الطريق فاذا ببيتف ناس وبقرو وعظام بالية وأثر من افترسهم الاسد فما زلت أتخطاها حتى انتهيت إلى رجل قد أكل الاسد بعض جسده وبقى أكثره وهو طرى وفى وسطه هميان قد تحرق بعضه وظهرت منه دنائير فتقدمت لجمعتها وقطعت الهميان ، وأخذت جميع الدنائير وتبعتها حتى لم يفتنى منها شيء وقويت فضل قوة فأسرعت فى المشى وطلبت الجادة فوقفت عليها وأقت أمشى إلى بعض القرى ، واستأجرت حمارا وعدت إلى بغداد ولم أمض إلى الزيارة لأنى خشيت أن تسبقونى وتذكروا خبرى فيصير عند عيالى مأتم فسبقتكم وأنا أعالج نخذى ، وإذا من الله عز وجل بالعافية عدت إلى الزيارة . وحدثنى بهذا الحديث غير واحد من أهل بغداد . حدثنى أبو جعفر أصبغ بن أحمد بن شبيب وكان بحجج بأحمد الملهل رحمة الله عليه قبل وزارته . فلما ولى الوزارة كان يصرفه فى الاستحاثات على العمال ، وفى الأعمال التى يتصرف فيها العمال الصغار قال : كنت بشيراز مع أنى الحسن على بن خلف بن طبسات وهو يتولى عمالتهام يومئذ ، فجاء مستحاثان الوزير يطالیه بمحمل الأموال . وكان أحدهما العلبان الأكبر قد كوتب باكرامه فأحضره أول يوم طعماه وشرابه فامتنع من مؤاكلته وذكر أن له ذرا . فقال : لابد أن تأكل . فأكل بأطراف أصابعه ولم يخرج يده من كفه وكاد كفه يدخل فى الغضائر ويناله الغمر ، فلما كان فى عد قال على بن خلف : ليدعه كل يوم واحد منكم فكانوا يدعونه ويدعون بعضهم بعضا فتكون صورته فى الأكل واحدة فنقول : لعل به رصا أو جذاما إلى أن بلغت الصورة إلى فدعونه ودعوت الحاشية وجلسنا نأكل وهو يأكل معنا على هذه الصورة فسألته إحراح يده والانساط فى الأكل فامتنع من إحراح يده فقلت له يلححك تعبص بالآكل هكذا فأخرجها على أى شيء

كان بها فانا نرضى به . قال : فكشفها فاذا فيها وفي ذراعه ضربات بعضها فيه بقعة أدوية يابسة وهي على أقبح ما يكون من المنظر فأكل معنا غير محتشم ، وقدم الشراب فشربنا فلما أخذ منا الشراب سأله عن سبب تلك الضربات فقال : هو أمر طريف أخاف أن لا أصدق فيه ولا يحمل بي الحديث به . فقلت : لا بد أن تتفضل . قال : كنت عام أول بقرى من هذا الوقت قائماً بحضرة الوزير فسلم إلى كتاباً إلى عامل دمشق ومثسورا وأمرنى بالتوجه إليه وإزهاقه بالمطالبة بحمل المال ، ورسم أن أخرج على طريق السماوة لا تعجل وكتب إلى عامل هيت بإنفاذى مع خفارة فلما حصلت هيت استدعا العامل جماعة من أحياء العرب وضمنى اليهم وأعطاهم مالا على ذلك وأشهد عليهم بتسليى واحتاط فى أمرى ، وكانت هناك قافلة تريد الخروج منذ مدة وتتوق البرية فآنسوا بى وسألونى أن آخذ لنفسى مالا والأعراب مالا ، وأوصلهم فى الخفارة ويسرون معى ففعلت ذلك . فصر ما قافلة عظيمة وكان معى من علمانى من يحمل السلاح وهم يقربون من العشرين غلاما ، وفى حالى القافلة ، والتجار يحملون السلاح أيضا فرحلنا عن هيت ، ودخلنا فى البرية ثلاثة أيام بلياليها فبينما نحن نسير إذ لاح لنا خيل فقلنا للأعراب ما عنده الخيل ؟ ففسرع منهم قوم ثم عادوا كالمهزمين وقالوا : قوم من بنى فلاس بيننا وبينهم دم ، ونحن طلبتهم ولا ثبات لنا معهم ولا يمكننا خفارتكم منهم وركضوا متفرقين ، وبقينا نحن متحيرين ولم نشك أنهم كانوا بعض أهلهم وإن ذلك فعل على مواطاة لجمعت القافلة ، وطفقت بها أنا وعلمانى ومن كان منهم يحمل السلاح متساندين كالدائرة وقلت لمن كان معى : لو كان هؤلاء يأخذون أموالنا ويدعون جمالنا لننجوا عليها كان هذا أسهل ، ولكن الجمال والدراب أول ما تؤخذ وتتلغ فى البرية ضعفاو - طششا فاعملوا على أن نقاتل فان هزمناهم سلمنا وإن قتلناهم كان أسهل . فقالوا : فعل . وقدم القوم فقتلناهم مدة خيل ، وجرحنا منهم غير جريح وما ظفروا منا بعود فباتوا قريبا منا حتى قتلنا علمينا ، وافرقت الناس للأكل والصلاة واجتهدت بهم أن يجتبعوا . ويبيتوا تحت السلاح نخبافونى ، وكانوا قد آمنوا وأمام بعضهم فغشيننا الخيل ولم يكن عندنا جماعة

فوضعوا فينا السيوف ، وكنت أنا المطلوب خاصة لما شاهدوه من تدبير القوم برأى وعلوه من أني رئيس القافلة فقطعونني بالسيوف ولحقني هذه الجروح وفي بدني أضعاف أضعافها . قال : وكشف لنا عن أكثر جسده فاذا به أمر عظيم لم ير مثله في بشر قط . قال : وكان في أجلى تأخير فرميت نفسي بين القتل لا يشك في تلي . قال : فلما كان بعد ساعة أفقت فوجدت في نفسي قوة والعطش بي شديد فلم أزل أتحايل حتى قت أطلب من القافلة قدح ماء لا شرب منها فلم أجد أحدا ، ورأيت من القتل والمجروحين الذين هم في آخر رمق وسمعت من أيديهم ما أضعف نفسي وأيقنت بالتلف وقلت : غاية ما أعيش إلى أن تطلع الشمس ، فملت أطلب شجرة أو محلا لا جعله ظلا لي من الشمس إذا طلعت فاذا بي قد عثرت بشيء عظيم لأدري ماهو من الظلة ، وإذا أنا منبطح عليه بطولي وطوله فنار من تحتي فحسست عليه وكنت قدرته رجلا من الاعراب فاذا هو أسد فحين علمت ذلك طار عقلي ، وقلت : إن استرخيت افترسني فعاثت رقبة يدي ونمت على ظهره وألقيت بطني بظهره وجعلت رجلاي تحت مخضاه وكانت دماي تجري لحين دخلني ذلك الفرع الشديد رقي دمي وعلق شعر الأسد بأفواه الجروح فصار سدادا لها وعونا على أن أمسك نفسي فوقه ، وورد على الأسد مني أطرف بما ورد على منه فأقبل يجرى كما تجرى الفرس على طريق وأنا أحس بروحي وأعضائي تنقص من شدة جريه ، فلم أشك في أنه يقصد أجمته فيلقيني إلى لبوته ففترسني إلا أني ضبطت نفسي ، وأنا أو مل الفرج وأدافع الموت ، وكلما هم الأسد أن يربض ضربت مخضاه برجلي . فبطير وأنا أعجب من نفسي ومطيتي وأدعوا الله عز وجل وأرجوه ، وما زلت على ذلك إلى أن ضربني نسيم السحر فقويت نفسي وأقبل الفجر يضيء ، فتذكرت طلوع الشمس فجذعت ودعوت الله عز وجل فما كان أسرع من أن سمعت صوتا ضعيفا لأدري ماهو ، ثم قوى فشبهته بناعورة . قال : والأسد يجرى وقوى الصوت فلم أشك في أنه ناعورة ثم صعد بي الأسد إلى تل فرأيت منه بياض ماء الفرات ، وهو جار وناعورة تدور والأسد يمشي على شاطئ الفرات برفق إلى أن

وجد شريعة فنزل منها إلى الماء ، وأقبل يسبح ليعبر فقلت في نفسي : ما قعودى ؟ لن لم أتخلص هنا ما تخلصت أبداً فما زالت أرفق حتى خلصت شعره من أفواه جراحاتي وسقطت وسبحت منحدرأ وأقبل الأسد ينين الماء عرضاً فيبينها أنا أسبح نظرت جزيرة فقصدتها وحصلت فيها وقد بطلت قوتي وذهب عقلي وطرحت نفسي عليها كالتلف فلم أحس إلا بحرارة الشمس قد نهتني فرجعت أطلب شجرة رأيته في الجزيرة لاستظل بها فرأيت السبع مقعياً على ذنبه بشاطئ الفرات فقل فرعى منه ، وأقمت مستظلاً بالشجرة أشرب من ذلك الماء إلى العصر فاذا أنا بزورق منحدر فصعدت به وخالفت لهم أن ما بالجزيرة أحد سواى ، وأومأت لهم إلى الأسد وقلت لهم . تصبى ظريفة طويلة وأن تجاوزتموني كنت أتم قد قتلتموني فآله الله فى . فرقوا إلى ودخلوا إلى يحملوني فلما صرت فى الزورق ذهب عقلى فما أفقت إلا فى اليوم الثانى فاذا على ثياب نظاف ، وقد غسلت جراحاتى وجعل فيها الزيت وأدوية وأنا بصورة الأحياء فسألنى أهل الزورق عن حالى فحدثتهم وبلغنا إلى هيت فأخذت إلى العامل من عرفه خبرى فبعث لى من يحملنى إليه فتوجه لى وقال : ما أظن أنك أفلت فالحمد لله . فحدثته كيف نجيت فمجب وقال : بين الموضع الذى قطع عليكم وبين الموضع الذى حملك أهل الزورق منه مشاق أربعين فرسخاً على غير محجة . فأقمت عنده أياماً ، ثم أعطانى نفقة وثياباً وزورقاً فجلت إلى بغداد فكنت أتعالج عشرة أشهر حتى صرت هكذا ثم خرجت وقد افتقرت وأنفقت جميع ما كان فى بيتى فلما أقمت بين يدى الوزير رقى وأطلق لى مالا وأخرجنى اليكم .

حدثنى على ابن نصيف المعروف بشهاب الخـه ، وسعيد بن عبد الله السمرقندى الفقيه عن شخص حدثهما أنه بات فى سطح خان فى بعض الأمار ، ومعه رجل وزوجته وقرده دنام اناس وأخذ الأرق فبدأت العميون رأيت القرد قد قلع المسمار الذى فيه السـاله ومشى نحو المرأة ولم أعلم ما يريد فقامت فرآنى القرد فرجع إلى مكانه ، ثم فعل ذلك دفعاً وأنا أقوم

فلما طال الأمر جاء إلى وفتح خرجا وأخرج منه صرة دراهم ظننت أن فيها أكثر من مائة درهم ورمى بها إلى . فعجبت من ذلك وقلت في نفسي أمسك لأنظر ما يفعل فجاء إلى المرأة فسكتته من نفسها فواقعها ، فاغتمت بتمكيني إياه من ذلك وحفظت الصرة فلما كان في الغد صاح صاحب القرد يطلب ماذهب منه وقال لصاحب الخان : إن قردى يعرفني من أخذ هذه الصرة فتعفل باب الخان واقعد أنا وأنت ويخرج الناس فمن علق به القرد فهو خصمى ففعل ذلك وأقبل الناس يخرجون والقرد ساكن وخرجت فما تعرض لي ، فوقفت خارج الخان أنظر مايجرى فلما لم يبق أحد خرج رجل يهودى فتعلق به القرد فقال القرد : هو خصمى وجذبه ليحمله إلى صاحب الشرطة فلم أستحل حينئذ السكوت . فقلت : يا قوم ليس اليهودى صاحبكم وإنما أنا صاحبكم والصرة معى ولى قصة ظريفة فى أخذها وأخرجتها ، وقصصت عليهم القصة فحملنا إلى صاحب الشرطة وحضرت الصرة فعرفوا صاحب الشرطة محلى ومنزلى ويسارى وأقبل القرد يحيد عن القرد فما برحت حتى أمر صاحب الشرطة بقتل القرد وطلبت المرأة فهربت وسلم اليهودى .

حدثني الحسن بن صافى مولى محمد بن المتوكل القاضى . قال : حدثنى غلام كان أبى منى . قال : إني كنت أسير ماشيا فى وسط بغداد فلما صرت بين دير العاقول والسيب وأنا وحدى فى يوم صائف له ريح شديد رأيت بالعبد منى غبطة عظيمة قد خرج منها سبع ، فحين رآنى وحدى أقبل يهرول إلى فذهب على امرى وأيقنت بالهلاك وتخدر بدنى كاه وألهمت أن أخذ منديلى وأحمله فى رأس قسبة كانت معى ظنا أنى أقرعه بذلك وبينما أنا فى تلك الحال من الالاس وبقى بينى وبينه نحو المائتى ذراعا إذ قلع الريح أصل حشيش يقال له بارق عينه ، وصار يلتفت بالشوك حتى بقى كالسكرة العظيمة والريح تدخرجه نحو السبع وبالتضاء تمكنت منه وصار خفيف شديد فحين رآنى السبع وسمع الصوت رجع منصرفا وقد فزع فزعاً شديداً وبقى يحول وجهه فى كل عشر خطوات فإذا رآنى وذلك الأصل فى أثره يتدحرج يزيد

في الجرى إلى أن بعد عني بعداً ناسعاً دخل الغيط وعادت إلى نسي ومضيت في طريقى .

• • •

حدثني القاضي أبو بكر أحمد بن سيار . قال : أحدثني شيخ من أهل النير ومكران رأيت به بعمان ووجدتهم يذكرين ثقتهم ومعرفته بالبحر وأنه دخل الهند والصين . قال : كنت ببعض البلدان بالهند وقد خرج على ملكها حاج فأفخذ اليه الجيوش فطلب منه الأمان فأمنه فسار ليندخل إلى بلد الملك ، فلما قرب أخرج الملك جيشاً لتلقيه وكذا الآلات وخرجت العاية تنظر دخوله فخرجت معهم فلما قعدنا في الصحراء ووقف الناس ينتظرون طوع الرجل فطلع وهو راجل في عدة رجال من أتباعه وعليه ثوب حرير بمنزر وفي وسطه جرى على زى القوم والجرى مديدة معوجة الرأس من سلاح الهند فتلقيه باكرام ، ومشوا معه حتى انتهوا إلى فيلة عظيمة قد أخرجت للزينة وعليها الفيالون ومنها فيل يخص الملك نفسه ويركبه في بعض الأوقات ، فلما قرب منه . قال له الفياال : تمنع عن طريق الفيل . فسكت عنه فأما عليه الفياال القول : فسكت . فقال : يا هذا احذر على نفسك وتمنع عن طريق فيل الملك . فقال له الخارجى : قل لفيل الملك يتنحى عن طريقى . فغضب الفياال وأغرى الفيل به بكلام كله به فغضب الفيل وعمد إلى الخارجى فللف خرطوم عليه فقبض الخارجى بيده على الخرطوم وشاله الفيل إشالة عظيمة والناس يرون ، وأنا فيهم وخبط به الأرض فإذا هو قد انتصب قائماً على قدميه فوق الأرض ولم ينح يده عن الخرطوم فزاد غضب الفيل فأشاله أعظم من تلك وعدا ثم رمى به الأرض ، فإذا هو قد حصل عليها مستوياً على قدميه منتصباً قابضاً على الخرطوم فسقط فيل ميتاً ، عن قبضه الخرطوم تلك المدة كانت على المنس فقتله . قال : فوكل به وحمل إلى الملك وحدث بالصورة فأمر بقتله . قال : فاجتمعت العامة في هذا الموضع ومن أسماء النواجر ينعمل ذلك بالهند ظاهراً عند البر تقريباً إليه بذلك عدهم قال وهن العدول يشهدون في الحقوق ويتمن الشهادة فيقطع بها حاكمهم في سائر الأمور

ويعترض في الآراء لأن عندهم أسن بذان أنفسهم عند البر بغير أجر وقد صرن في حكم العباد الزهاد) فقال القمحاب للملك نجب أن نستبقى مثل هذا فإن فيه جمالا للملك ، ويقال إن للملك خادما قتل فيلا بقوته وحيلته من غير سلاح فعفى عنه ه عن أبي بكر محمد بن سهل الشاهد الواسطي القاضي . قال : أخبرني وكيان ثقتان كما في ضعتين بنواحي الحامدة ونهر جعفر : قال : خرجنا مع صناع عندنا إلى أجمة بتطوع قصباً فرأينا شبيلا كالسنور فقتله أحد قطاعي القصب فقالوا قطعنا الشبل ، والساعة يحى السبع والابوة فاذا لم يرياه طلبنا ونحن نبيت في الصحراء بين القصب فينتري سانا . قال : فما كان بأسرع من أن سمعنا صوت السبع : فطربا على وجوهنا واجتمعنا إلى دار خراب خارج الأكمة وعلونا على سطحها وكان فيها غرفة عليها باب كنا نأوى إليها ليلا فلما رأى السبع ولده قتيلا قصدنا فصار معنا في صحن الدار الخراب وكان بين يدي الغرفة صحنين فأخذ السبع يظفر ليصير معنا فما قدر على ذلك فولى وعلا فيكم في الصحراء وصاح فجاءته اللبوة فظفرت مثله فما وصلت فخرجا وصاحا فأتاهما عدة سباع أخرى من السباع فظفروا فما قدروا على الوصول فلم يزلوا كذلك حتى اجتمع بضع عشرة سباعا وكلها جاء واحد منهم ظفر إلينا فلم يبلغنا ونحن كالقوى خوفاً من أن يصل إلينا واحد منهم فبينما نحن كذلك إذا اجتمعت السباع كلها كالحلقة وجمعت أفواها في الأرض وصاحت صيحة واحدة فرأينا حنرة قد احتفرت في التراب من أنفاسهما فما كان إلا ساعة حتى جاء سبع أسود هزيل متجرد الشعر طويل فتلقته السباع كلها وبصبت بين يديه وحوله فجاء يقدمها وهي خلفه حتى رأنا في الغرفة وكنا قد أغلقنا الباب واجتمعنا كالحلقة لنُدفعه عن الدخول فلم يزل يدفع الباب بمؤخره حتى كسر بعض ألواح وأدخل جحره إلينا فعمد أحدا إلى ذنبه وقطعه بمنجل كان معاً : صاح صيحة عظيمة سكره وهرب فرمى بنفسه إلى الأرض فلم يزل يدس سباع السباع ما في بين يديه وهام في الصحراء وتبعه الباقون ورلنا عن المسامحى مهمما شيء ولمحقنا

القرية وأخبرناهم خبرنا فقال لنا شيخ منهم هذا السبع مثل الجرذ العتيق إذ قطع ذنبه يأكل الفار .

حدثنا قاضى القضاة أبو السائب عتبة بن عبيد الله بن موسى الهمداني . قال : كان رجل من أهل أذربيجان له على رجل دين فهرب منه وطالت غيبته فلحق الدائن المدين بعد مدة في الصحراء منفرداً ، فقبض عليه وطالبه خلف بالله أنه معسر وسأله الانتظار وقال لو أنى أيسر الناس لما تمكنت هنا من دفع شيء إليك فأبى عليه وأخرج قيداً كان معه ليقيده حتى لا يهرب فتضرع إليه وسأله أن لا يفعل وبكى فلم ينفعه ذلك فيقده بالقيد ومشى إلى القرية بقرب الموضع الذى التقينا فيه فجاءها مساء وقد أغلق أهلها سورها واجتهدا فى فتحها فلما فأتى أهل القرية ذلك عليهما فباتا فى مسجد خراب على باب القرية وأدخل صاحب الدين رجله فى حلقة من حلقة القيد حتى لا يهرب فجاء السبع وهما نائمان فقبض على صاحب الدين فافترسه وجره فأنجر المدين معه بسبب الحلقة اتى فى إحدى رجله فلم يزل ذلك حاله إلى أن فرغ السبع من أكل صاحب الدين وشبع وانصرف وترك المدين وقد تجرح بدنه وبقيت ركة صاحب الدين فى القيد فحملها الرجل مع قيده إلى أهل القرية وأخبرهم الخبر فخلوا قيده وسار لحال سبيله

حدثنى أبو جعفر بن مسعود بن عبد الله الضبي أن شيخاً من التنا البصريين كان قد انتقل عنها إلى قرية له وضبعة بقرب نهر الدين فاستوطنها . قال : كان فى هذا البستان - وأشار إلى بستان بجانب داره كثيرة الأشجار - أفعى تسمى الجراب لأنها كانت بقدر الجراب الكبير طولا وسعة وانتفاخا فكثرت خيانتها حتى أخربت على هذه الضبعة فانتقلت عنها إلى الجانب الآخر من النهر وبطلت ضيعتى وصار هذا البستان كالأجمة لا يجسر أحد على دخوله فطلبت حواء من البصرة ليعميده وبذلت له على ذلك بذلاً فجاء الحواء فتبخر

بدخنة معه : فظهرت الأفعى فحين رآها هاله أمرها وقصدته الأفعى
فتمنّته فتلف في الحال فصارتلى حديث بذلك وشاع الخبر فامتنع
الحوارون من المجيء وتغربت عن الضيعة وبطلت معيشتي فيها وذات يوم
كنت جالساً في النهر الآخر إذ جاءني رجل فسلم عليّ وقال بلغني خبر
أفعى عندك قد قتل فلان الحواء وأخرب عليك ضيعتك فجئت لانتدلي
عليك حتى آخذه فقلت ما أحب تعرضك لهذا وقد صارلى بتلف ذلك
الحواء ذكره فقال : إن ذلك الحواء كان أخى وأنا أريد أخذك أراه أو
للحوق به قلت تشهد على نفسك أهل الأنهار المجاورة إن هذا باختيارك
لا بمسألةلى في ذلك . قال نعم : ففعل وأريته البسان قال أريد شيئاً آكل
فجئناه بطعام فأكل ثم أخرج دهناً كان معه فطلى به جميع بدنه . وقال
لغلام كان معه : أنظر هل بقى موضع من غير ما أطليه . فقال له الصبي
لا : فجلسست أنا فوق السطح الذى كان فى دارى أنظر فأخرج
الحواء دهنه فتبخر بهما فما كان بأسرع من أن ظهر الأفعى كأه دن فحين
قرب من الحواء هرب منه وتبعه الحواء فلمحقه وقبض عليه فالتفت
الأفعى وعضت يده فتركه الحواء وذهب عليه أمره فجئناه وحملناه
فمات فى الليل وانقلبت الناحية بمحدث الأفعى ومضى على هذا
مدة . فجاءنى رجل يشبه الرجل وسألنى عما سألنى عنه الإخوان فأخبرته
بالخبر . فقال : الرجلان أخواى ولا بدلى أن آخذ بثأرهما أو أكون
اللاحق بهما فأشهدت عليه وأريته الموضع وصعدت إلى السطح فشرب
هذا أقداً كثيراً وأخرج دهناً كان معه وطلى به دفعات وكل مرة
يسأل غلامه فيقول هل بقى موضع لم يبلغه الطلاء فيقول له الغلام أعد
الطلاء فيعيده حتى طلاء نفسه ثلاث دفعات وصار الدهن يسقط عن بدنه
ويخرج فرج الأفعى فطلبه الحواء فأخذ الأفعى يحاربه ومكرب الحواوى
يده من قناه فاشنى عليه فعض لإبهامه فبادر الحواء فخرم فاه وجعله فى
سله ، وأخرج سكيناً وقطع إبهام نفسه ، وغلازيتاً وكواها به وخر كالتالف

فحملناه إلى القرية فاذا بصبي من غلمانى أتانى بليمونة . وكان إذ ذاك قليلاً بالبصرة جداً وعندى شجرة واحدة . فحين رأى الليمون قال ياسيدى : هذا موجود عندكم ؟ قلت : نعم . قال : أغثنى بكل ما تقدر عليه فاما نعرفه فى بلدنا أنه يقوم مقام الترياق . فقلت : وأين بلدك ؟ قال : عمان . فأتيته بكل ما كان عندى فأقبل يقصمه ويسرع فى أكله ، وعمد إلى بعضه فاستخرج منه ماء ، وأقبل يتحس منه ويطل به الموضع فأصبح فى غد معافى سالماً فسألته عن خبره قال : ماخلصنى بعد الله عز وجل إلا ماء الليمون ، وأظن أن أخواى لو اتفق لهما ذلك ماتلفاً فقلت له : ذلك الدهن الذى طليت به نفسك ماهو ؟ قال : الطلق الذى لو طرح على الجسم لا يكون فيه خلل ، وما ضرت النار الجسم ، وإنما تلف أخواى لأن بعض أبدانها خلا من الطلا وجف بعض الدهن فقلت : وكيف تمكن منك الحية ؟ قال : لطول الوقت جف بعض الدهن فتمكن منى ولولا الليمون لتلغت فتعلبت منه استخرج ماء الليمون ، وكنت أول من استخرجه بالبصرة ، ونبه الناس على منافعه وجربته فى الطبخ فوجدته طيباً وتداولته الناس قال : ثم أخرج الأفعى فقطعت رأسه وذنبه وغلاه فى طنجير واستخرج دهنه وجعله فى قوارير وانصرف .

* * *

حدثنى عبد الوهاب بن محمد مهدي المعروف بأحمد بن أبى سلمة الشاهد الفقيه المتكلم العسكري فى سنة خمسة وخمسين وثلاثمائة بعسكر مكرم : أنه شاهد رجلاً مفلوجاً حمل من اصفهان إلى عسكر مكرم ليعالج . قال : فطرح على باب خان فى الجانب الشرقى منها قد هجر وفرغ منه أكثر العقارات لكثرة العقارب والجرارات فيه وفى خانين بجواره ، وطلب له موضع ليسكنه فلم يوجد إلا فى هذا الخان . فأنزله غلبانه وهم لا يعلمون حالته ، وأنه أخل لكثرة الجرارات فيه ، وصعد أصحاب الرجل إلى السطح وتركوه فى أسفله لما وصف لهم أن المفلوج لا يبيت على السطح . قال : فلما كان فى الغد دخلوا عليه فوجدوه جالساً وكان طريحاً لا يمكنه أن يتقلب من جنب إلى جنب ، ووجدوا له لساناً فصيحاً ، وكان متكسراً بالعلة حتى أن الرجل مشى من يومه ذلك

فأحضر بعض الأطباء وسأل عن حاله ؟ ففتشاه فوجد أثر لسح الحرارة في إبهام رجله اليسرى فقال له : انتقل الساعة من هذا الخان فإنه مشهور بكثرة الجرات ، وقد لسعتك واحدة منهن فأبرأتك ، وعشت بشيء ما عاش به أحد قط ، وقامت حرارتها ببرد الفالج فأزاته ولم تتجاوزته فتقتلك ، وسيعقب ذلك حدة وحرارة فاصبر لها حتى أعالجك باليسير من الرطوبة فلا ترجع إليك رطوبة الفالج ، وانتقل لئلا تسعك أخرى فتتلف فاتقل الرجل ، وتعاذه الطيب فحم المفلوج من غد . فلطف به في علاجه حتى برأ .

حدثني عبيد الله بن محمد بن الصروي قال : كنت أتصرف مع المختار بن الغيث بن حمران أحد قواد بني عقيل فسار وأنا في جملة مع دكين الشيرازي لما تغلب على الموضع يطلب ناصر الدولة ، وصار العسكر منتشراً سائراً بعجلة ، وكان تحتي حجرة فصررت في أخريات الناس ثم انقطعت عن العسكر حتى صرت وحدي ثم وردت الدابة ماء كان في الطريق وحر ولم يمكنه أن يسير خطوة واحدة فخفت أن يدركني من يأمرني فنزلت عنها أمشي وفي عنقي سيف بمائل ، والمقرعة في يدي فسرت فراسخ حتى صعدت جبل سنجار ، وكنت أحتاج أن أمشي فيه نحو الفرسخ ثم أنزل إلى سنجار فاحتبسني الليل واستندت المشي جلدني نفخت الوحوش في الجبل فطلبت موضعاً أسكن فيه ليلتي فلم أجده ، ورأيت جباً بمنقورة في الجبل فطلبت أقربها قعرًا ورميت فيه بحجر فظننت أن قعره قائمة أو نحوها فرميت بنفسي فيه ، وكان البرد شديداً . فتمت ليلتي لا أقل من التعب والجوع فلما كان من الغد انتهت وعندى أن الجب محفور كالآبار ، وأرأى رجلاً في جوانبه فأتسلق وأطلع فأنملت فإذا هو محفور كالتنور رأسه ضيق وأسفله شديد السعة . وجوانبه منقوشة فقممت في وسط الجب فإذا هو أعلى من قامتي فتحييت في أمرى ولم أدر كيف السبيل إلى الصعود ، وطلعت الشمس وأضاء الجب ، وإذا فيه أفعى مدور كالطبق بين حجرين ، وقد سدر من شدة البرد فليس ينتشر ولم

يتحرك من مكانه ، وهممت أن أجرد السيف وأقطعه به ثم قلت أتعجل شراً لا أدري عاقبته ، ولا منفعة لي في قتله لأنني سأألف في هذه البئر وهي قبرى فما معنى قتل الأفعى أدته فلعله أن يبتدىء بالنهش فأتعجل أألف ، ولا أرى نفسي تخرج بالجوع والعطش فأقت يومى كله على ذلك ، والأفعى لم تتحرك ، وأنا أبكى وأنوح على نفسي ، وقد بئست من الحياة فلما كان من الغد أصبحت وقد ضعفت . فحملني حب الحياة على الفكر في الخلاص فقممت وجمعت من الحجارة الرقيقة شيئاً كثيراً ، ووضعتها في وسط الجب وعلوتها لتنال يدي طرف البئر فاحمل نفسي إلى رأسها فحين وضعت رجلى على الحجارة انهارت لرقتها وملاستها فلم أعد عملها ، وأمضيت يومى كله وأنا مشغول البال ، وجاء الليل فلم يمكنني أن أقوم من الجوع والضعف ثم حملني النوم . فلما كان من الغد فكرت في حيلة أخرى ، ووقع لي أن شددت المقرعة التي معي بعلاقتها في حمال السيف ودليت المقرعة إلى داخل البئر ، وقد أمسكت بإحدى يدي فحملت من السيف فوق الجب معترضاً لرأسه ، وهي مدلاة إلى ثم سللت السيف ولم أزل أقلع من أرض البئر ما يمكن نحته ، وقلعه من تراب قليل ثم غيبت ذلك الرضراض وتعلقت على السيف المعترض وظفرت ، وصار السيف معترضاً في جفنه تحت صدرى وظهرت يداي في البئر فحمل جوانبها تحت إبطى واستلكت نفسي فإذا أنا قد خرجت منها بعد أن اعوج السيف ، وكاد يندق ويدخل في بطني لثمل على عليه فوقعت خارج البئر مغشياً على من هول ما نالني ووجدت أسناني قد اصططكت وقوتي قد بطلت عن المشي . فما زلت أحبو وأطلب المحبة حتى وقعت عليها ، ورأيت قوم يجتازون فأخذوا يدي ، وقوى قلبي فشعيت حتى دخلت سنجار آخر النهار ، وقد بلغت روحى إلى حد التلف . فدخلت مسجدا فطرح نفسي فيه ، وأنا لا أشك في الموت وحضرت صلاة المغرب واجتمع أهل المسجد فيه وسألوني عن خبرى فلم يكن لي مقدرة على الكلام فحملوني إلى بيت أحدهم ، ولم يزالوا يصبون على حلقى الماء ثم المرق والثرید إلى أن فتحت عيني بعد العتمة فتسكمت وبت ليلتي بحال عظيم من الألم فلما كان من الغد دخلت الحمام ، وأفت عندهم أياما حتى برأت وأخرجت

نفقة كانت في وسطى فاستأجرت منها مركوبا ولحقت بصاحبي وسلم الله عز وجل . عن ديسم بن إبراهيم بن شاذلويه المتغلب كان بأذربيجان لما ورد حضرة سيف الدولة يستنجد به على المرزبان بن محمد بن مسافر السلاد لماهر به عنها قال : إن بناحية اذربيجان واديا يقال له الرأس شديد جرية الماء جدا ، وفي أرضه حجارة كثيرة بعضها ظاهر من الماء ، وبعضها مغطى بالماء ، وليس للسفن فيه مسلك ، وله أجراف هائلة ، وبه قنطرة يجتاز عليها المارة . قال : كنت مجتازاً عليها في عسكري فلما صرت في وسط القنطرة رأيت امرأة تمشي وتحمل ولدا طفلا في القمط فزاحها بعقل محمل فطرحته على القنطرة فزعا فسقط الطفل من يدها إلى النهر فوصل إلى الماء بعد ساعة لبعده ما بين القنطرة وصفحة الماء ثم غاص وارتفعت الضجة في العسكر ثم رأينا الصبي قد طفا على وجه الماء ، وقد سلم من تلك الحجارة ، وكان الموضع كثير العقبان ولها أوكار في أجواف هذا النهر ، ومنها يصطاد أفراخها . قال : لحين ظهر الطامل في قماطه صادف ذلك عقابا طائرا فرآه فظنه طعمة ، وانقض عليه وشبك مخالبه في القمط ، وطار به وخرج إلى الصحراء فطمعت في تخليص الطفل فأمرت جماعة أن يركضوا وراء العقاب ففعلوا وتبعتهم بنفسى لمشاهدة الحال فإذا العقاب قد نزل إلى الأرض وابتدأ يمزق قماط الصبي ليفترسه لحين رأوه صاحوا بأجمعهم وقصدوه ومنعوه عن الصبي فطار وتركه على الأرض فلمحقنا الصبي فإذا هو سالم ما وصل إليه جرح وهو يبكي فقاينا ناه حتى خرج الماء من جوفه وحملناه سالما إلى أمه .

حدثنا أبو محمد بن الحسن بن المظفر الكاتب المعروف بالحاتمي قال : رأيت بمصر رجلا يعرف بابن التماسح . فسألت جماعة من أهل مصر عن ذلك فقالوا : هذا وطى التماسح أمه فولدته . فكذبت ذلك وبمشت عن الخبر . فأخبرني جماعة من عقلاء أهل مصر أن التماسح بها يأخذ الناس في الماء من الشطوط القريبة فيفترسهم وربما أخذهم إلى جباله ، وهي جبال حجارة فيها مفارات إلى النيل لا يصل إليها الماشي ولا سالك الماء لبعدها عن الجهتين فيقتلني

التمساح إلى بعض المغارات فيودعها الإنسان الذي أخذه حياً أو ميتاً بحسب الاتفاق ويتركه ويذهب فإذا جاع ولم يظفر بشيء عاد إليه فينتزسه فمرة واحد منهم قبض على امرأة وجعلها في المغارة فذكرت المرأة أمها حين استقرت في المغارة وانصرف التمساح رأت رجلاً حياً وأثر جماعة قد أقرسهم التمساح وأنها قد سألت الرجل عن أمره فذكر أن التمساح تركه هنا منذ يومين قالت وأخذ الرجل يؤنسني إلى أن طالبنى بنفسى . فقلت يا هذا : اتق الله . فقال : التمساح قد مضى ومن ساعة إلى ساعة فرج ولعله أن يحتاز بنا سفينة قبل تودته فتطرح أنفسنا إليها وننجرف فوعظته ، ولم يلتفت إلى كلامي واعتصمني فواقعني ولم ينزل عني حتى جاء التمساح وأخذه من فوقى ومضى فبقيت كالهيئة فزعا فإني كذلك إذ سمعت وقع حوافر الخيل و صليل الجمل وصوت أقوام كثيرين فأخرجت رأسي من الغار وصحت واستغثت فأطلع بعضهم وقالوا ما أنت . قلت حديثي طويل أرمولى حبلاً فشددت نفسى وجزونى فصرت معهم على ظهر المغارة بعد أن توهمت وأنسلخ بعض جلدى فسألونى عن خبرى فأخبرتهم حديث التمساح فأركبونى شيئاً حتى دخلت البلد فلما كان في وقت حبيضى آخر عني ثم ظهر الحمل فولدت ابني هذا بعد تسعة أشهر وكرهت أن أخبر الناس بالحديث فنسبته إلى التمساح .

* * *

حدثني أبو القاسم بن الأعمى العلوى الفيلسوف . قال : خرجت من بغداد أريد الكوفة فلما صرت بينها وبين حمام عمرو قرية من الكوفة أفضيت إلى أجمة هناك . وكنت قد تقدمت الرفقة وكنت راكباً حماراً وورائى بمسافة قرية غلام مملوك لى راكباً بغلة فلما وصلنا الأجمة رأيت بمشاة دقيقة في وسط الأجمة وعليها المسلك ويوصل إليها بهبوط فرمت النزول إليها فوقف الحمار من تحتي فضربته ضرباً شديداً فلم يبرح فالتفت إلى كمل أأمل ما قوائمه فوجدت أسداً واقفاً بينه وبين كمل الحمار نحو ذراع وأقول وإذا بالحمار عندما شم رائحته أصابته رعدة عظيمة فرسخت قوائمه في الأرض ولم يتحرك فم أشك في التلف وأن الاسد سيمد يده فيجذبني من على الحمار فغمضت عيني أثلاً أرى كيفية وجودى

في مخالفته وفيه وأقبلت أتشهد وأقرأ ومع هذا أجد عقلي ثابتاً ومتصوراً
لهيئة الأسد ولم يفدن التغميض شيئاً فاستدردت إليه وفتحت عيني في عينه
وأقبلت أتشهد خنياً والأسد فاتح فاه، وأنا أنامل أسنانه ويصل إلى أنفي من
فيه روائح منذرة ولاني كذلك إذ لحقني الصبي المملوك على البغلة ومعه رجل
ركب دابة ووراءهما قوم مشاة فحين رآني والأسد على تلك الصورة جزع
جزعاً شديداً وصاح بأعلى صوته يامعشر المسلمين إدركونا فقد افترس الأسد
مولاي فحين سمع الأسد الصياح من ورائه التفت فرأى الصبي فتناوله من على
سرجه وغار البغل وصار الصبي في فم الأسد كالأمارة في فم السنور وأنا
كالميت إلا أني أرى كل شيء وأقبل الأسد يحمل على راكب الدابة والمشاة
والصبي في فيه فهربوا منه ودخل الأجمة فقلت في نفسي قد فدان الله عز وجل
بمملوكي فرميت نفسي من على الحمار وسرت أعدو حتى تلقاني قوم قد جاؤا
من الكوفة ورأوا فزعى فسألوني عن أمري فأخبرتهم فتقدموا يطلبون
الأسد وردت إلى روعي فزدت في الجري إلى أن خرجت من الأجمة ولحقتني
الرفقة الذين كنت معهم وقد أحضروا البغلة التي كانت تحت مملوكي وساقوا
فركبت ودخلت الكوفة قال وكان هذا يوم الثلاثاء غرة المحرم سنة ثمان
وثلاثين وثلاثمائة فصمت يومي واعتدت أن أصومه أبداً فأما كل يوم ثلاثاء
صائم إلى الآن. وجاءني أبو عمر بن يحيى وهنأني بالسلامة وبقدومي وقد كان
خبري شاع وقال في جملة كلامه كيف خفت الأسد؟ أو ما علمت أن لحومنا بني
فاطمة محرمة على السباع؟ فقلت له مثل سيدنا أظالم الله بقاءه لا يقول مثل هذا
وما الذي كان يؤمنني أن يكون هذا الخبر باطلاً فألتفت. وكيف كانت نفسي
مع طبع البشرية تطيق هذا في مثل ذلك الوقت مع احتمال هذا الحديث
قال ولم لا تطيق وكيف يجوز أن يكون هذا الخبر باطلاً مع ما روينا من
خبر زيب الكذابة مع علي بن موسى الرضا رضي الله عنه. قال: فقلت له يلي
قد رويت ذلك ولكن لم يحضرني فيكرى من هذا شيء في تلك الحال.
قال مؤلف الكتاب فقلت أما لأبي القاسم الأعلم: وما خبر زيب الكذابة
(٢٠ - الفرج)

فإني ماسمعه . قال : هذا خبر مشهور عند الشيعة . يروى بإسناد لهم لا أحفظه
أن امرأة يقال لها زيب ادعت أنها علوية فجيء بها إلى علي بن موسى الرضا
رضي الله عنهم فدفع نسبها فحاطبته بكلام دفعت به نسبه ونسبته إلى مثل
مانسبها له من الادعاء ، وكان ذلك بحضرة الخليفة . فقال الرضا : أخرج أنا
وهذه إلى بركة السباع فإني رويت عن آبائي عن النبي صلى الله عليه وسلم أن
لحوم ولد فاطمة رضي الله عنها محرمة على أكل السباع فمن أكله السباع فهو
دعي . فقالت المرأة : لأرضي بهذا ودفعت الخبر فأجبرها السلطان على ذلك .
فقالت : فليزل هو قبلي ، فنزل الرضا رضي الله عنه بركة السباع بمحضر
من خلق عظيم فلما رآته السباع أقعت على أذنانها فدنأ منها ولم يزل يمسح
رأس كل واحد منها ويمر بيده إلى ذنبه والسبع يبصبص له حتى أتى
على آخرها ثم ولى ، وكرهت المرأة النزول وأبته ، فأجبرت على ذلك
فحين نزلت وثب عليها بعض السباع فافترسها ومزقها فعرفت بزيب
الكذابة .

* * *

وروى عن جماعة من شيوخ البحرين الذين تردوا إلى بلد الهند أنهم
سمعوا هناك حكاية مستفيضة أن رجلا كان معاشه صيد الفيلة . قال :
استخفيت مرة في شجرة عالية كثيرة الورق في غيضة كانت تحتها
بها الفيلة من شرائع الماء التي تردها إلى مرتعها فاجتازني قطيع منها
وكانت عادتني أن أدع القطعان تجوز إلى أن يبلغ آخر فيل فأرميه
بسهم مسموم في بعض مقاتله فتفزع الفيلة وتمضي فإذا مات المروح
نزلت فاقتلعت أنيابه وسلخت جلده وأخذت ذلك وبعته في البلاد فلما
اجتازني هذا القطيع رميت آخر فيل كان فيه نحر فاضطربت الفيلة وأسرفت
إليه فإذا أعظمها قد عاد فوقف عليه وتأمل السهم والجرح ورجعت
معه الفيلة ووقعت بوقوفه فما زال قائما والفيل المروح يضطرب إلى
أن مات فضج ذلك الفيل ضجيجا عظيما وضجت الفيلة ثم انتشرت في الغيضة
ففتشوها شجرة شجرة فأيقنت بالهلاك . وانهى الفيل الأعظم إلى

الشجرة التي أنا فيها واتكأ عليها فإذا هي قد انكسرت على عظمها وضخامتها
وسقطت الشجرة إلى الأرض فلم أشك أن الفيل سيدوسني فإذا به قد جاء
حتى وقب يتأه لني ، وأجحمت الفيلة عني فلما رأني الفيل الأعظم ، ونظر
إلى قوسى وسهامى لف خرطوممه فلواه على وأنزلني إلى الأرض وأخذ يومى
بخرطوممه إلى ثيابان كان هناك برفق وتملق فسددت سهما إلى الشعبان ورمىته
فأصبته ، وتابعت رميته فانصرف مثنخنا فتقدم الفيل إليه فداسه ثم عاد
فأخذني بخرطوممه وحطني على ظهره ، وجعل يهرول والفيلة خلفه فجاء إلى
غيطه لم أكن أدرفها أعظم من تلك التي أخذني منها فإذا هي فراسخ وفيها فيلة
ميتة لا يحصيها إلا الله عز وجل وأكثرها قد بلى جسده وبقيت عظامه فما زال
يتتبع الأنبياب ويجمعها ، ويومى إلى فيل فيجىء إليه فيعبي عليه ما يمكنه أن
يعبیه عليه من ذلك إلى أن لم يدع هناك نابا إلا جمعه ، وأوقرتلك الفيلة ثم
أركبني على ظهره وأخذني على طريق العمارة ، واتبعته الفيلة فلما شارف
القرى أومى إلى الفيلة فطرحت أحمالها حتى لم يبق منها شيء ثم أنزلني
بخرطوممه برفق وتركني عند الأنبياب ، وقد صارت تلا عطيها هائلا فجلست
عندها متعجبا من سلامتى ، ورجع الفيل يريد الصحراء ، ورجعت الفيلة
برجوعه ، وأنا لا أصدق بسلامتى ، ولا بما شاهدت من عظم فطنة الفيل
وذكائه . فلما غابت الفيلة عن عيني مشيت إلى أقرب القرى منى
واستأجرت خيلكا كثيرا حتى خرجوا معى وحملوا تلك الأنبياب في أيام وما
زلت أبيعها في تلك المدة حتى حصل لى مال عظيم كان سبب يسارى وغنائى
عن صيد الفيلة .

* * *

عن مروان بن شعيب العدوى ، عن عدى بن ربيعة قال : كنت في حدائثى
شديد القوة ، وكانت عندى زوجة لى من عبد القيس ببلدة منارة . وهى
قريبة من تل أهواز على أربع فراسخ ، وعندى قوم من أهل المرأة ، ونحن
نشرب فتناخرها حتى انتهينا إلى تجريد السيوف فحجز بيننا مشايخ القرية ويدر
لسارى أن حلعت بالطلاق أن لا أبيت بمنارة فخرجت منها أريد منزلى بتل

أهواز ومعى سيفي وحجنتي ، وكان ذلك ليلا فسرت في الطريق وحدي ، وبلغت إلى أجمة لا بد من سلوكها . فلما سرت فيها قليلا سمعت ضجئة من ورائي فبيحة فجردت سيفي ورجعت أطلب الصوت فوجدت أسدا قد افترس رجلا وهو الذي صاح ، وهو في فم الأسد عرضا بثيابه فصاحت في الاسد فرمى الرجل ورجع إلى فقاثلته ساعة ثم وثب على وثبة شديدة فلطيت الأرض ثم جمعت نفسي في حجنتي ، فلشدة وثبته جازني فصار ورائي فأسرعت الوثوب وبعجته بالسيف في فمه ، وكان سيفي ماضيا فدخل في فيه وخرج من لحيته فخر صريعا يضرب فتداركته بضربات كثيرة حتى تلف ، وعدت إلى الرجل فوجدته يتنفس ولا يعقل لحملته إلى الجادة ، وكانت ليلة مقمرة ، وتأملته فإذا هو تاجر من تل أهواز أعرفه فلم تطب نفسي بتركه أصلا لحملته عند الجادة ، وعدت فأخذت رأس السبع وحملته والرجل وحصلتهما في صبيغة كانت على ، والصبيغة إزار أحمر يتشح به العرب في تلك الناحية ، وكان الأسد في خلال قتالي قد ضرب نخذي بكفه فأحسست به في الحال كغرز الابرة لما كنت فيه من الهول فلما حصلت أمشي حاملا لرأس الأسد والرجل أحسست بالآلم ، ورأيت الدم يجرى وقوتي قد ضعفت فصبرت نفسي حتى بلغت تل أهواز وقد أصبحت فذكر أهل القرية الجراح ، وسألوني عن خبري فألقيت الصبيغة التي بها الرجل والرأس فاستهولوا الحال لما حدثهم بها وقتشوا الرجل فوجدوا في بدنه خدوش كثيرة فأخذوه ورمت أن أمشي يسيرا إلى منزلي فلم أقدر حتى حملت ، وكنت أعالج من تلك الجراح مدة ، وعولج الرجل فبرأ قبلي ، وهو حي إلى الآن يسميني مولاي ومعتق . قال : وجراحاتي لصعوبتها تلتقيض على في أغلب الأوقات . قال صاحب الحكاية : وأراني الجرح ، وكان عظيم الفتح . فم أكن أعلم سببا لشكرنا وعربدتنا إلا نجاة ذلك الرجل من السبع .

• • •

قال رجل يعرف بعبد العزيز بن الحسن الأزدي . من تجار الفصب بالبصرة قال : كنت يوما جالسا في القصباء ، وقد أخرج من النهر قصب رطب فعمل

كالقبا ب على العادة فيما يراد تخفيفه من القصب ، وكان يوما صائفاً ، وكذنى الحر . فدخلت إحدى تلك القباب القصب ، وهى تكون باردة جدا وعادة التجار أن يسكنوا بها فنمت فى القبة فلبردها استثقلت فى النوم . فانتبهت بعد العصر ، وقد انصرف الناس من القصباء ، وهى موضع بالبصرة فى أعلاها صحراء وبساتين فاستوحشت للوحدة ، وعملت على القيام فإذا بأفعى غليظ الساعد طويل متدور على باب القبة كالطبق ، ولم أجد سبيلا إلى الخروج ، ويئست من نفسى وتحيرت وجزعت جزعا شديداً . فأخذت فى التشهد والتسبيح والفرع إلى الله تعالى ، وإنى لكذلك إذ جاء ابن عرس من بعيد فلما رأى الأفعى تأمله ثم رجع من حيث جاء ، وأتى ثانياً ومعه ابن عرس آخر فوقف أحدهما يتأمله على يمين القبة ، والآخر على اليسار ، وصار أحدهما عند رأس الحية والآخر عند ذنبه ، والحية غافلة عنهما ثم وثبا عليه فى آن واحد وعضاه فاضطرب ولم يفلت منهما وجرّاه حتى بعدا عن عيني فخرجت من القبة سالماً .

عن الحسن بن على الأنصارى المقرئ بالرملة ، وكان فارساً فانسكا شجاعا جلدا قال : خرجت فى قافلة من الرملة صاحبها ابن الحداد وأنا على مهر لى ، وعلى سلاحى ، فبلغنا فى ليلة ظلماء إلى واد عميق جدا عمقه نحو فرسخ ، وفى بطنه ماء يجرى وعليه شجر كثير ، وهو مشهور بالسباع والطريق على جنبه فى مضيق فازدحمت القافلة فسقط جمل عليه بز فرأيت صاحبه يلطم ويبكى ، وكان موسراً فدعاه ابن الحداد ، وقال له : أنت رجل موسر فما هذا الجزع ؟ فقال له : على الجمل أكثر من عشرة آلاف دينار . فنادى فى القافلة من ينزل ويخلص الجمل ويرده إلى صاحبه وله ما يشاء ؟ فلم يحسر أحد على ذلك فلما كرر النداء أجبته وقلت : عجلى الدناير . فقال : لا ولكن أكتب لك بها الساعة كتاباً ، وأشهد من فى القافلة فإذا صار الجمل وحمله مع ما فيه من المال عندى فالمال لك فكتبنا كتاباً بذلك وأشهدنا القافلة ، وأعطينهم دابتي ورحلى وأخذت سيفاً وحجفة وشمعة ، ودنوت للنزول فرأيت منزلا غرنى فاستعجلت

بسلوكه فنزلت ساعة حتى صرت على جانب الوادى فإذا هو واد مشجر فيه
أثر الرعاة والغنم ثم لم أجد طريقا إلى أسممل ، وكان سبيلي أن أرجع وأرتاد
المنزل من جهة أخرى فحملنى ضيق الوقت والحرص على الدنانير ان جعلت
أتوغل وأتنقل من شجرة إلى شجرة ، ومن حجر إلى حجر حتى حصلت في
جنب الوادى على صخرة ملساء كالرف ، وليس لها إلى أسفل طريق البتة
فاطلعت بالشمعة فإذا بينى وبين القرار نحو عشرين ذراعاً ، وفي أسفل الوادى
بردى كثيف يجرى بينه الماء ، وله خرير شديد فأجمعت رأيى على أن ألقى
نفسى ، وأطفأت الشمعة وشددتها مع حمائل السيف مع الحبيضة وألقيت ذلك
في موضع علمته عن يمينى ثم جمعت نفسى فوثبت في وسط البردى فوقعت
على شيء ثار من تحتى ونفضنى بعد أن صاح صيحة ملأ بها الوادى ،
وإذا هو أسد فشق الوادى ، وسعى هارباً فوقف بأذنى من جانب الوادى
الآخر فطلبت سبقي وحجفتى حتى أخذتهما ، ووقفت أنتظر أن يمضى فأطلب
الجل فأقبل يريدنى فمشيت بين يديه في ذلك البردى ، وهو في أثرى يخوض
الماء ويشق البردى ، وأنا أخاطلة من موضع إلى موضع فطلع القمر فأبصرت
بناء خفياً فقصدته فإذا هو بيت رحى يديرها الماء فدخلت فيه ثم فكرت
فقلت هذا مأوى السبع والساعة يجيئنى فخرجت منه وجئت إلى شجرة كبيرة
فقطعتها بالسيف من نصف ساقها وجررتها ، ودخلت بيت الرحى فامتلاً
الباب بها وجلست في الداخل ، وساق الشجرة في يدي فما كان إلا مقدار
الجلوس حتى أحسست بالأسد يزحم الشجرة ، وهو يروم الدخول فاستندت
إلى الحائط وأمسكت ساق الشجرة أدافعه بها حتى ملنى ومللته ثم ربضت بالبواب
إلى أن اسفر الصبح فلما كادت الشمس تطلع مضى لحال سبيله فأثقت إلى
أن انبسطت الشمس حتى أمنتها ، ثم خرجت فما زلت أطلب أثر الجمل حتى
انتهيت إليه فإذا هو قد تقطع من أثر السقطة والعدلان مطرر-عان ، وكانوا
أمرونى بفتحهما واستخراج المال منهما ، وحمله إن لم أقدر على تخليص الجمل
وحمل العدلين ففعلت ذلك وحملت المال على ظهري وطلبت المصعد ، وقيد
علمت الضحى فصعدت فيه . فلما صرت برأس الوادى إذا ببساية يجتازين

فقصصوني فماعتهم عن نفسي بالسيف فلم أطلقهم فضرّبوني بالسيف . فقلت
لشيخ رأيته كالرئيس لهم ، إلى الزمام على مامعى حتى أصدقك وأنفعك نفعاً
كثيراً . فقال : أصدقنى حتى أعطيك الزمام فحدثته بالحديث فأخذوا المال
وساروا بي معهم حتى وقفوا على العدلين فاحتملوا وضرب الشيخ يده فى
المال فحى منه ثلاث حثوات وأعطاهما لى فأخذتها ، وقلت إن هذا لا ينفعنى
إن لم تبلغونى مأمنى فأناخ جملاً وحملنى عليه وسار بي سيراً حثيثاً حتى أتى بي
القافلة على بعد ثم أنزلنى ، وقال الحق رفقتك ، فما عليك من أحد بأس .
فشيت حتى لحقت القافلة ، وقد خبأت تلك الدنانير فى سراويل فعرقتهم
بما جرى وبما أخذته البادية وكنتمهم ما أعطونه ودخلنا طبرية ، فشكروا
إلى أميرها أبى عثمان مولى بنى عقيل . فاسرى إلى الأعراب فارتجع منهم
أكثر المال والثياب ورده إلى صاحبه وكنت أنا لما دخلت طبرية فارقتهم
ودخلت مصر ولحقونى وبلغنى مارد عليهم . فقلت لصاحب المال : قد بذلت
مهجتى وأفلت من الأسد ومن الموت مراراً ومن الأعراب حتى وصل اليك
بعض مالك فلا أقل من أن توصلنى إلى بعض ما كنت قد وعدتني به فأعطاني
مائتي دينار ، فأضفتها إلى ما أعطانيه الأعراب فاذا الجميع ستمائة دينار مع
السلامة من تلك الشدائد .

وجدت أيضاً أن رجلاً وفد على هشام فقال يا أمير المؤمنين : لقد رأيت
فى طريقى عجبا . فقال وما هو : قال . بينما أسير بين جبلى طى إذ نظرت فإذا
عن يمينى أسد كالبعل وعن يسارى ثعبان كالحيل وهما مقبلان نحوى ففرعت
منهما ورفعت رأسى إلى السماء وقلت شعراً :

يا دافع المكروه قد تراهما فنجنى يارب من أذاهما

ومن أذى من كاذنى سواهما لا تجعلنى شلوى من قراهما

قال : فقربا منى فشمانى حتى لم أشك فى الموت ثم صدرا عنى فنجوت
ولله الحمد .

بلغنى عن قاضى القضاة أبى السائب ولم أسمع ذلك منه . قال : وافيت من همدان إلى العراق وأنا فقير وزرت قبر الحسين رضى الله عنه فلبسنا أنصرفنا أريد قصر بن هبيرة قيل إن الأرض مسبعة وأشير على أن الحن قرية فيها حصن سميت لى فأوى إليها قبل المساء وكنت مانسها فأسرعت وأتعبت نفسى إلى أن لحقت القرية فوجدت باب الحسن دةلقا فدفعته قلم يفتح لى وتوسلت لفقائمين بحراسته بمن قدمت زيارته . فقالوا قد آتانا منذ أيام من ذكر مثل ما تذكر فأدخلناه وآوينا فكان علينا للصوم وفتح الباب ليلا وسلبونا ولكن الحق بذلك المسجد وكن فيه لثلاثا نسمى فيأنيك السبع فصرت إلى المسجد فدخلت بيتا كان فيه وجلست فلم يكن بأسرع من أن جاء رجل على حمار منصرفا من الحائر فدخل المسجد وشده فمارة فى حلق كان فى باب البيت ودخل إلى ومعه كرز فيه خرج فأخرج منه سراجا فأصلحه وقده فأوقدها وأخرج خبزه وأخرجت خبزي واجتهدنا إلى الأكل فما نشعر إلا والسبع قد حصل فى المسجد فلما رآه الحمار دخل إلى البيت الذى كنا فيه فدخل السبع وراه فخرج الحمار وجذب باب البيت بالرسن فأغلقه علينا وعلى السبع وصرنا محبوسين فيه وقدرنا أن السبع لا يترسنا بسبب السراج وأنه إذا انطفى أخذنا وأكلنا وماطال الأمر أن فى ما كان فى السراج من الدهن وطفى وصرنا فى الظلمة والسبع معنا فما كان عندنا من حاله شيء إلا إذا تنفس فإننا كنا نسمع نفسه وراث الحمار من فزعه فلما المسجد روثا ومضى الليل ونحن على حالنا وقد كدنا نتلف فزعا شتم سمعنا صوت الأذان من داخل الحصن وجاء المؤذن فدخل المسجد فلما رأى ما قبل الحمار لعن وشتم وحل رسن الحمار من العلق فريطير فى الصجرأ وفتح المؤذن باب البيت لينظر من فيه فوثب السبع إليه فدقه وحمله إلى الأمامة وفيما نحن وانصرفنا سالمين .

بلغنى عن أبى عيسى محمد بن محمد بن على بن مقلة . قال : كنت عند أبى الحسن على بن عمر بن يحيى العلوى بالكوفة إذ دخل عليه غلام له . فقال :

يامولاي أخذ الأسد فلاناً وكيملنا . فانزعج وقال : في أى محل . فقال : في موضع كذا وأدخله الأجمة الغلانية . فقال العلوى : لا إله إلا الله في هذا الموضع بعينه أخذ الأسد أباه وأدخله إلى هذه الأجمة بعينها منذ كذا وكذا سنة ، فاعتم فأخذنا نسليه فعاد إلى شأنه في المحادثة . وأنا قاعد أحدثه إذ دخل عليه غلبانه مبادرين . وقالوا : قد نجى الوكيل من الأسد وحضر فها تم كلامه إلا ودخل الوكيل فبش له العلوى وسأله عن خبره . فقال نعم : أخذني السبع كما شاهد من حديثكم وكنت راكباً فحملني بضمه كما تحمل السنور بعض أولادها إلا أنه ما كلفني فأدخلني الأجمة وقد زال عقلي فما أعرف من أمرى شيئاً إلا أنى أفقت فلم أره ووجدت أعضائي سالمة ووجدت حولي من الجمجم والعظام أمراً عظيماً ولم تزل قوتي تعود إلى أن قت فعثرت بشيء فاذا هو هميان فأخذته وشددته على وسطى ومشيت إلى أن بعدت عن الموضع فوصلت إلى شبية بوعدة فجلست فيها وغطيت نفسي بما أمكنني من القصب بقية ليلتي فلما طلعت الشمس أحسست بكلام المجتازين وحوافر بغالهم نخرجت وعرفتهم قصتي وركبت بغل أحدهم فلما بعدت عن الأجمة وأمنت على نفسي فتحت الهميان فإذا فيه رقعة فتأملتها فإذا هي بخط أبي بأصل ما كان في الهميان من الدنانير وما أنفقه فاذا هو هميان أبي الذي كان في وسطه عند ما افترسه الأسد فحسبت الخرج ووزنت الدنانير فإذا هي بإزاء ما بقى من الأصل ما نقصت شيئاً . قال : وأخرج الهميان وفتحه وأخرج الرقعة فقال العلوى نعم هذا خط أبيك فمعجبت الجماعة من ذلك . بلغني عن رجل من أهل الأنبار . قال : خرجت إلى ضيعة لي في ظاهر الأنبار راكباً دابة كانت معي ، ومعى عبد أسود ، ملوك في نهاية الشجاعة فلما صرنا في بعض الطريق بالقرب من الضيعة إذ نشأت سحابة فأمطرت وكان المطر قد أدركنا فلما إلى قباب كانت كالأسرة تبنيها على الطريق وعلى السابلة فليجأنا إليها وقوى المطر جدياً حتى معنا من الحركة فأشار على الغلام بالمبيت فقلت له تخاف ويملك اللصوص . فقال لي أتخاف وأنا معك . فقلت فالسبع قال نصير الدابة داخل القبة وأنت تليها وأما عند الباب وأشد وسطى بالحبل

الذى معنا وأشد طرفه برجلك حتى لا يأخذنى النوم فإن جاء الأسد أخذنى
دونك . وما ال يحسن لى ذلك الرأى حتى أطعته وملنا إلى أحد القباب ودخلناها
وفعل ما قال لا والله ما مضى قطعة من الليل حتى واز السبع فأخذ الأسود
ودقه واحتمله وجر رجلى المشدودة معه إلى الحبل ولم يزل يحمرنى على الشوك
والخجارة والدكادك إلى أن صار إلى أجمته وأنا ألا أعقل شيئاً من أمرى
ولا أحس بأكثر مما يجرى ولا تميز لى يؤذنى إلى الاجتهاد فى حل الحبل
من رجلى ثم رمى بالأسود وربض عليه وما زال يأكل منه حتى شبع وترك
ما فضل منه وليس فى من حس الحياة غير النظر فقط ثم مضى فنام بالقرب
من مكاننا وبقيت زماناً على تلك الحال ثم سكن روعى وثاب إلى فهمى ورجعت
إلى نفسى فخلت رجلى من الحبل المشثوم وقت لأدب فعثرت بشيء لا أدرى
ما هو فأخذته بيدي فإذا هو هميان ثقيل فشددته فى وسطى وخرجت من
الأجمة وقد قارب الصبح أن يسفر ومشيت إلى القبة التى فيها دابى فإذا هى
واقنة بمحالها فأخرجتها وركبتها وانصرفت إلى منزلى فوجدت فى الهميان جملة
دنانير فحمدت الله عز وجل على السلامة وبقي الرعب فى قلبى وانتألم فى جسدى .

الباب العاشر

من اشتد بلاؤه بمرض ناله * فعافاه الله سبحانه بإيسر سبب وأقاله

روى بإسناد آخره عن عثمان بن أبي العاص الثقفي ، قال : شكوت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعاً قد كان يبطلني ، قال : فقال لي يا عثمان : ضع يدك عليه وقل « أعوذ بعزة الله وقدرته من شر هذا الوجع » ، ومن شر ما أجد ، سبع مرات . قال : فقلت لها فشفتني الله ، وعن ابن جعدية قال : مرض أبو عزة الجمحي الشاعر فكانت قريش لا تؤاكله ولا تجالس . فقال : الموت خير من هذه الحياة فأخذ حديدية ودخل بعض شعاب مكة فطعن بها في المعدة والمعدة موضع عقبي الراكب من الدابة . قال ابن الجعدية : فمرت الحديدية بين الجلد والصفاف فسال منه ماء أصفر فقال :

لاهم رب نائل ونهد والمهمات والجبال الجرد

من بعد ما طعنت في معد

قال مؤلف الكتاب : كذا في كتاب الطوسي ، والصواب عندي :

لاهم ورب من يرعى بياض نجد أصبحت عبداً لك وابن عبد

أبرأتني من وضع مجلدي من بعد ما طعنت بها في معد

* * *

حدثنا أبو الحسن أحمد بن يوسف بن يعقوب بن البهلول التنوخي قال : كان ينزل باب الشام من الجانب الغربي من بغداد رجل مشهور بالزهد والعبادة يقال له لبيب العابد لا يعرف إلا بهـذا ، وكان الناس يلتابونه ، وكان صديقاً لأبي فخذني لبيب قال : كنت مملوكاً رومياً لبعض الجند فرماني وعلمني السلاح حتى صرت رجلاً ، ومات مولاي وتزوجت بامرأته ، وقد علم الله أني ما أردت بذلك إلا صيانتها . وأقيمت معها مدة ثم اتفق لي أني رأيت حية داخلية إلى حجرها فأمسكت ذبها لأقتلها فاشتدت عليّ فنهشت يدي فشلت ، ومضى على ذلك زمان طويل فشلت يدي الأخرى بغير سبب أعرفه

ثم جفت رجلاي ثم عميت ثم خرس . فكنت على هذه الحال ملقى سنة كاملة لم يبق لي جراحة صحيحة إلا سمعى أسمع به ما أكره ، وأنا طريح على ظهري ، ولا أقدر على كلام ، ولا إيمان ، ولا حركة أسقى وأنا ريان وأطعم وأنا شعبان ، وأترك وأنا جائع . فلما كان بعد سنة دخلت امرأة إلى زوجتي وقالت : كيف أبو عني ؟ فقالت لها زوجتي : لاهو حتى فيرجى ، ولا ميت فيدسلى . فأقلعنى ذلك وآلم قلبي ألماً شديداً ، وضججت إلى الله عز وجل فى سرى بالدعاء ، وكنت فى جميع تلك العمل لا أجد ألماً فى نفسى فلما كان بقيّة ذلك اليوم ضرب على جسدى ضرباً شديداً كاد يتلفنى ، ولم أزل على ذلك الحال إلى أن دخل الليل واتصف ، وخف الألم قليلاً فسمت فما أحسست إلا وقد انتهت وقت السحر وإحدى يداى على صدرى فتعجبت من ذلك فى نفسى وقلت : كيف صارت يدى على صدرى ، ومن رفعها إليه ؟ وكانت طول هذه المدة مطروحة على فراشى لا ترفع ؟ إلا أن شالها أحدى لي ثم وقع فى قلبي تحريكها فتحركت ففرحت فرحاً شديداً وقوى طمعى فى فضل الله عز وجل بالعافية فحركت الأخرى فتحركت فقبضت إحدى رجلى فانقبضت فرددتها فرجعت وفعلت مثل ذلك بالأخرى ، ورمت الانقلاب من غير أن يقلبنى أحد كما كان يفعل بى فانقلبت بنفسى فجلس ، ورمت القيام فأمكننى فقممت فنزلت من على السرير الذى كنت مطروحة عليه ، وكان فى بيت من الدار قمشيت أتلس الحائط من الظلمة لأنه لم يكن هناك سراج إلى أن وقفت على الباب ، وأنا لا أطمع فى بصرى فخرجت من البيت إلى صحن الدار فرأيت السماء والكواكب مزهرة ، وكدت أموت فرحاً وانطلق لسانى وقلت يا قديم الإحسان لك الحمد ، ثم صحت بزوجتى فقامت وقالت : أبو على . فقلت لها : الساعة صرت أبو على اسرجى فأمرجت فقلت : جيئنى بمقراض فجاءت به فقصصت شاربا كان لي بى الجند فقالت زوجتى : ما تصنع الساعة ؟ تعبك رفقاؤك فقلت : بعد هذا لا أخدم غير ربى ، فانقطعت إلى الله عز وجل ، وخرجت من الدار وطلقت الزوجة ، ولزمت عبادة ربى . وقال أبو الحسن : خبر هذا معروف مشهور ، وكانت هذه الكلمة لا تفارقه ، وهى : يا قديم الإحسان

لك الحمد ، وصارت عادته يقولها في حشو كلامه ، وكان يقال : إنه مجاب الدعوة فقيل له : إن الناس يقولون إنك رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في منامك فمسح يده عليك فبرأت . فقال : ما كان لعافيني سبب غير ما عرفتك .

• • •

حدثني محمد بن علي الخلال البصري أحد أبناء القضاة ، قال : حدثني بعض الأطباء الثقة أن غلاماً من بغداد كان علميلاً فقدم الرى وهو ينفث الدم ، وكان قد لحقه ذلك وهو في طريقه فاستدعى أبا بكر الرازي الطبيب المشهور بالخذق صاحب الكتب المصنفة فأراه ما ينفث ، ووصف له الحال . فأخذ الرازي مجلسه ، ورأى قارورته ، واستوصف حاله منذ ابتدأت العلة به فلم يقيم له دليل على سل ولا قرحة ولم يعرف العلة فاستنظر الرجل ليفكر في الأمر فقامت على العليل القيامة ، وقال : هذا يأس لي من الحياة لخذق الطبيب وجهه بالعلة فازداد ما به وولد الفكر للرازي أن عاد إليه وسأله عن المياه التي شربها في طريقه فأخبره أنه شرب من مستنقعات وصهاريج فقام في نفس الرازي بحدة الخاطر وجودة الذهن أن علة كانت في الماء وقد حصلت في معدته ، وأن ذلك النفث للدم من فعلها وقال له : إذا كان في غد جئتكم فعالجتكم ، ولم أنصرف حتى تبرأ ولكن بشرط أن تأمر غلمانك أن يطيعوني فيما أمرهم به فيك . قال : نعم . وانصرف الرازي وتقدم وجمع له ملائكة من مركبين من طحلب فأحضرهما في غد معه ، وأراه إياهما وقال له : ابلع جميع ما في هذين المركبين فبلع الرجل منه شيئاً كثيراً . ثم قال : ليس يمكنى بلع شيء آخر أكثر منه . فقال له ابلع . فقال : لأستطيع . فقال للغلمان خذوه ففعلوا ذلك به وطرحوه على قماه ، وفتحوا فاه ، وأقبل الرازي يدس الطحلب في حلقه ويكبسه كبساً شديداً ، ويطالبه ببلعه شاء أو أبى ويهدده بالضرب إلى أن أبلعه كارهأ أحد المركبين بأمره ، والرجل يستغيث ولا ينفع مع الرازي شيء ، إلى أن قال العليل : الساعة اقذف فزاد الرازي فيما يكبسه في حلقه فذرعه القى . فحذف فتأمل الرازي قذوه فإذا فيه علة ، وإذا هي

لما وصل الطحلب اليها دبت اليه بالطبيع وتركته موضعها فلما قذف العليل
خرجت مع الطحلب ونهض العليل معاني .

عن أبي الحسن علي بن الحسن الصيدلاني قال : كان عندي بسوق الأربعماء
من أولاد آذر غلام حدث لحقه وجع في معدته شديد بلا سبب يعرفه ،
وكانت تضرب عليه في أكثر الأوقات ضربا عظيما حتى كاد يتلف وقل
أكله ونحل جسمه فحمل إلى الأهوار فموج بكل شيء فما نجح فيه دواء فرد
إلى بيته وقد يئس منه فاجتاز بنا بعض الأطباء فدعاه والد العليل وعرفه حال ابنه
فقال للعليل : أقعد و اشرح لنا سبب مرضك منذ حال صحتك إلى أن أصبت
فشرحها فطاو لها بمحدث إلى أن قال العليل : إني دخلت بستان لنا فكان في بيت
البقر منه رمان كثير قد جمع للمبيع فأكلت منه رمانا عدة فقال له الطبيب :
كيف كنت تأكل ؟ قال : كنت أعض رأس الرمانة بضمي وأكسرها وأرمي
بها وأكلها قطعاً قطعاً فقال الطبيب : في غد أعجل لك العلاج فتبرأ بإذن الله وخرج
فلما كان من الغد جاءه بقدر اسفيداج قد طبخها في لحم جروسمين وقال للعليل :
كل هذا فقال ماهو ؟ قال : إذا أكلته عرفتك قال فأكل العليل وقال له امتل منه
ففعل ثم أطعمه بطبخا كثيرا ثم تركه ساعتين وسقاه فقاغا قد خلط بماء حار
وشبت ثم قال له أي شيء أكلت ؟ فقال لا أدري فأخبره الخبر فحين سمع الغلام
ذلك اندفع يقذف فأمر بعينه ورأسه فأمسكت ، وأقبل يتأمل القذف إلى أن
طرح الغلام شيئا أسود كالنواة الكبير يتحرك فأخذه الطبيب وقال له : ارفع
رأسك فند رأيت وفرج الله تعالى نك نرف الغلا. رأسه وانقطع القذف
وسماه طبيب شيئا يقطع الأغشيا ونسب على رأسه ماء ورد ومسكن ثم أخذ
الذي يشبه نواة فأراه لوالد غلام فإذا هو قراد فقال له : اني قد ذكيت أن
الموضع الذي كان فيه الرمان كان فيه قرادا من البقر وانه دخلت واحدة
منهن في رأس إحدى الرمانات التي اقتلعت رؤسها بهم الغلام فنزل القراد
في حلقه وعلق بمعدته يمتصها وعلبت أن القراد يمس إلى لحم الكلب فأطعمته
إياه وقلت : إن صح ظني سيعلن القراد بلحم الكلب تعلقا يخرج معه إن

قذف فيبراً وإن لم يكن ما ذكيت صحيحاً فما يضره من أكل هذا اللحم فلما أحب الله عز وجل عافيته صح ما ذكيت . فنبهه إلى أن لا يعاود بعدها إدخال شيء في فيه لا يدري ما هو ورأ الغلام وصح جسمه .

حدثنا أبو الحسن غلامنا عن ابن الصيدلاني . قال : كان لي أكار حدث حدث فانتفخ ذكره انتفاخاً عظيماً فلم يكن ينام الليل ولا يهدأ النهار وعوج فلم يكن لبرثه سبيل . قال : فجاء متطبب من الأهوار يريد البصرة فسأله أن أنظر إليه . فقال لي : قل له يصدقني عن خبره في أيام صحته إلى الآن . قال : فحدثته . قال فأصدقني ؟ فليست أدري شيئاً يوجب هذه العلة ومالي إلى علاجك سبيل . قال : فقال لي الغلام . أصدق وأنا آمن جهتك فقلت افعل فقال له : أنا غلام حدث أعزب فوطئت حمراً ذكراً كان لي في الصحراء . قال : فقال له الطبيب . الآن قد علمت أنك صادق والساعة أعالجك فبرأ . ثم أمر به فأمسك امساكاً شديداً والغلام ساكت إلى أن جس منه موضعاً فصاح الغلام ، فأخذ الطبيب خيطاً ابريسماً فشد الموضع شداً شديداً ولم يزل يرح ذكر الغلام حتى خرجت منه حبة وقد كبرت وجرح الموضع فسال منه شيء يسير كماء اللحم فأطاه مرهما وقال استعمل هذا أياماً فإنك تبرأ وتب إلى الله تعالى عن مثل هذا الفعل واستعمل الغلام المرهم فبرأ .

• • •

حدثني أبو عبد الله الحسين بن محمد بن عبد الله الدقاق المعروف بابن العسكري من بغداد في المذاكرة . قال : كان أبي إذا جلس يفتش دفتاره وأما صبي أجيء فآخذ منها الشيء بعد الشيء أستحسنه وألعب به ، وكنت أرى في دفتاره دفتراً فيه خطر طر حمر فاستحسنه وأطلبه فيمنعني منه حتى بلغت مبلغ الرجال . قال : فجلس يوماً يستس كتبه فرأيت الدفتر أعففت أبي وأخذته ففتحته أقرأه ، فإذا هو مولد . قد عمل بعض المنجمين ووجدت فيه أن بلغت أربعاً وثلاثين سنة كان لي قط فيهما فالتفت أبي فرأى الدفتر في يدي فصاح وأخذه مني ونظر أي موضع أقرأ فرآه فأخذ يضعف ذلك في نفسي لثلاث أعتم ومضت السنون ولما بلغت إلى السنة التي ذكرها المنجم

المنجم ركبته مهرا إلى وقد خرجت إلى دار الضرب وأبى فيها وكان إليه
العمار فبلغت إلى سباط في درب الدبرج فنمر المهر من كلب كان في الطريق
رابتاً فضرب رأسى حانطاً كان في السباط فوقعت عن المهر مغشياً على ثم
حملت إلى دار الضرب فأحضروا طبيباً وقد انتفخ موضع من رأسى انتماخا
عظيماً فأشار بفصدي فتصدت فم يخرج لي دم فحملت إلى بيتنا ولم أشك في
أنى ميت لشدة ما لحقنى فاحتلت مدء وضغعت نفسى خوفاً مما ذكر من حكم
المنجم وكنت يوماً جالساً مستنداً على سرير وقد آيست من نفسى إذ حملتنى
عينى فنفق رأسى فضرب درابزين السرير فانشج الموضع المنتفخ وخرج
منه أرتال دم تخف ما بين فى الحال وصلحت وبرأت وعشت إلى الآن
وكان له يوم . وقد حدثنى بهذا الحديث وهو ابن أربع وثمانون سنة وشهور
على ما أخبرنى .

• • •

حدثنى أبو الحسن بن على بن أبى محمد الحسين بن محمد الصالحى السكاك .
قال : رأيت بمصر طبيباً كان بها مشهوراً يعرف بالقطيعى . وكان يقول :
يكسب فى كل شهر ألف دينار من جرايات يجرىها عليه قوم من رؤساء
العسكر ومن السلطان وما يأخذ من العامة . قال : وكان له دار قد جعلها
شبه بيمارستان من جملة داره ، يأوى إليها ضعفاء الأعلام ويعالجهم ويقوم
بأغذيتهم وأدويتهم وخدمتهم وينفق أكثر كسبه على ذلك . قال أبو الحسن :
وأصيب أحد فتيان الرؤساء بمصر بالسكتة وأسماءه لى وذهب عنى اسمه ،
فحمل إلى الأطباء وفيهم قطيعى فأجمعوا على موته إلا انقطيعى ، وعمل أهله
على غسله وكنهه . فقال "قطيعى : دعونى أعالجه فإن برى ، وإلا فليس
يلحقه أكثر من الموت الذى قد أمتع ، تلاء عليه بخلافه أهله معه . فقال :
هاتوا علاماً جلدأ ومقارع . فأبى بذلك . فأمر به وضربه عشر مقارع بأشد
الضرب . ثم مس بحسه وضربه تشراً أخرى شديدة ثم مس بحسه وضربه
أيضاً عشرة أخرى ثم مس بحسه وضربه عشرة أخرى ثم مس بحسه . وقال
للأطباء أليكون للميت نبض متحرك . فقالوا لا : فضربه عشر مقارع أخرى

وقال جـسـوه . فقالوا : قد زاد نبضه ، فضربه عشر أخرى فتأوه فضربه عشراً أخرى فصاح فقطع عنه الضرب فجلس العليل يحس بدنه ويتأوه وقد ثابت قوته اليه . فقال له ما تجد ؟ قال : أنا جائع . فقال : أطعموه الساعة ، جـاؤوه بما يأكل فرجعت قوته اليه وقنا وقد برىء . فقال له الأطباء : من أين لك هذا . قال كنت مسافراً في قافلة فيها أعراب يخفروننا فسقط منهم فارس عن فرسه فأسكت فعمد اليه شيخ منهم فضربه ضرباً عظيماً فمارفح عنه الضرب حتى أفاق ، فعلمت أن الضرب جلب اليه الحرارة وأزالت سكتته فقست عليه أمر هذا العليل .

حدثني بعض المتطهين بالبصرة قال : حدثني أبو منصور بن مازة كاتب أبي مقاتل صالح بن مدركة الكلبي أمير دجلة . وكان أبو منصور من رؤساء أهل البصرة الذين يضرب المثل بنعمتهم وترفهم . وكان ثقة أديباً قد شاهدته أنا ولم أسمع منه هذه الحكاية . قال : أخبرني شيوخننا . قال : كان بعض أهلنا قد استسقى فأيس من حياته فحمل إلى بغداد فشور الأطباء فيه فوصفوا له أدوية كبارا فعرفوا أنه قد تناولها بأسرها فلم تنجع وآيسوا منه ، وقالوا لاحتيلة في برئه . قال : فسمع العليل . فقال لمن كان معه : دعوني الآن أتزود من الدنيا وآكل ما أشتهى ولا تقتلونني بالحمية . فقالوا : كل ما تريد فهمموا به عما يجتاز به على الطريق اشتراه وأكله ولم يلتفت إلى ضرره ونفعه فمر به رجل يبيع جرادا مطبوخاً فأجلسه واشترى منه عشرة أرطال وأكلها بأسرها ، فلما كان بعد ساعة انحل طبعه وتواتر قيامه حتى قام في ثلاثة أيام أكثر من ثلاثمائة مجلس وضعف وكاد يتلف وآيس منه ، ثم قطع القيام وقد زال كل ما كان في جوفه وعادت بطنه إلى حالها في الصحة وثابت اليه قوته وبرأ فخرج برجليه . اليوم الخامس يتصرف في حوائجه فرآه أحد الأطباء فعجب من أمره فسأل عن الخبر . فعرفه . فقال : ليس من شأن الجراد أن يفعل هذا ولا بد من أن يكون في الجراد الذي فعل هذا خاصية فأحب أن تدلني على

(٢١ - الفرج)

الذى باعك الجراد . قال : فما زالوا فى طلبه حتى اجتاز بالباب دفعة ثانية فأراه الطبيب . فقال : بمن اشتريت هذا الجراد ؟ فقال ما اشتريته . أنا أصيده وأجمع منه شيئاً كثيراً وأطبخه على الأيام وأبيعه . فقال : من أين تصيده ؟ فذكر قرية على فراسخ يسيرة من بغداد . فقال له الطبيب : أعطيك ديناراً وتدع شغلك وتجىء معى إلى ذلك الموضع . فقال : نعم فخرجنا وعاد الطبيب من غد ، فذكر أنه رأى ذلك الجراد يرعى فى صحراء أكثرها خشيشة يقال لها المأذريون وهى دواء الاستسقاء فإذا دفع إلى الليل منها دون درهم أسهل أسهل لا يزال الاستسقاء ولكن لا يؤمن من أن لا ينضب ولا يقف فيقتله الذرب ، والعلاج بها خطر جداً وهى مذكورة فى الكتب والفرط ضررها لا يكاد يصفها الطبيب فلما وقع الجراد على هذه الخشيشة وانطبخت فى معدته ثم طبخ الجراد ضعف فعلها بطيخين اجتمعا عليه وقضى أن تناولها هذا بالاتفاق ، وقد تعدلت بمقدار ما يدفع طبعه دفعا قطع بانقطاع العلة فبرأ .

* * *

حدثني محمد بن أحمد بن طوطى الواسطى أبو الحسين . قال : سمعت أبا على عمر بن يحيى العلوى الكوفى رحمه الله يقول : كنت فى بعض حججى فى طريق مكة فاستسقى رجلاً كان معنا من أهل الكوفة ، وثقل فى علته وسل الأعراب قطارا من القافلة كان على جمل منه هذا الليل فافتقد وجرعنا عليه وعلى القطار وكنا راجعين إلى الكوفة فلما كان بعد مدة جاءنى الليل إلى دارى معافا فسألته عن قعته وسبب عافيته . فقال : إن الأعراب لما سلوا القطار ساقوه إلى محلهم ، وكان من المحجة على فراسخ يسيرة فأنزلونى ورأوا صورتى فطرحونى فى أواخر بيوتهم وتقاسموا ما كان فى القطار فكنت أزحف وأصدق من البيوت ما آكله فاطعم فتمنيت الموت وكنت أدعو الله عز وجل به أو العافية . فرأيتهم وقد عادوا يوماً من ركوبهم فأخرجوا أفاعى قد صادوها فقطعوا رؤسها وأذناها وسووها وأكلوها ، فقلت : هؤلاء يأكلون هذه فلا تضرهم بالعادة التى نشأوا عليها ولعلى إن

أكلت منها شيئاً إن أتلف فاستريح مما أنا فيه . فقلت لبعضهم : اطعمني من هذه الحيات . فرمى إلى واحدة منها مشوية فيها أرطالاً كلتها بأسرها وأمعنت طالباً للموت فأخذني نوم عظيم . فانتبهت وقد عرقت عرقاً عظيماً واندفعت طبعي فقممت في بقية يومى وليلى أكثر من مائة مجلس إلى أن سقطت طريحاً وجوفى يجرى . فقلت : هذا طريق الموت وأقبلت أتشهد وأدعو الله عز وجل بالمغفرة . فلما أضاء الصبح تأملت بطنى فإذا هي قد ضمرت وزال عنها ما كان بها . فقلت أى شيء ينفعنى من هذا وأنا ميت فلما أضحى النهار وانقطع القيام وجبت صلاة الظهر فلم أحس بقيام وجمعت فجئت لأزحف على العادة فوجدت بدنى خفيفاً وقوتى صالحة فتحاملت فمشيت فطلبت منهم ما كولا فأطعموني فتقويت فبت في الليلة الثانية معافاً ما أنكر شيئاً من أمرى فأفقت أياماً إلى أن وثقت من نسي باني إن مشيت نجوت فأخذت الطريق من بعضهم إلى أن صرت على الحجة ثم سلكتها إلى الكوفة مشياً .

* * *

حدثني أبو الفضل محمد بن عبيد الله بن المرزبان الشيرازى الكاتب ، قال : حدثني القاضى أبو بكر الجعابى الحافظ ، قال : دخلت يوماً على القاضى أبي الحسين ابن القاضى أبى عمر رحمهما الله وهو مغموم فقلت : لا يغم الله قاضى القضاة ما هذا الحزن الذى أراه به ؟ قال : مات يزيد المائى . فقلت : يبق الله قاضى القضاة ، ومن يزيد المائى حتى إذا مات اغتم عليه قاضى القضاة هذا الغم كله ؟ فقال ويحك : مثلك يقول هذا فى رجل أوجد لنا صناعة نفيسة . قدمنا وما ترك فى حذقه أحد وهل تفخر البلدان إلا بكثرة رؤساء الصنائع وحذاق أهل العلوم فيها فإذا مضى رجل لا مثيل له فى صناعته لأبدل الناس فرحهم بالترح ، وهل يدل هذا إلا على نقصان العالم ، وانحطاط البلدان . قال : ثم أقبل يعدد فضائله والأشياء الظريفة التى عالج بها ، والعمل الصعبة التى زالت بتدبيرها فذكر من ذلك أشياء كثيرة كان منها إذ قال : لقد أخبرنى منذ مدة رجل من جلة أهل هذه البلد أن كان حدث بابتة له علة فكتمت أمرها ثم أطلع عليها أبوها فكتمها هو مدة ثم انتهى أمر البنت إلى حد الموت قال : فقلت لا يصح ترك

علاج هذا وكنهانه أكثر من هذا . قال : ركانت العلة أن فرج الصبيسة كان يضرب عليها ضرباتنا عظيمة لا تنام معه الايل ولا النهار وتصرخ أعظم صراخ ، ويجرى في خلال ذلك منه دم يسير كماء اللحم وليس هناك جرح يظهر ولا ورم . قال : فلما خفت المأثم أحضرت يزيدا فشاورته . فقال : أتأذن لي في الكلام وبسط عذري قلت نعم . قال : لا يمكنني أن أصف لك شيئا دون أن أشاهد الموضع بعيني وأفتشه بيدي ، وأسائل المرأة عن أسباب ألعها كانت الجالبة للعلة . قال : فلعمركم الصورة وبلوغها حدا التلف أمكنته من ذلك ، فأطال مسائلتها وحديثها بما ليس من جلس العلة فبعد أن جلس الموضع من ظاهره وعرف بقعة الألم حتى كدت أبطش به ثم تصببرت ورجعت إلى ما أعرفه من ستره فصبرت على مضض ، إلى أن قال : تأمر من يمسكها ، ففعلت . ثم أدخل يده في الموضع دخولا شديدا فصاحت المرأة فأغشى عليها وابعث الدم وأخرج في يده حيوانا أفل من الحنفساء فرمى به فجلست الجارية في الحال . وقالت : يا أبت اشترتني فقد عوفيت . فأخذ يزيد الحيوان بيده وخرج من المحل فأجلسه . وقلت : أخبرني ما هذا ؟ فقال : إن تلك المسائلة التي لم أشك في أنك أنكرتها إنما كانت لأطلب دليلا أستدل به على سبب العلة ، إلى أن قالت : أنها في يوم من الأيام كانت جالسة في بيت دواب من بستان لكم ثم حدثت العلة بها من غير سبب تعرفه . فلما كان في غدته الضربان تخيلت أنه قد دب إلى فرجها من القردان التي تكون على البقر وفي بيوته قراد قد تمكن من أول داخل الفرج وكلما امتص الدم من موضع ولد له ضربا ، وأنه إذا شبع خف الضربان لانقطاع مصه وانقطت من الجرح الذي يمتص منه إلى خارج الفرج هذه النقطة اليسيرة من الدم . فقالت : أدخل يدي وأفتش فأدخلتها ، فوجدت القراد فأخرجته وهو هذا الحيوان وقد تغيرت صورته من كثرة ما امتص من الدم مع طول الأيام . قال : فتأملنا الحيوان فإذا هو قراد وبرأت المرأة .

قال مؤلف هذا الكتاب : ولم يذكر القاضى أبو الحسن فى كتابه هذا الخبر ولعله اعتقد أنه مما لا يجب ادخاله فيه .

* * *

عن ابن عقيـل ، وكان إذا جاء من البادية ينزل فى شارع دار الرقيق بالقرب من درب سليمان قال : كانت عندى جارية بالبادية بالغة زمنة مقعدة سنين ومن عاداتنا أن نأخذ الحنظل فنقور رأسه ونملأه باللبن الحليب ، ونرد على كل واحدة رأسها ، ونتركها فى الرماد الحار حتى تغلى . فإذا غلت حسى كل واحد منا ما فى الحنظلة من ذلك فتسهله وتصلح بدنه . قال : فأخذ ناسنة من السنين ثلاث حناظل لثلاث أنفس يشربونها ، وجعلنا فيها اللبن على الصفة المارة فرأتها الجارية الزمنة فلغرضها بالحياة وضجرها من الزمانة غدت إلى الحناظل الثلاث فحسرتها كلها وعلمنا بذلك بعدلما رأينا من قيامها فأيسنا من حياتها فباعناها فى الأخبية لثلاث شمر واثمها فتعدينا ، وتموت بالبعد عنا فلما كان فى الليل انقطع قيامها ، ومشيت برجلها إلى أن عادت إلى البيوت عافية لا قلبه بها وعاشت بعد ذلك سنين وولدت .

* * *

قال جبريل بن يحنشوع : كنت مع الرشيد بالركة ، ومعه المأمون ومحمد وكان رجلا كثير الأكل والشرب . فأكل فى بعض الأيام أشياء خلط فيها ، ودخل المستراح فغشى عليه وقوى عليه الغشى حتى لم يشك غلبانه أنه قد مات وحضر أبناه وشاع عند العامة والخاصة خبره فأرسل إلى الحضرت وجسست عرقه . فوجدت نبضا خفيفا ، وقد كان قبل ذلك بأيام يشتكى امتلاء وحركة الدم . فقلت لهم : لم يمت والصواب أن يحجم الساعة . فقال كوثر : لما يعزف من أمر الخلافة وافضائها إلى صاحبه محمد : يا ابن الفاعلة تقول احجموا رجلا ميتا لا يقبل قولك ولا كرامته . فقال المأمون : الأمر قد وقع وليس يضرب بأن نحجمه فأحضر ، وتقدمت إلى جماعة من غلبانه بإمساكه ففعلوا وأقعد . فقلت للحجج : ضع محاجمك ففعل فلما مصها رأيت الموضع قد احمر فطابت نفسى بذلك أنه حى . ثم قلت : اشرط . فشرط فخرج الدم فسجدت شكرا

لله عز وجل ، وكلما خرج الدم يحرك رأسه ويصفر لونه إلى أن تكلم فقال :
أين أنا ؟ فطابت نفسه وغذينا صدر دارج ، وسقيناه نبيذاً ومازلت أسعطه
بالطيب في أنفه حتى تراجعت إليه قوته ، وأدخل الخاصة والقواد إليه فسلموا
عليه من بعد لما كان قد شاع من خبره ثم تكلمت قوته ، ووهب الله له
العافية . فلما خرج من دلتته دعا بصاحب حرسه وصاحب شرطته
وحاجبه فسأل صاحب الحرس عن غلته في كل سنة فعرف أنها ألف ألف
درهم ، وسأل صاحب شرطته عن غلته فعرف أنها خمسمائة ألف درهم . ثم
قال لي يا جبريل : كم غلتك ؟ فقلت : خمسين ألف درهم . فقال : ما أنصفناك
حيث غلات هؤلاء وهم يحرسونني ويحجبوني عن الناس على ما هي عليه وتكون
غلته ماذ كرت ، وأمر باقطاع ما قيمته ألف ألف درهم فقلت : أسيدى مالى
حاجة إلى الإقطاع ولكن تمبلى ما أشتري الضياع بها ففعل وتقدم بمعاونتي على
اقتباها فابتعت بهباته وصلاته ضياعاً غلتها ألف ألف درهم فجميع ما امتلاكته
ضياعاً لا اقطاع فيها .

* * *

حدثني طلحة بن عبد الله بن قياس الطائى الجوهري البغدادى أبو جعفر
قال : كان فى درب مهروية الجانب الشرقى ببغداد قديماً رجل من كبراء
الحجزية ، وكان متشعباً بعلام من غلمان رباه صغيراً فاعتل الغلام علة من
بلسام وهو الذى تسميه العامة البرسام فبلغ إلى حالة قبيحة ، وزال عقله
فتفرقوا عنه يوماً وهو فى موضع فيه خيش ، ووكوا صبياً بمراءاته فسمعوا
صياح الفتى الموكل به . فبادروا إليه فقال : انظروا إلى ما قد أصابه . فاذا
عقرب قد نزل من المسند على رأس العليل ، فلسعته فى عدة مواضع . فاذا
به قد فتح عينيه ، وهو لا يشكوا ألماً . فسألوه عن حاله فقلب ما يأتى كل
فأطعموه ، وبرأ . فلما وطئ به فقال : لأم تلوموننى لو أمرتكم أن تأسعروهم
بعقرب أكنتم تفعلون ؟

* * *

عن أبي بكر بن قارب الرازي ، وكان تلميذ لأبي بكر محمد بن زكريا الطبيب بعد رجوعه من عند أمير خراسان لما استدعاه ليعالجه من علة صعبة قال : اجتزت في طريقى إلى نيسابور ببلد بسطام وهو النصف من طريق نيسابور إلى الرى . قال : فاستقبلنى رئيسها فأزلى داره ، وخدمنى وخدمته وسألنى أن أقف على ابن له به استسقاء فأدخلنى إلى دار قد أفرد هاله فشاهدت العليل ، ولم أطمع فى البرأة ، فعلمت القول بمشهد من العليل ولما انفردت بابيه سألتنى أن أصدق . فصدقته وآيسته من حياة ابنه ، وقلت له : يمكنه من شهواته فإنه لا يعيش ، وخرجت إلى خراسان وعدت بعد اثنى عشر شهراً فاستقبلنى الرجل بعد عودى ولما لقيته استحييت منه غاية الحياء ، ولم أشك فى وفاة ابنه ، ولأنى كنت نعيته اليه وخشيت من ثقله بى فلم أجده عنده ما يدل على ذلك ، وكرهت أن أسأله عنه لئلا أجدد عليه حزناً قد نسيه . فقال لى بعد أيام : أتعرف هذا الفتى ؟ وأومى إلى شاب حسن الوجه والسجية ، كثير الدم والقوة قائم مع الغلمان يخدمنا . فقلت : لا . فقال : هذا ابنى الذى آيستنى منه عند مضيك إلى خراسان . فتحيرت وقلت : عرفنى سبب بره . فقال لى : إنه بعد قيامك من عنده فطن أنه قد آيستنى منه فقال لى لست أشك أن هذا الرجل وهو أوحده فى الطب قد آيسك منى ، والذى أسألك أن تمنع هؤلاء الغلمان يعنى الغلمان الذين كنت أخدمهم إياه عنى لأنهم آذونى لأنى إذا رأيتهم معافين ، وأنا لست بينهم يتجدد على قلبى الحزن فأرحنى منهم يا أبى وأفرد لى فلانة لخدمتى ففعلت ما سأله ، وكانت المرأة داية له ، وكان يحمل إليها فى كل يوم ما تأكله وله ما يطلب على غير حمية . فلما كان بعد أيام حمل إلى الداية مضيرة لتأكل فتركها ومضت لشغل لها فذكرت بعد أن عادت أن أبى قد نهاها عن أكل المضيرة فوجدتها قد ذهب كثير منها ، وبقي بعضه متغير اللون قالت : فسألت الغلام عن السبب فأخبرنى أنه رأى أفعى عظيمة قد خرج من موضع ودب إليها وأكل منها ثم قذف فيها فصار لونها كما ترينه فقلت : أنا ميت وهوذا يلحقنى ألم شديد ومضى أظفر بمثل هذا ، وجئت فأكلت من المضارة ما استطعت لأموت عاجلاً وأستريح فلما لم أستطع زيادة

أكل رجعت حتى جئت إلى فراشي وجئت أنت . قالت : ورأيت أنا المضيرة على يده وفمه فصحت . فقال : لا تعلبي أحدا حتى تدفني الغضارة بما فيها لثلا يأكلها إنسان فيموت أو حيوان فيلسخ إنساناً فيقتله ففعلت ما تأل وخرجت إليك . فلما عرفتني ذلك ذهب عليّ أمرى ، ودخلت إلى ابني مسرعاً فوجدته نائماً فقلت : لا توقظوه حتى ننظر ما يكون منه . فانتبه آخر النهار ، وقد عرق عرقاً شديداً ، وهو يطلب المستحم فانهضناه إليه فاندفعت طبيعته وقام من الليل ، ومن الغد أكثر من مائة مجلس فازداد يأسنا منه ، وقل القيام وقد صار بطنه مع ظهره مثل بطون الأصحاء وطلب فراريج فأكل ، ولم تزل قوته تزداد فطمنا في حياته فنعناه التخليط وثابت قوته وتزايدت إلى أن صار كما ترى . قال : فعجبت من ذلك وذكرت أن الأوامل قالوا : إن المستسقى إذا أكل من لحم حية عتيقة مزمنة لها مئة سنة برأ ولو قلت لك هذا علاجه لظننت أني أدافعك ، ومن أين يعلمكم عمر الحية إذا وجدت فأمسكت عنه .

الباب الحادى عشر

من امتحن من لصوص بسرقة أو قطع فعوض عن الخلف بأكل صنع
عن دعبل بن على الخزاعى الشاعر . قال : لما قلت قصيدة (مدارس
آيات خلعت من تلاوة) قصدت بها أبى الحسن على بن موسى الرضا رضوان
الله عليهم أجمعين وهو بخمرسان ولى عهد المأمون . فوصلت اليه فأنشدته
فاستحسنها . وقال : لا تنشدوها لأحد حتى آمرك واتصل خبرى بالمأمون
فأحضرنى وسألنى عن خبرى . ثم قال لى : يادعبل أنشدنى (مدارس آيات
خلعت من تلاوة) فقلت لأعرفها يا أمير المؤمنين . فقال يا غلام أحضر
أبا الحسن على بن موسى . قال : فلم يكن بأسرع من أن أحضر . فقال له :
يا أبا الحسن سألت دعبلا عن (مدارس آيات) فذكر أنه لا يعرفها فالتفت إلى
أبو الحسن . فقال أنشده يادعبل : فأنشدت القصيدة ولم ينكر ذلك المأمون
إلى أن بلغت إلى بيت فيها وهو هذا :

قال رسول الله هبلى رقابهم وآل زياد غلظ الرقاب

ثم تمممتها إلى آخرها فاستحسنها وأمر لى بخمسين ألف درهم وأمر لى
على بن موسى بقريب منها . فقلت له : ياسيدى أريد أن تهبل لى ثوباً يلبس به
أتبرك به وأجعله كفناً ، فوهب لى قميصاً قد ابتذله وملشفة وأظنه قال
وسراويل . قال ووصلنى ذو الرياستين ، وحملنى على بردون أصفر خمرسانى
فكننت أسيره فى يوم مطير وعليه مطر خز وبرنس ومنه فأمر لى به ودعا
بغيره جديداً فلبسه . وقال : إنما آثرتك باللبس لأنه خز الممطرين . قال :
فأعطيت به ثمانين ديناراً فلم تطب نفسى ببيعته وقضيت حاجتى وكررت
راجعاً إلى العراق ، فلما صرت بعض الطريق خرج علينا أكراد يعرفون
بالسرنجان فسلمونى وسلبوا القافلة ، وكان ذلك فى يوم مطير . فاعتزلت فى
قيص خلق قد بقى علىّ وأنا متأسف من دون ما كان معى على القميص
والمشفة اللذين وهبهما لى على بن موسى الرضا رضى الله عنهما إذ مر بى واحد

من الأكراد تحته الأصفر الذي حملني عليه ذو الرياستين وعليه الممطر الخنز
ثم وقف بالقرب مني وأبتدأ ينشد (مدارس آيات) ويبيكي . فلما رأيت
ذلك عجبته من لص يتشيع ، ثم طمعت في القميص والمنشفة . فقلت ياسيدي
لمن هذه القصيدة ؟ فقال : وما أنت وذلك ويلك . فقلت له : فيه سبب أخبرك
به . فقال : هي أشهر بصاحبها من أن يحمل . فقلت : ومن هو ؟ قال دعبل
ابن علي الخزاعي شاعر آل رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقلت ياسيدي
أنا والله دعبل وهذه قصيدتي . فقال ويلك ما تقول ؟ . قلت : الأمر أشهر من
ذلك فاسأل أهل القافلة بصفة ما أخبرتك به . فقال : لا جرم والله ولا يذهب
من القافلة خلافة فما فوقها ثم نادى في الناس من أخذ شيئاً يرده على صاحبه
فردوا على الناس أمتعتهم وعلى جميع ما كان معي ما فقد أحد عقالا ثم انصرفنا
إلى شأتنا . فقال راوى هذا الخبر عن دعبل فحدثت بهذا الحديث علي بن هزرا
الكردي فقال لي ذلك والله أبي الذي فعل هذا .

* * *

حدثني عبد الله بن عمرو الحارث الواسطي السراج المعروف بأبي
أحمد الحارث . قال : كنت مسافرا في بعض الجبال فخرج علينا ابن سيار
الكردي فقطع علينا وكان بزي الأمراء لا بزي القضاة فقربت منه أنظر إليه
وأسمع كلامه فوجدته يدل على فهم وأدب فداخلته فإذا برجل فاضل يروى
الشعر ويفهم النحو فطمعت فيه وعملت في الحال أبياتاً مدحته بها . فقال :
لست أعلم أن هذا من شعرك ولكن اعمل لي على قافية هذا البيت ووزنه
شعراً الساعة لأعلم أنك قلته ، وأنشدني بيتاً . قال : فعملت في الحال إجازة له
ثلاثة أبيات . فقال لي أي شيء أخذ منك لأرده عليك . قال فذكرت ما أخذ
مني واستصفت إليه قماش رقيقين كانا لي فرد جميع ذلك ، ثم أخذ من أكياس
التجار التي فيها كيساً فيه ألف درهم فوهبه لي . قال : فجزيته خيراً ورددته
عليه . فقال لي : لم تأخذه فواربت في كلامي ، قال أحب أن تصدقني ، فقلت
وأنا آمن قال نعم . قلت : لأنك لا تملكه وهو من أموال الناس أخذته
منهم الساعة ظمناً فكيف يحل لي أخذه . فقال لي : أما قرأت ما ذكره الجاحظ

في كتاب اللصوص عن بعضهم . قال : إن هؤلاء التجار لم تسقط عنهم زكاة الناس لأنهم منعوها وتجردوا فترك عليهم فصار أموالهم بذلك مستهلكة واللصوص فقراء إليها ، فإذا أخذوا أموالهم وإن كره التجار أخذها كان ذلك لهم مباحاً لأن عين المال مستهلكة بالزكاة وهم يستحقون أخذ الزكاة شاء أرباب الأموال أو كرهوا . فقلت بلى : قد ذكر ذلك الجاحظ ولكن من أين يعلم أن هؤلاء استهلكوا الزكاة أموالهم . فقال : لا عليك أنا أحضر هؤلاء التجار الساعة وأريك بذلك دليلاً صحيحاً أن أموالهم لنا حلال ، ثم قال لأصحابه هاتوا التجار فجاءوا ، فقال لأحدهم منذ كم تتجر في هذا المال الذي قطعناه عليك . قال : منذ كذا وكذا سنة . قال : فكيف كنت تخرج زكاته فتلجج وتكلم بكلام منه لا يعرف الزكاة على حقيقتها فضلاً عن أن يخرجها ، ثم دعى بآخر . وقال له : إذا كان معك ثلثمائة درهم وعشرة دنانير وحال عليك الحول فكم تخرج منها للزكاة فما أحسن أن يجيبه . ثم قال للآخر : إن كان معك تجارة ولك دين على نفسيين ، أحدهما ملي والآخر معسر ومعك دراهم وكان الحول حال على الجميع كيف تخرج الزكاة . قال : فما فهم السؤال فضلاً عن أن يتعاطى الجواب . فصرقهم . ثم قال لي : بان لك صدق حكاية أبي عثمان الجاحظ ، وإن هؤلاء التجار ما زكوا قط . خذ الآن السكيس . قال : فأخذته وساق القافلة ليتصرف فيها . فقلت : إن رأيت أيها الأمير أن تنفذ معي من يبلغني المسأمن كان لك الفضل ففعل ذلك ونجوت من أذاه .

حدثني أبي رحمة الله عليه . قال : لما كنت مقيماً بالكرخ أتقصد القضاء بها وبالمرج وأعمالها كان معي رجل له ابن صبي فأقام معي أبوه عشر سنين ، وكان ذلك الصبي يدخل دارى ويمرح مع غلمانى وأهبله في بعض الأوقات الدراهم والثياب وأحمله وأرقصه كما يفعل الناس بأولاد غلمانهم ، ثم صرفت عن الكرخ ورحلت ولم أعرف للرجل ولا لابنه خبراً حتى مضت السنون ، فأنفذني أبو عبد الله اليزيدى من واسط برسالة إلى أبي بكر بن رائق فلقبته

في حدود دير العاقول . قال : وانحدرت أريد واسطاً وقد كان قيل لي قبل اصعادي أن في الطريق لصا يعرف بالكرخي وكنت خرجت من واسط بطالع أخذته على موجب تحويل مولدي لتلك السنة وقد استظهرت فيه عند نفسي وكفاني الله تعالى في اصعادي أمر اللص فلم أر له أثراً فلما انحدرت إلى واسط في بعض الطريق خرج علينا اللصوص في سفن عدة ونشاب وسلاح شاك وهم نحو مائة نفس كالعسكر العظيم ، وكان معي من غلماني من يضرب النشاب خلفت أن من يرمى منهم ضربته إذا صرت في البلد مائتي مقرة وذلك أني خنت أن يقصدنا اللصوص فلا يرضوا إلا بقتلي من دونهم وبادرت وأخذت ذلك السلاح الذي كان معهم فرميت به في الماء واستسلمت للأمر طلباً للسلامة وجلست أفكر في الطالع فإذا ليس ما يوجب عنده القطع على والناس قد أدبروا إلى الشط وأنا في جملتهم حيث تفرغ منهم وينقل ما فيها إلى الشط وهم يخبطون بالسيوف وكنت في وسط الكار فأنتهى الأمر إلى فعجبت من حصول القطع وأن الطالع لا يوجب له ولست أتهم على فأنا كذلك وإذا بسفينته فيها رئيسهم قد طرح علي زيربي كما كان يطرح على سفن التجار ليشراف على ما يؤخذ منها فحين رأني منع أصحابه من انتهاب شيء من زيربي وصعد وحده إلى فتأملني طويلاً ثم انكب فقبل يدي وكان مثلها فلم أعرفه فارتعت . وقلت : يا هذا مالك ؟ فقال لي أمتا تعرفني ياسيدي ؟ فتأملته وأنا جزع فلم أعرفه . فقلت : لا والله . قال بلى : وأنا عبدك ابن فلان الكرخي حاجبك ، وأما الصبي الذي ربيت في دارك وربيتني وكنت تحملي على كتفك وتطعمني بيدك . قال : فتأملته فإذا الحلقة خلقتها ، إلا أن اللحية غيرته في عيني ، فسكن روعي . وقلت يا هذا : كيف بلغت إلى هذا الحال . قال : نشأت فلم أنعم غير معالجة السلاح وجئت إلى بغداد اطلب الديوان فما قبلني أحد فأنصفت إلى هؤلاء وطلبت الطريق فلو كان أنصفني السلطان ونزلي بحيث أستحق من الشجاعة لا تنفع بخدمتي ، وما فعلت هذا . ثم قال ياسيدي هل رأيت أحداً من القوم أخذ منك شيئاً . فقلت : ما ذهب إلا سلاح رميته في الماء وشرحت له الصورة فضحك وقال : والله أصاب القاضي

فمن في الكارة بمن تعنى به حتى أطلقه . فقلت : كلهم عندي بمنزلة واحدة فلو أفرجت عن الجميع كان أحسن بك فقال : والله لولا أن أصحابي فرقوا ما أخذوا لفعلت ذلك ولكنهم لا يطيعوني في رده إلا أنى لا أدع أحدا يأخذ من السفن الباقية شيئا بعد هذا فجزيته الخير فصعد إلى الشط وأصعد جميع أصحابه ومنع أن يؤخذ شيء من السفن الباقية فاستعرض إليها أحد ورد على قوم ضعفاء أشياء كثيرة كانت أخذت منهم وأطلق الناس وسار معي في أصحابه إلى أن صار بيني وبين المأمن شيء يسير ثم ودعني وانصرف إلى أصحابه .

حدثت عن بعض التجار البغداديين . قال : خرجت بسلع لي ومتاع من بغداد أريد واسطا ، وكان اليزيدي بها ، والدنيا مفتتنة ، فقطع على الطريق وعلى الكار الذي كنت فيه لص كان في الطريق يقال له ابن حمدون يطلع قريبا من بغداد فأقترني وكان معظم ما أسلكته معي فسهل على الموت وطرحته نفسي له وكنت أسمع ببغداد أن ابن حمدون فيه فتوة وظرف وأنه إذا قطع لم يعرض لأصحاب البضائع القليلة التي تكون دون الألف وإذا أخذ من حاله ضعيفة شيئا قاسمه عليه فترك شطر ماله في يديه وأنه لا يفتش امرأة ولا يسلمها وحكايات كثيرة مثل ذلك فأطمعني ذلك في أن يرق لي فصعدت إلى الموضع الذي هو فيه جالس فخاطبته في أمرى ورفقته ووعظته وقلت له : إن جميع ما أملكه قد أخذه وإنني أحتاج إلى أن أتصدق من بعده . قال : فقال لي يا هذا : لعن الله السلطان الذي أخرجنا إلى هذا فإنه قد أسقط أرواقنا فاحتجنا إلى هذا الفعل ولسنا فيما فعل ارتكاب أمر عظيم مما يرتكبه السلطان أنت تعلم أن ابن شيراز ببغداد يصادر الناس ويفقرهم حتى يأخذ الموسر المكثر فلا يخرج من حبسه وهو يهتدى إلى شيء غير الصدقة وكذلك يفعل اليزيدي بواسط والبصرة والديلم وبالأهواز وقد علمت أنهم يأخذون أصول الضياع والدور والعقار ويتجاوز ذلك إلى الحرم والأولاد فاحسبونا نحن مثل هؤلاء . فقلت أعزك الله ظلم الظلمة لا يكون حجة ، والقبيح

لا يكون سنة فاذا وقعت أنا وأنت بين يدي الله عز وجل أترضى أن يكون هذا جوابك له . قال : فاطرق ملياً ولم أشك في أنه يقتلني ثم رفع رأسه وقال : كم أخذ منك فصدقته ، فقال : أحضره فأحضر . قال : وكان كما ذكرت فأعطاني نصفه . فقلت : الآن قد وجب حق عليك وصار لي باحسانك إلى حرمة . فقال أجل : فقلت إن الطريق فاسد ، وما إلا أن أتجاوزك حتى يؤخذ هذا أيضاً فأنفذ معي من يؤديني إلى المأمن . قال : ففعل ذلك وسلمت بما أفلت معي . قال : فجعل الله عز وجل فيه البركة وأخلف .

❦ ❦ ❦

حدثني الحسن بن صافي مولى ابن المتوكل القاضي . وكان أبوه يعرف بغلام ابن مقلّة . قال : لما حصل المتقي بالله الرقة ومعه أبو الحسن علي بن محمد بن مقلّة وزيره ، كاتبني بأن أخرج اليه فخرجت ومعني جماعة من أنسابي وأنساب الخليفة إلى هيت وضم اليها ابن قتال خنزراء يودونا إلى الرقة فرحلت من هيت ومعنا الخنزراء والغلمان ومن أبحر معنا من هيت فصرنا نحو المائتي مقاتل ، فلما كان في اليوم الرابع من مسيرنا ونحن في البر الأقر وقد حصلنا نستريح إذا بسواد عظيم من بعيد لاندري ماهو فلم نزل نرقبه إلى أن بان لنا وإذا هو بمائة مطية رجالان فيهم معنا رجالنا وأصحابنا وحملنا وأخذوا حجبهم وسلو سيوفهم وتقدمهم رئيسهم . فقال لنا : يا معشر الناس لا يسلمن أحد سيفه ولا يرمين بسهم ، فمن فعل ذلك فهو مقتول فقتل أكثر من كان معنا ، وقاتل الباقيون قتالا ضعيما وخالطنا الأعراب وخرج جماعة منهم وأخذونا وجميع ما كان معنا واقتسموه وطرحونا في الشمس بحر حين فنظرت فاذا أنا قد عريت وبقي على خلق لا يصد عن شيئا وليس معي ماء أشربه ولا ظهر أركبه وليس بيني وبين الموت إلا ساعات يسيرة فقامت على القيامة واشتد جزعي ولم يكن لي حيلة فأيسست من الحياة فأنا كذلك إذ وجدت شمشجة كانت لي فيها خاتم عقيق كبير الفص كثير اللمعان فوقع لي في الحال وجه الحيلة فأخذته وجعلته في قطن وخبأته معي وقصدت رئيس القوم وكان هو الذي تولى أخذ مالي وقد عرف موضعي وقدرى . وقلت

له : رأيت عظيم ما أخذته مني فأنا خادم الخليفة ، وقد خرجت لأمر كبير من خدمته ، ولأنك فزت بما أخذته مني ، وأنا أعاملك به وأسيده اليك حلالاً لا يجري مجرى الغصوب على أن تؤمنني على نفسي وترد عليّ من ثيابي وأدواتي وتسقينني ماء ، وتسيرني حتى أصل إلى ما مني . فقال ما هو ؟ فقلت : تعطيني إيمانك وعمودك وذمامك على الوفاء ففعل فانفردت به ، وجعلت يدي مقابلة للشمس وأريته الخاتم وأقمت فسه في شعاع الشمس فكاد يخطف بصره ورأى ما لم يكن رآه فهاله وقال لي : استره وقل لي خبره . قلت هذا خاتم الخلافة وهذا الفص منه يا قوت أحمر وهو الذي يتداوله الخلفاء منذ العهد الطويل ، ويعرف بالجبيل ولا يقوم أمر الخلافة إلا به ، وكان مخبوءاً ببغداد فأمرني الخليفة أن أحمله في جملة ما حملته ، حيث حصل عندك فالرأى أن تمتنع من أعطاه إلا بمائة ألف دينار وهم لم يقدرُوا عليك فيضطروا لإنفاذ الثمن ، وأرى أيضاً أن تأخذه وتنقله إلى ناحية الشام وتوقفني على موضع حلتيك ، وتخفي حصول الخاتم معك ، وإني إذا حصلت بمحضرة الخليفة وعرفته الخبر جاءتك رسلة بالرجائب حتى يرتجعه منك بأى ثمن . قال : فإذا أخذ من ثيابك ما تريد فأخذت من ثيابي ما احتجت إليه وأخذ الخاتم نخباه في جيبه وأركبني راحلة مواطاة وأعطانى أداتين كبيرتين ، وسار معي والناس يهلسكون عطشاً ، ولم يزل يسيرني حتى بلغت إلى حصن في البرية يعرف بالزيتونة من بناء هشام بن عبد الملك فيه رجل من بني أمية يسكني بأبي مروان معه في الحصن نحو من مائتي رجل فلما حصلت عنده ، وأمنت انصرف الأعراب ، وعرفت أبا مروان خبري في القطع ، ومن أنا فأعظم أمرى وأكرمني وأنفذ معي من أصحابه من بلغني الرقة سالماً .

* * *

عن رجل من الدقاقين في دار ابن الزبير بالبصرة قال : أورد علي رجل غريب سفتجة بأجل ، وكان يتردد عليّ إلى أن حل ميعاد السفنتجة ثم قال : دعها عندك حتى آخذها متفرقة ، وكان يجيء في كل يوم فيأخذ بقدر نفقته إلى أن نفذت ، وصار بيننا معرفة وألف الجلوس عندي وكان يراني أخرج كيساً

من صندوق فأعطيه منه فقال لي يوماً : ان قفل الرجل صاحبه في سفره وأمينه في حضره وخليفته على ماله ، والذي ينبغي الظن عن أهله وعياله فان لم يكن وثيقاً تطرقت الحيل عليه ، وأرى قفلك هذا وثيقاً . فقل لي بمن ابتمتته لأبتاع مثله لنفسى . فقلت له : من فلان بن فلان الاقفالى عند باب الصفارين قال : فما شعرت يوماً وقد جئت إلى دكانى فطلبت صندوق لأخذ شيئاً من الدراهم فحمل إلى ، ولما فتحته وجدته خالياً من الدراهم فقلت للغلامى وكان غير متهم عندى هل أنكرت من الدرايات شيئاً . قال : لا . فقلت : فتنهل ترى في الدكان نقباً . قال : لا . فقلت : من السقف حيلة . قال لا قلت : فاعلم أن الدراهم قد ذهبت فقلق الغلام فسكنته ، وقت لا أدري ما أصنع وتأخر الرجل عنى فلما غاب اهتمته وذكرت مسأله عن القفل فقلت للغلام : أخبرنى كيف تمتح دكانى وتقفله قال رسمى ان أدرب درابين والدرايات في المسجد فأحملها في دفعات اثنين أو ثلاثة فأشرحها ثم افعل كذا وكذا فقلت البارحة واليوم فعلت . قال نعم فقلت فاذا مضيت لتردد الدرايات أو تحضرها فلن تدع الدكان ؟ قال خالياً . قلت من هنا وقع الشر ومضيت إلى الصانع الذى ابتمت منه القفل فقلت : جاءك إنسان اشترى منك مثل هذا القفل ؟ قال : نعم رجل من صفته كذا وكذا وأعطانى صفة صاحبى تماماً فعلبت أنه احتال على الغلام وقت المساء لما انصرفت أنا وذهب الغلام يحمل الدرايات فدخل هو إلى الدكان فاخترى فيه ، ومعه مفتاح القفل الذى يقع على قفلى وأنه أخذ الدراهم وجلس طول الليل خلف الدرايات . فلما جاء الغلام ليفتحها وحمل بعض الدرايات ليرفعها خرج هو ، وإنه ما فعل ذلك إلا وقد خرج إلى بغداد . فسلمت دكانى إلى الغلام وقلت له : من يسأل عنى فعرفه أنى خرجت إلى ضيعتى قال : ثم خرجت ومعى قفلى ومفتاحه فقلت أبتدى بطلب الرجل بواسط قال : فلما صعدت من السميرية طلبت خاناً فى الكتبيين بواسط لأنزله فأرشدت إليه فصعدت فإذا بقفل مثل قفلى سواء على بيت فقلت لقيم الخان هذا البيت من ينزله ؟ قال قدم رجل من البصرة أمس فقلت أى شىء صفته ؟ قال : فوصف لى صاحبى بعينه فلم أشك أنه هو وإن الدراهم

في بيته فاكثر بيتاً بجانبه ، ورصدت البيت حتى انصرف قيم الخان
ففتحت القفل بمفتاحي فحين دخلت البيت وجدت كيسى بعينه فأخذته
وخرجت وأقفلت الباب ونزلت في الحال إلى السفينة التي جئت فيها ودعوت
الملاح وانحدرت إلى البصرة فما أقمت بواسط إلا ساعتين من النهار ورجعت
إلى منزلي بمالى عينه .

حدثني عبد الله بن محمد البصرى قال : حدثني اكار بنهر سايس يقال له سارح
قال : خرجت من نهر سايس إلى موضع من طرف يقال له كوخ راذويه فبلغني
أن في طريقي رجلاً يقطع الطريق وحده وحذرت منه ، فلما خرجت من القرية
رأيت رجلاً تدل فراسته على شدته ونجدته وفي يده زقاية فحسرتني على الطريق
فترفقنا فانتهينا إلى سقاية في البرية فخرج علينا اللص متحزماً متسلحاً فصاح
بنا فطرح رفيقنا كارة كانت على ظهره وأخذ عصاة وبادر اللص وضربه بها
فعطل اللص اضربة واستلهاها على سيفه فقطع العصاة ثم ضرب بسيفه رجل
الرجل فأقعده ثم وشوه بالسيف حتى قتله وحمل على ليقتلني فقلت له ما حاربك
ولا أمتنع من أخذك ثيابي فلاى شىء تقتلني فقال استكتف فكتفني بتكتي
ثم حمل الثياب وانصرف وبقيت متحيراً مشغولاً على التلف بالعطش والشمس
والوحوش فما زلت أتمطى في التكة إلى أن قطعها فقامت أمشى إلى أن جنبني
الليل فرأيت في الصحراء على بعد ضوء نار خفياً فقصدته فشيت إلى نصف
الليل فوجدته يخرج من قبة في الصحراء فقربت منها وأطلعت فإذا هو اللص
جالس في القبة يشرب نبيذاً ومعه امرأته ، فلما أبصرني صاح وتناول السيف
وخرج إلى فزاللت أناشده وأحلف له أننى ما علمت أنه هو ولا قصدته وإنما
رأيت النار فقصدتها . فلم يعبأ بقولى وحلفته المرأة أن لا يقتلني بحضرتها
فجذبني إلى نهر جار بقرب من القبة ، وطرحني على شاطئه تحته وجر دسيغه
ليذبني فسمع صوت أسد قريباً فارتعدت يده وسكن ، وأخذ يسكني فأناست
بالسبع استيقاضاً منه ، وزدت في الصباح فاشعرت إلا والسبع قد تناوله من
(٢٢ - الفرج)

صدرى فقممت فأخذت السيف وجشت إلى القبة فلم تشك الجارية أنى هو فقالت قتلته ؟ فقلت : لها الله عز وجل قتله ، وقصصت عليها القصة ، وسألتها عن شأنها فقالت : أنا امرأة من القرية الفلانية أسرني هذا الرجل وخبأني في هذا الموضع وهو يتردد إلى في كل ليلة فأرهبتهما فدلتنى على دفائن له في الصحراء فاستخرجتهما وحملت الجارية وبلغتها القرية وسلمتها فيها وفرت بمال عظيم أغنانى عن مقصدي فعدت إلى بلدى .

* * *

وحدثنى أيضا عن ابن الدنانيرى التمار الواسطى قال : حدثنى غلام لى ، قال : كنت ناكداً بالابلة لرجل تاجر فاقتضيت له من البصرة نحو الخمسمائة دينار عينا وورقا ولففتها في فوطة واستعديت على السفر مساء إلى الابلة فإذ زلت أطلب ملاحا فلم أجد إلى أن رأيت ملاحا يجتازاً في خيطية خفيفة فارغة فسألته أن يحملنى فسهل على الأجرة وقال : أنا راجع إلى منزلى بالابلة فانزل فنزلت . قال وجعلت الفوطة بين يدي وسرنا إلى أن تجاوزنا مسماران فإذا رجل ضرير على الشط يقرأ أحسن قراءة تكون ، فلما رآه الملاح كبر وصاح هو بالملاح احملنى فقد جنبنى الليل ، وأخاف على نفسى فشتمه الملاح فقلت : امله فدخل إلى الشط فحمله . فلما حصل معنا رجع إلى قراءته فغلب عقلى بطيها فلما قربنا من الابلة قطع القراءة وقام ليخرج في بعض المشارع إلى الابلة فلم أر الفوطة فقممت واقفا فاستغاث الملاح وقال : الساعة تقلب الخيطية ، وخاطبنى بخطاب من لا يعلم حالى . فقلت : يا هذا كانت بين يدي فوطة فيها خمسمائة دينار . فلما سمع ذلك بكى وقال : لم أدخل الشط بعد ولا لى موضع أخبى فيه شيئا فتهمنى بسرقة ولى أطفال وأنا ضعيف فاتق الله تزوجل وفعل الضرير مثل ذلك ففقتشت الخيطية فلم أجد شيئا فوجمت وقلت : هذه محنة لأدرى كيف أنخلص منها ، وخرجنا فعملت على الهروب وأخذ كل منا طريقا وبت ولم أمض إلى صاحبي وأنا بليلة عظيمة فلمما أصبحت عملت على الرجوع إلى البصرة لأستخفى فيها أياما ثم أرجع إلى بلد شاسع فأنحدرت وخرجت من مشرعة بالبصرة ، وأنا أمشى وأنعثر وأبكي

فلما على فراق أهلى وولدى وذهاب معيشتى وجاهى إذ اعترضنى رجل فقال
لى ياهذا : ما وراءك ولماذا أنت قلق البال فأعرضت عنه فاستحلفنى
دأخبرته بالإيجاز على سبيل السلوى فقال : امض إلى السجن بينى وبين واشتر
معك خبزاً وشواء جيد أو حلوى وسل السجن أن يوصلك إلى رجل محبوس
هناك يقال له أبو بكر البغاش ، وقل له إنى زائرته فإنك لا تمنع فإن منعت
وهبت للسجان شيئاً يسيراً فإنه يدخلك إليه فإذا رأيته فسلم عليه ولا تخاطبه
حتى تجعل بين يديه ما معك ، فإذا أكل وغسل يده يسألك عن حاجتك .
دأخبره خبرك فإنه سيدلك على من أخذ مالك ويرجمه لك . قال فشكرته
وانصرف ، وفعلت ذلك ووصلت إلى الرجل . فإذا شيخ مثقل بالحديد
فسلمت عليه ، وطرحت مامعى بين يديه فدعى رفقاء كانوا معه وأقبلوا
بأكلون فلما استوفى وغسل يده قال : من أنت وما حاجتك ؟ فشرحت له
القصة فقال : امض الساعة لوقتك ولا تتأخر إلى بنى هلال فادخل الدرب
الفلانى حتى تنتهى إلى آخره فإنك تشاهد باباً شعباً فافتحه وادخله بلا
استئذان فتجد دهليزاً طويلاً يودى إلى باين فادخل الأيمن منهما فسيدخلك
إلى دار فيها أوتاد وبوارى وعلى كل وتد إزار ومئزر فانزع ثيابك والقبها
على الودد واتزر بالمئزر اتشح بالإزار فيجىء قوم يفعلون كما فعلت إلى أن
يتكاملوا ثم يأتون بطعام فيكل معهم وتعهد أن تفعل فى كل شىء كما يفعلون
فإذا أتوا بالنبيذ فاشرب معهم أقداً حياً يسيرة ثم خذ قدحاً كبيراً واملاه وقم
فقل " هذا شادى خالى أبو بكر البغاش فسيضحكون ويفرحون ويقولون هو
خالك فقل نعم فسيقهومون ويشربون لى فإذا تكامل شربهم لى جلسوا فقل
نعم خالى يقرأ دليكم السلام ويقول لكم بحياتى يافتيان ردوا على ابن أختى
الفوطة التى أخذتها أمس فى السفينة بنهر الابلّة فإنهم يردونها عليكم فخرجت
من عنده وفعلت ما قال ووجدت الصورة على ما ذكر فرددت الفوطة على بعينها
ولم يحل شدة ما لما حصلت لى قلت لهم يافتيان هذا الذى فعلتموه بى هو قضاء
لحقى خالى ولى حاجة تخضعنى فقالوا : مقضية . فقلت عرفونى كيف أخذتم
الفوطة ؟ فاستمعوا ساعة فأقسمت عليهم بحياة أبى بكر البغاش فقام واحد منهم

ووأىء إلى رجل فتأمله جيداً فإذا هو الضرير الذى كان يقرأ وإنما يتعمى وأوىء إلى آخر . وقال : أتعرف هذا فتأملته فإذا هو الملاح بعينه . فقلت : كيف فعلتما ؟ فقال الملاح : أنا أدور المشارع فى أول أوقات المساء وقد سبقت بهذا المتعمى فأجلسته حيث وأيت فإذا رأيت من معه شيئاً له قدر ناديته وأوجبت الأجرة عليه وحملته فإذا بلغت إلى القارى وصارح به شتمته حتى لا يشك الراكب فى براءة ساحتى فإن حمله الراكب فذاك وإن لم يحمله رقت عليه حتى يحمله وجلس هذا يقرأ بقراءته الطيبة ويذهل الرجل كما ذهلت أنت فإذا بلغت الموضع الفلانى فإن فيه رجل متوقفاً لنا يسبح حتى يلاصق السفينة وعلى رأسه قوصرة والراكب لا ينظن له فيأخذ الأعمى الشئ الذى مع الراكب بحيلة خفية ويلقيه فى القوصرة فيأخذه هذا ويسبح إلى الشط فإذا أراد الراكب النزول وانتقد مامعه عملنا كما رأيت فلا يهتمنا ونتفرق فإذا كان فى الغد اجتمعنا واقتسمنا ما أخذناه واليوم كان يوم القسمة فلما جئت برسالة أستاذنا خالك سلمنا إليك القوصرة . قال : فأخذتها وانصرفت إلى بلدى عاجباً حامداً .

حدثنى عبد الله بن محمد الضرورى . قال : حدثنى بعض إخوانى أنه كان ببغداد رجل يتلصص فى حدائمه ثم تاب وصار يزانا . قال : فانصرف ليلة من دكانه وقد أغلقه فجاء رجل لص متزى بزى صاحب الدكان فى كهة شمعة صغيرة ومفاتيح فصاح بالحارس وأعطاه الشمعة فى الظلمة وقال أشعلها وجئنى بها فإن لى فى هذه الليلة فى دكانى شغلا ففضى الحارس وأشعل الشمعة وركب وركب اللص المفاتيح على الأقال ففتتحها ودخل الدكان وجاء الحارس بالشمعة مشعلة فأخذها منه وهو لا يتبين وجهه وجعلها بين يديه وفتح سفظ الحساب فأخرج ما فيه وجعل ينظر فى الدفاتر ويرى بيده أنه يحسب فدخلت الحيلة على الحارس ولم يشك أنه صاحب الدكان إلى أن قارب السحر فاستدعاه اللص وكله من بعيد . وقال له : اطلب لى حمالا فجاء بهملاً لحمل عليه من متاع الدكان أربع رزم وأقل الدكان وانصرف معه وأعطى الحارس درهمين

فلما أصبح الناس جاء صاحب الدكان ليفتحه فقام إليه الحارس يدعوا له فعل
الله بك وصنع كما أعطيتني البارحة الدرهمين قال فأنكر الرجل ما سمع ولم
يرد جواباً ، وفتح الدكان فوجد سيلاً من الشمعة وحسابه مطروحا وفقد الرزم
الأربع فاستدعى الحارس وقال من الذى حمل الرزم البارحة معى فقال : قد
استدعيت فلانا الجمال وهو الذى حملها فقال له على به فضى الحارس وجاء
بالجمال فأغلق الرجل الدكان وأخذ الجمال معه ومشى وقال له : إلى أين حملت
الرزم البارحة فأنى كنت متنبذا ؟ فقال : إلى المشرعة الفلانية واستدعيت لك
فلانا الملاح فركبت معه فقصص الرجل المشرعة وسأل عن الملاح فحضر وركب
معه وقال : أين عدت اليوم بأخى الذى كان معه الأربع رزم ؟ فقال : إلى
المشرعة الفلانية فقال : اطرحنى إليها فطرحه فقال : من حملها ؟ قال : فلان
الجمال فدعى به فقال امش فمشى وأعطاه شيئاً واستدل منه برفق على الموضع
الذى حمل إليه الرزم فجاء به إلى باب غرفة فى موضع بعيد عن الشط قريب
إلى من الصحراء فوجد الباب مقفلاً واستوقف الجمال أن فشى القفل وفتح الباب
ودخل فوجد الرزم فيه على حالها فدعى الجمال وحملها عليه ووجد يركبها
فأخذه أيضاً ووضعته مع الرزم وحين خرج من الغرفة استقبله اللص وفهم
الامر فاتبعه إلى الشط فجاء إلى المشرعة ودعى الملاح ليعبر فدعى الجمال من
يحيط عنه ؟ فجاء اللص فخط عنه كأنه يجتاز متطوع ثم أدخل الرزم إلى السفينة
مع صاحبها إلى أن انتهى إلى اليركان فأخذه ووضعته على كتفه وقال للتاجر
يا أخى استودعك الله قد ارتفعت رزمك فدع كسانى فضحك منه وقال :
انزل ولا خوف عليك فنزل معه فاستناب به ووهب له شيئاً ولم يسمه إليه .

عن رجل يعرف بأبى العرب قال : كنت مع أهل قرية من نواحي الشام
أسكنها أنا وأسلافى وكنت أطحن مع أهل القرية فى رحى ماء على فراسخ من
البلد يخرج إليها أهل البلد وأهل القرى المجاورة بغلاتهم وتكثر فلا يتمكن
من الطحن إلا القوي فالقوي ، فمضيت مرة ومعى غلة وحملت معى خبزاً

ولما مطبوخا يسكنفني لأيام وكان الزمان شتاء فلما وصلت سبططت أعدالي وانتظرت حتى يخف الناس فاطحن فيها على عادي فأخذني الجرع فتحولت إلى موضع نزه وفرشت سفرتي لآكل فاجتاز بي رجل عظيم الخلقة فدعوت إلى الأكل فلم يتأخر وجلس فأكل جميع ما كان في سفرتي حتى لم يدع فيها ولا أوقية واحدة فعجبت من ذلك عجباً بأن له منى فأمسكت وديسلنا أيدينا فقال : على أى شيء مقامك هنا قلت لأطحن هذه الغلة قال : ولم لم تطحنها فأخبرته بسبب بعد ذلك على فثار كالجل حتى شق الناس وهم مزدحمون على الرحي وهي تدور فجعل رجله عليها فوقفت ولم تدر فعجب الناس وقال من فيكم يتقدم فجاء رجل معجب بشدته فأخذ بيده ورمى به كالسكورة وجعله تحت رجله الأخرى فما قدر أن يتحرك وقال : قدموا غلتي إلى الطحن وإلا كسرت الرحي وكسرت عظام هذا فقالوا لى هات الغلة نجت بها فطحننت وفرغ منها وجعلها في الأعدال وقال لى قم فقلت إلى أين ؟ قال : إلى منزلك فقلت لأسلك الطريق وحدي فهو خفيف ولكن اصبر حتى يتخرج أهل قريتي فارجع معهم فقال قم وأنا معك ولست تخاف بإذن الله عز وجل فقلت لى نفسى من كانت تلك قوته يجب أن آنس به فقممت وحملت الغلة على الخير وصرنا ولم نرفى طريقنا أحدا فلما بلغت المنزل عجب قومي من سرعتي وورودي بالغلة لوحدي ورأوا الرجل وسألوني عن القصة فأخبرتهم وسألناه أن يقيم عندنا أياما فى ضيافتنا ففعل فذبحننا له بقره وأصلحننا له سكباجا وقدم إليه فأكل الجميع بنحو المائة رطل خبزا فقال له أبى يا هذا ما رأيت مثلك قط فأى شيء أنت ومن أين معاشك قال : أنا رجل من الناحية الفلاية وكان لى أخ أشد بدنا وقلبا منى اسمه عاد واسمى شداد وكنا نبدرق القوافل من قريتنا إلى مواضع كثيرة لانستعين بأحد وتخرج علينا الرجال الكثيرة فأقامهم أنا وأخى فقط ونهزمهم واشتهر أمرنا حتى كان إذا قيل قافلة عاد وشداد لم يعرض لها أحد فكشنا بذلك سنين كثير فنخرجنا مرة أنا وأخى نسير قافلة قد خزنناهما فلما صرنا بالقلاة رأينا سوادا مقبلا نحونا فانتظرنا أن يقدم علينا أحد ثم بان لنا شخص وهو رجل أسود على ناقة حمراء ثم خالطنا وقال هذه قافلة

عاد وشداد فقلنا نعم فترجل ودعانا للبراز فانقضضنا عليه فضرب ساق أخى
بالسيف ضربة أقعدته وعاد إلى فقبض على كتفى فما أطق الحركة فكتنفى
ثم كتف أخى وطرحنا على الناقة كالزاملتين ثم ركبها وسار بعد أن أخذ من
القافلة ما كان فيهما من عين وورق وحلى وشيئاً من الزاد وأوقر الراحلة بذلك
وسار بنا على غير محجة في طريق لا نعرفه بقية يومنا وليلتنا وبعض الشان
حتى أتى جبلان لا نعرفهما وأوغل فيهما وانتهى إلى مغارات وأنخ الراحلة
ثم رمى بنا عنها وتركنا في السكتاف وجاء إلى مغارة على بابها صخرة لا ينقلها
إلا الجماعة الكثيرة فنهجاها من الباب واستخرج منها جارية حسناء وسألها
عن خبرها وجلسا يأكلان مما جاء به من الزاد ثم قال لها : قومي فقامت
فدخلت إلى الغار ثم جاء إلى أخى فذبحه وأنا أراه وشواه وأكله وحده حتى
لم يدع منه غير عظامه ثم استدعى الجارية فخرجت فجعلنا يشربان فلما توسط
شربه جرنى فلم أشك في أن يريد ذبحى فإذا هو قد طرحنى في غار من تلك
المغارات وحل كتافى وأطبق الباب بصخرة عظيمة قال : فأيست من الحياة
وعلمت أنه إنما أخرنى لغد فلما كان في الليل لم أحس إلا بالمرأة تكلمنى فقلت
مالك : فقالت إن هذا العبد قد سكر ونام وهو يذبحك في الغد كما ذبح صاحبك
فإن كانت لك قوة فاجتهد في دفع الصخرة ، وأخرج وأقتله وأنج بنفسك
وبى فقلت ومن أنت فقالت : أما امرأة من أهل البلد الفلانى ذات نعمة
خرجت أريد أرضا بالبلد الفلانى فخرج هذا عدو الله على القافلة التى كنت
فيها فاستهلكها وأخذنى غصباً وأنا منذ كذا وكذا شهراً على هذه الصورة
ويرتكب منى الحرام وأشاهد ذبح الناس وأكله لهم ولا يوصف له إنسان
بشدة بدنه إلا قصده ثم يقهره ويحى به فيأكله ويعتقد أن شدته تلتقل إليه
وإذا خرج حبسنى في الغار وخلف بندقى مأكولاً وماء لأيام ولو اتفق أنه
يحتبس عنى ولو يوماً لمت جوعاً وعطشاً فقلت إننى والله ما أطيق قلع الصخرة
قالت ويلك فجرب نفسك قال فبجئت إلى الصخرة واعتمدتها بقوتى فتحركت
فنظرت فإذا قد وقعت تحت الصخرة حماسة صغيرة وقد صارت الصخرة
متركة تركيباً صحيحاً وذلك لما أراه الله سبحانه وتعالى من خلاصى فقلت

لها : أبشري ولم أزل أجتهد حتى زحزحت الصخرة شيئاً أمكنني الخروج منه قال فخرجت وأخذت سيف الأسود واعتمدت بكلتا يدي وضربت ساقيه فإذا قد أبنت أحدهما وكسرت الأخرى فانتبه ورام الوثوب فلم يقدر فضربته الأخرى على جبل عاتقه فسقط فضربته أخرى فأبنت رأسه وعمدت إلى المغارات وأخذت كلها وجدت فيها من عين وورق وجوهر ووثوب فاخر خفيف الحمل وأخذت زادا لأيام وركبت راحلته واردفت المرأة ولم أزل أسير في طريق لا أعرفها حتى وقفت على محجة فسلكتها فافضت بي إلى بعض القرى فسلمت الراحلة إلى المرأة وأعطيتها نفقة تكفيها إلى بلدها وسيرتها مع خفراء وعدت إلى بلدي بتلك الفوائد الجليلة وعاهدت الله عز وجل أن لا أتعرض للطريق ولا للخفاوة أبداً فأما أتاخر في ضياع أشتريتها من ذلك المال وغيره وأقوم بمهاراتها وأعيش من غلتها إلى الآن .

* * *

وعن رجل كردى يعرف بأبى على كان قد انحاز إلى عمران بن شاذان ابن عبد حسنويه بن الحسن الكردي وكان شجاعاً قال : خرجنا مرة بالجمال في أيام موسم الحاج وعددنا سبعون رجلاً من فارس وراجـل فأترونا الحاج للخراسانية وكان لنا عين من القافلة فعاد وعرفنا أن في القافلة رجل من أهل شاس وفرغانة معه اثني عشر رجلاً وجارية في قبة تلبيها حلي ثقيل فجعل أعيننا عليه حتى وثبنا عليه هو والجارية في عمـاريته فتمطعنا قطاره وكتفناه وأدخلناه وما معه بين الجبال ووقفنا على مامعه وفرحنا بالغنيمة وكان للرجل برذون أصفر يساوي مائتي درهم فلما رأنا نريد القفول قال : يا فتيان هناكم الله بما أخذتم ولكنني رجل حاج بعيد الدار فلا تتعـرضوا لسخط الله بمعنى من الحج فأما المال فيذهب ويحـمى وتعلمون أنه لا نجاة لي إلا على هذا البرذون فاتركوه لي فليس يبين ثمنه في الغنيمة التي أخذتموها فتشاورنا فقال شيخ مجرب لا تردوه عليه واتركوه مكتوفاً هنا فإن كان في أجله تأخير فسيقيض له من يحل كفافه فكنت فيمن عزم على هذا وقال بعضنا ما مقدار دابة بمائتي درهم حتى نمنعها رجل حاج وجعلوا يرفقون بقلوت

الباقيين حتى سمحنا بذلك فأطلقناه ولم ندع عليه إلا ثوبا يستر عورته فقال :
يا فتيان أنتم منتم عليّ وردتم دابتي وأخشي إذا أنا سرت أن يأخذها غيركم
فأعطوني قوسي ونشابى أذب بها عن نفسي وفرسي فقلنا لا نرد سلاحا على
أحد فقال بعضنا لبعض وما مقدار قوس ثمنها درهمان وما نخشى من مثل هذا
فأعطيناه قوسه ونشابيه وقلنا انصرف فشكرنا ودعا لنا ومضى حتى غاب عن
أعيننا فما كدنا نسير والجارية تبكي وتقول أنا حرة ولا يحمل لكم أن
تأخذوني فنحن في هذا وإذا بالرجل قد كر راجعا وقال يا فتيان أنا لكم ناصح
فإنكم قد أحسنتم إليّ ولا بد لي من مكافأتكم على إحسانكم بنصيحتي لكم
فقلنا ما نصيحتك فقال: دعوا ما في أيديكم وانصرفوا سالمين بأنفسكم ولكم الفضل
فإنكم منتم على رجل واحد وأنا أمن على سبعين رجلا منكم وإذا به قد انقلبت
عيناه في أم رأسه وخرج الزبد على أشداقه كالجلج الهائج فهو أنابه وضحكنا فأعاد
علينا النصيحة فقال يا قوم قد مننت عليكم لا تجعلوا لأرواحكم سيلا فزاد غيظنا
عليه فقصدناه وحملنا عليه فانحاز عنا ورمى خمس نشابات كانت بيده فقتل
بها منا خمسة أنفار وأخذ خمسة آخر وقال إن جماعتكم تموت على هذا إن لم
تخلوا عن ما في أيديكم فلم نزل ندافعه ويقتل منا حتى قتل خمسين رجلا وبقي
معه الشباب في جعبته ثم قتل منا جماعة آخرين فاضطربنا إلى أن ترجلنا لحاز
دوابنا وحده وساقها قليلا ثم رجع وقال أطالبكم بحلمكم من رمى بسلاحه
فهو آمن ومن تمسك به فهو أبصر فرمينا سلاحنا فقال آمين وأخذ جميع
السلاح والدواب وفاتتنا الغنيمة والخيل والسلاح وكان ذلك سبب توبتي عن
قطع الطريق أنفة لما لحقني منه وأنا على ذلك الحال إلى اليوم .

الباب الثاني عشر

من ألقاه الخوف إلى هرب واستنار فأدرك بأمن ومستجد نعم ومسار

عن محمد بن زكريا العلاني قال : غنى الرشيد يوماً بهذا الشعر :
ألاهل إلى شم الخزامى ونظرة إلى قرقرى قبل الممات سبيل
فيا اثلاث القاع من بطن توضح حنيني إلى اضلالكن طويل
أريد نهوضاً نحوكم فيعسدني إذا رمته دين على ثقيـل
قال مؤلف الكتاب : وجدت الشعر في غير هذه الرواية :
ويا اثلاث القاع قد مل صحبتي صحابي فهل في ظلمكن مقيل
أحدث نفسي عنك أن لست راجعاً اليك لحزني في الفؤاد دخیل
(رجوع للحديث) فاستحسن الرشيد الشعر ، وسأل عن قائله فعرف أنه
ليحيى بن طالب الحنفي البجلي فقال : هو حي أم ميت ؟ فقال بعض الحاضرين
هو حي كميت . فقال : ولم ؟ قال : هرب من اليمامة لدين عليه ثقل فصار إلى
الرى فأمر الرشيد أن يكتب إلى عامله بالرى يعرفه ذلك ، وأن يدفع إليه
عشرة آلاف درهم ، ويحمل إلى اليمامة على دواب البريد وكتب إلى عامله
باليمامة بقضاء دينه . فلما كان بعد أيام قال الرشيد لمن حضره : إن الكتب
وردت بامتنال ماأمرت به ، وعاد يحيى إلى وطنه موسراً وقد قضى دينه عنه
من غير سعي منه في ذلك .

❦

ذكر محمد بن عبدوس في كتابه : « كتاب الوزراء » . قال : حدثني عبد الواحد
ابن محمد يعني الحنفي ، قال : حدثني يموت بن المزرع . قال : كان التعابي
يقول بالاعتزال فاتصل ذلك بالرشيد ، وكثر عليه في أمره . فأمر عليه بأمر
غليظ فهرب إلى اليمن ، وكان مقبلاً فيها على خرف وتوق فاحتال يحيى بن خالد
إلى أن أسمع الرشيد شيئاً من خطبه ورسائله فاستحسنها الرشيد وسأل عن
الكلام لمن هو ؟ فقال يحيى : هو كلام العتاب ، وإن رأيت يا أمير المؤمنين

أن يحضر حتى يسمع الأمين والمأمون ويضع لهما خطبا لكان في ذلك صلاح لهما . فأمنه الرشيد وأمر باحضاره . ثم لما اتصل خبر ذلك بالعتابي قال يمدح يحيى بن خالد :

مازلت في سكرات الموت مطر حاً قد غاب عني وجه الأرض من خبلي
فلم تزل دائباً تسعى لثقتك ذني حتى اختلست حياتي من يد الأجل

* * *

ذكر في بعض كتب الدولة : أن أبا سلبية الخلال لما قوى الدعاة وشارفوا العراق ، وقد ملكوا خراسان وما بينها وبين العراق استدعى ابني العباس فسيرهم في منزله بالكوفة ، وكان له سرداب فجعل فيه جميع من كان حيا في ذلك الوقت من ولد عبدالله بن العباس ، وفيهم السمخ والمنصور ، وعيسى بن موسى وهو يراعى الأخبار ، وكان الدعاة يأمرهم بقصده إذا ظهروا وغلبوا على الكوفة ليصرفهم الإمام فيسلون الأمر اليه فلما أوقع قحطبة وابن هبيرة الواقعة العظيمة على الفرات ، وغرق قحطبة وانهمز ابن هبيرة ولحق بواسط وتحصن بها ، ودخل ابنا قحطبة الكوفة بالعسكر كاه قالوا لأبي سلبية : أخرج إلينا الإمام . فدافعهم وقال : لم يحضر الوقت الذي يجوز فيه ظهور الإمام ، وأخفى الخبر عن بني العباس وعمل على نقل الأمر عنهم إلى ولد فاطمة رضى الله عنهم ، وكاتب جماعة منهم فتأخروا عنه وساء ظن بني العباس . فاحتالوا حتى أخرجوا مولى لهم أسود كان معهم في السرداب ، وقالوا له : أعرف لنا الأخبار فصار يعرفهم أن قحطبة غرق وأن ابن هبيرة انهزم ، وأن ابني قحطبة قد دخلا الكوفة بالعسكر منذ كذا وكذا . فقالوا : أخرج وتعرض لابني قحطبة واعلمهما بمكاننا ، ومرهما أن يكبسا الدار علينا ويخرجانا ، فخرج المولى وكان حميد بن قحطبة عارفاً به فتعرض له فلما رآه أعظم رؤيته وقال : ويلك ما فعل ساداتنا وأين هم ؟ نخبره بخبرهم ، وأرى اليه رسالتهم فركب في قطعة من الجيش وأبوسلبية غافل فجاء حتى وج الدار وأراه الأسود السرداب فدخل ومعه نفر من الجيش فقال : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . فقالوا : وعليكم السلام . فقال : أيكم ابن الحارثية ؟ وكانت أم أبي العباس عبدالله بن

محمد بن علي بن عبد الله وكان إبراهيم بن محمد الذي يقال له الإمام لما بث الدعاة قال لهم : إن حدثت بعدى حدث فالإمام ابن الحارثية الذي معه العلامة وهي « ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ، ونمكن لهم في الأرض ، إلى قوله تعالى : ما كانوا يحذرون » قال : فلما قال ابن قحطبة أيكم ابن الحارثية ابتدره أبو العباس وأبو جعفر كلاهما يقول أنا ابن الحارثية فقال ابن قحطبة : فأيكما معه العلامة ؟ فقال أبو جعفر فعلت أنى قد أخرجت من الأمر لأنه لم يكن معى علامة . فتعال أبو العباس ونريد أن نمن وتلا الآية . فقال له حميد بن قحطبة : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته مديك فبايعه ثم انتضى سيفه وقال : بايعوا أمير المؤمنين . فبايعه اخوته وبنو عمه وعمومته والجماعة الذين كانوا معه في السرداب وأخرجوه إلى المنبر بالكوفة وأجلسه عليه . فحصر أبو العباس عن الكلام فتكلم عنه عمه داود بن علي فقام دونه عمه على المنبر بمرقاة وجاء أبو سلمة ، وقد استوحش وخاف فقال حميد : يا أبا سلمة زعمت أن الإمام لم يقدم بعد . فقال أبو سلمة : إنما أردت أن أدفع بخروجهم إلى أن يهلك مروان ، وإن كانت لهم كرة لم يكونوا قد عرفوا بها فيهلكوا ، وإن هلك مروان أظهرت أمرهم على ثقة . فأظهر أبو العباس قبول هذا العذر منه ، وأقعدته إلى جانبه ثم دبر عليه بعد مدة حتى قتله ، وقد دار هذا الخبر على غير هذا السياق فقالوا : قدم أبو العباس السفاح وأهله على أبي سلمة سرا فستر أمرهم ، وعزم أن يجعلها شورى بين ولد علي والعباس حتى يختاروا منهم من أرادوا ثم قالوا : خاف أن لا يتفق الأمر فعزم أن يعدل بالأمر إلى ولد الحسن والحسين رضى الله عنهم ، وهم ثلاثة : جعفر بن محمد بن علي بن الحسين وعبد الله بن الحسن ابن الحسين بن علي وعمر بن علي بن الحسن ووجه بكتهم مع رجل من مواليهم من ساكني الكوفة . فبدأ بجعفر بن محمد فلقية ليلا فأعلمه أنى رسول أبي سلمة وإن معه كتاباً إليه فقال : ما أنا وأبو سلمة هو شيعة لغيرى . فقال له : الرسول تقرأ الكتاب وتحيب عنه بما رأيت . فقال جعفر لحاذمه : قرب مني السراج . فقربه فوضع عليه كتاب أبي سلمة وأحرقه . فقال ألا تحيب عنه ؟ فقال :

قد رأيت الجواب . ثم أتى عبد الله بن الحسين فقبل كتابه ، وركب إلى جعفر . فقال جعفر : أمر جاء بك يا أبا محمد لو أعلمتني لجتتك . فقال : وأى أمر هو ؟ بما يجمل عن الوصف . فقال : وما هو ؟ قال : هذا كتاب أبي سلمة يدعوني إلى الأمر ، ويراني أحق الناس به ، وقد جاء به شيعتنا من خراسان فقال له جعفر رضى الله عنه : ومتى صاروا شيعتك ؟ أنت وجهت أبا مسلم إلى خراسان ، وأمرته بلبس السواد ؟ أتعرف أحداً منهم باسمه ونسبه ؟ قال : لا . قال : كيف يَكُونُوا شيعتك وأنت لا تعرف واحداً منهم ولا يعرفونك ؟ فقال عبد الله : هذا الكلام كان منك لشيء . فقال جعفر : قد علم الله تعالى أنى أوجب النصح على نفسه لئلا يمسك المسلم فكيف أدخره عيك ؟ فلا تمنين نفسك الأباطيل فإن هذه الدولة ستتم لهؤلاء القوم ، وما هي لأحد من ولد أبي طالب ، وقد جاءني مثل ما جاءك فأنصرف غير راض بما قال له ، وأما عمر بن علي بن الحسن فرد عليه الكتاب وقال : لا أعرف من كتبه . قال وأبطأ أبو سلمة على أبي العباس ومن معه فخرج أصحابه يطوفون بالكوفة فلقى حميد بن قحطبة ومحمد بن صول أحد مواليهم فعرفاه لأنه كان يحمل كتب محمد بن علي وإبراهيم بن محمد إليه فسألاه عن الخبر فاعلمهم بما أن القوم قد قدموا وإلهم في سرداب يعنى ببني أود فصارا إلى الموضع فسلموا إليهم وقالوا : أيكما عبد الله ؟ فقال المنصور : وأبو العباس كلانا عبد الله . فقال أيكما ابن الحارثية ؟ فقال أبو العباس أنا . فقالا : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ، ودنوا فبايعوه وأحضره إلى المسجد الجامع فصعد على المنبر فحصر وتكلم عنه عمه داود بن علي وقام دونه بمراقبة .

وعن طارق بن المبارك عن أبيه قال : جاءني رسول عمرو بن عتبة فقال لي : يقول لك عمرو قد جاءت هذه الدولة ، وأنا حديث السن كثير العمال منتشر الأموال فما أكون في قبيلة إلا وشهر أمرى ، وقد عزمت أن أفدى حرى بنفسى وأباصائر إلى باب الأمير سليمان بن علي فصر إلى فوافيته . فإذا عليه طيلسان مطبق أبيض وسراويل ، وشيء مشدود فقلت سبحان الله

ما تصنع الحادثة بأهلها أيها الإنسان ؟ تلقى هؤلاء القوم الذين تريد لقاهم ،
وعليك مثل هذا ؟ قال : والله ما ذهب على ذلك ولكن ليس عندي ثوب إلا
أشهر من ذلك فأعطيت طيلساناً وأخذت طيلسانه ولويت سراويله إلى ركبته
فدخل ثم خرج مسروراً . فقلت : حدثني بما جرى بينك وبين الأمير قال :
دخلت إليه ولم يرني قط . فقلت أيها الأمير : لفظتني البلاد إليك ودلتني
فضلك عليك فأما قبلتني غائماً ، وإما رددتني سالماً . فقال : من أنت ؟
فانتهت إليّ فقال : مرحباً أقعد فتكلم غائماً مسروراً . ثم أقبل على وقال
ما حاجتك يا ابن أخي ؟ فقلت أنا لحرمة اللواتي أنت أقرب الناس إليهن قد خفن
بنوفنا ، ومن خاف خيف عليه فوالله ما أجابني عليه إلا بدموع تسيل على
خديه . فقال يا ابن أخي : يخفرك الله دينك ويحفظك في حرمك ويوقر عليك مالك
والله لو أمكنني ذلك في جميع أهلك لفعلت ولكن كن متوازياً كظاهر وآمناً
كخائف ، ولتأتينى رقاعك . قال وكان والله يكتب إليه كما كان يكتب الرجل
إلى ابن عمه قال : فلما فرغ من كلامه رددت عليه طيلسانه فقال مهلاً فإن
ثيابنا إذا خرجت عنا لم ترجع إلينا . ووجدت هذا الخبر بإسناد ليس هو لي
برواية عن العتيبي قال : حدثنا طارق الزراع البصري ولم يتجاوزوه قال قدم
جدي عمرو بن معاوية البصري حين نكح بنو أمية قال فجعل لا ينزل بجي
إلا أجهزوه واشتهر فقال لي : اذهب بنا أضع يدي في يد هذا الرجل يعني
سليمان بن يحيى وذكر نحوه ، وقال في آخره : فلما صاب عمرو إلى منزله
دفعته إليه ثوبه وطلبت ثوبي فردهما علي جميعاً وقال : أنا لم تأخذ ثوبك
لنحبسه ولم نعطك ثوبنا لترده .

• • •

عن عبد الله بن قيس الرقيات قال : لما خرجت مع مصعب بن الزبير
حين بلغه شخوص عبد الملك بن مروان فلما نزل مصعب مسكن وتبين الغدر
من معه دعاني ، ودعا بمال فملأ المناطق منه والبسني منها وقال : امض
حيث شئت فإنني مقتول فقلت : لا والله لأروح حتى آتي سبيلك فأقمت معه
حتى قتل ، ومضيت إلى الكوفة فأول بيت دخلته إذا فيه امرأة معها بنتان لها

كأنهما ظيبتان فرقيت في درجة لها إلى مشرف فقعدت فيه قال فأصعدت ما أحتاج إليه من الطعام والشراب والفرش والماء والوضوء فأقمت كذلك عندها أكثر من حول تقوم بكل ما يصلحني وتغدوا علي في كل صباح فتسألني عن حوائجي فما سألتني من أما ولا أنا سألتها من هي وأنا في أثناء ذلك أسمع الصباح في الجعل فلما طال بي المقام وفقدت الصباح والجعل وعرضت بمكاني عادت إلى تسألني ما الصباح والحاجة ؟ فأعلمتها أنني قد عرضت بموضعي وأحببت الشخصوص إلى أهلي فقالت لي : يأتيك ما تحتاج إليه إن شاء الله تعالى قال : فلما أمسيت وضرب الليل بأرواقه رقت إلى وقالت إن شئت فنزلت وقد أعدت راحلتين عليهما جميع ما أحتاج إليه ومعهما عبد وأعطت العبد نفقة الطريق وقالت العبد والراحتان لك فركبت وركب معي العبد حتى أتيت مكة فدققت منزلي فقالوا من أنت يا هذا فقلت عبد الله بن قيس الرقيات فولولوا وبكوا وقالوا لم يردنا طلبك إلا في هذا الوقت فوقمت عندهم حتى أسحرت ونهضت فقدمت المدينة ومعني العبد فخرجت إلى عبد الله بن جعفر ابن أبي طالب رضي الله عنهم وهو يعشى أصحابه فجلست معهم وجعلت أتعاجم وأقول نبا ربنا وأي طيار فلما خرج أصحابي كشفتم له عن وجهي فقال : ابن قيس ؟ قلت عاتذا بك فقال : ويحك ما أجدهم في طلبك واحرصهم على الظفر بك . ولكنني أكتب إلى أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان وهي زوجة الوليد بن عبد الملك وعبد الملك أرق شيء عليها فكتب إليها يسألها أن تشفع إلى عمها عبد الملك فلما وصلها الكتاب دخلت على عمها فسألها هل من حاجة قالت : نعم لي حاجة فقال قد قضيت كل حاجة لك قالت : وإن كان ابن قيس الرقيات فقال لا تستثنين علي ونفخ بيده فأصاب حر وجهها فوضعت يدها على خدها فقال لها ارفعي يدك فقد قضيت كل حاجة وإن كانت ابن قيس الرقيات فقالت تؤمنه فقد كتب إلي يسألني أن أسألك قال : فهو آمن قامت فمر به يحضر المجلس العشي فحضر ابن قيس وحضر الناس حين بلغهم مجلس عبد الملك قال فأخر الإذن لابن قيس وأذن للناس فدخلوا وأخذوا بحالهم ثم أذن له فلما دخل عليه قال : عبد الملك يا أهل الشام أتعرفون هذا قالوا

لا قال : هو ابن قيس الرقيات الذى يقول :

كيف نوى على الفراش ولما تشمل الشام غارة شعواء
تذهل الشيخ عن بديه وتبدي عن خداع العقيلة العذراء
فقالوا يا أمير المؤمنين اسقنا دم هذا المنافق قال الآن وقد أمنتته وصار في
منزلى وعلى بساطى وقد أخرت الأذن لتقتلوه فلم تفعلوا فاستأذنه ابن قيس
أن يلبسه مديحه فأذن له فأشده قعيدته أتى يقول فيها .

عادله من كثيرة الطرب فعينه بالدموع تنسكب
والله ما أن صبت إلى ولا يعرف بينى وبينها نسب
إلا الذى أورت كثيرة فى الـ قلب وللحب سورة عجب
حتى قال فيها :

إن الأغر الذى أبوه أبو الـ عاص عليه الوقار والحجب
يعتدل التاج فوق مفرقه على جبين كأنه الذهب
فقال له عبد الملك : يا ابن قيس أتمدحنى بالتاج كأتى من العجم وتقول
فى مصعب ابن الذبير .

إنما مصعب شهاب من الله تجلت عن وجهه الظلماء
ملكه ملك رافة ليس فيه جبروت منه ولا كبرياء

أما الأمان فقد سبق لك ولكن الله لا تأخذ مع المسلمين عطاء أبدا
وأخبرنى أبو الفرج المعروف بالأصفهاني عن حماد بن إسحاق عن أبيه أن
عبد الله بن قيس الرقيات منعه عبد الملك بن مروان عطاءه من بيت المال
وطلبه ليقتله فاستجار بعبد الله بن جعفر وقصده فالتقاه نائما وكان ابن قيس
صديقا لسائب خاثر فطلب الإذن على ابن جعفر فتعذر فجاء بسائب خاثر
ليستأذن له فقال له سائب خاثر فجئت من قبل رجل عبيد الله ابن جعفر
وبيعحت بلباح الجرو الصغير فاتبعه ولم يفتح عينيه ورفسنى برجله قال فدرت
إلى عند رأسه فنبحت بلباح الكلب أهرم فاتبعه وفتح عينيه فقال مالك ويملك
فقلت ابن قيس الرقيات بالبواب فقال ائذن له وأذنت له ودخل فرحب به
عبد الله وقربه فعرفه ابن قيس خبره فدعى بظبية فيها دنانير وقال لى عدله

ما فيها فجعلت أدله وأطرب وأحسن صوتي بجهدى حتى عددت له ثلاث مائة دينار وسكت . فقال عبد الله : ويلك لماذا سكت ما هذا وقت قطع الصوت الحسن فجعلت أعد ما فى الظبية وفيها ثمانمائة دينار فدفعتها إليه فلما قبضها التفت لابن جعفر وقال له : تسأل أمير المؤمنين فى أمرى . قال : نعم إذا دخلت عليه ثم أنه دعى بالطعام فأكل أكلاً فاحشاً وركب ابن جعفر فدخل معه إلى عبد الملك فلما قدم الطعام جعل يسيء الأكل فقال عبد الملك لابن جعفر من هذا ؟ قال : زجل لا يجوز أن يكون كاذباً إن استبقي وإن قتل كان أكذب الناس قال : كيف ؟ قال لأنه يقول :

ما نقموا من بنى أمية إلا أنهم يحملون ان غضبوا
فإن قتلته بغضبك عليه أكذبكم فيما مدحكم به قال فهو آمن ولكن لا أعطيه
عطاء من بيت المال قال : أحب أن تهب عطاءه لى أيضاً كما وهبت لى دمه قال :
قد فعلت وأمرت له بذلك .

عن حماد الراوية قال : كان انقطاعى إلى يزيد بن عبد الملك جعل هشام يخفونى دون سائر أهله من بنى أمية فى أيام يزيد فلما مات يزيد وأفضت الخلافة إلى هشام خفته ومكثت فى بيتى سنة لا أخرج إلا إلى من أثق به من إخوانى سرا فلما لم أسمع أحدا يذكرنى أمنت فخرجت فصلبت الجمعة عند باب الفيل فإذا بشرطيين قد وقفنا على وقالوا : يا حماد أجب الأمير يوسف ابن عمر فقلت فى نفسى . من هذا . كنت أحذر . ثم قلت للشرطيين هل لكما أن تدعاني آتى بيتى فاودع أهلى وداع من لا يرجع إليهم أبدا ثم أصير معكما فقالوا : ما إلى ذلك سبيل فاستسلمت فى أيديهما وصرت إلى الأمير وهو فى الإيوان الأحمر فسلمت عليه فرد على السلام ورمى إلى كتاباً فيه : « بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله هشام أمير المؤمنين إلى يوسف بن عمر أما بعد : فإذا قرأت كتابى هذا فابعث إلى حماد الراوية من يأتيك به من غير أن يروع

(٢٣ - الفرج)

ولا يتعتع وأدفع إليه خمسمائة ديناراً وجملاً مهرباً يسير عليه اثنتى عشرة ليلة إلى دمشق ، فأخذت الخمسمائة دينار وإذا جمل مرحول فجعلت رحلى فى الغرر وسرت اثنتى عشرة ليلة حتى وافيت دمشق ونزلت على باب هشام واستأذنت عليه فاذن لى فدخلت عليه فى دار قوراء مفروشة بالرخام وبين كل رخامتين قضيب ذهب وحيطانه كذلك وهشام جالس على طنفسة حمراء وعليه ثياب خز حمر وقد تضمخ بالمسك والعنبر ، وبين يديه مسك مفتوت فى أوانى ذهب يقلبه بيده فتفوح رائحته فسلمت عليه فرد على واستدنانى فدنوت منه حتى قبلت رجله ، وإذا جاريثان لم أر مثلهما وفى أذن كل واحدة منهما حلقتان فيهما لؤلؤتان تتوقدان ، فقال لى : كيف أنت يا حماد وكيف حالك ؟ قلت بخير يا أمير المؤمنين . قال أتدرى فيم بعثت إليك ؟ قلت : لا قال بعثت بسبب بيت خطر فى بالى لم أدر من قائله قلت وما هو ؟ قال :

ودعوا بالصبح يوماً فجاءت قينة فى يمينها إبريق
فقلت : هذا يقوله عدى بن زيد العبادى فى قصيدة له قال أنشدنيها فأنشدته

بكر العاذلون فى وضوح الصبح يقولون لى ألا تستفتى
ويلومون فيك يا ابنة عبد الله والقلب عندكم موثوق
لست أدرى إذا كثرا لى فيها أعدو يلومنى أم صديق
ودعوا بالصبح يوماً فجاءت قينة فى يمينها إبريق
ندمته على عقار كعين الديك صنى سلافاً الراووق

قال فطرب ، ثم قال : أحسنت يا حماد ، والله يا جارية اسقيه فسقتنى شربة ذهبت بثلاث عقى وقال أعداءه فاستخدمه الطرب حتى نزل عن فراشه ثم قال للجارية الأخرى : اسقيه فسقتنى شربة ذهبت بثلاث قلى فقلت إن سقتنى الثالثة افتضحت ثم قال لى : سل حوائجك ؟ قلت كأنى ما كانت قال : نعم قلت لإحدى الجاريتين قال هما لك بما عليهما وما لهما ثم قال : الأولى اسقيه فسقتنى شربة سقطت منها ولم أعقل حتى أصبحت فإذا بالجاريثين عند رأسى وإذا عشرة من الخدم مع كل واحد منهم بدرة وقال لى أحدهم أن أمير

المؤمنين يقرأ عليك السلام ويقول لك: خذ هذا فانتفع به في سفرك فأخذتها
والجاريتين وانصرفت .

عن عبد الله بن عمران أبي فروة قال : كان عبد الله بن الحجاج الثعلبي
من أشرف قيس وكان مع ابن الزبير فلما قتل دخل عبد الله بصفة إعرابي
على عبد الملك بن مروان ليلاً وهو يتعشى مع الناس فجلس وأكل معهم ثم
وثب فقال :

منع القرار فجئت نحوك هارباً جيش يحرق ومقنب يتلحح
فقال : أى الأخايث أنت ؟ فقال :

أرحم أصيبية هديت كأنهم حجل تدرج بالسرية جوع
فقال : أجاج الله بطونهم فأنت أجعتهم فقال :

مال لهم مما تظن جمعتهم يوم القليب فخير عنهم أجمع
فقال : كسب سوء خبيث فقال :

ولقد وطئت بنو سعيد وطأة وابن الزبير فعرشه متضعض
وأرى الذين رجوا تراث محمد أفلت نجومهم ونجمك يسطع
فقال الحمد لله على ذلك فقال :

أدنوا لترحمنى وتقبل توبى وأراك تدفعنى فأين المدفع
فقال : إلى النار فقال :

ضافت ثياب الملبسين فأولنى عرفاً وألبسنى فتوبك أوسع
قال : فرمى إليه بمطرف خن كان عليه فقار عبد الله : أمنت والله فقال
له عبد الملك : كن شئت إلا عبد الله بن الحجاج فقال : والله ما أنا إلا هو
وقد أمنتنى، أكلت طعامك ولبست ثيابك فأى خوف على قال : ما هذا إلا
جدك وأمضى له الأمان .

ووجدت فى بعض كتبي هذا الخبر أن ابن الزبير لما قتل أهدر عبد الملك

دم عبد الله بن الحجاج هذا فاشتد عليه الطلب فجاء ليلاً ولم يكن عبد الملك ليجمع بين اسمه وجسمه فجلس بين الناس مستخفياً على الطعام إلى أن أكل وتحرم ورآه عبد الملك ثم قام وقال الأبيات وموضوع هذا الخبر يدل على هذا ولعله سقط من الرواية المتقدمة والله أعلم .

عن أبي طالب كاتبت ابن طاهر قال : سمعت الفضل بن الربيع يقول : لما استترت عن المأمون أخفيت نفسي حتى على عيالي وولدي وكنت أنتقل وحدي فلما قرب المأمون من بغداد ازداد حذري وخوفي على نفسي فتشددت في الاحتياط والتواري فأفضيت إلى منزل بزاز كنت أعرفه في درب على باب الطاق وتشدد المأمون في طلبي فلم يعرف لي خبراً فتذكرني يوماً فاغتاظ على إسحق بن إبراهيم وحده في طلبي فاغلظ له فخرج إسحاق من حضرته وجد بأصحاب الشرط وأوقع ببعضهم المكارة ونادى في الجانبين من جاء به فله عشرة آلاف درهم وأقطع غلته ثلاثة آلاف دينار في كل سنة وإن كل من وجد عنده بعد النداء يضرب خمسمائة سوط ويؤخذ ماله وتهدم داره ويحبس طول عمره. ونودي بذلك عشاء فها شعرت بصاحت الدار حتى دخل على وأخبرني به وقال والله ما أقدر بعد هذا على حفظ روحك ولا آمن على روحي وغلماي وجاريتي إن تشره نفوسهم إلى المنال فيدولون عليك وأهلك بهلاكك فان صفح الخليفة عنك لم آمن أن تتهمني إني دلت عليك فيكون ذلك أقبح وليس الرأي لك ولا لي إلا أن تخرج فورداً على أعظم وارد فقلت إذا جاء الليل خرجت عنك قال ومن يطيق الصبر على هذا وهذا وقت حار وقد طال عهد الناس بك فتذكر وأخرج قلت وكيف أتذكر قال تأخذ لحيتك وتغطي رأسك وتلبس قيصاً ضيقاً وتخرج فقلت : أفعل فجاء بمقراض فأخذ أكثر لحيتي وتذكرت وخرجت في أول أوقات العصر وأنا ميت خوفاً فمشيت في المشارع حتى بلغت الجسر فوجدته قد رش وهو متزلق فلما توسطته فاذا بفارس من الجند الذين كانوا ينوبون في داري أيام وزارتي قرب مني وقال : طلبة أمير المؤمنين والله وعدل إلى ليقبض على فمن حلاوة

النفس دفعته ودأبته فزلق ووقع في بعض سفن الجسر وتعادى الناس لخلاصته وظنوا أنه زلق بنفسه وتشاغلو به وزدت أنا في المشى ولم أعد لثلا بنكر حالى من يرانى إلى أن عبرت الجسر ودخلت دار سليمان فوجدت امرأة على باب دار مفتوح فقلت لها : يا امرأة أنا خائف من القتل فأجيرنى واحفظينى فقالت : ادخل وأومات إلى غرفة فصعدت إليها فلما كان بعد ساعة إذا بزوجها على الباب ففتحته له ودخل فتأملتة فإذا هو صاحبى على الجسر وهو مشدود الرأس من شجة لحقته وسألته المرأة عن خبره فأخبرها بالقصة وقال لها قد زمنت دأبى وأنفذتها لتباع في سوق اللحم وقد فاتى الغناء وجعل يشتمنى وهو لا يعلم بوجودى معه في الدار وأقبلت المرأة تترفق به إلى أن هدأ فلما صليت المغرب وأقبل الظلام صعدت المرأة إلى وقالت أظنك صاحب القصة فقلت نعم فقالت : قد سمعت ما عنده فاتق الله واخرج فدعوت لها ونزلت ففتحت الباب فتحاً رقيقاً وكانت الدرجة في الدهليز فأفضيت إلى الباب فلما انتهيت إلى آخر الدرب وجدت الحراس قد أغلقوه فتحيرت فرأيت رجلاً يفتح باباً بمفتاح رومى . فقلت : هذا رومى وهو من يقبل مثلى فدنوت وقلت استرنى سترك الله قال : ادخل فدخلت فرأيت رجلاً فقيراً وحيداً فأقمت ليلتى فبكر من غد ثم عاد نصف النهار ومعه حاملان يحمل أحدهما حصير ومخدة وجرار وكيزان وغضائر جدد وقدر جديد والآخر يحمل خبز وفاكهة ولحم وتلج فدخل وترك ذلك كله عندى وأغلق الباب فزلت وعذلاته وقلت له كافت نفسك هذا فقال : أنا رجل مزين وأخاف أن تستقدرنى فاطبخ أنت واطعمنى في غضارة أجيء بها من عندى فشكرته على ذلك ومكثت عنده ثلاثة أيام فلما كان اليوم الرابع ضاق صدرى . فقلت له : الضيافة ثلاثة وقد أحسنت وأجملت وأريد الخروج فقال لا تفعل فأنى وحيد وخبرك لا يخرج من عندى أبداً فأقم إلى أن يفرج الله عنك فلمست اثناقل بك فأبيت للحين قال فخرجت حتى بلغت باب التين إلى دار عجوز من موالينا فدفعت الباب عليها فخرجت فلما رأتنى بككت وحدث الله تعالى على رؤيى وأدخلتنى الدار فلما كان في السحر وأنا نائم غير مكترث وبكرت فسععت

إلى أبواب اسحق فما شعرت إلا وإسحاق نفسه فى خيله ورجله قد أحاط بالدار ثم كبسها فاستخرجنى منها حتى أوقفنى بين يدى المأمون حافيا حاسرا فلما رآنى سجد طويلا ثم رفع رأسه فقال يا فضل : أتدرى لم سجدت قلت شكرا لله على ظفرك بعدوك وعدو دولتك والمغرى بدينك . وبيير أخيك قال ما أردت هذا ولكن سجدت شكرا على ما ألهمني من العفو عنك . فخذنى بخبرك فشرحته له من أوله إلى آخره فأمر بإحضار المرأة مولانا وكانت فى الدار تنظر الجائزة فقال : ما حملك على ما فعلت مع انعام . وإنعام أهله عليك قالت رغبة فى المال . قال هل لك ولد ، أو زوج ، أو أخ ؟ قالت لا فأمر بضربهما متى صوت وتخلدهما فى الحبس ثم قال لاسحق احضر الساعة الجندى وامرأته والمزين فاحضروا فى المجلس فسأل الجندى عن السبب الذى حمله على فعله فقال الرغبة فى المال والله أنه الذى أثبتنى فى الجيش ولكنى رغبته فى المال العاجل فقال أنت بأن تكون حجاجا أولى بك من أن تكون من أوليانا وأمر بأن يسلم للمزينين فى الدار ويوكل به من يعسفه حتى يتعلم الحجامة وأمر باستخدام زوجته على قهرمة دور حرمه وقال هذه امرأة عاقلة دينة وأمر بتسليم دار الجندى وقاشه إلى المزين وإن يجعل رزقه له ويجعله جنديا مكان ذلك الجندى ، وأطلقنى إلى دارى فرجعت إليها آخر النهار آمنا مطمئنا : ووجدت هذا الخبر بخلاف هذا فى كتاب الوزراء ، لابن عيدوس فإنه ذكر أن الفضل ابن الربيع استتر فطال استتاره واستعجمت عليه الأخبار فقير زيه وخرج فى السحر وكان استتر بناحية الخريبة من الجانب الغربى فشئى وهو لا يدري أين يقصد لخبرته وبعد عهده بالطرق فأداه المشى إلى الجسر وقد اسفر الصبح فأيقن بالعطب وقصد منزلا لرجل كانت يئنه ويئنه مودة بسويقة نصر ، فلما صار صار بيعض المشارع سمع النداء عليه ببذل عشرة آلاف درهم فتخفى حتى جاوزه الركبان والمنادى ومشى فرآه رجل فانقبه له وقال يا فضل وكان فى أحد جابى الطريق الذى الفضل فيه فامه إلى الجانب الذى كان فيه ليقبض عليه فاعترضته حمير وجمال عليها جنب ونظر الفضل يمينا وشمالا فلم يجد مذهبا وبصر بدرب فدخله فوجده لا يتنقذ ووجد فى صدره

باباً مفتوحاً فهجم على المنزل وفيه امرأة فاستغاث بها فأجارتها وبادرت إلى الباب فأغلقتة وناشدها الله أن تستره إلى الليل فأمرته بالعودة إلى غرفة لها فلم يستقر به القعود حتى دق الباب فلما فتح الباب دخل الرجل الذي رآه وعزم على القبض عليه وإذا المنزل له فقائ لزوجته فأتى الساعة عشرة آلاف درهم قالت له وكيف ذلك؟ قال لها مربي الفضل فسدت يدي لأقبض عليه فابتلعتته الأرض فقالت له امرأتاه الحمد لله عز وجل على أن كنفك أمره وبقي دينك عليك ولم تكن سبباً لسفك دمه أو مكروه يلحقه فلما خرج صعدت إليه فقالت قد سمعت وما هذا لك بموضع نخرج إلى بعض منازل معامليه فلما صار إليه نبه العامل عليه وأسلمه إلى طالبيه فحمل إلى المأمون فلما رآه وسأله عن خبره شرح له قصته فأمر المرأة بثلاثين ألف درهم وقال للرسول قل لها يقول لك الفضل هذا جزاء لك على ما فعلته من الجميل فردتها وأبت قبولها وقالت : لست آخذ على شيء فعلته الله تعالى جزاء إلا منه .

حدثنا أبو الحسن محمد بن عمر بن شجاع المتكلم البغدادى الملقب بمجنيد قال : حدثنا الفضل بن همام السيرافى وكان مشهوراً بسلوك أفاضى بلاد البحر قال : قال لى رجل من بعض بياسرة بلاد الهند والبیسر هو المولود على ملة الإسلام هناك قال : كان فى إحدى بلادهم ملك حسن السيرة وكان لا يأخذ ولا يعطى بمواجهة وإنما كان يقلب يده وراء ظهره فيأخذ ويعطى بها إعظاماً منهم للملك وسنة لهم هناك ولأولادهم وأنه توفى فوئب رجل من غير أهل المملكة فاحتوى على ملكه وهرب ابن له كان يصلح للملك خوفاً على نفسه من المتغلب، ورسوم ملوك الهند أن الملك إذا قام عن مجلسه لأى حاجة عرضت له كان عليه مصدرة قد جمع فيها كل نفيس وفاخر من اليواقيت والجواهر مضروب بالابرسم فى الصدر ويكون فيها من الجوهر مالمو أراد أن يقيم به ملكه لأقامه قال : ويقولون ليس يملك من إذا قام عن مجلسه وليست معه حتى إذا حدثت عليه حادثة وهرب بها أمكنه إقامة ملك منها فلما حدث على الملك تلك الحادثة أخذ ابنه صدرته وهرب بها فحكى عن نفسه أنه مشى ثلاثة

أيام قال ولم أنظم طعاماً ولم يكن معي فضة ولا ذهب فابتاع به ما كولا ولم أقدر على إظهار مامعي وانفتحت ان استطعم قال: جلست على قارعة الطريق فإذا رجل هندي مقبل على كتفه كارة فخطها وجلس حداثي فقلت أين تريد قال الحرام الفلاني ومعنى الحرام الرستاق فقلت وأنا أيضاً أريد هذا الحرام قال فنصطحب قلت نعم فصحبته طمعا في أن يعرض عليّ شيئاً من ما كوله قال خل الكاره وأكل وأنا أراه ولم يعرض عليّ شيئاً من ما كوله ولم تقو نفسي على أن تبدئه بالسؤال فلما فرغ قام يمشي فمشيت معه وبت معه طمعا في أن تحمله المزاملة على العرض على فعمل بالليل كما عمل بالنهار قال وأصبحنا في غد فمشينا فعاملني بمثل ذلك أربعة أيام قال فصار لي سبعة أيام لم أذق فيها شيئاً فأصبحت في الثامن ضعيفا فهو وسلا قدرة لي على المشي فعدلت عن الطريق وفارقت الرجل فرأيت قوما يبنون وقيما عليهم فقلت للنجم استعملني مثل هؤلاء باجرة تعطيلها عشاء فقال نعم ناولهم الطين قلت تجل لي أجرة يوم ففعل فابتعت بها ما أكلته ووقت أناولهم الطين فكنت لعادة الملك أقلب يدي إلى ظهري واعطيهم الطين فلما أتذكر أن ذلك خطأ يلبيه على سنك دمي أبادر بتلافي ذلك فادر يدي بسرعة من قبل أن يفتنوا بي قال فلدحتني امرأة قائمة فأخبرت سيدها خبري وكانت صاحبة البناء وقالت لا بد أن يكون هذا من أولاد الملوك قال فتقدمت إلى القيم بحبسي عن المضى مع الصنيع فاحتبسنى وانصرف الصنيع فجاءتني بالدهن والعروق لاغتسل بهما وهذه مقدمة إكرامهم وسنة لعظماهم فتغسلت بذلك وجاؤوني بالأرز والسمنك فطعمت فعرضت المرأة على نفسها في التزويج فأجبت وعقدت ودخلت بها من ليلتي وأقمت معها أربع سنين ادبر حالى وحالها وكانت لها نعمة فأما يوم جالس على باب دارها إذا برجل من بلدى قاستدعيته فجاء فقلت له من أين أنت؟ قال: من بلد كذا وكذا فذكر بلدى فقلت ماتصنع هاهنا قال: كان فينا ملك حسن السيرة فمات فوثب على مملكه رجل ليس من أهل بيت الملك وكان للملك الأول ابن يصلح للملك تخاف على نفسه فهرب وان المتغلب أساء عشرة الرعية فوثبنا عليه فقتلناه وانبتشنا في البلد ان نطلب ابن ذلك الملك المتوفى

فنجلسه مكان أبيه فما عرفنا له خبرا قال فقلت أتعرفني؟ قال لا : قلت : أنا طلبتكم قال وأعطيته العلامات فعلم صحة ماقلته له فكفر لي فقلت : اكنم أمرنا إلى أن ندخل الناحية قال : افعل ففعل قال : فدخلت إلى المرأة وأعلمتها بالخبر وحدثتها بأمرى كله وأعطيتها الصدرة وقلت هذه قيمتها كذا كذا ومن حالها كذا وكذا وأنماض مع الرجل فإن كان ما ذكر صحيحاً فالعلامة أن يمشك رسولك ويذكر لك الصورة وإن كانت مكيدة كانت الصدرة لك قال ومضى الرجل وكان الأمر صحيحاً فلما قرب من البلد استقبلوه بالتكفير وأجلسوه في الملك فأنفذ إلى زوجته من حملها فجاءت إليه فحين اجتمع شمله واستقام أمره أمر فبليت له دار ضيافة عظيمة وأمر أن لا يجوز في عمله مجتاز إلا حمل إليها فيضاف فيها ثلاثة أيام ويزود لثلاثة أيام آخر فكان يفعل ذلك وهو يراعى الرجل الذي صحبه في سفره ويقدر أن يقع في يديه فلما كان بعد حول استعرض الناس قال وكان يستعرضهم في كل يوم فلا يرى الرجل فيصرفهم فلما كان في ذلك اليوم رأى الرجل فيهم فحين وقعت عينه عليه أعطاه ورقة تابول وهذه علامة غاية الإكرام ونهاية رتبة الأعظام إذا فعله الملك برعيته قال فحين فعل الملك ذلك بالرجل كفر له وقبل الأرض فأمره الملك بالنهوض ونظر إليه فإذا هو ليس يعرف الملك فأمر بتغيير حاله وإحسان ضيافته ففعل ثم استدعاه فقال أتعرفني؟ فقال: وكيف لأعرف الملك وهو من عظم شأنه وعلو سلطانه بحيث هو قال لم أرد هذا أتعرفني قبل هذا الحال قال لا فإذا كرهه الملك بالحديث والقصة في منعه إياه الطعام في السفر قال فهت الرجل فقال ردوه إلى الدار فردوه فزاد في إكرامه وحضر الطعام فاطعم فلما أراد النوم قال الملك لزوجته امضى فغمز به حتى ينام قال فجاءت المرأة فلم تزل تغمزه إلى أن نام ثم رجعت إلى الملك فقالت قد نام قال ليس هذا نوم حر كوه فحر كوه فإذا هو ميت قال فقالت له المرأة أى شئ هذا قال فساق لها حديثه معه وقال وقع في يدى فتناهيت في إكرامه والهند لهم أكباد عظام وأوهام ظريفة فأدخلت عليه حسرة عظيمة إذ لم يحسن إلى فقلمته وقد كنت أتوقع موته قبل هذا بما توهمه واستشعره من "علة في نفسه لفراط الحسرة".

حدثنا أبو عبد الله بن أحمد بن شيرزاد قال : حدثني خالي وابن عم أبي
أبو جعفر محمد بن يحيى بن شيرزاد قال : لما سعى على عند بحكم حتى صرفني
عن كتيبه ونسكبي وألزمي بمائتي ألف دينار فأديت أكثرها من غير أن
أبيع شيئاً من أملاك الظاهرة فلما قاربت على وفائها استحضرنى أحمد بن
على السكوني كاتبه ، وأخذ يخاطبني بكلام طويل هو مقدمة واعتذار لشيء
يريد أن يخاطبني به . فقلت له ياسيدي : ماتريد ؟ وما بك حاجة إلى التسبب
فاني بمودتك واثق . فقال : إن هذا الرجل يعني بحكم قدر جمع عليك في صلحك
وطمع فيك وطالبني أن آخذ منك ما تقي ألف دينار أخرى ، والله ما هذا
عن رأيي ولا لي فيه مدخل ، ولو قدرت على إزالته عنك لفعلت . قال :
فأخذت أحلف أني لا أهتدي اليها ، ولا إلى عشرينها ، وإن الشبكة قد
استنفدت مالي ولم يبق لي شيء إلا إداري وضياعي ، وإنني أسيهما ، ولا أكتم
شيئاً منهما ، وأخرج له عنهما ليهب لي روحى . قال : فطال الخطاب بينهما
فلما قام في نفسه صدق فسكر طويلاً ثم قال : ياسيدي هذا رجل أعجمي وعنده
أن وراءك أضعاف هذا المال ، وأن فيك من الفضل ما يصلح لقلب دوائيه
عليه ، وأنت والله معه في طريق القتل إلا أن يكفيك الله عز وجل ، والله
ما أحب أن يجرى مثل هذا على يدي ، ولا في أيامى فيلزمنى عاره إلى الأبد
وأجسره على قتل كتابه فدبر خلاصك . فتحيرت ثم سكنت وقلت له :
تعطيني ميثاقك وتحلف لي أن سرك في محبة خلاصى كعلايتك حتى أقول
ما عندي ؟ ففعل . فحلفت له أني قد صدقته ، وإني لا أمتنع مما يجر عني به بعد
هذا اليمين ولو شاء مني أن أفتح دوائى وأكتب بين يديه ، وقلت له : أنت
وقتك مقبل ووقتي مدبر ، وأنت فارغ القلب وأنا ذاهل بالحنة فدبر أمرى
الآن كيف شئت فإنه ينفذ لك بهاتين الخلتين ما قد استتبهم على . قال :
ففسكر ثم قال : أنا إن آيست هذا الرجل من مالك لم آمنه على دمك ، وإن
أطعمته في مالك وليس لك ما تعلمه به أدت بك المطالبة إلى التلف ، ولكن
الصواب عندي أن أطعمه في ضيعتك فاشتريها له منك وأقول إن ضياع السواد
الخراجية قد أجمع شيوخ الكتاب بالحضرة قديماً وحديثاً على أن كل ما كان

منها غلته درهم فقيمته أربعة دراهم وأبو جعفر يقول : ان غلات الضياع بعد
الخراج خمسة وعشرون ألف دينار وأنه يضمها بذلك حاصلًا خالصًا بعد
الخراج والمؤون ويقيم بذلك كفلاء فاشترها منه بما تبقى ألف دينار كمالًا ويحصل
لعقبك ملك جليل مع هذا ، وهو يؤدي باقي المصادرة الأولى ، وتفسير
ضامننا لضيعة فادفع ذلك إليك أيضًا ، ومن ساعة إلى ساعة فرج وأنا أحتال
بجيلة في أن يكون الكتاب عندي فلا أسلمه إليه فلعل حادثة تحدث وترجع
إليك ضيعة ، وتكون بالعاجل قد تخلصت وسلم دمك في أربع سنين .
قال : فعلمت أنه قد نصحتني وآثر خلاصي وأجبت فدخل إلى محكم ولم يزل
معه في محادثات إلى أن تقرر الأمر على ما قاولني عليه وأحضر الشهود
وكتب على الكتاب بالابتياح والكتاب بالإجارة وقال لي : الوجه أن تقيم
كفلاء ببقية المصادرة الأولى فقد استأذنته في صرفك إلى منزلك ، وإذا
انصرف فأنضم ولا يراك أحد ، وكن متحذرا ولا تظهر أنك مستر فتغريه
بك . قال : فشكرته وأقت الكفلاء بالمال إلى أيام معلومة فصرفت فعدت
إلى داري وكنت متحذرا اجلس في كل يوم فيدخل إلى بعض الناس بمقدار
ما يعلم أنني في داري فإذا كان نصف النهار خرجت إلى منازل اخواني وأقت
يوما عند هذا ويوما عند الآخر وراعت أخبار داري أتوقع أن يجيئها من
يسكنها فيطلبني فأكون بحيث لا يعرف خبري فأنبج فطال ذلك والسلامة
مستمرة ، وانحدر بمحكم إلى واسط فآتيت بالجلوس والاستقرار في داري
فلما كان في بعض الأيام ضاق صدري ضيقا لا أعرف سببه واستوحشت
وفكرت في أمري وقلت إن كبست على غفلة فماذا أصنع ؟ قال : وكان
لداري أربعة عشر بابا إلى أربعة عشر سكة وشارعا وزقاقا نافذا ومنها عدة
أبواب لا يعرف جيرانها أنها تفضي إلى داري وأكثرها عليه الأبواب
الجديدة . قال : فترآلى أن أرسلت لعلمانى المقاتلة ، وكانوا متفرقين عنى قد
صرفتهم اثلا يصير لي حديث لجأؤنى واجتمع منهم ومن أولادهم نحو ثلاثمائة
غلام فقلت لهم إذا كان الليلة فاحضروا جميعا بسلاحكم وبيتوا عندي ليلا
وأقيموا نهارا إلى أن أدبر أمري . قال : ففعلوا ذاك ورفقتهم في الحجر

المتقاربة للمجلس الذى كنت أجلس فيه وقلت إن كبست فتشاغلوا عن من يطلبنى لأنجو قال وكنت أدبر كيف أعمل فى قلب الدولة أو استصلاح بحكم فلم يقع لى الراى ولا أجد إلى ذلك طريقا ، وكنت أوصيت بوابى أن يغلق بابى المعلوم للناس ولا يفتحه لأحد من خلق الله إلا بأمرى وأجلست غلاما كان يحجبنى فى أيام الدولة ، ومعه عشرون غلاما بسلاح خلف الباب وكان لا يفتح لأحد . فما مضى لهذا إلا يومان أو ثلاثة حتى جاءنى حاجبى وقال : قد دق الباب فقلنا من الطارق ؟ قال : أنا غلام لمحمد بن نبال البرجمان وهو وأبو بكر النقيب بالقرب منكم يستأذنون على سيدنا فى الدخول فقلت فى نفسى بليت والله ، وأمرت الغلمان فاجتمعوا بأسرهم متسلحين فى بيت له قبة كبيرة كنت جالسا فى أحد أروقه وأمرتهم أن لا ينبسوا بكلمة وقلت للحاجب اصعد على السطح فانظر ما ترى ؟ وأخبرنى به ففعل وعاد وقلت رأيت الشارع مملوء بالخيل والرجل وقد أحاطوا من جنبات كثيرة ولما رأونى أراقبهم تنحيت فصاح بى البرجمان قائلا كلبنى وما عليك بأس فأخرجت رأسى فقال : ويمحك ماجئنا لمكروه وما جئنا إلا لبشارة فعرف سيدنا بذلك فقلت ليس هو فى الدار ولكن أرسله ثم أخبر الأمير أيده الله فى غد برسول إلى داره فقال أنا هنا واقف ساعة إلى أن يرى رأيه ففكرت وقلت هذه حيلة للقبض على لاشك ويموز أن يكون بحكم قد تغير على السكوفى ولا يجد لخدمته غيرى واعترضنى الطمع وكاد يفسد رأى ثم قلت للغلمان : ان قلت لكم اخرجوا فضعوا على أبى بكر النقيب والبرجمان أيديكم فاخرجوا وخذوا رأسيهما ولا تستأذنوا البتة فأجابوا فقلت احذروا أن تخالفوا فأهلك فقالوا نعم ثم قلت للحاجب اطلع السطح وقل له إنى على حال من اختلال الفرش والكسوة لا أحب معهما دخول أحد إلى فإن رضيت أن تدخل أنت وأبو بكر النقيب فقط وإلا فأنا أصليح أمرى وأجىء إلى دارك الليلة قال فعاد الغلام وقال كلمته فقالوا رضينا بذلك فقلت يا فلان : اخرج واحذر أن يفتح الباب كله فتدخل الجماعة وأرى أن تقول له أن يتباعد عن الباب إلى الشارع قليلا فان ازدحم الناس وتكاثروا فهى حيلة فدعهم يدخلون وصح يا هذا فاعلم أنا أنها حيلة

فأخرج من بعض الأبواب أمامهم فيفضون إلى هذا الباب وهو مقفل ووراءه الغلمان وإن حضرا وحيدين فقل لهما الشرط أن أقفل الباب بينكما وبين أصحابكما ثم افتح الباب الذى يلى الشارع حتى يدخلنا ثم أقفله وارم مفاتيحه من تحت الباب الثانى إلى الصحن ودق هذا الباب فإني واقف وراءه لا أقدم بفتحه ويدخلان ففعل الحاجب ذلك وحصل أبو بكر النقيب والبرجمان فى الدهليز وحيدين فلما سمعت صوت قفل الباب الخارجى وأنا عند الباب الداخلى ودق الحاجب الباب الثانى ورمى بالمفتاح عدت إلى مجلسى فجلست فيه ونجيت من كنت أقمته وراء الباب الثانى بالسلاح وأعدت على الجماعة الوصية بقتلهما إن صحت يا غلمان اخرجوا ثم تقدمت إلى غلام كان واقفا بلا سلاح أن يفتح الباب ويدخلهما ففعل ذلك وألقيت نفسى على الفرش كأننى عليل ودخلا فلم أوفهما الحق واخفيت كلامى كما يفعل العليل فقالا ما خبرك فقلت أنا منذ أيام عليل وارتعت لحضوركما فأخذ البرجمان يحلف أنه ما حضر إلا ليردنى إلى منزلتى واستكثابى الأمير بحكم فشكرته على ذلك وقلت أنى نائب من التصرف ولا أصلح له فقال قد أمرنى الأمير بمخاطبتك فى الخروج إليه إلى واسط بالترقية هذا الأمر فلا يجوز أن أكتب إليه بمثل هذا عنك ولكن إن كنت زاهدا فى الحقيقة فأخرج إليه واحداً لخدمته عهدا واستعفه فإنه لا يجبرك فقلت هل كاتبنى بشيء توصله إلى فقال قد اقنصر على ما كتب به إلى لما يعلمه من مودتى لك ولكى لا ينشوا الخبر بذلك فقلت تقفنى على كتابه إليك قال لم أحمله معى فعلت أنه كوتب بالقبض على فقلت أنا عليل كما ترى ولا فضل فى للسفر ولكن تجيب الأمير عنى بالسمع والطاعة وإنى سأخرج لحضرته بعد أسبوع إذا شممت نفسى قليلا قال إنه يقبض هذا الوجه وأرى أن نخرج قلت لا أقدر فراجعنى وراجعته إلى أن قال لا بد من خروجك فقلت إنى لا أخرج ولا كرامة لك فاجهد جهدك وهممت أن أصبح بالغلمان وكان أبو بكر النقيب خبيثاً فقام وقال : اسئلى سيدنا بالله العظيم أن لا يتكلم بحرف ويدعنى وهذا الأمر ثم أخذ بيد البرجمان وقاما إلى ناحية من المجلس بعيدة لا أسمع ما يجرى بينهما فأطالا السر ثم جاءنى

فأخذ أبو بكر يعتذر إلى عما جرى ويخاطبني باللين ويقول فبعدكم يوم يخرج سيدنا حتى نقنع بوعده ونتصرف فقلت بعد عشرة أيام فقال : قد رضينا وأخذ بيد البرجمان والبرجمان يتبذق على في الكلام وأبو بكر يغمزه ويتفرق به فلما بلغا إلى قريب من الدهليز رجع أبو بكر ورد البرجمان معه وقال هذا ليس يعرفك حق معرفتك وعنده أنه يقدر أن يستوفى عليك الحجة فبالله إلا عرفته ما كان في نفسك أن تعمل بنا لو استوفينا عليك المطالبة لثلا أقع أنا في مكروه معه ومع الأمير أطاك الله بقاءه فقلت في نفسي أنا أريد الحرب الساعة فما معنى مساترتي عنهما ما أريد أن أفعله ولم لا أظهره ليسكون أهيب في نفوسهما فقلت للغلام الذي كان واقفا امض إلى أصحابنا ومرهم أن يخرجوا ولا يعملوا ما كنت تقدمت به إليهم فضى الغلام وفتح الباب عنهم وقال اخرجوا ولا تحدثوا حادثة تفرج القوم بالسلاح فقلت هؤلاء أعددتهم لدفعكم عن نفسي إن رمتما قسرى قال فمات البرجمان في جلده واصفر وتغير وقال له أبو بكر أنت تظن أنك بالجبل ولست تعلم بين يدي من أنت؟ علمت الآن أن الرأي كان في يدي لاني يدك والله لو زدت في المعنى لخرج هؤلاء فأخذوا رأسك ورأسي قلت معاذ الله ولكن كانوا بمنعوسكما من أذى ثم قلت للغلمان كونوا معهما إلى أن يخرجوا وتغلقوا الأبواب خلفهما ففعلوا وقت في الحال فلبست خفا وإزارا على صورة النساء واستصحبت جماعة من عجائز داري وخرجت من باب من تلك الأبواب الخفية متعيرا لا أدري أين أقصد فقصدت عدة مواضع كلها أتيت موضعا علمت أنه لا يحملني فأتجاوزه إلى غيره إلى أن كدني المشى وقربت من الرصافة فعن لي أن أقصد خالة المقتدر واطرح نفسي عليها فصرفت جميع من كان معي إلا واحدة وقصدت دار الخالة ودخلت دهليزها فقام إلى الخادم وقال من أقول فقالت العجوز تقول اسرأ لا تحب أن تسمى نفسها فدخل فإذا الخالة قد خرجت إلى الدهليز فقالت لها عجوز ياستي تأمرين الخادم بالانصرام فلما انصرف كسنت وجهي وقلت يا ستي الله الله في دمي اشتريني فقالت يا أبا جعفر ما الخبر قلت أدخليني أحدثك قالت كن بمكانك

ثم دخلت فأبطأت حتى قلت قد كرهت دخولي وستخرج من يصرقي
وتعتذر وهممت بالانصراف من نفسي فاذا بها قد خرجت وقالت اربعبك
بالانتظار وما كان ذلك إلا احتياطاً لك فادخل فدخلت فاذا دارها الأولى
فارغة على عظمها وليس فيها أحد فسلكت بي وبالعجوز إلى موضع من
الدار فدخلنا حجرة وأقمنا أيدي ومشيت بين أيدينا حتى انتهينا إلى سرداب
فأدخلنا فيه ومشينا طويلاً وهي بين أيدينا حتى صعدت منه إلى درجة
افضت بي منها إلى دار في نهاية الحسن والشرف وفيها من الآلات والفرش
كل شيء حسن وقالت إنما احتسبت عليك حتى أصلحت لك هذه الدار
وأخليت الأولى لثلاث يراك الذين كانوا فيها فيعرفون خبرك فاخبرك فاجلس
ها هنا ما شئت فوالله إنك لتسرنى بذلك واحفظ نفسك من أن ينتشر
خبرك من جهتك فليس معك من جهتي من يعرف خبرك فيشفيه ولا أعرفه
أحد من أسباني واحفظ لنفسك من يخرج من عندك أو يدخل عليك فتملك
نفسك وتهلكني معك فانك تعلم أن هذا الرجل ظالم جاهل لا يعرف حق مثلي
فقلت لها مامعي غير هذه العجوز ولست أدعها تخرج فقالت هذا هو الصواب
وأقمت عندها مدة وكانت تجميعني كل يوم فتعرفني أخبار الدنيا وتحادثني ساعة
وتصرف وتحملي إلى كل شيء فاخر من الماء كول والمشروب والبخور وأخدم
بما لا أخدم بمثله في أيام دولتي فلما كان في غد يوم حصولي عندها قالت يا أبا
جعفر أنت وحدك وليس يسمح أن يخدمك كل واحد وقد حملت إليك
هذه الجارية وأومات إلى وصيفة في غاية الحسن والملاحة فاستخدمها فانها
تقوم مقام فراشة وقد أهديتها لك فإن احتجت إلى ما تحتاج إليه الرجال
صلحت لذلك أيضاً فقبلتها وشكرتها وهاضمت الجارية فاذا هي تغني أحسن
غناء وأطيبه فكان عيشي معها أطيب عيش ويمضي على استتاري نحو شهرين
لا يخرج من عندي أحد ولا يدخل عندي غير الخالة فقلت لها قد تطلعت
نفسى إلى معرفة الأخبار وإنما هذه العجوز إلى من تعرف ذلك منه قالت
أفعل واحتفظ جهدي فكتبت مع العجوز كتاباً إلى وكيل كان لي أثق به أمره
أن يتعرف لي الأخبار ويكتب بها إلى مع العجوز ورسمت له أن ينفذ طيوراً

مع غلام أسميته له وكنت به واثقاً ويأمر بالقيام بواسطه المكاتبه على الطيور
في كل يوم بالأخبار ورسمت للعجوز أن لا تعرف الوكيل موضعى لئلا
ينشوا شىء من الأمر ويقع الوكيل فيطالب بى فيدل على فساد إلى الجواب
بما عنده من الأخبار وأنه لا ينقضى يوم إلا وينفذ الغلام والطيور وأمهله
عشرة أيام ثم رددت العجوز فانفذ على يدها كتاباً ورد على الطيور فقرأته
ومضت على ذلك مدة وأنا على الغاية من النشاط والسرور فقلت للعجوز
يوما امض الى فلان فاعرفى خبره وهـل ورد كتاب من واسط ففضت
وللانماق سقط طائر عند دخولها بكتاب فضضه وسلمه إليها دون أن يقف
عليه فجاءتنى به فإذا هو بتاريخ يومه وأكثره رطب يذك فيه غلامى وورد
الاخبار الى واسط بقتل الاكراد لبحكم وان الناس قد هاجوا فما نالت
رجلاى الارض فرحاً وسروراً وكتبت فى الحال رقعة الى كاتبه الكوفى
ابشكره فيها على جميله واعرفه انى ما طويت خبرى عنه الى الآن الا اشفاقا
عليه من أن يسأل عنى فيكون متى حلف أنه لا يعرف خبرى صادقاً وان
من حق ما عاملنى به أن أعرفه ما يجب أن يتحرز عنه وذكرت ماورد من
قتل سيده وأشير عليه بالاستتار مع الاستظهار وأنفذت الرقعة فى طى رقعة
كتبته لوكيلى وأمرته أن يمضى بها اليه فى الحال ولا يسلمها الا بيده وقلت
للعجوز : اذا مضى الوكيل فارجمى أنت ولا تقعدى فى داره ففعلت وعادت
فعرفتنى أن الوكيل قد توجه الى الكوفى ، فلما كان بين العشائين رددت
العجوز الى الوكيل وقلت لها : اطرقى بابه فإن كان فى بيته على حال سلامة
فادخلى ، وان بان لك أنه معتقل أو داره موكل بها فانصر فى ولا تدخل فعدت
الى برقة الوكيل وفيها أنه حين أوصل الرقعة الى الكوفى بان له فى وجهه
الاضطراب وأنه ماضى العصر من ذلك اليوم حتى امتلأ فى البلد بأن الكوفى
قد استتر وأن محكم حدث به حادثة لا ندرى ماهى ، وقد عدت بعد العصر الى
دار الكوفى فوجدتها مغلقة ليس فيها أحد وأنه قد أنفذ جوابه اليك فقرأته
فإذا هو يشكرنى ويقول قد علمت أن مثلك ياسيدى لم يكن ليقتل هذا الخبر
ولا يضيع مروهته وقد تشاغل الذين مع الامسير بالهرب على أن يكتبوا

لى بالحادثة ، وكتب به من رتبته أنت كما ذكرت فى رقتك فإن كان الخبر صحيحا وهو عندى صحيح فالرأى معى فى الاختفاء وإن كان باطلا فما يضرنى ذلك عند صاحبه إن كان حيا لأنه يتصورنى جبانا لاغير فيكون اسلم فى العاجل. وقد أنفذت إليك ياسيدى طى رقتى هذه الكتابين اللذين كتبتهما عليك فى ضيعتك بالابتياح والإجارة ابتغاء إتمام مودتك ولتعلم صدقى فيما كنت توسطته، ونصحى فيما عاملتك به فإن كان مات الرجل قد رجعت إليك ضيعتك، وإن كان باطلا فإنه لايسألنى عنهما وإن ذكرهما يوما وسألنى أجحدانى تسليتهما وقضيت حقك بذلك وأدت نعمتك عليك فأخذت الكتابين ومزقتهما فى الحال ولبست من عند الخالة خفا وإزارا بعد أن عرفتها الصورة وخرجت مع العجوز وجئت إلى دارى فدخلتها من بعض أبوابها الخفية . فلما كان الغد قوى الخبر بقتل بحكم فمتحت بابى وفرج الله عنى المحنة فلما كان العشاء أتانى رسول الخالة ومعه الجارية وقال ياسيدى سيدتى تقررئك السلام وتقول لك لم تدع جاريتك عندنا وإذا بها قد أرسلتها وحملت معها كلبا كانت أخذمتليه من فرش وآلة وأضافت عليه أشياء كثيرة جليلة القدر وقالت إنه جهاز الجارية وأحب أن تقبله فأخذت الجميع وددت الرسول شاكرا ومن الله على بالعود إلى أحسن حال .

قال محمد بن ديدوس فى كتاب الوزراء، عن سليمان البرقى قال : انصرفت عن بعض العمال فألهيت عمر بن الفرج الرجعى يتقلد الديوان وكان فى نفسه شىء على فاخفيت شخصى وتستررت عن أصحابى فطلبنى واركن العيون على فلم يصل إلى رأسى أن يعمل لى مؤامرة تشتمل على ثلاثمائة ألف درهم وكان بينى وبين الحاج بن سلمة مودة فأأتانى عشية من عشايا استتارى رقتى يامرئى بالمصير إليه فقدمت عليه فلما رأى قال صر إلى عمر بن الرجعى فسلم عليه وعرفه أ - قد بعثت بك إليه قال فقلت : ياسيدى أنظر فيما تقوله فإنه يهدر دى كيف أمضى إليه هكذا قال اعلم أنه قال لى اليوم أن فلسطين قد (٢٤ - الفرج)

انغلقت عليه وفسدت وقصر مالها مع جلالة ارتفاعها وقد أكلها العمال وانه في طلب من يكفيه أمرها ويحفظ مالها وليس يعرف من يرضى كماءه - فقلت : لو أردت الكفاءة وجدتهم . هذا سليمان بن سهل وهو من الأكماء ولا يشك فيه فلم عطلته وأخففته فقال : وكيف لي به ؟ فقلت : تؤمنه وتزيل ما عليه من المطالبة وتقلده فلسطين فإنه يكفيك أمرها ويوفر عليك مالها ويحملة إليك وأنا أبعث به إليك فقال : ابعث به فهو آمن ، فصر إليه فإنه لا يتعرض لك إلا بما تحب . قال فبكرت إليه فإذا هو في ديوانه فلما دخلت صحن الدار رأيت العمال على أكتافهم الحجارة والمقارع تأخذهم فها لي ما رأيت فلما وصلت إليه سلمت عليه وقلت : انى كنت خادم أبى الفضل أعنى أباه فرجا الرجحي واحد صنائعه فقال لولا ما أتيت به من هذه الحرمة لكنت أحد هؤلاء الذين تراهم ، ثم رفع مصلاه وأخرج الكتب بولاية فلسطين وأمرني بكتمان أمرى واعداد السير فأخذت الكتب وأشخصت الى هناك فأرضيته وقضيت حق نفسه .

* * *

عن الحكم بن عتيبة أن حارثة بن بدر الغداني كان يسعى في الأرض فسادا فهدر أمير المؤمنين على رضى الله عنه دمه فهرب واستجار بأشراف الناس فلم يجره أحد . فقل له عليك بسعيد بن قيس الهمداني فلعله أن يجيرك فطلب سعيدا فلم يجده فجلس في طلبه حتى جاء فأخذ بلبجام دابته وقال : أجرني أجاك الله . فقال له مالك قال : هدر أمير المؤمنين دمي قال وفيهم قال : سمعت في الأرض فسادا قال : ومن أنت ؟ قال : أنا حارثة بن بدر الغداني قال : أقم وانصرف الى على رضى الله عنه فوجده قائما على المنبر يخطب فقال : يا أمير المؤمنين ، ماجزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا ؟ قال : ان يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض قال : يا أمير المؤمنين ، الا من تاب ؟ قال : الا من تاب ، قال : فهذا حارثة بن بدر قد جاء تابيا وقد أجرته . قال أنت رجل من المسلمين وقد أجرناه . ثم قال رضى الله عنه وهو على المنبر : أيها الناس

إلى كنت أهدرت دم حارثة بن بدر من لقيه فلا يتعرض له ، فأنصرف إليه
سعيد فأعليه وكساه وحمله وأجازه فقال فيه شعرا :

الله يجزى سعيد الخير مافلة أعنى سعيد بن قيس قوم همداني
أنقذني من شفا غبراء مظلمة لولا شفاعته ألبست أكماني
قالت تميم بن مر لا تخاطبه وقد أبت ذلكم قيس بن غيلاني
أساغ في الحلق ريقا كنت أحرصه وأظهر الله سترى بعد كمانى
انى تداركنى عن شمائله أبأؤه حين ينمى خير قحطاني

° ° °

عن عطاء بن العاصم بن الخدثان قال : كان أبو النمير الثقفي شبيب بزيب
بليت يوسف بن الحكم وكان الحجاج أخوها يتهدده ويقول لولا أن يقول قائل
لقطعت لساه فهرب إلى اليمن ثم ركب بحر عدن فقال في هربه شعرا :

أتقتى في الحجاج والبحر بيننا عقارب تسرى والعيون هواجع
فضقت بها ذرعا وأجهشت خيفة ولم آمن الحجاج والأمر ناصع
وحل بي الخطب الذى جأنى به سميع فلميست تستقر الأضالع
فبت دبير الأمر والرأى ليلتى

وقد أخلقت خدى الدموع الهواطع
وما أمنت نفسى الذى خمنت شره ولا طاب لى ما خشيت المضجع
ففى الأرض ذات العرض عنك ابن يوسف
إذا شئت منأى لا أبالك واسمع
فإن نلتنى حجاج فاشتف جاهدا فإن الذى لا يحفظ الله ضائع
فطلبه الحجاج فلم يقدر عليه فطال على الميرى الهروب واشتاق إلى وطنه
فجاء حتى وقف على رأس الحجاج. فقال إليه ياميرى أنت القاتل (فإن نلتنى
حجاج فاشتف جاهدا) فقال بل أما الذى أقول .

أخاف من الحجاج ما لست خائفا من الأسد العرم باض لم ينه دعر
أخاف يديه أن تنال معاصى بأبيض غضب ليس من دونه ستر
وأما الذى أقول :

فهنا أنا إذا طوفت شرقاً ومغرباً وأنت وقد دوخت كل مكان
فلو كانت العنقاء منك تطيرني لخلتلك إلا أن يصد تراني

* * *

عن مروان أبي حفصة قال: كان المنصور قد طلب معن بن زائدة الشيباني طلباً شديداً وجعل لمن يأت به مالا فخذني معن باليمن أنه اضطر لشدة الطلب إلى أن نام في الشمس حتى لوحته وجهه وخنف عارضيه ولبس جبة صوف غليظة وركب جملاً من الجمال الثقالة وخرج عليه ليمضي إلى البادية: وكان قد أبلى في حرب يزيد بن عمرو بن هبيرة بلاء حسناً فخاف فاغتاط بالمنصور وجد في طلبه قال معن فلما خرجت من باب حرب تبعني عبد أسود متقلداً سبيها حتى إذا غبت عن الحرس قبض على خطام الجمال فأناخه وقبض على فقلت: مالك؟ قال: طلبت أمير المؤمنين قلت: ومن أنا حتى يطلبني أمير المؤمنين؟ قال: أنت معن بن زائدة فقلت: يا هذا اتق الله وأين أنا من معن؟ قال: دع هذا عنك فأنا والله أعرف بك منك فقلت: فإن كانت القصة كما تقول فهذا جوهر حملته معي بأضعاف ما بذله المنصور لمن جاء بي فخذني ولا تسفك دمي فقال: هاتيه فأخرجته إليه فنظر إليه ساعة وقال صدقت في قيمته ولست قابله حتى أسألك عن شيء فإن صدقتني أطلقتك. فقلت قل: فقال إن الناس يصفوك بالجود فأخبرني هل وهبت قط مالك كله؟ قلت: لا. قال: فنصفه قلت: لا. قال: فثلثه حتى بلع إلى عشره فاستحييت وقلت أظن أني فعلت هذا فقال: ما أراك فعلته وأنا والله راجل ورزقي من أبي جعفر عشرون درهماً، وهذا الجوهر قيمته ألف دينار وقد وهبته لك، ووهبتك لنفسك وجودك المأثور بين الناس لتعلم أن في الدنيا من هو أجود منك فلا تعجبك نفسك، ولتحتقر بعد هذا كل شيء فعلته، ولا تتوقف عن مكرمة ثم رمى بالجوهر في حجرى وخلي خطام البعير وانصرف فقلت خذ ما وهبته إليك فأبى عنه غنى. فضحك وقال أردت أن تكذبني في مقالى هذا والله لا أخذه ولا أخذه للبعروف ثمناً أبداً ومضى فوالله لقد طلبته بعد أن أمنت وبذلت لمن جاءني به ما شاء فما عرفت له خبراً وكأثر الأرض ابتلعته قال وكان سبب

رضاء المنصور عن معن انه لم يزل مستترا حتى يوم الهاشمية فلما وثب القوم على المنصور وكادوا يقتلونه وثب معن وهو متلثم فانتضى سيفه وقاتل فأبلى بلاء حسناً وذب القوم عنه ثم ، جاء والمنصور راكب على بغلة لجامها يسد الربيع فقال له تنح فإنى أحق بلجامها فى هذا الوقت ، فقال المنصور : صدق فادفعه إليه فأخذه ولم يزل يقاتل حتى انكشفت تلك الحال فقال له المنصور من أنت لله أبوك ؟ قال : أنا طلبتك يا أمير المؤمنين معن بن زائدة قال : قد أمنك الله على نفسك ، ومالك ومثلك يصطنع . ثم أخذه معه وخلع عليه وحباه وقربه ثم دعا به يوما فقال إني أهلتك لأمر كيف تكون فيه ؟ قال : كما يحب أمير المؤمنين . فولاه البصرة وتوجه إليها فبسط فيهم العطاء حتى أصرق قال : مروان وقدم معن عقيب ذلك فدخل على المنصور فقال له بعد كلام طويل قد بلغنى عنك شيء لولا مكانك عندى ورأى فيك لغضبتي عليك قال وما رابك يا أمير المؤمنين فوالله ما تعرضت لسخط قال : أعطاك مروان بن بن أبى حفصة فى قوله فيك :

معن بن زائدة الذى زادت به شرفا على شرف بنو شيبان
ان عدد أيام الفحال فإنما يوماء يوم ندى ويوم طمان
قال والله يا أمير المؤمنين : ما أعطيته ما بلغك لهذا الشعر ولكن أعطيته ما أعطيته لقوله .

مارلت يوم الهاشمية معلنا بالسيف دون خليفة الرحمن
فمنعت حوزته وكنت وقاه من وقع كل مهند وسنان
قال فاستحيا المنصور وقال : إنما أعطيته لمثل هذا القول : قال نعم يا أمير المؤمنين ولولا مخافة الشنعة لأمكنته من مفاتيح بيوت الأموال وأباحتها إياها . فقال المنصور لله درك من إعرابى ما أهون عليه ما يعز على الناس وأهل الحزم .

عن قطن بن معاوية الكلابى قال كنت من سارع إلى إبراهيم بن عبد الله واجتهد معه فلما قتل طلبنى أبو جعفر فاستخفيت منه فطلب أموالى وذرىتى

ولحقت بالبادية وجاورت في بني نضر بن معاوية ثم في بني كلاب ثم بني فزارة ثم في بني سليم ثم تنقلت في بوادي قيس أجاور فيهم حتى ضقت ذرعاً بالاستخفاف فازمعت القدوم على أبي جعفر والاعتراف له وقدمت بالبصرة ونزلت بها ثم أرسلت إلى عمرو بن أبي العلاء وكان لي ودا فشاورته في الأمر الذي أزمعته فلم يقبل رأيي وقال والله ليقتلنك فلم ألتفت إليه وشخصت إلى بغداد فنزلت خاناً وليس بالمدينة أحدير كب خلا المهدي ، ثم قلت للغلمان أنا ذاهب إلى أمير المؤمنين فامهلوا ثلاثاً فإن جئتمكم فيها وإلا فالصرفوا ودخلت المدينة وجئت إلى دار الربيع والناس ينتظرونه فلم ألبث أن خرج وهو يمشي وقام الناس إليه وقت معهم فسلبت عليه فرد علي السلام وقال : من أنت ؟ قلت قطن بن معاوية قال : انظر ما تقول قلت : أما هو . قال : فأقبل على من معه وقال : احتفظوا بهذا فلما حرس لحقني الندم وذكرت رأي أبي عمرو فتأسفت ودخل الربيع فلم يطل حتى خرج خصي فأخذ بيدي وأدخلني قصر الذهب ثم أتى بيته حصينا فادخلني وأغلق علي وانطلق فاشتدت ندامتي وأيقنت بالبلاء وخلوت بنفسي ألومها فلما كان الظهر أتاني الخصى بماء فتوضأت وصليت وأتاني بطعام فأخبرته أني صائم ، فلما كان المغرب أتاني بماء فتوضأت وصليت وأرخصي على الليل سدوله فأنسيت الحياة وسمعت أبواب المدينة تغلق فامتنع عني النوم فلما ذهب صدر من الليل أتاني الخصى ففتح غني ومضى بي فادخلني صحن دار ثم أتاني من وراء ستور مسدولة وأخذني وأدخلني محلاً فإذا أبو جعفر وحده والربيع قائم على حاله ناحية فأكب أبو جعفر هنيهة مطرقاً ثم رفع رأسه فقال : هيه فقلت : يا أمير المؤمنين أنا قطن بن معاوية فقال : والله جهدت عليك جهدى حتى من الله علي بك . فقلت : يا أمير المؤمنين لقد عصيت أمرك وواليت عدوك وخرجت على أن أسلبك ملكك ، وإن عفوت فأنت أهل لذلك وإن عاقبت فبأصغر ذنوبى تقتلنى قال : فسكت هنيهة ثم قال : هيه فأدت مقالتي فسكت ثم قال : إن أمير المؤمنين قد عفا عنك فقلت : يا أمير المؤمنين إني أمر من ورائك فلا أصل بعدها إليك ، وضياعى ودورى مقبوضة فإن رأى أمير المؤمنين أن يردها على قال :

فدعى بخادم معه الدواة ثم أمره وهو يكتب بإملائه إلى عبد الملك بن ثور النيرى وهو يومئذ على البصرة أن أمير المؤمنين قد رضى عن قطن بن معاوية فأرد عليه ضياعه ودوره وجميع ما قبض له فأعلم ذلك وأنفذه إن شاء الله تعالى . ثم ختم الكتاب ودفعه إلى فخرجت من ساعتى لا أدري أين أذهب فإذا الحرس بالباب جلست مع أحدهم أحدثه فلم ألبث أن خرج الربيع وقال : أين الرجل الذى خرج الساعة ؟ فقلت إليه فقال : انطلق أيها الرجل فقد والله سلمت . ثم صحبني إلى منزله فعشاني وفرش لي فلما أصبحنا ودعته وأتيت غلباني وأرسلتهم يكترون لي سميرة فوجدوا صديقا لي من الدقاقين من أهل نيسابن وقد أكرى سميرة لنفسه فحملني معه فقدمت على عبد الأعلى بن أيوب بكتاب أبي جعفر فأقعدني عنده حتى رد ما اصطفى لي .

* * *

حدثني عبد الله بن أحمد بن معروف بن أبي القاسم قال : كنت بمصر وكان بها رجل يعرف بالناظرى من أبناء حلب قد قبض سيف الدولة ضيعته وصادره فهرب منه إلى كافور الأخشيدى فأجرى عليه جراية سابعة في كل شهر كما كان يجرى على جميع من يقصده من الجرايا التي تسمى الراتب وكان له مالا عظيما قدره في السنة خمسون ألف دينار لأرباب النعم وأجناس الناس وليس فيها لأحد من الجيش ولا من الحاشية ولا من المتصرفين في الأعمال شئ . قال : فجرى يوما ذكر الناظرى بمحضرة كافور فقبل له إنه فاسق بغاء وكثرت عليه الحكايات في ذلك فأمر بقطع جرايته فرفع إليه قصته يشكوا فيها انقطاع راتبه ويسأل التوقيع بإعادة صرفه ، فأمر كافور فوقع على ظهرها قد صح عندنا أنك رجل تصرف ما يجريه عليك فيما يكرهه الله من الفساد وما نرى أن يعينك على ذلك فالحق بمن شئت فلا خير لك عندنا بعدها قال : ولما قرأها الناظرى عمل محضرا فيه خطوط كثير من يعرف أنه مستور ولم يعهد فيه الغناء واحتج بالمحضر وجعله طي رقعة قال فيها إن الذى كان يدفع إليه لم يكن لأجل حمظه ورجه وهتكته وإنما كان لأنه منقطع غريب هارب مبارق لنعمته وأن الله عز وجل أقدر على قطع أرزاق من يرتكب المعاصي

وما فعل ذلك بأرزاقهم بل أمهلهم وأمرهم بالتوبة، فإن كان مانسب إليه صحيحا فهو تائب إلى الله عز وجل ويسأل رده إلى رسمه ورفع القصة إلى كافور قال صاحب الحديث: ولم أدر إلى أى شيء انتهى أمره إلا أنه صار مفضوحا بين الناس وتحدثوا بحديثه واتفق خروجي من مصر عقيب ذلك إلى حضرة سيف الدولة فلمقيته بحلب وحدثته بأحاديث المصريين وكان يتشوق إلى سماعها صغرت أو كبرت ثم سسقت له حديث الناظري فضحك منه ضحكا شديدا وقال: هل هذا المشؤم بلغ إلى مصر؟ فقال لي محمد بن أسمر النديم: اعلم أن هذا الرجل كان صديقي جدا وقد هلك وافتقر وفارق نعمته فأحب أن تخاطب الأمير في أمره عقيب ما جرى آنفا لا عاونك فلمعل الله عز وجل أن يفرج عنه. فقلت أفعل ولما أخذ سيف الدولة يسألني عن الأمر فأعدت شرحه عليه وعاد فضحك فقلت: أطل الله بقاء مولانا الأمير سررت بهذا الحديث ويجب أن يكون له ثمرة إما لي وإما للرجل الذي قد صيرته فضيحة بحلب زيادة على فضيحته بمصر. قال اما لك فنعم. واما له فلا يستحق فإيه فعل وصنع وأخذ يطلق القول فيه فقلت اما لي فليست أريده لأن فوائدي من مولانا متصلة ولست أحتاج مع أنعامه على وترادف إحسانه إلى السبب إلى الفوائد ولكن أرى أن تجعلها لهذا المفتضح المشؤم. فقال تنفذ إليه سفتجة بثلاثة آلاف درهم فشكرته الجماعة وخاطبته في أن يأذن له في العود إلى حضرته ويؤمّنه ويكتب له امانا مؤكدا قال فغمزني الأسمر في الاستزادة فقلت أطل الله بقاء مولانا الأمير أن الثلاثة آلاف درهم لو أنفذت إلى مصر ما كفته فيمن يحمله معه على نفقته لأن أكثر أهل مصر بغاؤون وضايقوه في الناكه وغلبوه باليسار لأنه لا يصل هو إلى شيء إلا بالغمم الثقيل وبلغني وأنا بمصر: أن رجلا من البغائين اشتد به حاله فطلب من يأتيه فلم يقدر فخرج إلى الموضع الفلاني قرية قريبة من مصر فأقام بها فكان إذا اجتازها المجتازون استدعى منهم من يصلح لهذا الحال فحمله على نفسه وكان يعين ، بالمجتاز ويتمكن من إرضاء بما لا يتمكن منه بمصر فعاش بذلك رهة حتى جاءه يوما بغاء آخر وسكن معه فكان إذا جاء الغلام الذي يصلح لهذا الحال سأل عنه ففسد عني الأول أمره

لجاء الثاني وقال له يا هذا : أفسدت على أمرى وأبطلت عملى وأنا هربت من مصر لأجل المنافسة فليس لك أن تقيم معى ههنا فقال له الثانى : سواء العاكف فيه والباد ولا أبرح . ههنا فقال الأول بينى وبينك شيخنا ابن العجمى الكاتب رئيس البغاثين بمصر وجذبه معه إلى مصر واحتكا إليه لحكم بن العجمى للأول ومنع الثانى من المقام فى الناحية فكيف يمكن للناظرى أيد الله مولانا أن يكتفى بثلاثة آلاف درهم وقد أمرت له بها فى بلد هذا قدر الناكه فيه وكثرة البغاثين لو كان مقيما فكيف وقد أنعمت عليه بالإذن فى المسير ويحتاج إلى بقال يركبها فى الطريق بأجرة ونفقة ودبون عليه يقضيها . فضحك ضحكا شديدا من حكاية البغاثين وحكم ابن العجمى بينهما وقال اجعلوها خمسة آلاف درهم فقلت له : أنا والاسمر فترد إلى الرجل أطال الله بقاء مولانا ضيعته . فقال : لقد أطلت على فى أمر هذا الصانع الفاعل فأطلقوا له عن ضيعته بأسرها ووقعوا بذلك إلى الديوان وعن مستغله وأخلوا له عن داره وان تفرش له أحسن من الفرش الذى ذهب له لما سخط عليه . قال فأكبت الجماعة تقبل يديه ورجليه وقلت : أطال الله بقاء مولانا الأمير ماسم بهذا الكرم قط مع سوء رأيك فى الرجل وسوء حديثه ، فسا على الأرض بقاء أيرك على صاحبه من هذا قال : فضحك ونفذت الكتب والتوقيعات بما رسمه فلما كان بعد مدة وأنا بحلب عاد الرجل إلى بلده ونعمته .

* * *

عن أبى عمرو بن العلاء قال خرجت هاربا من الحجاج إلى مكة فبينما أنا أطوف بالبيت إذا أعرابى يلشد .
ربما تجزع النفوس من الأم ر لها فرجة كحل العقال
فقلت : مه . قال : مات الحجاج . قال : فلا أدري بأى القولين كنت أفرح بقوله فرجة بفتح الفاء أو بموت الحجاج ووجدت هذا الخبر فى بعض الكتب وفيه أن أبا عمرو سمع الاعراب يلشد .
يا قليل العزاء فى الأهوال وكثير الهموم والأوجال
صبر النفس عند كل مهم إن فى الصبر حيلة المختال

ربما تجزع النفوس من الأم ر لها فرجة كحل العقال
قيل والفرجة من الفرج والفرجة فرجة الحائط .

وعن أبي عمرو قال : كنت مستخفيا من الحجاج وذلك أن عمى كان
حاملًا له فهرب فهم بأخذي به . فبينما أنا على حالي إذ سمعت ملشد يلشد :
« ربما تكره النفوس من الأمر »

البيت ، وذكر الحديث ، وزاد فيه أن أبا عمرو يقرأ الا من اغترف
غرفة بيده وفرجة بالفتح شاهد له في هذه القراءة ، وذكر أبو الحسين المدايني
في كتابه أن القمير الشغلي قال في الوليد بن عبد الملك :

أتنتي يا وليد بلاء قومي بمسكن والزيريون صيد
أتلسانا إذا استغنيت عنا وتذكرنا إذا صل الحديد

فطلبه الوليد فهرب منه حيناً ، فلما ضاقت به البلاد واشتد به الخوف
انصرف إلى دمشق حتى حضر عشاء الوليد فدخل مع الناس فلما أكلت
الجماعات بعض الأكل عرف رجل الشملي فأخبر الوليد به فدعا به وقال
له : يا عدو الله الذي أمكنني منك بلا عقد ولا ذمة أنشدني ما قلت فبكي ثم
أنشده فقال : ما ظنك بي ؟ قال : قلت ان أمهلت حتى اطا بساطه وآكل
طعامه فقد أمنت : وإن عوجلت قبل ذلك فقد هلكك ، وقد أمهلت حتى
وطأت بساطك يا أمير المؤمنين ، وأكلت طعامك فقد أمنت إذا . فقال له
الوليد : قد أمنت فانصرف راشداً ، فلما ولي تمثل الوليد بقول
من قال :

شمس العداوة حتى يستفاد لهم وأظم الناس أحلاماً إذا قدروا

عن الفضل بن العباس من ولد نافع مولى العباس بن عبد المطلب عن
أبيه قال : ما أتيت زينب بنت سليمان بن علي الهاشمي فانصرفت من عندها
إلا ببر . وإن قل ، وكان لها وصيفة يقال لها كتات فعلمتها وقلت لأبي : يا أبي
أنا والله مشغول القلب بكتات جارية زينب . فقال يا بني اطلبها من عندها فانها

لا تمنعها عنك . فقلت : كنت أحب أن تكون حاضراً لتعينني عليها . فقال :
ليس لك إلى ولا إلى غيري احتياج . فعدوت إليها . فلما انقضى السلام قلت
لها : جعلني الله فداك إني فكرت في حاجة سألت أبي أن يحضر كلامي إليك
فيها لاستمعين به فأسكتني . فقالت : يا بني إن حاجة لا تقضى حتى يحضر أبوك
لحاجة عظيمة القدر فما هي ؟ قالت : كتبت وصيفة لك أحب أن تهبالى .
فقلت : أنت صبي أحق أقعد أحدك حديثاً أحسن من كل كتات على ظهر
الأرض وأنت من كتات على وعد فقلت : هاتى جعلني الله فداك قالت :
كنت أول أمس عند الخيزران ومجلسى ومجلسها إذا اجتمعنا في صدر المكان
وفوقنا سبتية لأمير المؤمنين المهدي ، وهو كثير الدخول إليها فإذا جلس في
ذلك الموضع رفع عنه وإذا انصرف طرحت عليه السبتية إلى وقت حضوره
فأنا لجلوس إذ دخلت علينا حاجبة وقالت ياستى بالباب امرأة ما رأيت
أحسن منها ولا أسوأ حالا عليها قبض ما تستر ببعضه موضعاً من بدنها إلا
انكشف موضع آخر تستأذن عليك فالتفتت إلى وقالت : ما ترين ؟ فقلت :
تسألين عن حالها واسمها ثم تأذنين لها على علم فقلت : الجارية قد والله جهدت
بها كل الجهدان تفعل فما فعلت وأرادت الانصراف ، فمنعتها فقلت للخيزران
وما عليك أن تأذنى لها فإنك منها بين مكرمة أو ثواب فأذنت لها فدخلت
امرأة أكثر مما وصفت الجارية في الجمال وسوء الحال فجعلت تمشى وهى
مستحدثة حتى صارت إلى عمارة الباب فجعلت ما يلينى وكنت متكئة فقلت :
السلام عليكم . فرددنا عليها السلام ثم قالت للخيزران أنا مزنة امرأة مروان
بن محمد . فلما وقع كلامها في سمعى قلت لا حياك الله ولا قربك الحمد لله الذى
أزال نعمتك وعزك وصيرك نكالا وعبرة أتذكرين يا عدوة الله حين أناك
أهل بيتى يسألنك أن تكلمى صاحبك فى انزال ابراهيم بن محمد من خشبته
فتلقين ذلك اللقاء وأخرجتني ذلك الإخراج الحمد لله الذى أزال نعمتك قالت
زيدب فضحكك المرأة والله يا بني حتى كادت نهمقه وبدأ لها ثغر ما رأيت أحسن
منه ثم قالت : أى شىء بدت عم ؟ أى شىء أعجبك من صنع الله عز وجل بي
على العفوق حتى أردت أن تناسى بي السلام عليكم ثم واث خارجة وهى

تمشى بخلاف الأول فقلت للخيزران انها مخبئة من الله عز وجل وهدية منه اليها والله يا خيزران لا يكون اخراجها مما هي فيه إلا بي ثم نهضت على أثرها حتى وافيتها عند السترو لحقتني الخيزران فتعلقت بها وقلت : يا اخية المصدرة إلى الله عز وجل واليك فأني ذكرت بوجودك ما نالنا من المصيبة بصاحبنا فكان مني ما وددت اني منعت منه وقطعت عنه ، ولم أملك نفسي وأردت معانقتها فوضعت يدها في صدري وقالت : لا تفعل يا اخية فأني على حال أصولك من الدنو منها فرددتها وقلت للجواري ادخلن معها الحمام ، وقلت للمواشيط اذهبن معها حتى تصلحن حنافها وما تحتاج إلى اصلاحه من وجهها فمضت ومضين معها ودعونا بكرسين فجلسنا أنا والخيزران عليهما ننتظر خروجها في صحن الدار فخرجت احدى المواشيط وهي تضعك فقلت لها : ما يضحك ؟ قالت ياستي انا انرى من هذه الغريبة عجباً . فقلت : وما هو ؟ قالت : نحن معها في انتهار وزجر وخصومة ما تفعلين أنت ولا ستنا مثله إذا خدمنا كما قالت فقلت للخيزران : حتى تعلمي والله يا أختي أنها حرة رئيسة والحر لا يمتشم من الأحرار ثم خرجت اليها جارية ثانية فأعلمتنا أنها قد خرجت من الحمام فوجهت اليها الخيزران بصنوف الخلع فتخيرت منه ما لبسته وبعثنا اليها بطيب كثير فتطيبت ثم خرجت اليها فقمننا جميعاً فعانقناها فقالت اما الآن فنعهم ثم جئنا إلى الموضع الذي كنا جلوساً فيه وأمرنا بكشف السببية عن الموضع الذي كان يجلس فيه أمير المؤمنين وأقعدناها فيه ثم قالت : الخيزران غداؤنا قد تأخر فهل لك في الطعام فقالت والله ما فيكن أحوج اليه مني . فدعونا بالطعام فجعلت تأكل وتضع بين أيدينا كأنها في منزلها فلما فرغنا . قالت لها الخيزران : من لك من تعنتين به ؟ قالت مالي وراء هذا الحائط أحد من خلق الله تعالى . فقالت لها الخيزران فهل لك في المقام عندنا على أن نخلي لك مقصورة ونحول اليها جميع ما تحتاجينه ، ويستمتع بعضنا ببعض فقالت : وردت وأنا على أقل حال وإذا قد تفضل الله عز وجل علي بكما وهذه النعمة فلا أقل من الشكر للبتدي بكل نعمة ولكما فافعلي ما أحببت وبذلك فقامت الخيزران وقت معها وأقنأها معنا وجعلنا نظوف في المقاصير فاخترت والله

أوسعها وأحسنها فلأتها الخيزران بالجوارى والوصائف والخدم والفرش
والكسوة والآلات ثم قالت لها : نصرف عنك و لميسك بمنزلك حتى
تصلحينه نخلانها في المقصورة وانصرفنا إلى موضعنا فعالت لى الخيزران : إن
هذه امرأة تعية قد عضها الفقر ، وليس يئلا عيها إلا امال ثم بعث اليها
بخمسة آلاف دينار ومائتى ألف درهم وأرسلت اليها يكون هذا فى خزانتك
تحت تصرفك ، ووظيفتك ووظيفة حشمك قيام فى كل يوم مع وظيفتنا
ثم لم نلبث ان دخل علينا المهدي فقلت : والله ياسيدي نندى خبر ظريف
فقال ما هو ؟ فحدثته به فلما قلت له ما كان منى من الوثوب عليها واسماعها
اقشعر واصفر ثم قال : يا زينب هذا مقدار شكرك لربك عز وجل وقد
أمكنك من عدوك وأظفرك به على هذه الحالة التى تصفيتها والله لولا مكانك
منى لحافت أن لا أكلبك أبدا أين المرأة قالت فوفيته خبرها فقال الخادم بين
يديه ادفع اليها عشرة آلاف دينار ومائتى ألف درهم وأبلغها سلامى وقل
لها لولا خوفى أن أحتشمها لصرت اليها مسلما ونحرا إياها بسرورى بها
وقل لها لى أخوك وجميع ما نفذ فيه أمرى فأمرى أنفذ فيه ثم قالت زينب
فإذا بها قد وردت علينا مع الخادم وعلى رأسها دواج ملحم حتى قعدت
ولقيها المهدي أحسن لقاء وأقامت عنده ساعة محدثة ثم انصرفت إلى مقصورتها
فهذا الحديث يابنى خير من كتات قال : فأمسكت . فقالت لى : قد اغتممت
فقلت : ما اغتم أبقاك . الله قالت توافيك كتات فلما كان الليل وجهت بها
إلى معها ما يساوى ثمنها من كل صنف من الرقيق والكسا والآلة ، وفى
رواية أخرى أن الذى حملته الخيزران خمسةائة ألف درهم وأن المهدي حمل
اليها ألف ألف درهم .

* * *

عن أبى عبدالله الحسين بن محمد النافطائى قال : كنا نتعلم ونحن أحداث
فى ديوان إسحق بن إبراهيم الطاهرى ، وكنت ملازما للمجلس ففى من الكتاب
له خلق جميل يعرف بأبى غالب فزور جماعة من الكتاب تزويرا نال أخذوه
ووقف إسحق على الخبر فطلبهم فظفر ببعضهم فقطع أيديهم وهرب الباقيون

وكان فيمن هرب الفتى الذى كنت ألزم مجلسه فغاب سنين كثيرة حتى مات
اسحق فبينما أنا ذات يوم فى بعض شوارع بغداد إذا أنا به فقلت أبو غالب؟
قال نعم فإذا تحته دابة فاره ودرج محلى وعليه ثياب حسنة فقلت : عرفنى
حالك؟ قال : إلى المنزل وسرت معه فاحتسنى ذلك اليوم عنده فرأيت فيه
مروءة فسألته عن حاله فقال : لما طلبنا اسحق استترت فلما بلغنى ماعامل به
من كان معى فى الحياينة ضاقت على بغداد فخرجت على وجهى خوفا من العقوبة
حتى وافيت ديار مصر مستخفيا وظلت اتصرف فتعذر على وتفرق من كان
معى ولم يصبر إلا غلام واحد ورقت حالى جدا حتى بعث ما فى البيت عن
آخيره على قلة فأصبحت يوما فقال لى غلامى : أى شىء تعمل اليوم؟ فما معنا
حبة . فقلت : خذ مبطنى فبعها واشتر لنا ما نحتاج اليه نخرج الغلام وبقيت
فى الدار وحدى أفكر فيما وقعت فيه من الغربة والشدة والوحدة والعطلة ،
وتعذر المعيشة والتصرف ، ومن اقترض منه فكاد عقلى أن يزول فبينما أنا
كذلك وقد استلقيت على قباى إذا بجرذ قد خرج من كوة البيت وفى فيه
دينار فوضعه ثم عاد فأخرج دينارا آخر وما زال كذلك حتى أخرج ثمانين
دينارا فصفا وجعل يتمرغ ويلعب وأنا أنظر اليه وأظهر التناوم وقد قويت
نفسى ولست أتحرك لئلا يستوحش الجرذ ولا يحضر غيرها فما زال يلعب
حتى أخذ واحدا ودخل الكوة فقامت وأخذت الدباير وشددتها ، وجاء
الغلام ومعه ما قد ابتاعه فتغدينا وقلت له : اشتر لنا فاسا . فقال : ماذا نصنع
به فحدثته الحديث وأريته الدباير وقلت : عزمت على أن أقطع الكوة فلعل
فيها شىء آخر فضى وجاء به فخرى بالكوة فأفضى بنا الحمر إلى بركة فيها
سبعة آلاف دينار فأخذناها وأصلحنا الموضع على ما كان وخرجت
فأخذت بالمال سماتج بعد أن تركت بعضه وأنفذت الغلام بالسماتج إلى
بغداد وانتظرته حتى ورد كتابه بصحة تلك السماتج وتحصيله المال فى بيتى
وان اسحاق قد مات فأنحدرت إلى بغداد وابتعت بالمال ضيعة فأمرت ونمت
فلزمتها وتركتم التصرف .

الباب الثالث عشر

من نالته شدة في هواه فكشفها الله تعالى وملاكمه من هواه
عن عاصم بن عدي قال كان لعمر بن دويرة السهمي أخ قد كاف بابنة
عم له كلفاً شديداً وكان أبوه يكره ذلك ويأباه فشكاه إلى خالد بن عبد الله
القشيري وهو أمير العراق أنه يسيء جواره فحبسه أياماً ثم تركه فلما زاد ما في
نفس الفتى وحمل عليه الحب تسور الجدار إلى ابنة عمه فلما حصل معها أحس
به أبوها فقبض عليه وأتى خالدأ وادعى عليه بالسرقة وأتاه بجماعة يشهدون
أنهم وجدوه في منزله ليلاً وقد دخل دخول اللص فسأل خالد الفتى فأترفت
أنه دخل ليسرق وما سرق شيئاً ليدفع بذلك الفضيحة عن ابنة عمه فأراد خالد
أن يقاصيه فدفع عمرو أخوه إلى خالد رقعة فيها هذا الشعر :

أخالك قد أوطيت والله شوة وما العاشق المظلوم فينا بسارق
أقر بما لم يحنه المرء أنه رأى الموت خيراً من فضيحة عاشق
ولولا الذي قد خفت من قطع كفه لألفيت في أمر لم خير ناطق
إذا مدت الغايات في السبق للعلی فأنت ابن عبد الله أول سابق

فأرسل خالد مولى له من الخبز ليتجسس على جليلة الأمر فأتاه بتصحيح
ما قاله عمرو في شعره فأحضر بالجارية وأخذ يتزويجها من الفتى فامتنع أبوها
وقال ليس هو بكفو لها قال بلى إنه لكفو لها إذا كف يده عنها وإن لم تزوجه
لازوجته وأنت كاره فزوجه العم وساق خالد المهر إلى العم من ماله وكان
يسمى العاشق إلى أن مات .

عن أبي العلاء صاعد بن ثابت النصراني الذي كان خليفة الوزراء عن
أبي الحسين بن ميمون الأفطس الذي كان وزيراً للبتقي قال لما دخل أبو عبد الله
اليزيدي بغداد متقلداً للوزارة المرة الثمانية للبتقي قبض عليه وأحضره للبصرة
فلما وردها اليزيدي من زما أحسن إليه وأطلقه وأمرني بإنزاله بالقرب مني

وانتناسه بملازمتي وافتهاده بالدعوات ففعلت فكنا متلازمين لا نفرق
 ووجدته أحلى الناس حديثا وأحسنهم أدبا وأتمهم عقلا ولم أرقط أشد تغزلا
 ولا تنالكا في العشق منه لحدثني يوما قال عشقت مغنية في القيان عشقا
 مبرحا شديدا فراسلت مولاتها في بيعها مني فطلبت فيها ثلاثة آلاف دينار
 وكنت أعرف من نفسي الملل فحسيت أن أشتريتها إن أملها فدافعت بذلك
 ومضت أيام فأنصرفت من عنده يوما وقد كان المقتدر بالله أمر أن يشتري
 له مغنيات وأنا لأعم فكانت الجارية حسنة الوجه والغنا فحملت إلى المقتدر
 في جملة جوار فأمر بشرائها كاهن فاستريت في جملتها وأنفذت من غد
 استدعيها من مولاتها فأخبرت بالخبر فقامت على القيامة ودخل على قلبي من
 الأحزان أمر ما دخل مثله على قط من نكبة فضلا عن عشق وزاد الأمر
 على حتى انتهى بي إلى حشد الوسواس وامتنعت عن النظر في أمر داري
 وتشاغلته بالبكاء ولم يكن لي سبيل إلى الغراء وكنت أكتب حينئذ لام المتقي
 وله وكان حدثا فتأخرت عنهما أياما وأخلت بأمرهما وأنا متوفر تلك الأيام
 على الطوال في الصحارى ولا آكل ولا أشرب ولا أنشغل بأكثر من الهيمان
 وأنكر المتقي وأمره أمرى لتأخرى فاستدعاني وخاطبني في شيء من أمرى
 فوجدني لأعنى ما يقوله فسألني عن سبب اختلاطى فصدقته وبكيت بين يديه
 وسألته أن يسأل إياه ببيع الجارية على أوهبتها . فقال بما أجسر على هذا قال
 فزاد على الأمر وبطلت وبلغ أم المتقي الخبر ورأسلتها بما سألت به ابنها فرقت
 لي وحملت نفسها إن خاطبت أم المقتدر في أمرى فقالت لها السيدة ما العجب
 من الرجل فإن الذي في قلبه من العشق أعماه عن وجه الرأى إنما العجب
 منك كيف وقع لك أنه يجوز أن تقول للخليفة أنزل عن جاريته لرجل
 يعشقها فراسلتني أم المتقي بما جرى فزاد ما بي من القلق وكنت لألقى أحدا
 من رؤساء البلد كالوزير ونصر القسورى وحاشية الخليفة إلا وأقصدهم وأبكي
 بين أيديهم وأحدثهم حديثي وأسألهم مسألة الخليفة تسليم الجارية إلى ببيع
 أو هبة فمنهم من ينكر على ومنهم من يوبخني ومنهم من يرنى لي فيعذرنى
 ومنهم من يقول: إن عم الخليفة هذا منك وانك تتعرض لخدمه فإن فيه تلف

نفسك ومهم من يطيرى وأنا ملازم لهم ولأبواهم وقد تركت خدمة صاحبي وبطل أمر دارى وصيغى وطال هذا على المتنى وأمه وأصاقا من أجل إخلالى بالنظر فى أمورهما فطلبنا كاتنا بصرفاينى به ، وبلغ الخبر إلى وقد كنت آيست من الجارية فعزلت هسى وقلت ليس بعدا صرف إلا الفقر والنعبة وذهاب الخير ولو كنت اشتريتها لكنت الآن قد ملكتها فلم أفقر نفسى وأقطع تصرفى وأقبلت أعظ نفسى وأسلمها ليلتها كلها إلى أن طاوعتنى على الصبر فبكرت إلى دار المتنى وبدأت بالنظر فى أمورهم ورأوا منى خلاف ما تقدم فسروا بذلك وقالوا : أنت أحب الناس إلينا من غيرك ومن الغريب الذى نستأنفه فضمنت لهما الملازمة وتمشية الأمور وأقمت على ذلك معهم مدة ثم اشتقت إلى الشرب وكنت قد هجرته منذ فقدت الجارية إلى ذلك اليوم فقلت للغلام امض فاصلى لنا مجلسنا للشرب وعد أصحابنا أعزى أصدقاء لى كانوا يعاشرُونى للروح إلى ولا تدع غناء فلما قضيت شغلى . دت إلى دارى واجتمع أصدقاؤى وصوبوا رأبى وجلسنا نشرب وتحدث بالمعب بالشطرنج فقالوا : لو دعوت بغناء فقلت أخاف أن أتذكر به أمرى فجلسوا عندى إلى أن صليت العشاء الآخرة وانصرفوا . وجلست وحدى أشرب القدح بعد القدح فلما مضت قطعة من الليل إذا بابى يدق دقا عيما فقالوا لى من هذا؟ فقال خادم من دار أمير المؤمنين فقامت قيامتى ولم أشك أن خبرى قد اتصل به فأكره وقال مثل هذا لا يصلح أن يكون كاتبا لامرأة ولا مدبرا للغلام حدث وأنه قد أنفذ للقبض على ويريد بكبى فقامت أمشى فى صحن الدار لأخرج من باب آخر كان لى فاستتر وإذا الخدم قد دخلوا ومعهم بغلة عليها عمارية وشموع وإذا قد نزل من العمارية جاريان إحداهما معشوقى . وهبت وقال أحد الخدم وهو كالرئيس لهم مولانا يقرؤك السلام ويقول : عرفت خبرك مع هذه الجارية فرحمتك وقد وهبتها لك مع جميع مالها وتركها الخادم وعدة بغال عليها أنقال من صنوف الثياب والفرش والآلات والقماش وعده جوار وانصرف الرسول فأخذت بيد عشيقتى وأدخلتها المجلس فلما أنه وشرب قالت سبوت عى (٢٥ - الفرح)

وشربت بعدى فخلفت لها ما شربت نبيذا . ذفا . قنفا . إلا فى هذا اليوم بلاغناء
وحادثتها حديثى بطوله وقلت لها ما سبب ماجرى ؟ فقالت : اعلم أن الخليفة
لم يرنى منذ يوم عرضنى وأمر بشرائى إلا الليلة وكان قد اتصل مزاح السيدة
معى بك وذلك أنها استدعتنى منذ مدة ثم سألتنى عن خبرى معك وحدتقى
مادار بينك وبين أم المتقى فصعدتها بكيت أيضا فقالت كأنك تحبينه فسكت
وتغامر الجوار على وصار شعار السيدة المزاح معى فيك فلما كانت هذه
الليلة قعد الخليفة يشرب مع السيدة والجوارى فاستدعيت وغنيت للخليفة
فقال : إن كنت تحسنين الصوت فلانى تغنيه وكان صوتك على فغنيته
وتمثلت لى صورتك وذكرت سرى معك فلم أملك دموعى حين جرت
فقال : المقتدر ما هذا ؟ فتحيرت وجزعت ونظرت إلى السيدة فضحكك وضحك
الجوارى فقال المقتدر للسيدة : ما القصة ؟ فدافعتة فقال : بحياتى فحدثته
الحديث فلما استوفاه قال : يا جارية الأمر هكذا إنما بكيت ابن ميمون فسكت
فقال : إن صدقت وهبتك له فقلت : نعم فأقبل على أمه وقال : ما هو بكثير
إن وهبتها لخادم لنا فقالت : والله أردت أن أسألك هذا ولكن رأيت أنك
إن تفضلت به ابتداء كان أحسن فقال لبعض الخدم القيام : خذ هذه وجميع
ما فى حجرتها فاحمله إلى دار ابن ميمون كاتب ابنى لإبراهيم واقراه السلام
وعرفه لى وهبتها له ، فلما نقلت تصايح الجوارى قد جاء فرجك وبلغت منك
فقممت فى حجرتى وحملت إليك وما تراه معى فحمدت الله عز وجل وجلست
معها وما شملت ما فى المجلس حتى شربت معها فيه وغنيت لى وبنت بأتم ليلة
وبكرت نشيطا إلى دار أم المتقى لأدعوا لهما وأقامت الجارية عندى إلى أن ماتت

° ° °

حدثنى عبد الله بن محمد الصروى قال : حدثنى أبى ، قال : كان يبعداد
من أولاد النعم فى ورث من أبيه مالا عظيما وكان يعشق قينته فأنفق عليها
شيئا ثم اشتراها وكانت تحبه كما يحبها فلم يزل ينفق ماله عليها إلى أن أفلس .
فقالت الجارية : يا هذا قد بقينا كما ترى فلو طلبت معاشا كان الأمر أسهل
قال : وكان الفتى لشدة حبه للجارية واحضاره الاستارات لها ليزيدها فى

صنعتها قد تعلم الزناء والضرب والخذق فيهما فشاور بعض معارفه فقال .
ما أعرف لك أصلح من أن تغى الناس وتحمل جاريته اليهم وتأخذ على هذا
الكثير من الأموال ويطيب عيشك فانك من ذلك وعاد اليهما فأخبرها بما
أشير عليه وأعلمها أن الموت أسهل عنده من ذلك فصبرت معه مدة على الشدة
ثم قالت : له قد رأيت لك رأيا . قال : قولى . قالت : تبيعنى فإنه يحصل لك من
ثمنى ما أردت أن تتجر به أو تفتنى ضيعة وتعيش عيشة صالحة وتتخلص من
هذه الشدة وأحصل أنا فى نعمة لأن مثلى لا يشتريها إلا ذو نعمة . فحملها إلى
سوق النخاسين فأول من اترضها فتى هاشمى من أهل البصرة قد ورد بغداد
للعب والتمتع فاشترها بألف وخمسمائة دينار عينا . قال الرجل : خين اظت بالبيع
وأعطيت المال ندمت واندفعت فى بكاء عظيم وحملت الجارية فى أقبح من
ضورتي وجهدت فى الاقالة فلم يكن إلى ذلك سبيل وأخذت الدنانير فى
الكيس لا أدري إلى أين أذهب لأن بيتى موحش منها وورد على من اللطم
والبكاء ما قد أهو سنى فدخلت مسجدا وجلست أبكى فحملتنى عيني وتركت
الكيس تحت رأسى كالخدة ونمت فما شعرت إلا بإنسان قد جذبته من تحت
رأسى فانتبهت فزعا فإذا شاب قد أخذ الكيس وهو يعدوا فقامت لأعدوا
وراءه فإذا رجلى مشدودة بحبل قنب فى وتد مضروب فى أرض المسجد فما
أمكننى أن أتخلص من ذلك حتى غاب الرجل عن عيني فبكيت ولطمت
ونالنى أمر عظيم أشد من الأول وقلت فارقت من أحب لأستغنى بشمنه عن
الصدقة وقد صرت الآن فقيرا مفارقا فجئت إلى دجلة وانفقت رأسى ووجهى
برداء كان على ولم أكن أحسن السباحة فرميت بنفسى إلى الماء فظن الحاضرون
أن ذلك لغلظ وقع على فطرح قوم نفوسهم خلفى فأخرجونى وسألونى عن
أمرى فأخبرتهم فبعضهم رحمنى والبعض استجهلنى إلى أن خلا بى شيخ فأخذ
يعظنى ويقول يا هذا : ذهب مالك فكأن ماذا حتى نتلف نفسك أو ما علمت
أن فاعل هذا فى نار جهنم ولست أول من افتقر بعد غنى واستغنى بعد فقر
فلا تفعل وثق بالله عز وجل . أين منزلك قم معى إليه فما فارقتى حتى حملنى
إلى منزلى فأدخلنى إليه وما زال يؤانسنى فيه ويعظنى إلى أن رأى منى السلوان

فانصرف فكادت أقتل نفسي لوحشة منزلي على ثم ذكرت النار فخرجت
ولحقت به فبكي لي رقة وأعطاني خمسين درهما وقال : خذ هذه واخرج
الساعة من بغداد واجعلها نفقة لك إلى حيث وجدت قلبك يساعدك على
قصده وأنت من أولاد الكتاب وخطك صالح وأدبك جيد فاقه مدبعض العمال
واطرح نفسك عليه فأقل ما في الأمر أن تصير محررا بين يديه وتميش معه
ولعل الله أن يخلف عليك فقبلت نصيحته وعملت على ذلك وجئت إلى
الكتبيين وقد قوى في نفسي أن أقصد واسطاً وكان لي بها أقارب فأجعلهم
ذريعة إلى التصرف مع عاملها فحين جئت إلى الكتبيين إذا بزال مقدم
وجراية كثيرة وقشاش فاخر كثير ينقل إلى الزلال فسألت من يحملني إلى
واسط ؟ فقال أحد ملاحى الزلال : نحن نحملك إلى واسط بدرهمين ولكن
هذا الزلال لرجل هاشمي من أهل البصرة ولا يمكننا حملك معه على هذه
الصورة ولكن تلبس ثياب الملاحين وتجلس معنا كأنك واحد منا فحين
رأيت الزلال وسمعت أنه لرجل هاشمي من أهل البصرة طمعت أن يكون
هو مشترى جاريتي فانفرج لسماعها لحد واسط فدفعت الدرهمين إلى الملاح
وددت فاشتريت جبة من جباب الملاحين وبعثت تلك الثياب اتى على وأضفت
ثمها إلى مامعي من النفقة واشتريت خبزا وادما وجلست في الزلال فما كان
إلا ساعة حتى رأيت جاريتي بعينها ومعها جاريتان تخدمانها فسهل على ما كان
بي وما أنا فيه وقلت أراها وأسمع من غناءها من ههنا لحد البصرة واعتقدت
أن جعلت البصرة مقصدي وطمعت في أن أداخل مولاها وأصير أحدندمانه
وقلت لا تخليني هي من المودة فإنني واثق بها ولم يكن بأسرع من أن جاء الفتي
الذي اشتراها راكباً ومعه عدة من الغلمان ركبان وركبوا في الزلال وانحدر
بهم فلبسوا وصلوا إلى كاو إذ أخرج الطعام فأكل وأكل الباقيون على سطح
الزلال وأطعموا الملاحين ثم أقبل على الجارية فقال : إلى كم هذه المدافعة
عن الغناء ولزوم الحزن والبكاء ما أنت أول من فارق مولى كان له فعلت
ما عندها من أمرى ثم ضرب ستارة في جانب الزلال واستدعى الذين في
سطحه وجلس معهم خارج الستارة فسألت عنهم فإذا هم أخوته وبنو عمه

فاخرجوا الصواني ففرقها عليهم فيها النبيذ وما زالوا يرفقون بالجارية إلى أن استدعت بالعود فأصلحته واندفعت تغنى من الثقليل الأول بإطلاق الوتر الذى فى مجرى الوسطى .

بان الخليط بمن عرفت فادخلوا عمدا لقتلك ثم لم يتخرجوا وغدت كأن على ترائب نحوها جمر الغضا فى ساعة يتأجج ثم غلبها البسكاء فقطعت الغناء وتنغص على القوم سرورهم ووقعت أنا مغشيا على فطن الملاحون أنى قد صرعت فأذن بعضهم فى أذن فأفقت بعد ساعة وما زالوا يدارونها ويرفقون بها ويسألونها الغناء إلى أن أصلحت العود واندفعت تغنى فى الثقليل الثانى .

فوقعت أسئل بالذين تحملوا وكأن قلبى بالشفار يقطع فدخلت دارهم أسائل عنهم والدار خالية المنازل بلقع ثم شهقت فكادت تتلف وارفع لها بكاء عظيم وصعقت أنا فتبرم بى الملاحون وقالوا : كيف حملنا هذا المجنون ؟ وقال بعضهم : إذا بلغتم بعض هذه القرى فأخرجوه وأريحو نامنه فجاءنى أمر عظيم من كل ما أصابنى وجاءنى فى نفسى التصبر والحيلة فى أن أعلم الجارية بمكانى بالزلال لتمتع من إخراجى فأفقت وبلغنا إلى قرب المداين فقال صاحب الزلال اصعدوا بنا إلى الشط فطرحوا إلى الشط وصعدت الجماعة وكان المساء قريباً وصعد أكثر الملاحين يغطون وخلا الحربرى وكان الجوارى فيمن صعد إلى مستراح ضرب لمن فشيت سارقاً نفسى حتى صرت خلف الستارة فغيرت طريقة العود عما كانت عليه إلى طريقة أخرى ورجعت إلى موضعى من الزلال وفرغ القوم من حاجتهم فى الشط ورجعوا والقمر متبسط فقالوا لها هو ذا ترين وقتنا فتكفى الغناء ولا تنغصى علينا فأخذت العود فجسته وشهقت وقالت : قد والله أصلح هذا العود مولائى على طريقة من الضرب كان بها معجباً وكان يضربها معى ووالله أنه معنا فى الزلال . فقال لها مولاها : والله يا هذه لو كان معنا ما امتنعنا من عشرته فلعله أن يخف بعض ما بك فنذتفع بغنائك ولكن هذا بعيد فقالت : لا أدرى ما تقولون هو والله معنا . فقال الرجل للملاحين : ويلكم هل حملتم

معنا إنساناً؟ قالوا : لا فأشـفقت أن ينقطع السؤال فصحت ندم هو ذا أنا فقالت كلام مولاي والله وجاء بي الغلمان إلى الرجل فلما رآني فقال: ويمك ما هذا الذي أصابك وصيرك في مثل هذا الحال؟ فصدقته عن أمرى وبكيت وعلى نحيب الجارية من خلف الستارة وبكى هو وأخوته بكاء شديداً رقة لنا ثم قال يا هذا : والله ما رطئت هذه الجارية ولا سمعت غناها إلا اليوم وأنا رجل موسع على الله الحمد وردت بغداد لسماع الغناء وطلب أرزاق من الخليفة وقد بلغت من الأمرين ما أردت ولما علمت على الرجوع إلى وطني أحببت أن أستبيع من غناء بغداد شيئاً فاشتريت هذه الجارية لأضيها إلى عدة مغنيات عندي بالبصرة وإذا كنتما على هذه الحال فأنا والله أغتـم المكرمة والثواب فيكما وأشهد الله أني إذا صرت إلى البصرة أعتقتها وزوجتك منها وأجريت عليكما ما يكفيكما ويسعكما على شريطة إذا اجبتني إليها قلت : ماهي؟ قال : ان تحضرنا كلما أردنا الغناء خلف ستارتنا وتنصرف بانصرافك إلى دار أفرادها لكما وقماش أعطيكما إياه فقلت : ياسيدي وكيف أبخل بهذا على من هو المعطى لي وعلى من رد على حياتي وأخذت أقبل يده فمـنـعني ثم أدخل رأسه إلى الجارية فقال : يرضيك هذا فأخذت تدعوا له وتشكره فاستدعى غلاماً فقال : خذ بيد هذا الرجل وغير ثيابه وبخره وقدم إليه ما يأكله وجئنا به فأخذني الغلام ففعل بي ذلك وعدت وتركت بين يدي صيلية واندفعت الجارية تغني بنشاط وسرور وانبساط واستدعت النبيذ فشربت وشربنا وأخذت أقترح عليها الأصوات الجياد فتضاعف سرور الرجل وما زلنا على ذلك أياماً إلى أن بلغنا إلى نهر معقل ونحن سكارى فشد الزلال في الشط وأخذتني بولة فصعدت إلى ضيعة بنهر معقل لأبول فحملني النوم فيها بالسكر ودفع الزلال وأنا لا أعلم وأصبحوا فم يجدوني ودخلوا البصرة ولم أنقبه إلا بحر الشمس فجئت إلى الشط فلم أر لهم عيناً ولا أثراً وقد كنت أجلك الرجل أن أسأله بمن يعرف وأين داره من البصرة واحتشمت أن أسأل غلماناً عنه ذلك فبقيت على شاطئ نهر معقل كأول يوم بدأت بي المحنة وكأن ما كنت فيه منام واجتازت بي سميرية فركبت فيها ودخلت البصرة وما كنت دخلتها قط فنزلت

خانا وبقيت متعيرا لا أدري ما أعمل ولم يتوجه لي معاش إلى أن اجتاز بي يوماً إنسان عرفته من بغداد فتبعته لا أكشف له حالي واستميجه فأنت من ذلك ودخل الرجل إلى منزله فعرفته وجئت إلى بقال كان هناك على باب الخان الذي نزلته فأعطيته دانقا وأخذت منه ورقة ودواة وجلست أكتب رقعة إلى الرجل فاستحسن البقال خطي ورأى رثاثة ذلي فسألني عن أمري فأخبرته أنني رجل ممتحن فقير وقد تعذر على التصرف وما بقي معي شيء ولم أشرح له أكثر من ذلك فقال أتعلم معي في كل يوم على نصف درهم وطعامك وكسوتك وتضبط حساب دكاني قلت : نعم قال : أصعد فخرقت الرقعة وصعدت فجلست معه ودبرت أمره وضبطت دخله وخرجه وكان غلبانه يسرقونه فأديت إليه الأمانة فلما كان بعد شهر رأى الرجل دخله زائدا وخرجه ناقصاً فحمدني فكنت معه كذلك شهوراً ثم جعل رزقي في كل يوم درهما ولم يزل حالي يقوى معه إلى أن حال عليه الحول وبأن له الصلاح في أمره فدعاني إلى أن أتزوج ابنته ويشاركني في الدكان ففعلت ودخلت بزوجتي فلزمت الدكان والحال يقوى إلا أنني في خلال ذلك منكسر القلب ميت النشاط ظاهر الحزن وكان البقال ربما شرب فيجئني إلى مساعدته فامتنع وأظهر أن ذلك حزننا على موتى لي واستمرت بي الحال على هذا سنين فلما كان يوماً رأيت قوماً يجتازون بخون ونبذا اجتياز متصلاً فسألت على ذلك فقالوا اليوم يوم الشعانين ويخرج أهل الظرف واللعب بالشراب والطعام والقيان إلى الأبله فيرون النصاري ويشربون ويتفرجون فدعيتي نفسي إلى التفرج وقلت لعلي أقف لأصحابي على خبر لأن هذا من مظانهم فقلت أريد أن أنظر هذا المنظر فقال لي شأنك فأصليح طعاماً وشراباً وسلم إلى غلاماً وسفينة فخرجت وأكلت في السفينة وبدأت أشرب حتى وصلت إلى الأبله وأبصرت الناس وابتدأوا ينصرفون فانصرفت فإذا بالزلال بعينه لقيته في أوساط الناس سائراً في نهر الأبله فتأملته فإذا بأصحابي على سطحه ومعهم عدة مغنيات فحين رأيته لم أتمالك فرحاً وطرحت إليهم فلما رأوني وعرفوني كبروا وأخذوني إليهم وقالوا : ويحك أنت حي وعاقبوني وفرحوا وسألوني عن قصتي وأخبرتهم بها على أنهم

شرح فقالوا : إنما لما فقدناك في الحال وقع لنا أنك بالسكر وقعت في الماء وغرقت ولم نشك في هذا فخرقت الجارية ثيابها وكسرت العود وجزت شعرها وبكت ولطمت فما منعناها عن شيء من هذا ووردنا البصرة فقلنا لها ما تختارين أن نعمل بك فقد كنا وعدنا مولاك بوعده تمنعنا المرأة من استخدامك معه في حال فقدته والاستمتاع بغنائك فقالت : تمكنوني من القوت اليسير ولبس الثياب السود وإن أعمل قبرا في بيت من الدار وأجلس عنده وأتوب من الغنا فمكناها من ذلك فهي جالسة عنده إلى الآن وأخذوني معهم فحين دخلت الدار رأيته تلك الصورة ورأيتني فشبهت شهقة عظيمة ماشككت في تلفها واعتنقنا فما افترقنا ساعة طويلة ثم قال لي مرلاها خذها فقلت : بل تعتقها وتزوجني بها كما وعدتني ففعل ذلك ودفع لي ثيابا كثيرة وفرشا وقاشا وحمل لي خمسمائة دينار وقال هذا مقدار ما أردت أن أجرى عليك في كل شهر من منذ أول دخولي البصرة وقد اجتمع طول هذه المدة نخذه والجارية لك مستأنفة في كل شهر وشيء آخر لكسوتك وكسوة الجارية والشرط في المئادة وسماع الغنا من الجارية من وراء ستارة باق وقد وهبت لك الدار الفلانية قال فحنت إليها فإذا بذلك الفرش والقماش الذي أعطانيه فيها والجارية فحنت إلى البقال فحدثته حديثي وطلعت أبلته ووفيتها صداقها وأقت مع الجارية على تلك الحالة والهاشمي سنين وصرت رب ضيعة ونعمة وعدت إلى قريب مما كنت عليه وأنا أعيش كذلك إلى الآن مع جاري .

حدثني أبو دوق الهرازي عن الرباشي أن رجلا من أهل النعيم بالبصرة اشترى صبية فأحسن أديها وتعليمها وأحبها كل المحبة وأنفق عليها حتى أملق ومسهما الضر الشديد فقالت له الجارية إنني لأرثي لك يا مولاي بما أرى بك من سوء الحال فلو بعته واتسعت بشمني فإلعل الله أن يصنع بك وأقع أنا بحيث يحسن حالي فيكون بذلك أصلح لسكلى واحد منا قال : فحملها إلى السوق فعرصت على عمر بن عبيد الله بن معمر التميمي وهو أمير البصرة يومئذ فأعجبته فاشتراها بمائة ألف درهم فلما قبض المولى الثمن وأراد الانصراف

استعبر كل واحد منهما إلى صاحبه باكياً وأنشأت الجارية تقول :
هنيئاً لك المال الذي قد أخذته ولم يبق في كفي غير التذكر
أقول لننسى وهى فى غشى كربه أبكى فقد بان الحبيب واكثرى
إذا لم يكن للبرء عندك حيلة ولم تجدى شيئاً سوى الصبر فاصبرى
فاشدت بكاء المولى ثم أنشد يقول :

فلولا قعود الدهر بى عنك لم يكن يفرقنا شيء سوى الموت فاعذرى
أروح بهم فى الفؤاد مبرح أناجى به قلباً طويلاً التفكير
عليك سلام الله لا زيارة بيننا ولا وصل إلا أن يشاء ابن معمر
فقال ابن معمر : قد شئت نخذها ولك المال وانصرفا راشدين : فوالله
لا كنت سبباً لرفقة مجتمعين

* * *

حدثني أبو الفرج على بن الحسين المعروف بالأصبهاني إماماً من حفظه
قال : حدثني الحسين بن يحيى المرقاشي قال : حدثنا حماد بن اسحاق بن ابراهيم
الموصلى قال لما دخل الرشيد البصرة حاجاً فكنت معه فقال لي جعفر بن يحيى
يوماً يا أبا محمد : قد وصفت لي جارية مغنية حسناء تباع وذكروا أن مولاهما
ممتنع عن عرضها إلا في داره وقد عزم أن أركب متخفياً فأعرضها
فتساعدني فقلت السمع والطاعة فلما كان في نصف النهار حضر النخاس فاعلم
بمضوره فخرج جعفر بعمامة وطيلسان ونعل عريّة وأمرني فلبست مثل ذلك
وركبنا حمارين قد أمرجا لنا بسروج التجار ، وركب النخاس معنا وتملأنا
الطريق حتى أتينا دار ذات باب شاهق يدل على نعمة قديمة فقرع النخاس
الباب وإذا شاب حسن الوجه عليه آثار ضرباد وعليه قميص ففتح وقال :
انزلوا ياسادة فدخلنا وإذا بدهلين شعت ودار قوراء خراب منقوضة وإذا
في الدهلین بيت كالعامر مغلق الباب فأخرج لنا الرجل منه قطعة من حصير
كبير خلق فقرشها لنا وجلسنا عليها وقال له النخاس احضر لنا الجارية فقد
حضر المشتري فدخّل البيت وإذا بجارية قد خرجت في القميص الغليظ الذي

كان على الفتى بعينه وهي فيه مع خشونته كأنها في الحل والحلل لحسن ووجهها
وفي يدها عود فأمرها جعفر بالغناء فجسته وضربت ضرباً واندفعت تغنى .
ان يمس حبلك بعد طول تواصل خلقتا ويصبح بيتكم مهجورا
فلقد رأيت والجسد إلى بلى دهرأ بوصلك راضياً مسرورا
جذلا بمالي عندكم لا أبتغى بدلا بوصلك خلة وعشيرا
كنت المني وأعز من وطى الحصى عندى وكنت بذاك منك جديرا
قال ثم غلبها البكاء حتى منعها الغناء وسمعنا من البيت فحجب الفتى وقامت
الجارية تتعثر في قيصها حتى دخلت البيت فارتفعت لهما ضجة بالبكاء والشهيق
ثم خفنا حتى ظننا أنهما قد ماتا وهممنا بالانصراف فإذا الفتى قد خرج وعليه
ذلك القميص بعينه فقال : أيها القوم اعذروني فيما أفعله وأقوله فقال له
جعفر : قل فقال : أشهد الله وأشهدكم أن هذه الجارية حرة لوجه الله تعالى
وأسألكم أن تزوجوني بها فتجير جعفر أسفا على الجارية ثم خاطبها فقال :
أتخبين أن أزوجك من مولاك ؟ قالت : نعم فقرروا الصداق وخطب زوجها
ثم أقبل على الفتى فقال له : يا هذا ما حملك على ما فعلت ؟ فقال : حديث طويل
ان نشطت له حديثك فقال : لا أقل من أن نسمعه فلعلنا نبسط عذرك فقال :
أنا فلان بن فلان وكان أبى من وجوه أهل هذه البلد وميامره وهو عارف
بهذا وأشار إلى النخاس وأنه أسلمنى إلى الكتاب وكانت لأمى صبية وسنها
قريب من سنى وهى جارية هذه وكانت معى فى الكتاب تتعلم ما أعلم وتنصرف
معى فبلغت ثم عطلت عن المكتب وعلمت الغناء فكنت لمحبتى بها أنعلمه منها
وعلق بقلبي منها حباً شديداً وبلغت خطبى وجوه أهل البصرة لبناتهم فغيرنى
أبى فأظهرت له الزهد فى التزويج ونشأت متوفرا على الأدب متلقبا فى نعمة
أبى غير متعرض لما يتعرض له الأحداث لتعلق قلبى بالصبية ورغبة أهل البلد
تزداد فى وعندهم أن عفتى لصالح وما كانت إلا لتعلق قلبى بالجارية وإن
شهوئى لا تتعدها لأحد وبلغت الجارية فى الغناء ما قد سمعتموه فعزمت أمى
على بيعها وهى لا تعلم بما فى نفسى منها فأحسست بالموت واضطرت إلى أن
صدقت أمى عن الصورة فحدث أبى فأجمع رأيهما على أن وهبها الجارية لى

وجهازها كما يجهز أهل البيوتات بناتهن وجلت على وعمل العرس الحسن
فتمت معاهدتها فأتى فلم أحسن أن أرب نعمته فأسأت تدبيرها وأسرعت
في الأكل والشرب والقيان وأنا مع ذلك أجسدت في كل يوم خمسين دينار
وأكثر ولا أتجاوزها في جماع أو حب إلى أن تلذت النعمة وأفضت الحال
إلى نقض الدار والفقر إلى ماترون فأنا على هذا منذ سنين فلما كان هذا الوقت
بلغني دخول الخليفة ووزيره وأكثر مملكتهم بالبصرة فقلت لها يا أختي: إن
شبابك يبلى وعمرك في الدنيا ينقضى والله ما في نفسي رغبة في بيعك فإني
أعلم أني تالف متى فارقتك ولكني أؤثر تلذها مع وصولك إلى نعمة ورفاهية
فدعيني أعرضك فلعله يشتريك بعض هؤلاء الكتاب فتحصلي معه في رغد
من العيش فإن مت بعدك فتلك أمنيته ويكون كل واحد منا قد تخلص من
الشقاء وإن حكم الله عز وجل على بالبقاء صبرت لفضل الله واضطربت في
معاشي بشمك فبكت من ذلك وقلقت ثم قالت افعل نخرجت إلى هذا النحاس
وأطلعت على أمرى وقد كان يسمع غناها في أيام نعمتي وعرف حالها وحالي
وعلمته أني لا أعرضها أبدا إلا عندي فإنها والله ما نسلمت عتبة هذه الدار
قط وأردت بذلك أن يراها المشتري وحده ولا تتمن بسوق ولا دخول إلى
بيوت الناس وأنه لم يكن لها ما تلبسه إلا قيصى هذا وهو مشترك بيننا ألبسه
إذا خرجت لا يتبايع القوت وتنشع هي بإزارها فإذا جئت إلى البيت ألبستها
إياه وانشعحت أنا بالإزار فلما جئتها لعرضها خرجت فغنتكم فلحقني من البكاء
والقلق أمر عظيم ودخلت إلى وقالت لي: يا هذا ما أعجب أمرك أنت مللتني
وآثرت فراقى وتبكي هذا البكاء على فقلت: يا هذه والله لفراق نفسي أسهل
على من فراقك وإنما أردت أن تتلخصي من هذا الشقاء فقالت: والله يا مولاي
لو تملك منك ما تملكته منى ما بعثتك أبدا وأموت جوعا فيكون الموت هو
الذي يفرق بيننا فقلت لا عليك تريد أن تعلبى صدق قولي قالت نعم قلت
هل لك أن أخرج الساعة إلى المشتري فاعتقك بين يديه وأتزوجك ثم أصير
معك على ما نحن عليه إلى أن يأتي الله بفرج أو صنع أو موت وراحة فقالت
إن كنت صادقا فافعل هذا فما أريد غيرك فخرجت إليكم وكان منى ما قد علمتم

فاعذروني فقال جعفر : أنت معذور ونهض فنهضت والنخاس فلما قدمت
الحير لركب دنوت منه فقلت : يا سيدي بحان الله مثلك في جودك ترى هذه
الكرامة ولا تلتهم الفرصة فيها والله لقد تقطع قلبي على الفتى فقال : ويحك
وقلبي والله . ولكن غيظي من فوت الجارية منعني من التكرم عليه فقلت :
فأين الرغبة في الثواب فقال : صدقت والله ، ثم التفت إلى النخاس فقال له :
كم كان الخادم سلم إليك عند ركوبنا لثمنها قال : ثلاثة آلاف دينار قال : فأين
هي ؟ قال : مع غلامي فقال لي وللنخاس خذاها وادفعها إلى الفتى وقولا له
يكفني ويركب ويحييني لأحسن إليه وأستخدمه فرجعت إلى الفتى وأنا
أبكي فقلت له قد عجل الله عز وجل عليك بالفرج ان الذي خرج من عندك
هو الوزير الأمير جعفر بن يحيى البرمكي وقد أمر لك بهذا وهو يقول لك
كذا وكذا قال : فصمق حتى قلت قد تلف ثم أفاق فأقبل يدعو ويشكرني
فركبت فلحقته بجعفر فأخبرته بحمد الله عز وجل على ما وفقه له وعاد إلى
داره وأنا معه فلما كان العشاء جئنا إلى الرشيد فأخذ يسأل جعفر عن حاله في
يومه وهو يخبره بالأمور السلطانية ثم فاضه فيما سوى ذلك إلى أن قص
عليه حديث الفتى والجارية فقال له الرشيد : فما عملت فأخبره فاستصاب رأيه
وقال : وقع له برزق سلطان في ربهم أرباب النعم في كل شهر كذا وكذا
وأعمل بعد ذلك ما شئت فلما كان من الغد جاءني الفتى راكبا بثياب حسنة
وهيئة جميلة وإذا هو أحلى الناس كلاما وأتمهم أدبا فحملته معي إلى جعفر
وأوصلته إلى مجلسه فأمر بتسهيل وصوله إليه وخلطه بحاشيته ووقع له عن
الخليفة بما كان رسمه له وعن نفسه بشيء آخر وشاع حديثه بالبصرة وفي
أهل العسكر فلم يبق فيهما متغزلا ولا متظرف إلا أهدى إليه شيئا جليلا فما
خرجنا من البصرة إلا وهو رب نعمة صالحة

ووجدت هذا الخبر بخلاف هذا على ما ذكره أبي علي بن محمد بن الحسن
بن جهور العجمي البصري الكاتب في كتابه «كتاب السمار والندماء» . فزعم أن
الرشيد لما حج كان معه إبراهيم الموصلي واقتص الخبر على قريب مما ذكرناه
وأن الجارية بدأت فغنت بصوت من صنعة إبراهيم وهو .

نمت علينا زفرة صاعدة وملنى العائد والعائدة
يارب كم فرجت من كل كربة عني فهذه المرة الواحدة

وإن الذى حضر لتقليب الجارية الرشيد وجعفر بن يحيى متذكرين
ومعهم إبراهيم الموصلى والنخاس وانهم انصرفوا وقطعوا الثمن على مائتى
ألف درهم ثم عادوا بالمسال معهم فأمرُوا بإعادة التقليب فخرجت الجارية
فغنت لإبراهيم أيضاً

ومن عادة الأيام أن صروفها إذا سر منها جانب ساء جانب
وما اعرف الأيام إلا ذميمة ولا الدهر إلا هو بالثبات طالب

ثم ذكر بقية الحديث على قريب من هذا . وفى الخبر الأول زيادات
ليست فى حديث ابن جمهور . وبلغنى خبر لجعفر بن يحيى مع جارية تقارب
هذا الخبرنى به أبو محمد الحسن أبو عبد الرحمن بن خلاد الواسطى خليفة
أبى على القضاء بها قال : أخبرنا محمد بن الصلت الجمانى قال : حدثنى يبلخ وشير
النخاسان قالا : أرسل إلينا جعفر بن يحيى الهرمى يطلب جارية قوالة ذات
أدب وظرف على صفة ذكرها وحدها فبقينا نجيل الرأى ونخوض فى
ذكرهن وتواصف من يعرف منهن وإلى جانبنا شيخ من أهل الكوفة
يسمع كلامنا فاقبل علينا فقال عندى بغية الوزير فانهضوا إن شئتم لينظروا
إليها فنهضنا معه حتى إذا وصلنا إلى داره وجدناها ظاهرة الاختلال ولم نر
فيها إلا مسحا خلقا وثلاث قصبات عليها مسرجة فارتبنا لقوله لما ظهر من
سوء حاله ثم صوت بها فخرجت والله الينا جارية والله كأنها فلقمة قر تنفى
كالقصب فاستقراها فقرأت آيات من القرآن حركت منا ما كان ساكنا
واتبعها بقصيدة مليحة شوقتنا وأطربتنا فقلنا أصناع ؟ وأشرنا إلى يدها
فقلت : نعم دلمت العود وأنا صغيرة فقلنا اتحنينا به فقالت سبحان الله وهل
يصلح ذلك العود إلا لمولى مالك إن دعانى إليه فعلته . قال : وراح الرسول
إلى جعفر فأخبره بما شاهده فم يتمالك جعفر حين سمع بقصة الجارية حتى
استمض الرسول إلى منزل الشيخ وتبعه حتى دخل عليه وسأله أخرجاها إليه

فَنَعَلَ فَلَمَّا رَأَاهُ جَعْنَرُ أُعْجِبَ بِهَا قَبْلَ أَنْ يَسْتَنْظِقَهَا ثُمَّ اسْتَنْظَقَهَا فَأَخَذَتْ بِمِجَامِعِ قَلْبِهِ فَقَالَ لِمَوْلَاهَا : قُلْ مَا نَشَاءُ فَقَالَ الشَّيْخُ : لَسْتُ أَحْدَثُ أَمْرًا حَتَّى اسْتَأْذِنَهَا وَلَوْلَا الْغَضْرُ الَّذِي نَحْنُ فِيهِ مَا عَرَضْتُهَا وَلَكِنْ حَالِي مَا يَشَاهِدُهُ الْوَزِيرُ وَوَرَاءَ ذَلِكَ دِينٌ كَثِيرٌ قَدْ قَدَحَنِي وَمِنْ أَجَلِهِ فَارَقْتُ وَطَنِي وَعَرَضْتُ عَلَى الْبَيْعِ ثَمَرَةَ قَلْبِي فَقَالَ جَعْنَرُ فَمَا مَقْدَارُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنْ أَرَدْتَ بَيْعَهَا قَالَ ثَلَاثُونَ أَلْفَ دِينَارٍ قَالَ جَعْنَرُ : فَهِيَ لَكَ إِنْ بَعْتَهَا فَلَمَّا سَمِعَتْ ذَلِكَ اسْتَعْبَرَتْ فَلَمَّا رَأَى الشَّيْخُ اسْتَعْبَارَهَا أَقْبَلَ عَلَى جَعْنَرٍ وَمِنْ حُضْرَتِهِ فَقَالَ أَشْهَدُكُمْ أَنِّي قَدْ أَعْتَقْتُهَا وَجَعَلْتُ صَدَاقَهَا وَاللَّهِ لَا مَلَكَتْهَا أَحَدًا أَبَدًا فَغَضِبَ جَعْنَرُ وَأَقْبَلَ مِنْ حُضْرَةِ عَلَى الشَّيْخِ يُوْزِنُونَهُ وَيَسْتَجْهَلُونَهُ وَيَقُولُونَ : ضَيَعْتَ هَذَا الْمَالَ الْجَلِيلَ وَجَعَلْتَ وَحَمَقْتَ فَقَالَ الشَّيْخُ : النَّفْسُ أَوْلَى أَنْ يَبْقَى عَلَيْهَا مِنَ الْمَالِ وَالرِّزَاقُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَعَادَ جَعْنَرُ إِلَى أَبِيهِ فَأَخْبَرَهُ بِمَا كَانَ مِنَ الرَّجُلِ وَالْجَارِيَةِ فَقَالَ أَبُوهُ لَهُ : فَمَا صَنَعْتَ بِهِمَا قَالَ تَرَكْتُهُمَا وَانْصَرَفْتُ قَالَ : وَيَحْكُ مَا أَزْنَمْتَ أَنْ تَنْصَرِفَ عَنْ مَتَحَابِينَ مِثْلَهُمَا فَقِيرِينَ لَا نَجْبِرُ حَالَهُمَا أَرْضَيْتَ أَنْ يَكُونَ الْكَوْفُ فِي أَسْمَحِ مِنْكَ وَدَعَا بِغُلَامٍ حَمَلَ مَعَهُ إِلَى الشَّيْخِ ثَلَاثِينَ أَلْفَ دِينَارٍ عَلَى بَغْلٍ فَلَمَّا وَعَلَ الْمَالُ إِلَى الشَّيْخِ أَخَذَهُ وَحَمَدَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَعَادَ بِالْجَارِيَةِ وَالْمَالُ إِلَى مَنْزِلِهِ بِالْكُوفَةِ .

* * *

وَجَدْتُ فِي بَعْضِ كُتُبِي أَنَّ عَمْرُو بْنَ شَيْبَةَ قَالَ : حَدَّثَنِي أَبُو غَسَّانٍ قَالَ : أَخْبَرَنِي بَعْضُ أَصْحَابِنَا أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جَعْنَرٍ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا اشْتَرَى جَارِيَةً مِنْ مَوْلِدَاتِ أَهْلِ مَكَّةَ وَكَانَ يَتَعَشَّقُهَا غُلَامٌ مِنْ أَهْلِهَا فَقَدِمَ فِي أَثَرِهَا الْمَدِينَةَ فَنَزَلَ قَرِيبًا مِنْ مَنْزِلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْنَرٍ ثُمَّ جَعَلَ يُلَطِّفُ عَبْدَ اللَّهِ بِظُرَائِفِ مَكَّةَ حَتَّى عَرَفَهُ وَجَعَلَتْ الْجَارِيَةُ تَرَاثُلَهُ فَأَدْخَلَتْهُ لَيْلَةً فِي اصْطَبْلِ دَوَابِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ فَغَبَرَ عَلَيْهِ السَّائِسُ فَأَعْلَمَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جَعْفَرٍ وَأَتَى بِهِ فَقَالَ : مَا لَكَ قَبْحَكَ اللَّهُ أَبْعَدَ تَحْرِمُكَ بِنَا تَتَعَرَّضُ لِحَرَمِنَا قَالَ : لَا إِنَّكَ لَمَّا ابْتَعْتَ الْجَارِيَةَ كُنْتَ لَهَا مُحِبًّا وَكَانَتْ تَجِدُنِي مِثْلَ ذَلِكَ قَالَ : فَدَعَا الْجَارِيَةَ فَسَأَلَهَا فَخَامَتْ بِمِثْلِ قِصَّةِ الْفَتَى فَقَالَ : خَذْهَا فَهِيَ لَكَ . فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ بِقَرِيبِ عَشْقِ عَبْدِ السَّلَامِ ابْنِ أَبِي سَلِيمَانَ مَوْلَى أَسْلَمَ جَارِيَةَ لِأَلِ طَلْحَةَ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَعْمَرٍ التَّمِيمِيِّ يُقَالُ

لها رواح فطلبها منهم ورجا أن يفعلوا به مثل ما فعل ابن جعفر بالفتي المكي فلم يفعل الطلحيون ذلك فسأل في ثمنها حتى اجتمع له فاشتراها منهم وقال عبد السلام :

وأنت فلا تعدل نوال بن جعفر وأين لعمرى من نوال بن معمرى
يطير لذى الجنات هذا لفضله وقد قص هذا في الجحيم المسمر
وقد كان في عصرنا ما يقارب مثل هذا وهو ما حدثني به أبو الحسن على
ابن عمر الدارقطني الحافظ قال : حدثنا أبو أحمد محمد بن أحمد الجرجاني الفقيه
الذي كنا ندرس عليه مذهب الشافعي قال : كنا ندرس على أبي إسحاق
المروزي الشافعي وكان يدرس عليه معنا فتى من أهل خراسان له والده هناك
يوجه إياه في كل سنة مع الحجاج قدر نفقته للسنة فاشترى جارية فوقعت في
نفسه وألفته وألفها وكانت معه سنين وكان رسمه أن يستدين في كل سنة ديناً
بقدر ما يعجز عن نفقته فإذا جاء ما ينفذه إليه أبوه قضى دينه وأنفق الباقي
مدة ثم عاد إلى الدين فلما كان سنة من السنين جاء الحجاج وليس معهم نفقة
من أبيه فسألهم عن ذلك فقالوا إن أباك اعتل علة عظيمة صعبة فاشتغل بنفسه
فلم يتمكن من إنفاذ شيء معنا قال : فقلق الفتى قلقاً شديداً وخاف غرماؤه
يطالبونه بالعادة في قضاء الدين وقت الموسم فاضطرب وأخرج الجارية إلى
النجاسين فعرضها وكان الفتى ينزل بقرب منزلي ويختلف إلى مجلس الفقه ولا
يكاد يفترق فباع الجارية بألف درهم وكسر لينفق منها على غرماؤه قدر ما لهم
ويتممر بالباقي وعند رجوعنا من النجاسين كان قلقاً موجعاً فلما كان الليل
لم أشعر إلا وبأبي يدق ففتحته فإذا بالفتى فقلت : مالك؟ فقال : قد امتنع على
النوم وحشة للجارية وشوقاً إليها قال : ووجدته من القلق على أمر عظيم حتى
أنكرت عقله فقلت ما تشاء قال : لا أدري وقد سهل الله على أن ترجع الجارية
إلى مملوكي وأبكر غداً أقر لغرمائي بما لهم واحتبس في حبس الحاكم إلى
أن يفرج الله جل وعز ويحييني من خراسان نفقتي في العام المقبل بعد أن
تكون الجارية في مملوكي فقلت له : أنا أكفيك ذلك في غد إن شاء الله وأعمل
في رجوع الجارية إليك إذا كنت وقد وطنت نفسك على هذا قال : وبكرنا

إلى السوق فسألنا من اشترى الجارية ؟ فقالوا : امرأة من دار أبي بكر بن أبي حامد الخراساني صاحب بيت المال فجئنا إلى مجلس الفقه فشرحت لأبي إسحاق المروزي بعض حديث الفتى وسألته أن يكتب إلى أبي بكر بن أبي حامد رقعة يسئله فيها فسخ البيع والإقالة وأخذ الثمن ورد الجارية فكتب رقعة مؤكدة في ذلك فقممت وأخذت بيد الخراساني صديقي وجئت إلى أبي بكر بن أبي حامد فإذا يجلس حائداً فأمهلنا حتى خف فدنوت أنا والفتى فعرفني وسألي عن المروزي فقلت هذه رقعة في حاجة له فلما قرأها قال أنت صاحب الجارية قلت : لا ولكنه صديقي هذا وأومأت إلى الخراساني وقصصت عليه القصة في سبب بيعه الجارية فقال لي والله ما أعلم اني ابتعت جارية ولا ابتيعت لي فقلت ان امرأة جاءت فابتاعها وذكرت لها من دارك فقال يجوز. يا فلان: فجاء خادم فقال ادخل إلى دور الحرم وسل عن جارية ابتيعت أمس فلم يزل يدخل ويخرج من دار إلى أخرى حتى وقع عليها فقال عثرت؟ فقال نعم فقال أحضرها فأحضرت فقال لها : من مولاك فأومأت إلى الخراساني فقال لها: أتحبين أن أردك عليه فقالت : والله ليس مثلك من يختار عليه ولكن لمولاي حق التربية فقال هي كيسة عاقلة قال : فأخرج الخراساني الكيس وتركه بمحضته فقال للخادم امض إلى الحرم فقل لمن ما كنتن وعدتن به هذه الجارية من إحسان وبر فمجلته الساعة فجاء الخادم بأشياء لها قد قدر فدفعها إليها ثم قال للخراساني خذ كيسك فاقض منه دينك ووسع بياقيه على نفسك وعلى جاريتك والزم الدرس فقد أجريت لك في كل شهر قفيز دقيقاً ودينارين تستعين بهما دارك فوالله ما انقطعت عن الفتى حتى مات .

قال مؤلف هذا الكتاب : وجدت هذا الخبر مستفيضاً ببغداد وأخبرت به على جهات مختلفة الا أنني أذكر بعض الطرق الأخر التي بلغتنى .

° ° °

حدثني أحمد بن عبد الله عن شيخ من دار القطر ببغداد قال : كان لأبي بكر بن أبي حامد جارية طريفة وكان ثم رجل يعرف بمعد الرحمن الصيرفي باعها له بثلاثمائة دينار وكان يهواها فلما جاء الليل استوحش لها وحشة

شديدة ولحقة من القلق والهيام والجنون والأسف على فراقها مامنه من النوم ، ولحقة من البكاء والسهر ما كاد يخرج نفسه فلما أصبح خرج إلى دكانه ليتشغل بالنظر في أمره فلم يكن إلى ذلك سبيل وزاد عليه القلق والشوق فأخذ ثمن الجارية وجاء إلى دار أبي بكر بن أبي حامد ودخل ومجلسه حافل فسلم وجلس في أخريات الناس إلى أن انفضوا فلما لم يبق منهم غير أبي بكر ابن أبي حامد . قال له : إن كانت لك حاجة فاذكرها ؟ فخصرو جرت دموعه وشبهق فرفق به ابن أبي حامد وقال له : قل عافاك الله ولا تستحي . قال : بعث أمس جارية كانت لي أحبها واشتريت لك أطال الله بقاءك وقد أحسست بالموت أسفاً على فراقها وأخرج الثمن ووضعته بحضرتها وقال : أنا أسألك أن ترد على حياتي بأخذ هذه الدنانير وأقالتي البيع . قال فتبسم له ابن أبي حامد وقال : فلما كانت بهذا المحل من قلبك فلم بعتها ؟ قال أنا رجل صير في وكان رأس مالي ألف دينار فلما اشتريتها تشاغللت بها عن لزوم الدكان فبطل كسبي وكنت أنفق عليها من رأس مالي نفقة لا يحتملها مالي فلما مضت مدة خشيت الفقر ونظرت فإذا لم يبق معي من رأس مالي إلا ثلثه أو أقل وصارت تطالبني من النفقة بما أن أطعتها فيه حتى ذهبت هذه البقية فلما منعها ساءت أخلاقها على ، وتنقصت عيشتي فقلت أبيعها وأرد ثمنها فيما اختل من دكاني ، ويستقيم عيشي وأستريح من أذاها وأتصبر على فراقها وينضبض أمرى بسقوط النفقة على وتوفري على التجارة ولم أعلم أنه يلحقني هذا الأمر العظيم وقد آثرت العقر الآن بأن تحصل لي الجارية فإن الموت أسهل مما أنا فيه . فقال ابن أبي حامد يا فلان : لجأ خادم أسود فقال أخرج الجارية التي اشتريت لنا أمس . قال : فأخرجت الجارية . قال : يا بني إن مثلي لا يطاق قبل الاستبراء والله ما وقعت عيني عليها منذ اشتريت إلى الآن وقد وهبتها لك نخذها ونخذ دنانيرك بارك لك فيها ورد الدنانير إلى دكانك . ثم قال للخادم هات ألف درهم لجأ بها . فقال للجارية : قد كنت عملت على أن أكسوك لجأ من أمر مولاك مارأيت ، وليس من المروءة منعه منك نخذى هذا التراهم واتسعى بها على (٢٦ - الفرج)

نفسك ولا تحملى مولاك مالا يطبق فيفتقر ويحتاج لبيعك وأين تجد من يرغب فيك مثل رغبته فأعزى له حق هذه المحبة ، وهذه الألف درهم لك عندنا كل سنة يجيء مولاك ويأخذها لك إذا شكرك ورضى طريقك، ثم نال له لا تنفق عليها إلا بقدر طاقتك وهذه الألف درهم لها في كل سنة كفاية مع ما تطيقه أنت من الانفاق عليها وتوفر على دكانك ومعاشك وليس كل وقت يتفق لك ما اتفق الآن ، فقام الرجل وقبل يديه ورجليه وجعل يبكي ويدعوا له ورجع إلى بيته بماله وجاريته وأصلح دكانه وسعيشته وفرح الله عز وجل ما كان من الشدة وكان ما فعله أبو بكر بن أبي حامد سببا لصلاح حاله .

ويشبه هذا الحديث ما وجدته في كتاب أعطانيه أبو الحسين عبدالعزيز ابن إبراهيم المعروف بابن حاجب النعمان وهو يومئذ كاتب الوزير المهلبى على ديوان السواد وذكر أنه نسخه من كتاب أعطاه له أبو الحسن الخصيبى وكان فيه اصلاحات بخط ابن ما يبداد: اشترى الحسن بن سهل من القسطنطى التاجر جارية بألف دينار فحملت إلى منزل الحسن وكتب للقسطنطى بشمها فأخذ الكتاب إحالة عليه بالمال وانصرف فوجد منزله مفروشا نظيفا وفيه ريحان قد عبي تعبئة حسنة ونبذا قد صفي فقال ما هذا فقيل له -جاريته التى بعته الساعة أعدت لك هذا لتصرف إليها فبعته قبل انصرفائك . قال: فقام القسطنطى فرجع إلى الحسن وقال : أيها الأمير اقلنى بيع الجارية أقالك الله فى الآخرة فقال ما إلى هذا سبيل وما دخلت قط دارنا جارية فخرجت منها . قال أيها الأمير: إنه الموت . قال وما ذلك؟ فقص عليه القصة وبكى ولم يزل يتضرع فرق له الحسن ورد الجارية عليه وقال له الألف دينار لا يرجع إلى ملكى منها دينار واحد فأخذ القسطنطى الجارية والدنانير وعاد إلى منزله وجلس مع جاريته على ما أعدته له .

عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال غدت يوما وأنا ضجر من ملازمة دار الخلافة والخدمة فيها وركبت بكرة وعزمت على أن أطوف

الصحراء وأتفرج بها فقلت لعلماني إن جاء رسول الخليفة فعرّوه أنى بكرت
 فى مهم لى وانسكم لاتعرفون أين توجهت ومضيت وطففت مابدا لى ثم عدت
 وقد حمى النهار فوقعت فى شارع المخزم فى الظل عند جناح رجب فى الطريق
 لاستريح فلم ألبث ان جاء خادم يقود حمارا فارها عليه جارية راكبة تحتها
 منديل ديبقى وعليها من اللباس الفاخر مالا غاية ورائه ورأيت لها قواما حسنا
 وطرفا فاتنا وشمائل ظريفة فحدثت أنها مغنية فدخلت الدار التى كنت واقفا
 عليها وعلقها قلبى فى الوقت علوقا شديدا لم أستطع معه البراح فلم ألبث إلا
 يسيرا حتى أقبل رجلان شابان جميلان لهما هيئة تدل على قدرهما راكبان
 فاستأذنا فأذن لهما فحملنى حب الجارية على أن نزلت معهما ودخلت بدخولهما
 فظننا أن صاحب الدار دعانى، وظن صاحب الدار أنى معهما فجلسنا فأنى بالطعام
 فأكلنا وبالشراب فوضع وخرجت الجارية وفى يدها عود فرأيتها حسناء
 وتمكن مافى قلبى منها وغنت غناء صالحا وشربنا وقت قومة للبول فسأل
 صاحب المنزل من الفتيين عنى فأخبراه أنهما لا يعرفاننى فقال : هذا طفلى ولكن
 ظريف فاجلوا عشرته وجئت فجلست وغنت الجارية فى لحن لى :

ذكرتك إذ مرت بنا أم شادن امام المطايا تستريب وتطمح
 من المولعات الرمل ادماء حرة شعاع الضحى فى بيتها يتوضح
 فأدته أداء صالحا ثم غنت أصواتا فيها من صنعتى .

الطلول الدوار فارقتها الأوانس
 أوحشت بعد أهلها فهى قفر يابس
 فكان أثرها فيه أصلح من الأول ثم غنت أصواتا من القديم والمحدث
 وغنت فى أضعافها من صنعتى فى شعرى .

قل لمن صد عاتبا ونأى عنك جانبا
 قد بلغت الذى أردت وإن كنت لاعبا
 واعترفنا بما أدعيت وإن كنت كاذبا

فكان أصلح مما غنته ، فاستعدته منها لاصححه لها فأقبل على رجل منهم
 فقال : مارأيت طفيليا أصفق وجهها منك . لم ترض بالتطفل حتى اقترحت وهذا

تصديق المثل طفيل ويقترح ، فأطرقت ولم أجبه وجعل صاحبه يكفه عنى فلم يكف ثم قاموا إلى الصلاة وتأخرت وأخذت العود واشددت طبعته وأصلحته إصلاحا محكما وعدت إلى موضعى فصليت وعادوا وأخذ الرجل فى عربدته على وأنا صامت ثم أخذت الجارية العود وجسته فأنكرت حابه وقالت : من مس عودى ؟ فقالوا : مامسه أحد قالت : بلى والله قد مسه حاذق متقدم وشده طبعته وأصلحه إصلاح متمكن من صنعته . فقلت لها : أنا أصلحته قالت : بالله عليك خذه فاضرب به فأخذته وضربت مبداء عجيبا فيه نقرات محركة فما بقى فى المجلس أحد إلا ووثب فجلس بين يدى وقالوا : بالله عليك ياسيدنا أتغنى ؟ قلت نعم وأعرفكم نفسى أيضا أنا إسحق بن إبراهيم الموصلى وإنى والله لا تبه على الخليفة وأنتم تشتمونى اليوم لأنى تملحت معكم بسبب هذه الجارية والله لا نطقت بحرف ولا جلست معكم أو تخرجوا هذا المعاند ونهضت لأخرج فتعلقوا بى فلم أرجع فلحقتنى الجارية فتعلقت بى فلنت وقلت : لا أجلس حتى تخرجوا هذا البغيض . فقال له صاحبه : من هذا كنت أخاف عليك فأخذ يعتذر فقلت أجلس ولكن والله لا انطق بحرف وهو حاضر فأخذوا بيده وأخرجوه فبدأت أغنى بالأصوات التى غنتها الجارية من صنعى فطرب صاحب البيت طربا شديدا وقال هل لك فى أمر أعرضه عليك : فقلت وما هو ؟ قال تقيم عندى شهرا والجارية والحمار لك مع ما عليه من حلية وللجارية من كسوة فقلت افعل فأقمت عنده ثلاثين يوما لا يعرف أحد أنى أنا والمأمون يطلبينى فى كل موضع فلم يعرف لى خبرا فلما كان بعد ذلك سـلم إلى الجارية والحمار والخادم وجئت بذلك إلى منزلى وهم فى أقيح صورة لخبرى وتأخرى عنهم وركبت إلى المأمون من وقى فلما رآنى قال لى يا إسحاق ويحك أين أنت . وأين تكون ؟ فأخبرته بخبرى فقال على بالرجل الساعة فدللتهم على بيته فأحضر فسأله المأمون عن القصة فأخبره بها فقال أنت ذو مروءة وسبيلك أن تعاون عليها فأمر له بمائة ألف درهم وقال : لا تعاشر ذاك المعربد السفلى . فقال معاذ الله يا أمير المؤمنين وأمر لى بخمسين ألف درهم وقال لى احضر الجارية فأحضرته لإياها فغنته فقال لى قد جعات لها نوبة كل يوم

ثلاثاء تغنيتني من وراء الستارة مع الجوارى وأمر لها بخمسين ألف درهم
فربحت والله بتلك الركبة وأربحت .

* * *

عن نعيم بن خلف الهلالي قال : كان منافقي يقال له سير بن عبد الله ويعرف
بالاشتر كان يهوى جارية من قومه يقال لها جيداء وكانت ذات زوج وشاع
خبره في حبها فتمنع منها وضيق عليه حتى لم يقدر أن يلتمسها فجاءني يوماً فقال
يا أخى : قد بلغ مني الوجد وضاق على الصدر فهل تساعدني على زيارتها
فأجبتة فركبنا وسرنا يومين حتى نزلنا قريباً من حبها فكن في موضع وقال لي
اذهب إلى القوم فكن ضيفاً فيهم ولا تذكر شيئاً من أمرنا حتى ترى راعية
جيداء صفتها كذا وكذا فتعلمها خبري وتأمرها بأخذ موعدها ففعلت وفعلت
ما أمرني به حتى لقيت الراعية فخاطبتها فوضت لي جيداء وعادت وقالت موعدهك
الليلة عند تلك الشجرة من موضع كذا ففعلت إليه وجلسنا عند الشجرة إلى
الوقت المعلوم فاذا بجيداء قد أقبلت فوثب الاشر يقبل عينها فقمت مولياً
عنهما فقالا تقسم عليك إلا رجعت فوالله ما بيننا ما نستره عليك فرجعت وجلسنا
نتحدث فقال لها يا جيداء ما فيك من المصاحبة الليلة فنتهمل بها قالت لا والله إلا
بأن يعود حالي وإلى ما تعرف من البلاء والشدة فقال ما من ذلك بد ولو وقعت
السماء على الأرض . فقالت هل في صاحبك هذا خير؟ فقلت أى والله فقالت :
وقد خلعت ثيابها خذها والبسها واعطني ثيابك ففعلت فقالت : اذهب
فإن زوجي سيأتيك بعد العتمة يطلب منك القدح ليحلب فيه الإبل فلا
تدفعه إليه من يدك فهكذا كنت أفعل به ودعه بين يديه فإنه سيذهب
فيحلب فيه ثم يأتيك به فيقول هاك غبوقك فلا تأخذه منه حتى تعطل
نكدك عليه ثم تأخذه أو تدعه حتى يضعه هو ثم لست تراه حتى يصبح
فذهبت وفعلت ما أمرتني وجاء بالقدح فلم آخذه وأطلت النكد عليه ثم أهويت
لآخذه وأهوى ليضعه فاختلفت أيدينا فانكسرت القدح فقال إن هذا الطلاح مفرط
وضرب بيده إلى سوط ثم تنازل جمتي فضرب ظهره بذلك السوط ثلاثين لكمة
أمه وأخته وانزعاني من يده بعد أن زال عقلي وهممت أن أوجهه بالسكين فلما

خرجوا عني لم ألبث إلا يسيراً ، فاذا بأم جيداء قد دخلت على تكلمني وتزبرني . فلزمت الصمت والبكاء فقالت يا بني : اتق الله وأطيع زوجك أما الاشترف فلا سبيل لك اليه ، وأنا أبعث اليك أختك الليلة . ثم مضت وبعثت إلى الجارية فجعلت تكلمني وتدعو على من ضربني وتبكي وأنا ساكت ثم اضطجعت إلى جنبي فشددت يدي على فمها وقلت : يا جارية ان أختك مع الاشترف ، وقد قطع ظهري بسببها ، وأنت أولى بسترها مني وإن تكلمت بكلمة فضحتها ، وأنا لست بأبالي . فاهتزت مثل القضيب فزعاً ثم ضحكت . وباتت معي أطرف الناس ، ولم نزل نتحدث حتى برق الفجر . ثم خرجت وجئت إلى أصحابي فقالت جيداء : ما الخبر ؟ فقلت : سلى أختك عنه فلمعمرى أنها عالمة به ، ودفعت إليها ثيابها وأريتها ظهري . فبكت وجزعت ومضت مسرعة وجعل الاشتري يبيكي وأنا أحدثه وارتحلنا .

* * *

عن بعضهم قال : حضرت في دعوة عند صديق لي من البزازين ، كان مشهوراً . فقدم اليه في جملة طعامه داجيراجه فلم يأكلها فامتنعنا من أكلها . فقال : أحب أن تأكلوا وتعفوني من أكلها . فلم ندعه حتى أكل فلما غسلنا أيدينا انفرد يغسل يديه ، ووقف غلام يعد عليه حتى قال : لقد غسلت يدك أربعين مرة . فقطع الغسل فقلنا : ما سبب هذا ؟ فامتنع فألحطنا عليه فقال : مات أبي وسني نحو العشرين سنة وخلف على حالاً ضعيفاً ، وأوصاني قبل موته بقضاء ديونه ، وملازمة السوق وأن أكون أول داخل إليها وآخر من يخرج منها فرأيت في ذلك منافع كثيرة وبينما أنا جالس ذات يوم ، ولم يتكامل السوق إذ بامرأة راكبة حماراً على كفله مندبل ديبقي ، وخادم يمسك العنان فنزلت عندي فقامت إليها ولزمتها وسألتها عن حاجتها فطلبت شيئاً من الثياب ذكرته ، فسمعت منها أحسن نعمة ، ورأيت وجهاً لم أر أحسن منه قط . فذهب على أمرى وهمت بها في الحال . فقلت : تصبري حتى يتكامل السوق وأخذلك ماتريدين . فأجابت . وأخذت تحادثني ، وأنا كدت أن أموت عشقاً وخرج الناس فأخذت لها ما أرادت فجمعتها وركبت ، ولم تخاطبني في ثمنه

بحرف ، وكان يبلغ الخمسة آلاف درهم فلما غابت عن عيني أفقت وأحسست بالفقر ، وقلت : محالة خدعتني بكشف وجهها ورأتني حدثاً ولم أكن سألتها عن منزلها ، ولا طالبتها بالثمن لدهشتي بها فكتمت خبري لئلا أفتضح وأنعجل المكروه ، وعملت على اغلاق دكاني وأن أبيع كل ما فيه وأفي الناس حقوقهم وأجلس في بيتي مقتصرأ على شيء يسير من عقار خلفه أبي فلما كان بعد أسبوع إذا بها قد باكرتني ونزلت عندي . فحين رأيته أنسيت ما كنت فيه ، وقت إليها اجلالاً . فقالت : يا فتى قد تأخرنا عنك وما شككنا أن قد روعناك وظننت أننا احتملنا عليك ؟ فقلت قد رفع الله قدرك عن هذا . فاستدعت الميزان ووفتني دنانير بقيمة ما قلت لها أنه ثمن المتاع ، وأخذت تذكر متاعاً آخر . فأجلسنا وأحدثنا وأتمتع بالنظر إليها إلى أن تكاملت السوق فقلت فدفعت إلى كل إنسان ممن كان له شيء ماله ، وطلبت منهم ما أردت فأعطوني فبحثت به معي فأخذته وانصرفت ولم تخاطبني في ثمنه ، ولا خاطبتها في صفة موضعها بحرف فلما غابت عن عيني ندمت وقلت المحنة هذه لأنها أعطتني خمسة آلاف درهم وأخذت متاعاً ثمنه ألف دينار ، والآن لم أقف لها على خبر فليس إلا الفقر وبيع المحكم لمتاع الدكان وما ورثته من أبي وتناولت غيبتها عني أكثر من شهر وأخذ التجار يشدون على المطالبة فعرضت عقاري على البيع وأشرفت على الهلاك ، وأنا في ذلك وإذا بها قد نزلت عندي فحين رأيته ورأتني زال عني الفكر ، وأنسيت ما كنت فيه وأقبلت على تحادثني وقالت : هات الطيار . فوزنت لي بقيمة المال فأخذت أطاؤها ، ونشطت لسكاتها فبأسطعتني فكنت فرحاً وخبلاً إلى أن قالت هل لك زوجة ؟ فقلت : لا والله ياستي ما عرفت امرأة قط وبكيت . فقالت : مالك ؟ قلت : خيراً ، وأخذت بيد خادمتها ، وأخرجت إليه دنانير كثيرة ، وسألته التوسط بيني وبينها . فضحك وقال : انها والله أعشق منك لها وما بها حاجة إلى ما اشترته منك وإنما تبيحك المطالبة تخاطبها بما تريد فانها تقبله ، وتستغني عني فعدت وقلت لها إنني مضيت لا قد الدنانير . فضحكت وكانت قد رأتني مع الخادم فقلت : ياستي الله الله في دمي ، وخاطبتها بما في نفسي فأعجبها ذلك ، وقبلت الخطاب

أحسن قبول ثم قالت : الخادم يجيئك برسالتى بما تعمله ، وقامت ولم تأخذ ثياباً فوفيت الناس أموالهم ، وحصل لى ربح واسع واغتصمت غمماً شديداً خوفاً من انقطاعها عني ولم أنم ليلتى قلقاً وحنناً فلما كان بعد أيام جاءنى الخادم فأكرمه وأعطيته دنانير وسألته عنها قال : هى والله عليلة شوقاً اليك . قلت : فاشرح لى أمرها . قال : هذه صبية ربها السيدة أم المقتدر ، وهى من أخص جوارها واشتهت رؤية الناس ، والدخول والخروج فتوصلت إلى أن صارت تخلف القهرمانه فتخرج لقضاء بعض الحوائج فترى الناس ، وقد والله حدثت السيدة بمحدثك ، وسألته أن تزوجها منك فقالت : لا أفعل حتى أراه فان كان يستحقك وإلا لم أدعك باختيارك ، ويحتاج أن تحتال فى دخولك الدار بحيلة ان تمت وصلت إلى حاجتك وإن انكشفت ذلك ضرب عنقك فما تقول ؟ قلت اصبر على هذا . فقال : إذا كان الليلة فأعبر المخزم وأدخل المسجد الذى بنته السيدة على شاطئ دجلة ، وعلى الحائط الآخر بما يلى دجلة اسمها مكتوب بالأجر المقطوع » وهو المسجد الذى سد بابه الآن سبكتين الحاجب الكبير مولى معز الدولة المعروف بشاشنكير وأدخله إلى ميدان داره وجعله مصلى لعلمائه » فبث فيه تصل لمشتهاك . ففعلت فلما كان السحر إذا بطيار لطيف قد قدم ، وخدم قد نقلوا صناديق فارغة وجعلوها فى المسجد ، وانصرفوا وبقي منهم واحد فتأملته فإذا هو الواسطة بينى وبينها ثم ظهرت الجارية فاستدعتنى فقممت وعانقتها وقبلت يدها ، وقبلتنى قبلاً كثيرة وتحدثنا ساعة ثم أجلستنى فى واحد من الصناديق كبير وأقفلته وأقبل الخدم يترجعون بثياب وماء ورد وعطر ، وأشياء قد أحضروها من مواضع ففرقت فى باقى الصناديق ، وأقفلت ثم حملت الصناديق فى الطيار وانحدر فلحقنى أمر عظيم من الندم وقلت قتلت بشهوة اعلمالاتى ولو تمت ما سوت قتل نفسى ، وأقبلت أبكى وأدعو الله عز وجل وأتوب اليه وأنذر إلى أن حملت الصناديق بجهازها فى دار الخليفة ، وحصل صندوق خادمان أحدهما الواسطة ومشيت هى أمام الصندوق ، والصناديق كلها حلف صندوقى . فلما اجتازت بطائفة من الخدم الموكلين بأبواب الحرم . قالوا . يريد نفتش الصناديق فكانت تصيح على

بعضهم وتشتم بعضهم ، وتدارى بعضهم إلى أن انتهىنا إلى خادم ظننته رئيس القوم فخاطبته بفرع وخضوع وذلة . وحقق أن لا بد من فتح الصناديق . فبدأ بصندوق فأنزله فحين حسست بذلك ذهب عقلى وغاب على أمرى وبلت فى الصندوق فزعاجى البول حتى خرج من خلاله . فقالت : يا أستاذ أهلكتنى وأهلكك التجار ذهب على الأمر كله ، وهلك علينا ما فى الصندوق من متاع وثياب وغيره قيمة الجميع عشرة آلاف دينار ، لأن فيه قارورة من ماء زمزم وقد انقلبت وجرت على الثياب ، والآن تستحيل ألوانها . فقال لها : خذى صندوقك إلى لعنة الله أنت وهو ومرى فحمل الخادم صندوقى بعد أن اشتد عليه وتلاحقت الصناديق فيما بعد وما راعنى بعدها إلا حين سمعتها تقول : ويلاه الخليفة . فمت رعباً وجاءنى ما لم أحتسبه . فقال لها الخليفة ويحك أى شىء فى صناديقك ؟ قالت يامولاي ثياب للسيدة . فقال : افتحى حتى أراها فقالت يامولاي : الساعة أفتحها بين يديك وتراها قال : مرى هوذا سأجىء اليك . قالت للخدم : أسرعوا وأسرعوا ، ودخلت حجرة وفتحت صندوقى وقالت : اصعد تلك الدرجة . ففعلت وأخذت بما فى بعض تلك الصناديق ، وجعلته فى صندوقى ، وجاء المقتدر ففتحت الصناديق بين يديه ثم أغلقت الحجرة ، ومضت معها الصناديق بحيث تجلس ثم عادت إلى وطبعت نفسى وأحضرتنى طعاماً وشراباً وما احتاج اليه وأقفلت الحجرة ومضت فلما كان من الغد جاءتنى فصعدت إلى وقالت السيدة تجيىء الساعة أراك فانظر كيف تكون فما كان بأسرع من أن جاءت السيدة فجلست على كرسي وفرت جواربها ، ولم يبق معها واحدة منهن ثم أنزلتنى الجارية . فحين رأتنى السيدة قبلت الأرض ، وقمت ودعوت لها ، فقالت ، لجاريته ما لبئس ما أخذت هو كيس ونهضت فجاءتنى صاحبتى بعد ساعة وقالت : ابشر فقد وعدتنى والله ان تزوجنى بك وما بين أيدينا الآن إلا عقبة الخروج فقلت يسلم الله تبارك وتعالى . فلما كان من غد حملتنى فى الصندوق فخرجت كما دخلت وكان الحرص على التفتيش أيسر وتركت فى المسجد فرجعت وصدققت ووفيت بنذرى فلما كان بعد أيام جاءنى الخادم برقعة بخطها الذى أعرفه وكيس فيه ثلاثة آلاف

دينار عيناً وتقول في الرقعة أمرتني السيدة بإيصال هذا اليك من مالها وقالت
اشتر ثياباً ومركوباً ومملوكاً يسمى بين يديك ، وأصلح به ظاهره وتجهل بكل
ما تقدر عليه وأحضر يوم الموكب إلى باب العامة وقف حتى تطلب فتدخل
على الخليفة فتزوج . ضرته فأجبت في الرقعة وأخذت المال واشترت منه
ما قالوه بأحسن ما يكون ، راحت غطت الباقي وركبت دابتي يوم الموكب إلى
باب العامة ووقعت إلى أن جاء من استدعاني فأدخلت على المقتدر ، وهو
على السرير ، والقضاة والهاشميون واجيش قيام فدخلني هيبة عظيمة وخطب
بعض القضاة وزوجني فلما صرت في بعض الممرات عدل بي إلى دار عظيمة
مفروشة بأنواع الفرش الفاخر والآلات والخدم فأجلست وتركت
وحدى وانصرف من أدخلني فلبثت يومى لا أدري من أعرف إلا خدم
يدخلون ويخرجون ، وطعام عظيم ينقل وهم يقولون الليلة تزف فلانة اسم
زوجتي إلى فلان البراز . فلما جاء الليل أثر الجوع بي ، وأقفلت الأبواب
وآيست من الجارية فقامت أطوف في الدار فوقعت على المطبخ وإذا قوم
طباخون جلوس فاستطعمتهم فلم يعرفوني فقدموا إلى داجيراجة فأكلتها
ومسحت يدي بأشنان كان في المطبخ وأنا مستعجل لئلا يفطن بي وظننت أني
نقيت من ريحها ، وعدت إلى مكاني فلما انتصف الليل إذا بطبول وزمور
والأبواب تفتح وصاحبتني قد أهديت إلى وجأوا بها يحملونها وأنا أقدر أن
ذلك في النوم ولا أصدق به ، وقد كادت مرارتي تلشق سرورا ثم خلوت بها
وانصرف الناس فحين تقدمت إليها وقبلتها رفستنى فرمت بي عن المنضدة ،
وقالت : أنكرت أن تفلح يا عامى ، وقامت لتخرج فتعلقت بها وقبلت الأرض
بين يديها وقلت : عرفيني ذنبي واعمل بعد ما شئت فوقفت وقالت : هات
حديثك عن يومك كله فقصصت عليها القصة كلها فلما وقفت عليها قالت : قل
علي ، وعلى ، وحلفتنى بأيمان غليظة لا أكلت داجيراجة إلا غسلت يدي
أربعين مرة فاستحييت وتبسمت قلت فرجعت إلى المنضدة وصاحت يا جوارى
لجأت عدة وصائف . فقالت : هاتن ما نأكل . فقدمت إلينا مائدة حسنة
والوان فاخرة من موائد الخلفاء وألوانهم فأكلت وأكلت معها واستدعت

شراياً أنا وهي وغنى لنا أولئك الوصائف وقفنا إلى الفراش فدخلت معها
وافترضتها وبت بليلة من ليالى الجنة ولم نفترق أسبوعاً ليلاً ونهاراً إلى أن
انقضت وليلة الأسبوع وكانت عظيمة فاخرة . فلما كان من الغد قالت : إن دار
الخلافة لا تحتمل المقام فيها أكثر من هذا . وماتم لأحد أن يدخل فيها بعروس
غيرك ، وكل ذلك بعناية السيدة وقد أعطيتي خمسين ألف دينار من عين ،
وورق وجوهر وقاش ، ولى خارج القصر أموال وذخائر وكلها لك فاخرج
وخذ معك مالا واشتر لنا داراً عظيمة حسنة واسعة الصحن فيها بستان كبير
كثيرة الحجر ، ولا تضيق على نفسك كما تضيق نفوس التجار فاني ما تعودت
السكن إلا في الصحن الواسعة واحذر أن تبتاع شيئاً ضيقاً فلا أسكنه وإذا
ثم البيع فأصلحها ونظفها وعرفني لأنقل اليك مالى وانتقل . فقلت : أفعل كما
تأمرين . فسلمت لى عشرة آلاف دينار فأخذتها وخرجت وآتيت دارى
فانهال الناس على واعترضت الدور حتى ابتعت ماوافق اختيارها ، وكتبت
اليها بالخبر ، فنقلت إلى تلك النعمة بأسرها ، وعندى مالم أظن أنى أراه
فضلاً عن أن أملكه ، وأقامت عندى كذا وكذا سنة أعيش معها
بعيش الخلفاء ، وأتجر فى خلال ذلك لأن نفسى لم تسمح بترك الصنعة
وابطال المعيشة ، فتزايد مالى وجاهى ، وولدت لى هؤلاء الشبان ، وأومى إلى
أولاده ، وماتت رحمها الله وبقي على مضرة الداجيراجة أنى لا آكلها إلا
غسلت يدى أربعين مرة .

وجدت فى بعض الكتب أن عيسى بن موسى الهاشمى كان يحب زوجته
حباً شديداً فقال لها : أنت طالق إن لم تكونى أحسن من القمر فنهضت
واحتجبت عنه وقالت : قد طلقتنى وباتت بليلة عظيمة فلما أصبح عدا على
المنصور وأخبره الخبر وقال له : يا أمير المؤمنين ان تم على طلاقها تلفت
نفسى عنها ، وكان الموت أحب إلى من الحياة ، وأظهر للمنصور جزعاً
شديداً . فأحضر المنصور الفقهاء واستفتاهم ؟ فقال جميع من حضر : قد
طلقت إلا رجلاً واحداً من أصحاب أبى حنيفة رضى الله عنه فانه سكت ،

فقال له المنصور : مالك لا تشكلم ؟ فقال : « بسم الله الرحمن الرحيم ، والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الامين لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم ، فلا شئ يا امير المؤمنين احسن من الانسان فقال المنصور لعيسى بن موسى : قد فرج الله عز وجل عنك ، والامر على ما قال هذا فأقم على زوجتك . وراسلها أن أطيعي زوجك فما طلقك .

عن محمد بن يونس قال لما سلمت عمل دمشق إلى أبي المغيث الرافعي سألتني ان اكتب له عليه ففعلت فلما آتت أنا وهو حدثني أول خبره في تقلده الناحية فقال لي كنت قصدت عيسى بن موسى وهو يتقلد حصن فصر في قلده ابن عم لي فانصرف عنه إلى الراققة وكان لابنة عم لي جارية نفيسة قد ربها وعليتها الغناء وكنت ادعوها فالتفتها ووقعت في قلبي موقعا عظيما واشتد حبي لها فعملت على بيع منزلي وابتاعها وناظرت مولاتها في ذلك فخلعت لهنها لا تنقص ثمنها عن ثلاثة آلاف دينار فنظرت فاذا أنا افتقر ولا تفي حالي كلها بشمنها فقامت قيامتي واشتد وجدى ، وانحدرت إلى سر من رأى أطلب تصرفا أو مابه شراها وكان محمد بن اسحق الطاهري وأبوه يوهبان لي فقصدت محمدا ومعى دواب وبقية من حالي فأقمت عليه مدة لم يسنح لي فيها تصرف فأبدت لي رقة الحال فانحدرت إلى بغداد اقصد اسحق بن إبراهيم الطاهري فوردت في زورق وفكرت في أمرى وعلى من انزل فلم اثق بغير محمد بن الفضل اللحوح وأنى لمودة كانت بيني وبينه فقصدته ونزلت عليه ووقع ذلك منه أجل موقع وفاتشني عن أمرى وسألني عن حالي فذكرت له قصتي مع الجارية فقال والله لا تبرح من مجلسك حتى تقبض ثمنها وأمر خادمه فأحضر كيسا فيه ثلاثة آلاف دينار وسلمت إلى وتأيت عليه خلف إيمانا مؤكدة ان اقبله وقال ان اتسعت لقضائه واحتجت إليه لم امتنع من أخذه منك فأخذت الكيس وشكرته وتشاغلنا بالشرب فلما كان من الغد أتى رسول اسحاق بن إبراهيم الطاهري يطلبني فصرت إليه فأحتفي به واكرمني وقال ما ظننت إنك توافي بلدا احله فتزل غير دارى فقلت والله ما وافيت إلا قاصدا إلى الأمير ولكن

دوابي تأخرت فتوقعت ورودها لاصير إلى باب الأمير عليها فدعا بكتب
وردت من محمد بن عبد الملك وفيها كتاب من أمير المؤمنين المعتصم بولايي
دمشق وأراني كتابا يعلمه فيه ماخبأ علي بن اسحاق من قتل رجاء بن الضحاك
بدمشق وإن أمير المؤمنين رأى تقليدك وطلبت بسر من رأى فذكر له
إنك انحدرت إلى اسحاق بن إبراهيم فأمر بتسليم كتبك إلى ودفع مائة ألف
دينار لك معونة على خروجك واحضر المال ووكلي من يستحسني على البندار
فورد علي من السرور ما أدهشني وودعته وخرجت إلى محمد بن الفضل
فمرفته ماجرى وودعته أيضا وأخرجت دنانيره فرددتها عليه خلف بإيمان
غليظة عظيمة لا عادت إلى ملكه أبدا وقال إن جلست في عملك واتسعت لم
أمتنع أن أقبل منك غير هذا . فشحت ومررت بالرقعة وابتعت الجارية وبلغت
منأى بملكها واجتزت بمحمص بابن عمي وأنا أجل منه عملا ودخلت على
فصنع الله سبحانه ووسع . ووجدت في كتاب «السمير» للبدائي أن رجلا من
بنى أسد علق امرأة من همدان بالكوفة وشاع امرها فوضع قوم المرأة
عليه عيوناً حتى أخبروا أنه قد اتاها في منزلها فأتوا دارها واحتاطوا بها فلما
رأت ذلك ولم تجد الرجل مهربا وكانت المرأة بادية فقالت له ما أرى لك
موضعا أستر من أن أدخلك خلف ظهري وتلزمي فأدخلته بينها وبين
القميمص ولزمها من خلفها ودخل القوم فداروا في الدار حتى لم يتركوا
موضعا إلا فتشوه فلما لم يجدوا الرجل استحيوا من فعلهم وأغلظت المرأة
عليهم وعنفتهم فخرجوا وأنشأ الرجل يقول :

حبك اشهاني وحبك قادني لهمدان حتى امسكوا بالمحقق
فجاشت إلى النفس أول مرة فقلت لها ما تفرقي حين مفرقي
رويدك حتى تنظري عم تنجلي عماية هذا العارض المتعلق

ذكر الهيثم بن عدي أن جماعة من عذرة حدثوه أن جميل بثينة حضرات
ليلة عند خباء حتى إذا صادف منها خلوة تنكروا منها وكانت الليلة ظلماء
ذات غيم ورعد وريح لحذف بحصاة فأصاب بعض أترابها ففرغت و لت

ماحدثني في هذه الليلة إلا الجن ، ففطنت بشينة أن جميلا فعل ذلك فقالت لربتها الا فانصرفي يا أخية إلى منزلك حتى تنامي فانصرفت وبقت مع بشينة أم الحسين و يروى أم اليسير بنت منظور وكانت لا تكتمها فقامت إلى جميل فادخلته الخباء معها وتحسدوا جميعا ثم اضطجعوا وذهب بهم النوم حتى أصبحوا وجاءها غلام زوجها بصبح من اللبن بعث به اليها فرآها نائمة ونظر جميلا فغضى لوجهه حتى خبر سيده وكانت ليل رأت الغلام والصبح معه وقد عرفت خبر جميل وبشينة فاستوقفتها كأنها تسأله عن حاله وطاولته الحديث وبعثت بجارية لها وقالت حذري جميلا وبشينة فجاءت الجارية ونهتتهما فلما تبينت بشينة أن الصبح قد اضاء والناس قد انتشروا ارتاعت لذلك وقالت يا جميل نفسك قد جاء غلام بعلي بصبح من اللبن فرآنا نائمين فقال : جميل وهو غير مكترث :

لعمرك ما خوفتني من مخافة علي ولا حذرتني موضع الحذر
وأقسم ما يلقي لي اليوم عزة وفي الكف مني صارم قاطع ذكر
فأقسمت عليه أن يلقي نفسه تحت المنضد وقالت إنما أسألك ذلك خوفا
على نفسي من الفضيحة لا خوفا عليك ونامت واضجمعت أم الحسين إلى جانبها
فجاء زوجها إلى أخيها وأبيها فعرفهما الخبر وجاءوا بأجمعهم إلى بشينة وهي
نائمة فكشفوا عنها الثوب فرأوا أم الحسين إلى جانبها نائمة ففجّل زوجها
وسب عبده وقالت : ليلي لأبيها وأخيها قبحكما الله في كل يوم تفضحان المرأة
في فنائكما ويلكما هذا لا يجوز ، فقالا إنما فعل ذلك زوجها فقالت : قبحه
الله وإياكما فجعلنا يسبان زوجها وانصرفوا وأقام جميل تحت المنضد إلى الليل
ثم ودعها وانصرف :

* * *

عن أبي القاسم علي بن أحمد الكاتب المعروف بابن كردويه قال : كان لي
صديق من أهل واذان عظيم النعمة والضيعة فحدثني قال : تزوجت في شبابي
امراة من آل وهب ضخمه النعمة حسنة الخلقة والأدب كثيرة المروءة ذات
جوار مغنيات فعشقتها عشقا مبرحا وتمكن لها من قلبي أمر عظيم ومكث

عيشى بها طيباً مدة طويلة ثم جرى بينى وبينها بعض ما يجرى بين الناس
فمضيت على وهجرتنى واغلقت باب حجرتها من الداردونى ومنعتنى الدخول
إليها وراسلتنى بأن اطلقها فترضيتها بكل ما يمكننى فلم ترض ووسطت بيننا
أهلها من النساء فلم ينجح فلحقنى الكرب والغم والقلق والجزع حتى كاد
يذهب بعقلى وهى مقيمة على حالها فجئت إلى باب حجرتها وجلست عنده
مفترشاً الترات ووضعت خدى على العتبة أبكى واتحب واتلافها واسأها
الرضا وأقول كلما يجوز أن يقال فى مثل هذا وهى لا تكلمنى ولا تفتح الباب
ولا ترأسلى ثم جاء الليل فتوسدت العتبة إلى أن أصبحت وأقت على ذلك
ثلاثة أيام بلياليها وهى مقيمة على الهجران فأيسست منها وعزلت نفسى وبجتها
ورضيتها على الصبر وقت من باب حجرتها عاملاً على التشاغل عنها ومضيت
إلى حمام فى دارى فأمطت عن جسدى الوسخ الذى كان لحقه وجلست لأغير
ثيابى وأتخير فإذا بزوجتى قد خرجت إلى وجوارىها المغنيات حوالها بالآهن
يعنين ومع بعضهن طبق فيه أوساط وسنوسج وماء ورد وما أشبه ذلك فحين
رأيتها استطرت فرحاً وقت إليها وأكبت على يديها ورجليها وقلت ما هذا
يا سقى؟ فقالت: تعال حتى نأكل ونشرب ودع السؤال وجلست وقدم الطبق
فأكلنا جميعاً ثم جرى بالشراب واندفع الجوارى بالغناء وأخذنا فى الشراب
وقد كاد عقلى يزول سروراً فلما توسطنا أمر ما قلت لها يا سقى: أنت هجرتينى
بغير ذنب كبير أوجب ما بلغته من الهجران وترضيتك بكل ما فى المقدرة فما
رضيت ثم تفضلت أسدء بالرجوع إلى وصالى بما لم تبلغه أماًلى فعرفينى
ما سبب هذا؟ قالت: كان الأمر فى سبب الهجر ضعیفاً كما قلت ولكن تداخلى
فى التجنى ما يتداخل المحبوب ثم استمر بنى اللجاج وأرانى الشيطان الصواب
فيما فعلته فأقت على ما رأيته فلما كان الساعة أخذت دفترى كان بين يدي
وتصفحته فوَقعت عيني على قول الشاعر .

الدهر أقصر مدة من أن يضيق فى الحساب
فتمتتم ساعاته فرورها مر السحاب
قالت: فعلت أنها عظة لى وأن سبيلى أن لا أسخط الله عز وجل بإسقاط

زوجي ولا أستعمل اللجاج فأسوءك وأسوء نفسي فجئتكم لآنرضاك وأرضيك
فانكسبت على يديها ورجليها وصفا ما كان بيننا .

* * *

عن عبد الملك بن عمر قال قدم علينا عمرو بن هبيرة السكوفي فأرسل إلى
عشرة من أصحابه وإذا أحدهم من وجوه أهل الكوفة فسهرنا عنده ثم قال :
ليحدثني كل رجل منكم أحدثة وأبدأ أنت فقلت أصلح الله الأمير : أحدث
الحق أم حديث الباطل ؟ قال : بل حديث الحق قلت : إن امرئ القيس بن حجر
الكندي حلف أن لا يتزوج امرأة حتى يسألها عن ثمانية ، وأربعة ، واثنين
وجعل يخطب النساء وإذا سألهن عن هذا قلن أربعة عشر فبينما هو يسير في
الليل إذا برجل يحمل بنتاً له صغيرة كأنها البدر لته فأعجبته فقال : يا جارية
ما ثمانية ، وأربعة ، واثنان ؟ قالت : أما الثمانية فأطباء السكبة ، وأما الأربعة
فأخلاق الناقة ، وأما الاثنان فتديا المرأة فخطبها إلى أبيها فزوجه إياها وشرطت
عليه أن تسأله ليلة بناءها عن ثلاثة خصال فجعل لها ذلك على أن يسوق لها
مائة من الإبل وعشرة عبيد وعشرة وصائف وثلاث أفراس ففعل ثم أنه
بعث عبداً له إلى المرأة وأهدى إليها نحيماً من سم ، ونحيماً من عسل ، وحلة من
عصب فنزل العبد ببعض المياه ونشر الحلة فلبسها فتعلقت بشجرة فانشقت
وفتح النحيين واطعم أهل الماء منهما ثم قدم على حى المرأة وهم خلوفاً
فسألها عن أبيها وأمها وأخيها ودفع إليها هديتها فقالت : اعلم مولاك أن أبى
ذهب يقرب بعيداً ويبعد قريباً ، وأن أمى ذهبت تشق النفس بنفسين ، وأن أخى
يراعى الشمس ، وإن سماكم قد انشقت ، وإن وعاءك قد نضباً فقدم الغلام على
مولاه فأخبره فقال : ما أقوى قولها إنها تعنى بقولها إن أباهما ذهب يقرب
بعيداً ويبعد قريباً إن أباهما ذهب يحالف قوماً على قوم ، وقولها ذهبت أمى
تشق النفس بنفسين فإن أمها ذهبت تقبل امرأة نفسها وأما قولها أخى يراعى
الشمس فإن أخاهما فى سرح له يرعاه فينتظر وجوب الشمس ليروح به وأما
قولها إن سماكم قد انشقت فإن الرد الذى بعثت به انشق ، وأما قولها إن وعاءك
قد نضباً فإن النحيين اللذين بعثت بهما نقصا فاعصدينى قال يا مولاي إني نزلت

بماء لبنى تميم . فسألوني عن نسبي فأخبرتهم أنى اعمك ، ونشرت الحلة
فلبستها فتعلقت بشجرة ، وانشقت ثم فتحت النحسين ، وأطعمت منهما
أهل الماء فقال : أولى لك ثم ساق الإبل ، وخرج نحوها ومعه الغلام فنزلا
منزلا فقام الغلام يستقي فأعانه امرئ القيس فرمى به الغلام فى البئر وخرج
حتى أتى المرأة بالإبل وأخبر أباه أنه زوجها فقيل لها قد جاء زوجك فقالت :
والله ما أدرى أهو زوجى أولا ، ولكن انحروا له جزورا وأطعموه من
كرشها . ففعلوا فأكل ما أطعموه ، فقالت : اسقوه لبناً خازراً وهو
الحامض فسقوه فشرب . فقالت : افرشوا له عند الفرث والدم . فقرشوا له
فنام ، فلما أصبح أرسلت إليه أنى أريد أن أسألك فقال : سلى ما شئت .
فقال : مم تختلج شفتاك ؟ فقال : لتقبيلى إياك . فقالت : مم يختلج كشحك ؟
فقال : لالتزامى إياك . فقالت : مم يختلج نخذاك ؟ فقال : لتوركى إياك .
قلت : عليكم بالعبد فشدوا أيديكم به ففعلوا . قال ومرة قوم فاستخرجوا امرئ
القيس من البئر فرجع إلى حيه واستاق من الإبل ، وأقبل إلى امرأته .
فقالت : والله لا أدرى أهو زوجى أولا ولكن انحروا له جزورا وأطعموه
من كرشها وذنبا . ففعلوا فلما أتوه بذلك . قال : أين الكبد والسنام والملحاء
وأبى أن يأكل . فقالت : اسقوه لبناً خازراً فأبى أن يشربه ، وقال : أين
الضريب والرايب . فقالت : افرشوا له عند الفرث والدم فقرشوا له فأبى
أن ينام وقال : افرشوا لى عند التلعة الحمراء واضربوا لى عليها خبأ ثم أرسلت
إليه هلم شرطى عليك فى المسائل الثلاث قال : فأرسل إليها أن سلى عما شئت
فقال : مم تختلج شفتاك ؟ قال : لشرب المشعشات . قالت : فمم يختلج
كشحك ؟ قال : للبسى الخبرات . قالت : فمم يختلج نخذاك ؟ قال : لركضى
المطهومات . قالت : هذا زوجى فعليكم به واقتلوا العبد . فقتلوه ، ودخل
امرئ القيس بالجارية . قال ابن هبيرة : حسبكم فلاحير فى الحديث سائر الليلة بعد
حديثك يا أبا عمرو ولن تأتينا بأعجب منه فقمنا وانصرفنا وأمر لى بجائزة سليه .

* * *

وجدت في كتاب الأغاني الكبير لأبي الفرج المعروف بالأصبهاني الذي أجاز لي روايته في جملة ما أجاز له أخبار قيس بن دريغ الكنانى قال في صدرها : أخبرني بخبر قيس بن دريغ ، ولبنى امرأته جماعة من مشايخنا في قصص متصلة ومنقطعة ، وأخبار منشورة ومنظومة فألفت جميع ذلك ليتسق حديثه إلا ما جاء منفرداً ، وحسن إخراجهم عن جملة النظم ، فذكرته على حدة ، فمن أخبرنا بخبره أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال : حدثنا عمر بن شبة ، ولم يتجاوز به إلى غيره ، وإبراهيم بن أيوب عن أبي شبة ، والحسن بن علي عن محمد بن موسى عن حماد البريدي عن أحمد بن يوسف عن جرير بن قطن عن حساس بن محمد عن محمد بن أبي السرى عن هشام بن محمد السكبي ، وعلى روايته أكثر المعول ونسخت أيضاً من أخباره المنظومة أشياء ذكرها عن رجاله ، وخالد بن كلثوم عن نفسه ، ومن روى عنه ، وخالد بن حمل ، وتنفأ حكاها التوسعي صاحب الرسائل عن أبيه عن أحمد بن حماد جميل ، عن ابن أبي جناح السكبي ، وحكى كل متفق فيه متصلاً ، وكل مخلف في معانيه منسوباً إلى قالوا جميعاً : كان ينزل قيس برصة في ظاهر المدينة ، وكان هو وأبوه من حاضرة المدينة فر قيس لبعض حوائجه بخباء من بني كعب من خزاعة ، والحى جلوس فوقف على خيمة لبني بليت الحباب الكعبية فاستسقى ماء فسقته وخرجت به إليه ، وكانت امرأة شديدة القامة شهلاء حلوة المنظر والكلام ، فلما رآها وقعت في نفسه وشرب الماء . فقالت له : أتتزل عندنا ؟ قال : نعم ، فنزل بهم وجاء أبوها فنحله وأكرمه . فانصرف قيس وفي قلبه من لبني حر لا يظني فجعل ينطق الشعر فيها حتى شاع وروى ثم أتاها يوماً آخر وقد اشتد جده بها فسلم ، وظهرت له وردت عليه سلامه ، وتحفت به فشكا إليها ما يجد بها ، وما لقي من حبها . فشكت مثل ذلك فأطالت ، وعرف كل واحد منهما ماله عند صاحبه ، فانصرف إلى أبيه فأعلمه حاله ، وسأله أن يزوجه إياها . فأبى عليه وقال : يا بني عليك يا حدى بنات عمك فهن أحق بك وكان دريغ كثير المال فأحب أن لا يخرج ابنه عن يده . فانصرف قيس ، وقد ساء ما خاطبه به أبوه ، فأبى أمه وشكا ذلك إليها ، واستعان بها على أبيه

فلم يجد عندها ما يحب فأتى الحسين بن علي بن أبي طالب رضى الله عنهما ، وروى أبو الفرج قبل هذا في أخبار قيس باسناد مفرد لم أذكره ههنا خوف الإطالة أنه كان رضيع الحسين عليه السلام ، وأتى إلى ابن عتيق ، وكان صديقه فشكا اليهما ما به ، وما رد عليه أبوه . فقال له الحسين عليه السلام : أنا أكفيك . فشى معه إلى أبي لبني ، فلما بصربه أعظمه ووثب اليه وقال : يا ابن رسول الله ما جاء بك الا بعثت إلى فآتيك . فقال : إن الذي جئت له يوجب قصدك ، وقد جئتكم خاطباً لبني لقيس بن دريج . فقال : يا ابن رسول الله الا بعثت إلى وما كنا لننصى لك أمراً ، وما بنا عن الفتى رغبة ، ولكن أحب أمرين اليها أن يخطبها أبوه دريج ، وأن يكون ذلك عن أمره ، فإننا نخاف إن سمع أبوه بعد هذا يكون عاراً وسبة علينا . فأتى الحسين رضى الله عنه دريجاً ، وقومه مجتمعون عليه فقاموا اليه اعظاماً وقالوا له مثل قول الخزاعين . فقال يادريج : أقسمت عليك الا خطبت لبني لابنك قيس . قال : السمع والطاعة لأمرك . فخرج معه في وجوه قومه حتى أتى حتى لبني فخطبها دريج على ابنه لأبيها فزوجه إياها ، وزفت اليه . فأقام معها مدة لا ينكر أحدهما من صاحبه شيئاً ، وكان أبر الناس بأمه فألهته لبني وعكوفه عليها عن بعض ذلك فوجدت أمه في نفسها وقالت : لقد شغلت هذه المرأة ابني عن برى ، ولم تر للكلام موضعاً ، حتى مرض قيس مرضاً شديداً . فلما برأ قالت أمه لأبيها : لقد خشيت أن يموت قيس ولم يترك خلفاً ، وقد حرم الولد من هذه المرأة ، وأنت ذو مال فيصير مالك إلى الكلالة فزوجه بغيرها لعل الله أن يرزقه ولداً ، وألحت عليه في ذلك . فأهلها حتى اجتمع قومه ثم قال يا قيس : إنك اعتللت هذه العلة ولا ولد لك ولا لى سواك ، وهذه المرأة ليست بولود فتزوج إحدى بنات عمك لعل الله تعالى أن يهب لك ولداً تقربه أعيننا وعينك . فقال قيس : لست متزوجاً غيرها أبداً . فقال أبوه ان في مالى سعة فتسرى بالاماء . فقال . ولا اسئرها بشيء أبداً . فقال أبوه : إنى أقسم عليك إلا طلقها . فأبى وقال : الموت والله أسهل على من

ذلك ، ولكن أخيرك خصلة من خصال . قال : وما هي ؟ قال : تتزوج أنت
فلعل الله أن يرزقك نولاً غيري ، قال : ما بي فضل لذلك . قال : فدعني أرحل
عني بأهلي ، قال : ما كنت لأصنع . قال : فدع لبي عندك وارتحل أنا عنك
لعل أسلوها فأتى ماتحب بعد أن تكون نفسي طيبة بأهلي في حبالى . قال :
لا أَرْضَى أن تطلقها . ثم حلف أنه لا يَكُنْه سَقَف بيت أبداً حتى تطلق لبي ،
وكان يخرج فيقعد في حر الشمس ، ويحس قيس ويقف إلى جانبه ، وبظله
بردائه ، ويصلي وهو بحر الشمس حتى يفيء النوى وينصرف إلى لبي فيعانقها
ويبكي ويبكي معه ويقول يا قيس : لا تطع أباك تهلك وتهلكى معك . فيقول :
ما كنت لأطيع أحداً فبك أبداً . فيقال : انه مكث على ذلك ستة . وقال خالد
ابن كلثوم ذكر ابن عائشة : أنه أقام كذلك أربعين يوماً ثم طلقها . وحكى
ليث بن عمرو أنه سمع قيس بن دريج يقول ليزيد بن سليمان : هجرى أبو اى
فى لبنى عشر سنين استأذن عليهما فيرداني حتى أطلقها . قال ابن جريج :
فأخبرت أن عبد الله بن صفوان الطويل لقي دريجاً أباقيس فقال له : ما حملك
ان فرقت بينهما أو ما علمت ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال ما بالى فرقت
بينهما أو مشيت إليهما . بالسيف وروى هذا الخبر من طريق آخر ان الحسين
ابن على رضى الله عنهما قال لدريج أبى قيس أحل لك ان فرقت بين قيس
ولبنى اما انى سمعت عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول ما بالى أفرقت بين
الرجل وامرأته أو مشيت إليهما بالسيف . قالوا : فلما بات لبنى منه بطلاقة
إياها وفزع من الكلام لم يصمت حتى استطير عقله وذهب به ولحقه مثل
الجنون وجعل يبكي ويتشنج أحر تشنج وبلغها الخبر فأرسلت إلى أبيها ليحملها
وقيل بل أقامت حتى انقضت عدتها وقيس يدخل إليها فأقبل أبوها بهودج
سنى ناقه وان ينمل أئامها فلما رأى ذلك قيس أقبل على جاريتها وقال ويحك
مادها نى فيكم ؟ قالت لانستلنى وسل لبنى فذهب ليلى بخباتها فمنعه قومها وأقبلت
إليه امرأة من قومه فقالت : مالك تستل ويحك كأنك جاهل أو متجاهل
هذه لبنى ترحل الليلة أو غدا فسقط مغشياً عليه لا يعقل ثم أفاق وهو يقول :
وانى لمن دمع عيني بالبكا حذار الذى قد كان أو هو كائن

وقالوا غدا أو بعد غد ذاك ليلة فراق حبيب لم يبن وهو بائن
وما كنت أخشى أن تكون منيتي بسكني إلا أن من خان غائن
قال أبو الفرج من هذه الأبيات غناء ولها أخبار قد ذكرت في أخبار
المجنون بعنى قيس بن الملوح مجنون بنى عامر ثم ذكر أبو الفرج بعد هذا
عدة قطع من شعر قيس بن دريخ ثم قالوا فلما ارتحل بها قومها اتبعها مليا ثم
علم أن أباه سيمنعه من المسير معها فوقف ينظر إليها ويبكى حتى غابوا عن
عينه ففكر راجعا ونظر إلى خف بعيرها فاكب عليه يقبله ورجع يقبل
موضع مجلسها وأثر قدميها فلم يعل على ذلك وعنفه قومه في تقبيل التراب فقال :
وما أحببت أرضكم ولكن أقبل أثر من وطئ التراب
لقد لاقيت من كلنى بلبنى بلاء ما أسبغ له شرا
ثم ذكر أبو الفرج قطعة من شعر قيس وأخبارا من أخباره في لبنى
مشهورة بأسانيد مفردة عن الإسناد الذى رأيت عنه هاهنا ثم رجع إلى
موضع من الحديث الذى جمع فيه أسانيد وآتى بسبابة تطول عن أن أذكرها
في كتابى هذا جملة عظيم ملحق قيسا من التمليل والسهو والسكد والأسف
والبكاء العظيم والجزع المفرط والصاق خده بالأرض على أثارها وخروجه
في أثرها يشم روائحها وعتابة نفسه في طاعة أبيه على طلاقها وعلة اعتلها
أشرف منها على الموت وجمع أبيه له فتيات الحى يعملنّه ويمدثنه طمعا في أن
يسلوا عن لبنى ويعلق واحدة منهن فيزوجها منه وقصة له مع طبيب حضره
وقطع شعره كثيرة له في خلال ذلك وذكر في جملة أخبار كثيرة بأسانيد
متفرقة وبالإسناد الذى ذكره أن أبابن شكا قيسا إلى معاوية بن أبى سفيان
وذكر تعرضه لها بعد الطلاق فكتب إلى مروان بن الحكم يهدر دمه أن
تعرض لها فكتب مروان بذلك إلى صاحب الماء وأن أباه زوجها فبلغ ذلك
قيسا فاشتد جزعه وجعل يتشنج أحر تشنج ويبكى أشد بكاء وآتى بحلة قومها
فنزل عن راحلته وجعل يبكى في موضعها ويرغ خده على ترابها ويبكى أحر
بكاء ثم قال قصيدة أتى بها أبو الفرج وبأخبارها أولها .
إلى الله أشكو فقد لبني كما شكا إلى الله فقد الوالدين يتيم

وذكر بعدها أخبارا له معها واجتماعات عفيفة كانت بينهما بحيل ظريفة ووجدها به وبكاها وإنكار زوجها ذلك عليها ومكاشفتها له به وعلة أخرى لحقت قيساً وأشهارها وافتضاحها وما لحق قيساً ولبنى من الخبل واختلال العقل وقطع شعر كثيرة آخر لقيس في خلال ذلك وأن قيساً مضى إلى يزيد ابن معاوية فدحه وشكى إليه ما به فرق عليه وأخذ له كتاب أبيه بأن يقيم حيث ما أحب ولا يعترض عليه أحد وأزال ما كان كتب به في هدر دمه وقطع شعر كثيرة لقيس في خلال ذلك وأخبار مفردة ومتصلة ثم قال وقد اختلف في كثير من أمر قيس ولبنى وذكر كلاما كثيرا في ذلك والجمع في نيف وعشرين ورقة طلحية ثم قال بعد ذلك كله وذكر الفخذي وابن عائشة وخالد ابن حمل أن أبي عتيق صار إلى الحسن والحسين عليهما السلام وعبد الله ابن جعفر رحمهما الله وجماعة من قریش فقال لهم : ان لي حاجة أخشى ان تردوني فيها واني أستعين بجاهكم وأموالكم عليها قالوا ذلك مبدول لك منا فاجتمعوا اليوم وعدم فيه فضى بهم إلى زوج لبنى فلما رأهم أعظم مصيرهم إليه وأكبره فقالوا قد جئناك بأجمعنا في حاجة لابن أبي عتيق فقال مقضية كائنة ما كانت قال ابن أبي عتيق قد قضيتها كائنة ما كانت من أهل أو مال قال نعم قال فتهب لي اليوم لبنى زوجتك وتطلقها قال فإني أشهدكم أنها طالق ثلاثاً فاستحيا القوم واعتذروا وقالوا والله ما عرفنا حاجته ولو علمنا أنها هذه مأسألك إياها قال ابن عائشة فعوضه الحسن عليه السلام في ذلك بمائة ألف درهم وحملها ابن أبي عتيق إليه ولم تزل عنده حتى انقضت عدتها فأتى القوم أباهما فزوجها قيساً ولم تزل معه إلى أن ماتا فقال قيس بن دريج يمدح ابن أبي عتيق .

جزى الرحمن أفضل ما يجازى على الإحسان خيرا من صديق
فقد جربت إخواني جميعا فما ألفيت كابن أبي عتيق
سعى في جمع شملى بعد صدع ورأى حرت فيه عن طريق
واطفا لوعة كانت بقلبي أغصنتي حرارتها بريق

قال فقال له ابن أبي عتيق يا حبيبي امسك عن هذا الحديث فما يسمعه أحد إلا ظننى قوادا .

* * *

أخبرني أبو الفرج المعروف بالأصبهاني قال: أخبرني حبيب بن نصر المهلبى قال حدثنا عبد الله بن سعد قال: حدثني عبد الله بن نصر المروزي قال: حدثنا محمد بن عبد الله الطالحي ، قال حدثني سليمان بن يحيى بن معاذ قال : قدم عليّ بنيسابور إبراهيم بن سبابة يعنى الشاعر البصرى الذى كان جده حجاما فاعتقه بعض بنى هاشم فصار مولى لهم فأنزله على فجاءنى ليلة من الليالى وهو مكروب وقد هام فجعل يصيح بى يا أبا أيوب؟ انخسيت أن يكون قد غشيت به بلية فقلت له ماتشاء فقال (أعيانى الشاذن الريب) فقلت له ماذا تقول فقال (أشكو إليه فلا يجيب) فقلت داره وداوه فقال :

من أين أبغى شفاء مابى وإنما دانى الطبيب
فقلت فلا إذا إلا أن يفرج الله تعالى فقال (يارب فرج اذن وعجل)
(فإنك السامع المجيب) * ثم انصرف .

* * *

أخبرني أبو الفرج المعروف بالأصبهاني قال حدثني محمد بن مزيد أبي الأزهري قال: حدثنا حماد بن إسحق قال: حدثني أبي قال سرت إلى سر من رأى بعد قومي من الحج فدخلت إلى الواثق فقال بأى شيء اطرقتى من الأحاديث التى استفدتها من العرب فى اشعارهم فقلت يا أمير المؤمنين جئت إلى قتي من الأعراب فى بعض المنازل يحدثنى فرأيت منه أحلى من رأيت من الفتيان منظرا وحديثا وظرفا وأدبا فاستنشدته فأنشدنى .

سقى العلم الفرد الذى فى ظلاله غزالان مكتنفان مؤتلنان
إذا أمنا التفا بجيدى مواصل وطرهما للريب مسترقان
أردتهما ختلا فلم استطعهما ورميا فماتانى وقد قتلتان
ثم تنفس تنفسا ظننت أنه قد قطع حياذيمه فقلت مالك بأبى أنت وأمى؟
فقال لى ورأ هذا الجبلين شجى لى وقد حال قومه بينى وبين المرور بهذه البلاد

وهذروا دمي فأنا أتمتع بالنظر إلى الجبلين تعللا به إذا قدم الحاج ثم يحال
بينى وبين ذلك فقلت له زدنى بما قلت فأنشدنى .

إذا ما وردت الماء فى بعض أهله حضور فعرض بى كأنك مادح
فإن سألت عنى حضورا فقل لها به غير من دائه وهو صالح
فأمرنى الوراقى فكتبت الشعرين فلما كان بعد أيام دعانى فقال : قد صنع
بعض عجائز دارنا فى أحد الشعرين لحنا فاسمعه فإن ارتضيته أظهرناه وإن
رأيت فيه موضع لإصلاح أصلحته فغنى لنا فيه من وراء الستارة فكان فى
نهاية الجودة وكذا كان يفعل إذا صنع شيئا فقلت له أحسن الله صانعه يا أمير
المؤمنين ما شاء فقال بحياتى فقلت وحياتك وحلفت له بما وثق به فأمر لى
برطل فشربته ثم أخذ العود فغنائه ثلاث مرات فلما كان بعد أيام دعانى وقال
لى قد صنع بعض عجائز دارنا فى الشعر الآخر لحنا وأمر فغنى به وكانت حالى
به كالحالة الأولى فى الشعر الأول لما استحسنته وحلفت له على جودته وسقانى
ثلاثة أرطال وأمر لى بثلاثة ألف درهم ثم قال قد قضيت حق هديتك قلت
نعم يا أمير المؤمنين أطال الله بقاءك وأتم نعمته عليك ولا أفقدنيها منك ربك
فقال : ولكنك لم تقض حق جليسك الأعرابى ولا سألتنى معونة على أمره
وقد سبقت منه مسئلتك ثم قال : ولكنى كتبت بخبره إلى صاحب الحجاز
وأمرته بإحضاره وخطبة المرأة له وحمل صداقها إلى قومها من مالى ففعل فقبلت
يده وقلت السبق إلى المسكارم لك وأنت أولى بها من عبدك ومن سائر الناس
قال أبو الفرج : وصنعة الوراقى فى الشعرين جميعاً من الرمل .

وجدت فى بعض كتبى قال أبو عبيد الله محمد بن على بن حمزة : كانت
ليزوجتى ! جارية حسنة الوجه فعشقتها فعملت زوجتى بذلك فحجبتها عنى واشتد
ما بى من الوجد عليها وتنغصت على حياتى وقاسيت شدة شديدة فبينما أنا
ذات ليلة نائم ومولاتها زوجتى إلى جانبي إذ رأيت فى النوم كان الجارية حيالى
وأنا أبكى وقد لاح إنسان أنشدنى :

وقفت حبالك أذرى الدموع واخطط بالدمع منى دما

وأشكو الذى بى إلى عاذلى ولا خير فى الحب أن يكتما
رضيت بما ليس فيه رضا بتسليم طرفك ان سلما
قمت على واقضيتنى واعزر على بأن أرغما
قال فانتبهت جزعا ودعوت بدواة وبياض وجلست فى فراشى فكتبت
الشعر فقالت زوجتى مالك ماذا تصنع فقصصت عليها الرؤيا فقالت هذا كله
من حب فلانة قد وهبتها لك .

* * *

أخبرنى أبو الفرج القرشى المعروف بالأصبهاني قال : نسخت من كتاب
محمد بن موسى بن حماد ذكر الرياشي قال حماد الراوية أتيت مكة فجلست فى
حلقة فيها عمر بن أبى ربيعة الخزومى فتذاكرنا العذريين فقال عمر بن أبى
ربيعة : كان لى صديق من بنى عذرة يقال له الجعد بن مهجع وكان أحد بنى سلمان
وكان يلقي من الصباية بالنساء على أنه كان لاعا هر الخلوثة ولا سريع السلوة
وكان يوافى الموسم فى كل سنة إذا جاء وقته وترجمت عنه الأخبار وتوكتت
له الأسفار فغمى ذات سنة أبطاؤه حتى قدم حجاج عذرة فأتيت القوم أنشد
صاحبي وإذا غلام قد تنفس الصعدا ثم قال عن أبى المسهر تسأل ؟ قلت : نعم
عنه أسأل وإياه اردت . قال : هيات هيات أصبح أبو المسهر لا مايوس منه
فيهمل ولا مرجو فيعملل والله كما يقول الشاعر :

لعمري ما حبي لاسماء تاركي أعيش ولا أقضى به فأموت
فقلت وما الذى به ؟ قال : مثل الذى بك من الهيمان فى نهوك كما فى الضلال
وجركا أذيال الخسار كأنكما لم تسمعا بحنة ولا نار قلت ومن أنت منه يا ابن
أخى قال أخوه قلت فما يمنعك أن تسلك أخيك من الأدب وإن تركب
منه مركبه وأخوك كالبرد والبحار لا ترفعه ولا يرفعك ثم صرفت وجه ناقتى
وأنا أقول :

أرائحه حجاج عذرة وجهه ولما يرح فى القوم جعد بن مهجع
خليلان فشكو مانلا فى من الهوى متى أقل يسمع وإن قال أسمع
ألا ليت شعري أى شيء أصابه بلى زفرات هجن من بين أضلع

فلا يبعدك الله خلا فإننى سألقى كما لاقيت فى الحب مصرعى
ثم انطلقت حتى وقعت موقفى من عرفات فبينما أنا كذلك إذا بإنسان قد
تغير لونه، وساءت هيأته فأدنى ناقته من ناقى ثم خالف بين أعناقهما وعانقنى
وبكا حتى اشتد بكاؤه فقلت ما وراءك فقال نوح العذل وطول المهل ثم
أنشأ يقول :

لئن كانت غدية ذات لب لقد علمت بأن الجب داء
ولا تنظر إلى تغيير جسمى وإلى لا يفارقى البكاء
فإنى لو تكلفنى كلاما لعف السكلم وانكشف الغطاء
وان معاشرى ورجال قوى حتوفهم الصباية واللقاء
إذا العذارى مات حليف قوم فذاك العبد تبكيه الرشاء
فقلت يا أبا المسهر انما ساعة يضرب إليها أكباد الإبل من شرق الأرض
وغربها فلو دعوت كنت تمنى أن تظفر بمحاجتك قال فتركنى وأقبل على الدعاء
فلما نزلت الشمس للغروب وهم الناس أن يفوضوا منه سمعته يتكلم بشيء
فأصغيت إليه فإذا هو يقول

يارب كل غدوة وروحة من محرم يشكو الضنا ولوحة
أنت حسيب الخطب يوم الدوحة

فقال وما يوم الدوحة فقال : والله لأخبرنك ولو لم تسألى وتيممنا نحو
مزدلفة فأقبل على وقال أبى رجل ذو مال من نعم وشأ وذو المال لا يعذره
القل ولا يرويه الثمار وانى خشيت عام الأول على مالى التلف ونصر الغيث
أرض كلب فانتجعت اخوالى منهم فأسعوا لى عن صدر المجلس وسقونى
حمة الماء وكنت معهم فى خير أحوال ، ثم أبى عزمت على مرافقة أبلى بماء لهم
يقال له الحردان فركبت فرسى وسمطت خلفى شرابا كان أهدها لى بعضهم
ثم مضيت حتى إذا كنت بين الحى ومرعى الغم رفعت لى دوحه عظيمه
فنزلت عن فرسى وشددته بغص من أغصانها وجلست فى ظلها فبينما أنا
كذلك إذ سطع غبار من ناحية الحى ثم رفعت لى تحوص ثلاثة ثم تباعدت
فإذا فارس يطرد مسحلا وأنا بآفتاملته فإذا نليه دبع أصمر وعمامة خن

سوداء وإذا فروع شعره تضرب خصره فقلت غلام حديث عهد بعمر
أعجلته لذة الصيد فترك ثوبه ولبس ثوب امرأته فما جار على إلا يسيرا حتى
طعن المسحل وثني طعنة للإتان فصرعهما وأقبل راجعا نحوى وهو يقول :
نطعنهم سلسكى ومخلوجة كرك لامين على نابل (١)
فقلت إنك قد تعبت وأتعبت فرسك فلو نزلت فثنى رجله فنزل فشد
فرسه بغصن من أغصان الشجرة وألقى رمحاً وأقبل حتى جلس فجعل يمدنى
حديثاً ذكرت به قول أبى ذؤيب .

وإن حديثاً منك لو تبذلينه جنى النحل فى ألبان عوذ مطافل
فقلت إلى فرسى فأصلحت من أمره ثم حسر العمارة عن رأسه فإذا غلام
كان وجهه الدينار المنقوش . فقلت سبحانك اللهم ما أعظم قدرتك وأحسن
صنعتك فقال لى مم ذاك قلت بما راغنى من جمالك وبهرنى من نورك قال وما
الذى يروعك من حبيس التراب وأكيل الدواب ثم لا يدري بعد ذلك أينعم
أم يئأس قلت لا يصنع الله بك إلا خيراً ثم تحدثنا ساعة فأقبل على فقال :
ما هذا الذى أرى قد سمطت فى سرجك فقلت شراب أهداه لى بعض أهلك
فهل لك لك فيه من أرب قال أنت وذاك فأتيته به فشرب منه وجعل والله
ينكت بالسوط أحياناً على ثناياه فجعل والله يتبين لى أثر السوط فبين فقلت
مهلاً فإنى خائف أن تكسره ن قال ولم قلت لأنى رفاق عذاب فرفع عقيرته
يتغنى وأنشد :

إذا قبل الإنسان آخر يشتهى ثناياه لم يأثم وكان له أجرا
فإن زاد زاد فى حسناته مثاقيل يحو الله عنه بها الوزرا
قال ثم قام إلى فرسه فأصلح أمره ثم رجع قال فبرقت لى بارقة من تحت
الدرع فإذا الذى كأنه حق عاج . فقلت نشدتك الله : امرأة أنت ؟ قالت نعم
والله (٢) إلا أنها تسكره الغارة وتحب الغزل ثم أجلسها فجعلت تشرب معى

(١) الزيادة عن الأغاني .

(٢) الذى فى الأغاني إلا أنى أكره العشير وأحب الغزل (ولعل الصواب

العزلة) ثم جلست .

فما أفقد من أنسها شيئاً حتى نظرت إلى عينيها كأنهما عينا مهابة مدعورة فوالله
مارا عني إلا ميلها على الدوحة سكرى فزين لي والله الغدر وحسن في عيني
ثم إن الله عز وجل عصمني منه فجلست حجرة منها فما لبثت إلا يسيراً حتى
انتهت فزعة فلائت عمامتها برأسها وجمالت في متن فرسها وقالت جزاك الله
عن الصحبة خيراً . قلت ألا تزوديلني منك زاد فناولتني يدها فقبلتها فشملت
منها والله رائحة الشباب (١) المطلول وذكرت قول الشاعر :

كأنها إذ تقضى النوم وانتهت سحابة مالها عين ولا أثر
فقلت لها وأين الموعد قالت إن لي إخوة شوساً وأبا غيوراً ووالله لأن
أسرك أحب إلى من أن أضرك وانصرفت فجعلت أتبعها بصرى حتى غابت
فبى والله يا ابن أبي ربيعة أحلتنى هذا المحل وأبلغتنى هذا الموضع فقلت له
يا أبا المسهر إن الغدر بك مع ما تذكر للمليح فبكى واشتد بكأؤه فقلت لا تبك
فما قلت لك ما قلت إلا مازحاً ولو لم أبلغ حاجتك بمالى لسعيت في ذلك حتى
أقدر عليه فقال لي خيراً فلما انقضى الموسم شددت على ناقتي وشدت على ناقته
ودعوت غلامى فشد على بعير له وجملت عليه قبة حمراء من آدم كانت لأبى
ربيعة المخزومي وحملت معى ألف دينار ومطرف خزو انطلقنا حتى أتينا
بلاد كلب فنشدنا عن أبي الجارية فوجدناه في نادى قومه وإذا هو سيد الحى
وإذا الناس حوله فوقفنا على القوم وسلمت فرد الشيخ السلام ثم قال من
الرجل؟ قلت: عمر بن عبد الله ابن أبي ربيعة بن المغيرة المخزومي قال: المعروف
غير المنكر فما الذى جاء بك قلت خاطبياً قال الكفف، والرغبة قلت إنى لم
أت ذلك لنفسى عن غير زهادة فيك ولا جهالة بشرفك ولكنى أتيت في
حاجة ابن أخيك (٢) هذا العذرى وها هو ذاك فقال والله أنه لكفء
الحسب رفيع البيت غير أن بناتى لم يتفقن (٣) إلا في هذا الحى من قریش

(١) الذى فى الأغاني المسك المفتوت .

(٢) الذى فى الأغاني أختكم .

(٣) الذى فى الأغاني يقمن ولعل الصواب يقمن .

فوجئت لذلك وعرف التغير في وجهي فقال أما اني صانع بك مالم أصنع
بغيرك قلت مثلي من شكر فما ذلك قال أخيرها فهي وما اختارت قلت
ما انصفتني إذ تختار لغيري وتولى الخيار غيرك فأشار إلى العذري أن دعه
يخيرها فأرسل اليها أن من الأمر كذا وكذا فأرسلت اليه ما كنت لأستبد
برأى دون القرشي فالخيار في قوله وحكمه فقال لي إنها قد وكلتك فاقض
ما أنت قاض فحمدت الله تعالى وأثنت عليه بما هو أهله وصليت على النبي
صلى الله عليه وسلم وقلت اشهدوا أني قد زوجتها من الجعد ابن مهجع
وأصدقها هذه الألف دينار وجعلت تكرمها العبد والبعير والقبعة وكسوت
الشيخ المطرف وسألته أن يبنى (١) عليها من ليلته فأرسل إلى أمها فأبى
وقالت أخرج ابنتي كما تخرج الأمة. فقال الشيخ: فعجى في جهازها فما برحت
حتى ضربت القبعة في وسط الحريم وأهديت اليه ليلاً وبنت أمها عند الشيخ فلما
أصبحت أتيت القبعة فصاحت بصاحبي فخرج إلى وقد أثر السرور فيه فقلت
كيف كنت بعدى وكيف هي بعدك فقال لي أدت لي والله كثيرا بما كانت
تخفيه عني يوم لقيتها فسألته عن ذلك فأنشأت تقول هذه الأبيات .

كتمت الهوى لما رأيته جازعا وقلت فتي بعض الصديق يريد
ولم تطرحني أو تقول فتية يضر بها برح الهوى فيعود
فواريت (٢) ما ألقى وفي داخل الحشا من الوجد جرح فاعلمن شديد (٣)
فقلت أقم على أهلك بارك الله لك فيهم وانطلقت وأنا أقول .
كتمت أخى العذري ما كان نابه واني لأعباد النوائب حمال
أما استحسنت مني المكارم والعلا إذا طرحت إني لما لي بذال (٤)
فقال العذري :

(١) الذي في الأغاني بها عليه في ليلته .

(٢) رواية الأغاني فوريت عما بي

(٣) رواية الأغاني برح

(٤) الزيادة عن الأغاني

إذا ما أبو الخطاب خلى مكانه فأف لدنيا ليس من أهلها عمر
فلا حتى فتیان الحجازين بعده ولا سقيت أرض الحجازين بالمطر

* * *

أخبرني أبو الفرج الأصهباني إجازة قال: أخبرني عمي الحسن بن محمد قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدثنا محمد بن عبد الله بن مالك الخزاعي قال حدثني معبد الصغير المغني مولى علي بن يقطين قال: كنت منقطعاً إلى البرامكة فبينما أنا ذات يوم في منزلي إذا بابي يدق فخرج غلامي ثم رجع إلى فقال علي الباب فتى ظاهر المروءة يستأذن عليك فأذنت له فدخل على شاب فما رأيت أحسن وجهاً ولا أنظت ثوباً ولا أجمل زياً منه من رجل دنف (١) عليه أثر السقم ظاهر فقال لي إني أحاول لقاك منذ مدة فلا أجد إليه سبيلاً وإن لي حاجة. قلت: ما هي؟ فأخرج ثلثمائة دينار ووضعها بين يدي ثم قال أسألك أن تقبلها وتصنع في يديتين قلتما لحنأ تغنيني به فقلت له هاتهما فأنشدني.

بالله يا طرفي الجاني على بدني لتطعن بدمعي لوعة الحزن
أولاً أبوحن حتى يجيبوا سكني فلا أداه ولو أدرجت في كهفي
قال فصنعت له فيهما لحنأ من الثقيل الأول مطلقاً في مجرى الوسطى ثم غنيته إياه فأغنى عليه حتى ظننته قد مات ثم أفاق فقال: أعد فديتك: فناشدته الله في نفسه وقلت أخشى أن تموت فقال هيهات أنا أشقى من ذلك وما زال يخضع لي ويتضرع حتى أعدته عليه فصعق صعقة أشد من الأولى حتى ظننت أن نفسه قد فاضت فلما أفاق رددت الدنانير عليه ووضعتها بين يديه وقلت يا هذا خذ دنانيرك وانصرف عني فقد قضيت حاجتك وبلغت وطراً بما أردته ولست أحب أن أشرك في دمك فقال لا حاجة لي في الدنانير وهذه مثلها ثم أخرج ثلثمائة دينار أخرى وقال أعد علي الصوت مرة أخرى وخذها فقلت لا والله ولا بعشرة أعفها إلا على ثلاث شرائط قال وما هن قلت أولها أن تقيم عندي وتجرم بطعامي وأمانية أن نشرب اقداحاً من النبيذ تشد قلبك ويسكن مابك. والثالثة تحدثني بقضيتك. فقال: أفعل ما تريد فأخذت

(١) الزيادة عن الأغاني

الدناير ودعوت بطعام فأصاب منه إصابة معدن ثم دعوت بالنبيذ فشرب
أقداحا ، وغذينه بشعر غيره ثم معناه ، وهو يشرب ويبيكى . ثم قال : أعزك
الله أعد على صوتي . فغذيته صوته ، فجعل يبكي أحر بكاء ويلشج أشد نشيج
ويلتجذب فلما رأته (١) قد خف عما كان يلحقه ، والنبيذ قد شد من قلبه
كررت عليه صوته مرارا ثم قلت له : حدثني حديثك . فقال : أنا رجل من
المدينة خرجت متبرها في ظاهرها - وقد سال العقيقت - في فئة من أقاربي (٢)
فبصرنا بفتيات قد خرجن مثل ما خرجنا له فجلسن حجرة منا وبصرت منهن
بفتاة كأنها قضيب قد طله الندى ، تنظر بعين ما ارتد طرفها إلا بنفس
ملاحظها فأطلن وأطلنا حتى تفرق الناس وانصرفن وانصرفنا ، وقد أبت
بقلبي جرحا بطيئا اندماله فعدت إلى منزلي وأما وقيد وخرجت من الغد إلى
العقيق وليس فيها أحد فلم أرها ولا لصواحيباتها أثرأ ثم جعلت أتبعها في طرق
المدينة وأسواقها فكان الأرض قد ابتلعها فلم أحس لها بعين ولا أثر وسقمت
فقممت حتى أيس مني أهلي ، ودخلت بيت ظئري فسألني عن حالي وضمت
لي حالها ، والسعى فيما أحبه منها فأخبرتها بقصتي فقالت : لا بأس عليك
هذه أيام الربيع وهي سنة خمب وأنواء ، وليس يبعد عنك المطر فيمد (٣)
العقيق والنسوة سيجئن فإذا رأيتها اتبعها حتى أعرف خبرها وموضعها ،
وأسعى لك في تزويجها فكان نفسي اطمأنت وتراجعت وجاء المطر فسال
العقيق فخرجت مع إخواني إليها فاجلسنا بجلسنا الأول كما كنا إلا والنسوة
أتين كفرسى رهان فأومأت إلى ظئري فجلست حجرة قريبة منا ومنهن ،
فأقبلت على إخواني ففلمت لهم أحسن القائل :
رمتني بسهم أقصد القلب واشئت وقد غادرت جرحا بها (٤) وندوبا

(١) في الأغاني رأيت ما به قد خف عما كان يلحقه ورأيت النبيذ .

(٢) في الأغاني من أقراني وأخذني فبصرنا بفتيات .

(٣) في الأغاني وهذا عقيقتي ثم فيه اختلاف في العبارة فيما سيأتى أيضا .

(٤) رواية الأغاني به .

فأقبلت هي على صواحبها فقالت : أحسن والله القائل ، وأحسن من أجابه حيث يقول :

بنا مثل ماتشكوا فصبوا لعلنا نرى فرجا يشفي السقام قريباً
فأمسكت عن الجواب خوفاً من أن يظهر مني ما يفضحني وإياها ، وعرفت
ما أرادت ثم تفرق الناس وانصرفنا ، وتبعها ظئري حتى عرفت منزلها ،
وصارت إلى فأخذت بيدي ومضينا إليها فلم تزل تتلطف حتى وصلنا إليها
فتلاقينا وتزاورنا على حال مخالسة ومراقبة ، وشاع حديثي وحديثها ، حتى
ظهر ما بيني وبينها فجعلها أهلها ، وتشدد تلميحاً أبوها . فلم أقدر عليها فشكوت
إلى أبي ما نالني وشده ما ألقى وسأته خطبتها لي ففضى أبي ومشيشة أهلي إلى
أبيها وخطبوها . فقال : لو كان بداً بهذا قبل أن يشهرها لأسعفته بحاجته وبما
التمس ، ولكنه قد فضحها فلم أكن لأحقق قول الناس بتزويجها إياه .
فانصرفنا على يأس منها ومن نفسي ، قال معبد : فسألته أين تنزل ؟ فخبرنى .
فصارت بيننا عشرة ، ثم جلس جعفر بن يحيى يوماً للشرب فأتيته فكان
أول بيت غنيت به شعر الفتى وصوت الذي صنعت فيه فطرب منه طرباً
شديداً وقال : ويحك لمن هذا ؟ فقلت : إن للصوت حديثاً . فقال : ماهو ؟
فحدثته فأمر بإحضار الفتى فأحضر من وقته ، واستعاده الحديث فأعاده
عليه فقال : هي في ذمتي حتى أزوجه . فطابت نفسي ونفس الفتى فأقننا
ليلتنا حتى أصبح ، وغدا جعفر إلى الرشيد فحدثه الحديث فعجب منه وأمر
بإحضارنا جميعاً وأمر بأن أغنيه الصوت فغنيت فشر به عليه وسمع حديث الفتى
وأمر من وقته بالكتاب إلى عامل الحجاز باشخصا الرجل وابنته وسائر أهله إلى
حضرته فلم يمس إلا مسافة الطريق حتى حضروا فأمر الرشيد بإيصاله إليه فأوصله
وخطب إليه الجارية للفتى فأجابه وزوجه إياها ، وحمل الرشيد إليه ألف دينار
لمهرها وألف دينار لجهازها وألف دينار لنفقة الطريق وأمر للفتى بألف (١) دينار
وكان المدنى بعد ذلك في جملة ندماء جعفر .

* * *

(١) في الأغاني بألف .

أخبرنا أبو الحسين محمد بن جعفر البصرى المعروف بابن لشكك فى رسالة
فى فضل الورد على النرجس فقال من سمى بنته من سادات العرب وردة :
شرحبيل التنوخى ، وعابد الطائى ، وهى التى كان داود التيمى عاشقاً لها فاستقبل
النعمان بن المنذر فى يوم يؤسه - وقد خرج يريد لها وهو لا يعلم يوم النعمان -
فقال : ما حملك على استقبالى فى يوم يؤسى ؟ قال : شدة الوجد ، وقلة الصبر .
فقال أأست القائل ؟ :

وددت وكانت الحسنات أنى أقارع نجم وردة بالقداح
على قتلى بأبيض مشرفى وكونى ليلة حتى الصباح
فإن تسكن القداح على تلقى ذبحت على القداح بلا جناح
وإن كانت على يمين خدى لهوت بكعب خود رزاح
قال : بلى . قال : فإنى مخيرك إحدى اثنتين فاختر لنفسك . قال ماها ؟ أبيت
اللعن . قال : أخلى سبيلك أو أمتعك سبعة أيام ثم أقتلك . قال : هم تمتعنى ؟
قال : بوردة . قال : قبلت اثنا عشر فساق النعمان مهرها إلى عمها وجمع بينهما .
فلما انقضت الأيام أقبل على النعمان وهو يقول :

إليك ابن ماء المزن أقبلت بعد ما مضت لى سبع من دخولى على أهلى
بحى مقر لاصطناعك شاكر مننت عليه بالكريم من الفعل
لتعضى فيه ما أردت قضاء من العفو أهل العفو أو عاجل القتل
فإن يك عفواً كنت أفضل منعم وإن تسكن الأخرى فمن حكم عدل
فأحسن جائزته وخلي سبيله وأنشد النعمان يقول :

لأذ حوى من كان يهوى ونجى من كل يؤس
وكذاك الطير يحرى بسعود ونحوس

قال مؤلف الكتاب : ووجدت كتاباً لأحمد بن أبى طاهر سماه كتاب :
« فضائل الورد على النرجس » أكثر قدراً وأغزر فائدة من رسالة ابن لشكك
فوجدته وقد ذكر فيه الخبر . قال : ومن سمى بنته وردة شرحبيل بن مسعود
(٢٨ - الفرج)

الشرجي ، وهو صاحب العين على مسيرة يوم وليلة من مسيرة يوم وليلة من مسح . وبها التقى سليمان بن مبرداً أمير الجيش الذي يقال لهم البوابون للطلب بدم الحسين بن علي رضي الله عنهما وخيل عبيد الله بن زياد . وسمى عائداً الطائي بقلته وردة وهي التي كان داود بن موسى التميمي ثم السعدي عاشقاً لها ، وساق الخبر كما ذكره ابن لنكك والله تعالى أعلم .

الباب الرابع عشر

ما اختير من ملح الأشعار
في أكثر معاني ما تقدم من الأمثال والأخبار
قال لقيظ بن زرارة التميمي :

قد عشت في الناس أطوارا على طرق شتى وقاسيت فيها اللين والفظعا
كلا لبست فلا النعماء تبطرني ولا تجزعت من لأوائها جزعا
لا يملأ الأمر صدرى قبل موقعه ولا أضيق به ذرعاً إذا وقعا
ماسد مطلع ضاقت ثنيته إلا وجدت وراء الضيق متسعا
وقال أبو ذؤيب الهذلي :

فانى صبرت النفس بعد ابن عنبس وقد لج من ماء الشؤون لجوج
لأحسب (٢) جلداً أريخبر شامت وللشر بعد القارعات فروج
ويروى لأمير المؤمنين على رضى الله عنه :
لانى أقول لنفسى وهى ضيقة وقد أناخ عليها الدهر بالعجب
صبراً على شدة الأيام إن لها عقي وما الصبر إلا عند ذى الحسب
وروى لعثمان بن عفان رضى الله عنه :

خليلي لا والله مامن ملية تدوم على حى وإن هى جلت
وإن نزلت يوماً فلا تخضعن لها ولا تكثرا الشكوى إذا التعلزلت
فكم من كريم قد بلى بنوائب فصايرها حتى مضت واضمحلت
فكانت على الأيام نفسى عزيزة فلما رأت صبرى على الذل ذلت
وأشد معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه :
ولا تيأسن واستعوفن الله إنه إذا الله يسر عقد شئ تيسراً
لأبى دهبيل الجمحي من قعيدة له :

(١) ليعلم أن كافة التعاليق الموجودة بهامش هذا الكتاب هى بقلم صاحب
الفضيلة الأستاذ العلامة الشيخ عبدالغنى عبد الخالق المدرس بكلية الشريعة بالأزهر
(٢) رواية اللسان ليحسب

عست كربة أمسيت فيها مقيمة يكون لنا منها رخاء ومخرج
فيكبت أعداء ويحذل ألف له كبد من لوعة الحب تلحج
ولمى لمحزون غداة أزورها وكنت إذا ناديتها لأعرج
لجارية بن بدر الغدائي :

ق(١) للفؤاد إذا نزا بك نزوة من الهم أفرخ أكثر الروع باطله
لتوبة بن الحمير العقيلي الخفاجي :
وقد(٢) تذهب الحاجات يطلبها الفتى شعاعاً وتخشى النفس مالا يضرها
لجريد :

يعافى الله(٣) بعد بلاه جهدا وينهض بعد ما يبلى السقيم
لزياد(٤) بن عمر من بنى الحارث بن كعب — وقيل لزيادة بن زيد
العذري — من أبيات :

إذا مذهب سدت عليك فروجه فإنك لاقى لالحالة مذهباً
فلا تجعل كرب الخطوب إذا عرت عليك رتاجاً لا يزال مضيباً
وكن رجلاً جلدًا إذا ما تقلبت به صيرفيات الهموم تقلباً
ذكر أبو تمام الطائي في كتاب الحماسة لجابر بن ثعلب الطائي :
كان الفتى لم يعرف يوماً إذا اكتسى ولم يك صعلوكاً إذا ماتمولا
ولم يك في بؤس إذا بات ليلة
يتاغى غزالاً ساجي(٥) الطرف أكحلاً
وقريب منه ما أنشدني أبي عن أبي بكر بن دريد عن عبد الرحمن

(١) رواية اللسان فقل للفؤاد إن من الخوف .

(٢) رواية تزيين الأسواق .

وقد تذهب الحاجات يسترها الفتى فتخفى وتهوى النفس مالا يضرها

(٣) رواية الديوان بعد بلاء سوء ويبرأ .

(٤) في الأرج زيد بن عمر ، وفي حل العقول زياد بن عمرو العذري .

(٥) رواية الحماسة فاتر .

ابن أخى الأصمى عن عمه الأصمى رحمهم الله :

كأن قوما إذا مابدلوا نعمنا بنكبة لم يكونوا قبلها نكبوا
ومثله أيضاً :

إن البطون إذا جاءت متى شبت كأنما لم يقاس الجوع طاويها
لسعيد بن رمضان الأسدى :

فما نوب الحوادث باقيات ولا يؤس يدوم ولا نعيم
كما يسمى سرورك وهو هم كذلك مايسوءك لا يدوم
فلا تهلك على ما فات وجدا ولا تفرك بالأسف الموم

وقريب منه لكثير فى ابن محمد بن الحنفية رضى الله عنه لما حبسه عبدالله
ابن الزبير رضى الله عنه - من أبيات :

تحدث من لاقيت أنك عائد بل العائد المظلوم فى سجن عادم
فما ورق الدنيا بياق لأهلها (١) وما شدة (٢) الدنيا بضربة لازم
فزاد فيه بعض إخواننا :

لهذا وهذا مدة سوف تنقضى ويصبح ملاقيته حلم حلم
لأعرابي :

فلا تحسبن يحف اليمامة دائماً كما لم يدم عيش بسفج أبان
مغرس الأسدى :

ولا تيأسن من صالح إن ماله وإن كان قدما (٣) بين أيد تبادره
حوط بن ريان الأسدى :

تعلمنى بالعيش عرسى كأنها تعلمنى الشئ الذى أنا جاهله
يعيش الفتى بالفقر يوما وبالغنى وكل كأن لم يلق حين يسائله
وقريب منه :

(١) رواية اللسان لأهله .

(٢) رواية اللسان البلوى .

(٣) كذا بالأصل .

يعيش الفتي بالمقر يوما وبالغنى وكل كأن لم يلقه حين يذهب
كأنك لم تعد من الدهر لذة إذا أت أدركت الذي كنت تطلب
للاضبط بن قريع من جملة أبيات (١) :

لكل (٢) ضيق من الأمور سعه والمسا والصباح لافلاح معه
لاتحقرن (٣) الوضع علك أن تلقاه يوما والدهر قد رفعه
قد يجمع المال غير آكله ويأكل المال غير من جمعه
قال مؤلف هذا الكتاب في المعنى :

أصبر فليس الزمان مصطبرا وكل أحـدائه فنشقعه
كم من فقير غناه في شـبيع قد نال خفضا في عيشه ودعه
ومن جليل جلت مصائبه ثم تلافاه بعد ما وضعه
فعاد بالعز آمنا جذلا وعاد أعـداؤه له خضعه
أنشد أبو العباس ثعلب :

رب ربح لأناس عصف ثم ما إن لبثت أن ركدت
وكذاك الدهر في أفعاله قديم زلت وأخرى ثبتت
وكذا الأيام من عاداتها أنها مفسدة ما أصلحت
ثم يأتيك مقادير هـا فترى ملصحة ما أفسدت
للحسين بن مطير الأسدي :

إذا يسر الله الأمور تسرت ولات قواها واستتقاد هـيرها
فكم طامع في حاجة لا ينالها وكم آيس منها أتاه يسيرها (٤)
وكم خائف صار المخوف ومقت تمول والأحداث يحلو مريرها

(١) موجودة في أمالي القالي ج ١ ص ١٠٧ .

(٢) رواية الأمالي لكل هم من الهموم . . . والمسي والصبح .

(٣) رواية الأمالي ولا تعاد الفقير . . . تركع يوما والمشهور في
كتب اللغة والنحو ولاتهن الفقير .

(٤) رواية حل العقال والأرج بشيرها .

وقد تغدر الدنيا فيمس غنيها فقيرا ويغنى بعد بؤس فقيرها
وكم قد رأينا من تكدر عيشة وأخرى صفا بعدا كدرا رغبها
فلا تقرب الأمر الحرام فإنه حلاوته تفنى ويبقى مردها (١)
لمسكين الدارمي :

ولم لا أرجو الله حتى كأني أرى بحميل الظن ما الله صانع
أنشدني محمد بن الحسين قال أنشدني ثعلب (٢) :

إلى الله كل الأمر في الخلق كله وليس إلى المخلوق شيء من الأمر
إذا أنا لم أقبل من الدهر كل ما تكرهت منه طال عتبي على الدهر
ووسع صدري للأذى كثرة الأذى وإن كان أحيانا يضيق به صدري
وصيرني يأسى من الناس وانقأ بحسن صليح الله من حيث لا أدري
تعودت مع مس الضر حتى ألفتة راسلني حسن العزاء إلى الصبر
غيره :

إذا ضاق صدري بالأمور تفرجت لعلبي بأن الأمر ليس إلى الخلق
غيره :

يضيق صدري بغم عند حادثة وإنما الخير لي في الغم أحيانا
ورب يوم يكون الغم أوله وعند آخره روحا وريحانا
ماضقت ذرعا بغم عند نائبة إلا ولي فرج قد حل أو حانا
للزبير رضي الله عنه .

لا أحسب الشر جارا لا يفارقي ولا أحز على ما فاتني الودجا
ولا لقيت من المسكروه نازلة إلا وثقت بأن ألتقي لها فرجا
ولا تراني لما قد فات مكتئبا ولا تراني بما قد نلت مبتهجا
لأعرابي :

ما كل وجه يضيق إلا ودونه مطلب فسيح

(١) الزيادة عن الأغاني والأرج .

(٢) قيل لما حوضر عثمان رضي الله عنه أنشد هذه الأبيات .

من روح الله عنه هبت من كل وجهه إليه ريح
لسليمان بن مهاجر البجلي من جملة أبيات :
إن المساء قد تسر وربما كان السرور بما كرهت جدرا
عن المارستاني قال أنشدني إبراهيم بن العباس الصولي وهو في مجلسه في
ديوان الضياع :

ربما تكره النفوس من الآم ر له فرجة , كحل العقل (١)
ونسكت بقلبه ثم قال :

ولرب نازلة يضيق بها الفتي درعا وعند الله منها المخرج
كملت فلما استحكت حلقاتها فرجت وكان يظنها لا تفرج
لأبي العتاهية :

ولربما استيأست ثم أقول لا إن الذي ضمن النجاح كريم
أنشدني أحمد بن عبد الله الوراق ، قال : أنشد ما دعبل قصيدته (مدارس
آيات) فذكر القصيدة إلى آخرها وفيها ما يدخل في هذا الباب وهو قوله :
فلولا الذي أرجوه في اليوم أو غد تقطع قلبي إثرهم حشرات (٢)
فيا نفس طيبي ثم يا نفس أبشري فغير بعيد كل ما هو آت
ولا تجزعي من دولة الجور إنني كأني بها قد آذنت ببيات
عسى الله أن يرتاح للخلق إنه إلى كل حي دائم اللحظات
لعل بن الجهم من ضمن قصيدة له :

غير الليالي باديات عود والمسال عارية يباد وينفذ
ولكل حال معقب ولربما أجلى لك المسكروه عما تحمد
لا يؤيسنك من تفرج كربة خطب رماك به الزمان الآنكد
كم من عليل قد تحطاه الردى فنجا ومات طيبه والعود

(١) البيت لأمية بن أبي الصلت وقبله .

لا تضيقن في الأمور فقد تكشف غماؤها بغير احتيال

(٢) رواية معجم الأدباء لقطع قلبي إثرهم حشرات .

لغيره في مثله :

قد يصح المريض بعد إياس كان منه ويهلك العواد
ويصاد القطا فينجو سليما بعد هلك ويهلك الصياد
لعبد الله بن المعتز :

وكم نعمة لله في صرف نقمة ومكروه أمر قد حلا بعد إمرار
وما كل ماتهوى النفوس بنافع وما كل ماتخشى النفوس بضرار
لعبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب من أبيات :
لا تعجلن فربما عجل الفتى فيما يضره
فالعيش أحلاه يعو د على حلاوته أمره
ولربما كره الفتى أمرا عواقبه تسره

لأعرابي :

كم مرة حفت بك المكاره خار لك الله وأنت كاره
آخر ويروى لأمير المؤمنين على رضى الله عنه :
لا تكرر المكروه عند نزوله إن المكاره لم تزل متباينة
كم نعمة لا تستقل بشكرها لله في جنب المكاره كامنه
غيره :

رب أمر تزهق النفس له جاءها من خلل اليأس فرج
لا تكن من روح ربى آيساً ربما قد فرجت تلك الفرج
بينما المرء كئيب مومج جاءه الله بروح فبهج
رب أمر قد تضايقت له فأناك الله منه بالفرج
غيره :

البؤس يعقبه النعيم وربما لاقيت ما ترجوه مما ترهب
غيره :

أتى من حيث لا ترجوه صنع ويأبى أن تهم به الظنون
فحيث تراك تياس فارج خيرا فإن الغيث محتجب مصون
وكن أرجى لأمر استرجو من المرجو أقرب ما يكون

لعبيد الله بن عبد الله بن طاهر :
أراها تمتنخض بالمعضلات ألا ياليت شعري ما الزبد
ألا إن زبدتها فرجة تحمل العقال من العقده
لأبي إسحاق إسماعيل بن القاسم الملقب بأبي العتاهية :
إنما الدنيا هبات وعوار مستردة
شدة بعد رخاء ورخاء بعد شدة
وله (١) أيضا :

الناس في الدين والدنيا ذوو درج
من ضاق عنك فأرض الله واسعة
قد يدرك الراقد الهادي برقدته
خير المذاهب في الحاجات أنجحها
والمسال ما بين موقوف ومختلج
في كل ضيق وهم (٢) وجه منفرج
وقد يخيب أخو الروحات (٣) والدج
وأضيق الأمر أدناه إلى الفرج
غيره :

يا صاحب الهم إن الهم منقطع
الأس يقطع أحيانا بإساحبه
الله حسبك مما عذت منه به
من البلايا ولكن حسبك الله
هون عليك فإن القنادر الله
فرب مستصعب قد سهل الله
إذا بليت فمق بالله وأرض به
الحمد لله شكرا لا شريك له
أبشر بذاك كأن قد فرج الله
لا تيأسن فإن الكافي الله
وأيمن أمتع من حسبه الله
والله حسبك في كل لك الله
والخير أجمع فيما يصنع الله
ورب شر كثير قد كفى الله
إن الذي يكشف البلوى هو الله
ما أسرع اليسر جدا إن يشأ الله
لمحمد بن حازم الباهلي :

طوبى لمن يتولى الله خالقه ومن إلى الله يلجأ يكفه الله

-
- (١) نسب في الأرج هذه الآيات إلى هلال بن العلاء الرقي .
(٢) رواية الديوان والأرج في وجه كل مضيق .
(٣) في الأصل إخاء الراح والتصحيح عن الديوان والأرج .

ورب خائف أمر يستكين له ينجو وخيرته ما قدر الله
 ليحيى بن خالد بن برمك من أبيات :
 ألا أعلم إنما الدنيا غرور وليس بدائم فيها نعيم
 سينقطع التلذذ عن أناس إذا ماتوا وتنقطع الهموم
 أنشدني أبي رحمه الله من قصيدة لسلم بن عمرو الخاسر :
 إذا أذن الله في حاجة أذاك النجاح على رسله
 (١) وقرب ما كان مستبعدا ورد الغريب إلى أهله
 يفوز الجواد بحسن الثناء ويبقى البخيل على بخله (٢)
 فلا تسأل الناس من فضلهم ولكن سل الله من فضله
 ووجدت مكتوباً بخط عمى القاضي أبي جعفر أحمد بن محمد بن أبي الجهم التوحي :
 إذا أذن الله في حاجة أذاك النجاح بها يركض
 فان عاق من دونها عائق أتى دونها عارض يعرض
 أنشدني عبيد الله بن محمد بن الحسن العتبي المعروف بالبصري لنفسه :
 إذا أذن الله في حاجة أذاك النجاح بغير احتباس
 فيأتيك من حيث لا تدره مرادك للنجاح بعد الأياس
 لمحمد بن حازم الباهلي :
 وأرحل إذا أجذبت بلاد منها إلى الخصب والريع
 لعل دهرها غداً بنحس بكر بالسعد في الرجوع
 لأبي تمام الطائي :
 وما من شدة إلا سيأتى لها من بعد شدتها رخاء
 وأنشدني الأمير أبو الفضل جعفر المكتفي بالله قال أنشدني بعض أصحابنا ملسوباً (٣)

(١) الزيادة عن حل العقال وحواشي معجم الأدباء .

(٢) نسب في حل العقال هذه الأبيات إلى قيس بن الخطيم والأول منها
 مع أبيات أخرى منسوبة إلى قيس أيضاً في الحماسة ونقل التبريزي عن
 أبي الرياش أنها للربيع بن أبي الحقيق اليهودي .

وكل شديدة نزلت يقوم سيأتى بعد شدتها رخاء
فان الضغط يحويه (١) وعاء ويتركه إذا فرغ الوعاء
وما ملأ الاناء وشد إلا ليخرج ما به امتلاء الإناء
أنشدت :

متى تصفو لك الدنيا بخير إذا لم ترض منها بالمزاج
ألم تر جوهر الدنيا المصفى ومخرجه من البحر الاجاج
ورب مخيفة لجأت بهول جرت بمسرة لك وابتهاج
ورب سلامة بعد امتناع ورب مشفق (٢) بعد اعوجاج
غيره :

لعمرك ما يدري الفتى كيف يتقى نوائب هذا الدهر أم كيف يحذر
يرى الشيء بما يتقى فيخافه وما لا يرى بما يتقى الله أكبر
وما عسر رمى الفتى بشماله بل الدهر إلا ما وقى الله أعسر
لمحمد بن عبد الملهي :

إني لروحال إذا الهـم برك ربح اللسان عند ضيق المعترك
عسرى على نفسى ويسرى مشترك لا تملك النفس على شيء هلك
فليس فى الهـم إذا فات درك ولم يدم شيء على دور الفلك
رب زمان ذله أرفق لك لا عار إن ضاقتك دهر أو ملك
آخر غيره :

لكل غم فرج عاجل يأتيك فى المصباح والممسا
لا تنهم ربك فيما قضى وهون الأمر وطب نفساً
لعبد الله بن المعتز (٣) :

سواء على الأيام حفظ وإعقال وتارك سعى واحتيال ومحال

(١) فى الأصل يحوى وفى حل العقال قد يحوى .

(٢) فى حل العقال تقوم .

(٣) البيتان غير مثبتين بديوانه .

ولا هم إلا سوف يفتح قومه ولا حال إلا بعدها للفتى حال
آخر غيره :

جزعت كذا ذو الهم يجرع قلبه ألا رب يأس جاء من بعده فرج
كانك بالمحبوب قد لاح نجمه وذو الهم من بين المضائق قد خرج
عن أبي بكر بن أبي الدنيا قال : أنشدني رجل من قریش :
ألم تر أن ربك ليس تحصي أياديه الحديثة والقديمة
تسل عن الهموم فليس شيء يقيم ولا همومك بالمقيمة
لعل الله ينظر بعد هذا إليك بنظرة منه رحيمه
آخر غيره (١) :

بينى وبين الدهر فيك عتاب سيطول إن لم يحمه الاعتبار (٢)
يا غائباً بمزاره وكتابه هل يرتجى من غيبتيك إياب
لولا التعلل بالرجاء تقطعت نفس عليك شعارها الأوصاب
لا يأس من روح الإله فرجاً يصل القطوع ويقدم الغياب
(وإذا دنوت مواصلاً فهو المني سعد المحب وساعد الأحباب
وإذا نأيت فليس لي متعلل إلا رسول بالرضا وكتاب) (٣)
آخر غيره :

فلا تيأس وإن أعسرت يوماً فقد أيسرت في الدهر الطويل
(ولا تيأس فإن اليأس كفر لعل الله يفي عن قليل
ولا تظن بربك ظن سوء فإن الله أولى بالجميل
فإن العسر يتبعه يسار وقول الله أصدق كل قبل
فلو أن العقول تسوق رزقا لكان المال عند ذوى العقول) (٤)
آخر غيره (٥) :

(١) هو أبو الحسن علي بن هارون المصمعي كما في الأرج والمصمعي (٢) في الأصل
نجمه (٣) الزيادة عن مصمعي الأدباء (٤) الزيادة عن حل العقاب (٥) هو جحظة
كما في الأرج .

فلا تيأس وإن صحت عزيزتهم على الدلج
فإن إلى غداة غمد سيبأني الله بالفرج
فتصبح عيسهم عرجا وقد كانت بلا عرج

آخر غيره:

ربما يطلع التفرج للسكر بة كالبدر من خلال السحاب
وتزول الهموم في قدر الزر يعرى عن عروة الجلباب

آخر غيره:

رemit بالهم لما رमित به ولم أقم عرضاً للخطب يرميني
ولست آيس من روح ومن فرج ومن لطائف صنع سوف تكفيني
وقل ما كان من دهرى إلى سوى ماسلم الله من أحداث ديني

آخر غيره:

وكم من ضيقة كدت بغم وكان عقيها فرج مفاجي
فأضيق ما يكون الامر أدنى وأقرب ما يكون إلى انفراج
للعكوك (على بن جبلة):

عسى فرج يكون عسى نعلل أنفسنا بعسى
فلا تقنط وإن لاقيت تهما يغيظ النفسا
فأقرب ما يكون المر م من فرج إذا أيسا

لبعضهم:

لعمرك ما المحبوب من يتقى ويخشى ولا المحبوب من حيث يطمع
وأكثر خوف النفس ليس بكائن فما (١) درك الهم الذي ليس ينفع
أنشدني أبو يوسف السهملي عن المنجوع الشاعر:

لا البؤس يبقى ولا النعيم ولا حلقة ضيق ستفرج الحلقة
صبرا على الدهر في تجوره كم فتح الصبر مرة علقه

غيره:

(١) كذا بالاصل.

جديد همك يبلية الجديدان فاستشعر الصبر إن الدهر يومان
يوم يسوء فيسليه ويذهبه يوم يسر وكل زائل فان
مفرد :

لا تعجلن هما بما لست تدري إن تراخي يكون أولا يكون
غيره :

عادنى الهم فاعتلج كل هم إلى فرج

آخر غيره :

الغم فضل والقضاء مغالب وصروف أيام الفقى تتقلب
لا تيأسن وإن تضايق مذهب فيما تحاول أو تعذر مطلب
وانظر إلى عقبى الامور فعندها لله عادة فرجة ترقب
لسعيد بن حميد :

يوم عليك مبارك ماشئت (١) من فرج وطيب
عاد الحبيب لوصله وحجبت عن عين الرقيب
(وكذا الزمان يدور بالـ أفراح من بعد الكروب) (٢)
فاشرب شراباً نقله تقييل سالفه الحبيب
ودموع الهموم فانها تنأى عن الصدر الرقيب
لا بد من فرج قريب يأتيك بالعجب العجيب

من إنشاد ابن هانئ المغنى على الطنبور :

عليل همومك بالمنى إلى فرج قريب
لا بد من صنع قريب يأتيك بالعجب العجيب
لا تيأسن وإن الحـ ح الدهر من فرج قريب
روح فؤادك بالرضا ترجع إلى روح وطيب

غيره :

ليس لى صبر ولا جلد قد برانى الهم والسهد

(١) فى حل العقال ما عشت فى (٢) الزيادة عن حل العقال

من ملبات تورقني مالهـا من كثرة عدد
والعلـ الله يكشفها فيزول الحزن والكـد
أنشدني محمد بن عبد الواحد بن الحسن بن طرخال لنفسه :

ها كها صرفا تـلـلا لم يدنسها المزاج
واترك الهم لشائـك فـللهم انفراج
يا أبا وهـب صديق كل ضيق إلى انفراج
اسقني صـبـاء صرفا لم تدنس بمزاج

آخر غيره :

رضيت بالله ان يعطى شكرت وإن
إن كان عندك رزق اليوم فاطرحن
يمنع قنعت وكان الصبر من عددي
عنك الهموم فعند الله رزق غد

آخر غيره :

سهل على نفسك الأمور وكن على مرها وقورا
فان أملت صروف دهر فلا تكن عندها ضجورا
فكم رأينا أخا هموم أعقب من بعدها سرورا
ورب عسر آتى يسر فـسار معـسـوـيه يسيرا

آخر غيره :

تعز ولا تأمى على وتبتئس فجدى محظوظ وأمرى مقبل
لعل الليالى أن تعود كعهدنا ويجمعنا حال يسر ويحذل
ويعقب هذا البؤس نعمى وهما سرور وبلوانا سراح معجل
أنشدني سعد بن محمد ، الأزدي ، البصري ، البغدادي ، لنفسه :
ان الزمان غروره له صروف تدور فاصبر فرب اغتنام يا تيك منه سرور

قال مؤلف الكتاب وفي محنة لحقتني فكشفها الله تعالى فقلت :

هون على قلبك الهموم فكم قاسيت هما أدنى إلى الفرج
ما الشر من حيث تنقيه ولا كل مخوف يفضى إلى الترح

ولآخر من قسيمة أولها :

هل مشتكى لغريب الدار، تنحن أورا حم لضعيف الأمر مرتين (١)
يقول فيها :

كأن جلدى سجن فوق أعظمه والروح محبوسة لهم فى بدنى
والحمد لله حمد الصابرين على ما سأتى فى قضاياه والجعنى
لعل دهرى بعد اليأس يسعفى بما أحب وما أرجو ويعرفنى
وأن أنال المنى يوماً وإن طويت من فوق جثمانى من كفى
ولآخر (٢) غيره :

وما زال هذا الدهر يأتى بأضرب تسر وتبكى كلها تنقل
فلا حزن يبقى على ذى كآبة ولا فرح يحظى من يؤمل
ولآخر غيره :

فى ذمة الله من سارت بسيرهم مسرقى وأقام الخوف والحرق
لئن أشطهم دهر قضى شططا وأزهق النفس هم حكمه الزهق
لقد أناب بعينى بعد غيبتهم نجب عوائقها وإمتدت العلق
ولآخر غيره :

يا قارع الباب رب مجتهد قد أدمن القرع ثم لم يلبج
ورب مستفتح (٣) يوماً على مهل لم يشق فى قرعة ولم يهج
علام يشقى الحريص فى طلب الرزق بطول الرواح والدلج
وهو إن كف عنه طالبه الرزق وإن عاج عنه لم يعج
فاطو على الهم كشح مصطبر فآخر الهم أول الفرج
غيره :

(١) فى الأصل أورا حم له لم يبق الأسر مرتين .

(٢) هو أبو الفرج الأصهبانى كما فى حل العقال .

(٣) فى الأصل مستورد وما أثبتناه رواية الأرج .

إصحب الدنيا مياومة وادفع الأيام تسدفع
وإذا ماضيقة عرضت فالقها بالصبر تتمتع
غيره (١)

درج الأيام تدرج وبيوت الهم لا تلج
رب أمر عز مطلبه قربته (٢) ساعة الفرج
غيره :

كما لم يكن عصر العصاره باقياً كذلك عصر البؤس ليس بثابت
وأشددني أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن الحجاج السكاتب
البغدادى لنفسه :

تسل عن الهموم مصطبها وكن لما كان غير منزعج
فكل ضيق يتلوه متسع وكل هم يفضى إلى فرج
والآخر :

إذا ضيقت أمرا ضاق جدا وإن هونت ما قد عز هانا
فلا تهلك لما قد فات غما فكم شيء تصعب ثم لانا
والآخر غيره :

لا يؤيسنك من مخبأة أمر تغلظه وإن جرحا
عسر النساء إلى مياسرة فالصعب يمكن بعد ما جمعا
والآخر غيره :

عرضن للذى يحب بحب ثم دعه يروضه إبليس
فلعل الزمان يدنيك منه إن هذا الهوى نعيم وبوس
والآخر غيره :

تحبب فإن الحب داعية الحب وكم من بعيد الدار مستوجب القرب
تبين فان حدثت أن أخا هوى نجاساً لما فارج النجاة من الكرب

(١) كان الإمام مالك رحمه الله يتعمل بهذين البيتين .

(٢) فى الأصل هوته وما أثبت رواية حل العقال .

(وأحسن أيام الهوى يومك الذى
إذالم يكن فى الحب سخط ولا رضى
للعباس بن الأحنف :

تعز وهون عليك الأمورا
لعل الذى بيديه الأمورا
(أكا تم ما بى فلا أستطيع
أما تحسينى أرى العاشقية
ولآخر غيره

قربت لى أملا فأصبح حسرة
فلا صبرن على شقائى فى الهوى
ولآخر (٣) غيره :

أيا سرورة البستان طال تشوقى
متى يلتقى من ليس يقضى خروجه
عسى الله أن نرتاح من كربة لنا
ولآخر غيره :

لعل التلاقى فى ليال
حبيباً نازحاً أمسيت منه
ولآخر غيره :

لئن درست أسباب ما كان بيننا
وما أنا من أن يجمع الله بيننا
ولآخر (٤) غيره :

(١) الزيادة عن زهر الآداب وهو وما بعد منسوبان فيه للعباس بن الأحنف
وإن كان وما قبلهما غير موجودة بالديوان . (٢) الزيادة عن الديوان .
(٣) هى علية بنت المهدي . (٤) هو قيس بن الملوح مجنون بنى عامر
وهذا البيت من قصيدة طويلة مثبتة فى تزيين الأسواق .

وقد يجمع الله الشيتين بعد ما يظنان كل الظن أن لا تلاقيا
غيره :

وما أنا منه بعد ذاك بآيس بأن يأذن الله لي في اجتماع
فاتعس حد النوى باللقا وأرغم بالقرب أنف الزماع
أنشدني سعد بن محمد (الأزدى) البصرى (البغدادى) الوحيد (١) الشاعر :
كانت على رغم العدى أيا منا مجموعة المشوات والاضطراب
ولقد عتبت على الزمان لبيّنهم ولعله سيمر بالاعتاب
ومن الليالى أن علمت أحبة وهى التى تأتيك بالأحباب
وله أيضا :

إن راعنى منك الصدود فلعل أياى تعود
إذ لاتنا ولنا يد النعم ماء إلا ما نريد
ولعل عهدك بالوى يحيا فقد تحيا العهود
والغصن يبيد مرة وتراه مخضرا يبيد
إني لأرجو عطفة يبكي لها الواشى الحسود
فرجا تقربه العيون فينجلى عنها السهود

عما أنشده على بن مقلة فى نكته عقيب الوزارة الأولى :

إذا اشتملت على اليأس القلوب وضاق لما به الصدر الرحيب
وأوطنت المكاره واطمأنت وأرست فى أماكها الخطوب
(ولم تر لا نكشاف الضر وجها ولا أغنى بحيلته الأريب) (٢)
أماك على قنوط منك غوث يمن به اللطيف المستجيب
فكل الحادثات إذا تناهت فوصول بها الفرج القريب
ولغيره . (وهو جعفر بن ورقاء الشيباني) :

(١) فى الأصل الوجيه وهو خطأ لأن المعروف بالوجيه هو المبارك بن
المبارك أحد أدباء القرن السادس كما فى المعجم وأيضا فقد صرح ياقوت فى
ترجمة سعد هذا بأنه المعروف بالوحيد .

(٢) الزيادة عن الأرج وهذه الآيات لسيدنا على رضى الله عنه .

الحمد لله على ما قضى في المال لما حفظ المهبجة
ولم تسكن من ضيقة هكذا إلا وكانت بعدها فرجه
للحسين بن عبد الرحمن :

لعمري بليغي الذين أراهما جزوعين إن الشيخ غير جزوع
إذا ما الليالي أقبلت بأساءة رجونا بأن تنأى بحسن صليح
عن ابن أبي الدنيا (لرجل من قریش)

حلبنا الدهر أشطره ومرت بنا حقب (١) الشدائد والرخاء
فلا (٢) تأسف على دنيا تولت ولا تفزع إلى غير الدعاء
هي الأيام تكلمنا وتأسسو وتأتى بالسعادة والشقاء
توكلت على رب السماء وسلمنا لأسباب القضاء
ولغيره :

عسى فرج من حيث تأتى مكارهى يحىء به من جاءنى بالمكاره
سيرتاح لى عما أعانى بفرجة فيلتاشنى منه بحسن اقتداره
عسى منقذ موسى بحسن جواره وقد طرحته أمه بالمكاره
لمحمود الوراق :

إذا من بالسراء عم سرورها وإن مس بالضراء أعقبها الأجر
وما منهما إله فيه منة تضيق بها الأوهام والبر والبحر (٣)
للعباس بن الأحنف (٤) :

قالوا لنا إن باللقاطول مشتانا ونحن نأمل صنع الله مولانا
والناس يأترون الرأى بينهم والله فى كل يوم محدث شانا
وقال مؤلف هذا الكتاب :

لئن عدانى الدهر عنك يا أملى وسل جسمى بالأسقام والعلل
وشت شمل تصافينا والفتنا والدهر ذو غير والدهر ذو دول

(١) فى الأصل عقب (٢) فى الفرج لابن أبي الدنيا فلم ولم
(٣) فى حل العقال والوصف والشكر (٤) البيتان غير مثبتين بديوانه

الحمد لله حمد الشاكرين على ما
قد اشتكت لصروف الدهر والتحقت
واعترضت منك بسقم شأنه خلل
وبعد أمني من عذر ومثنية
ومن لقائك لقي الطب أرحمهم
فلمست آيس من رجوع الوصال ولا
وله في محنة لحقته من قصيدة :

أما للدهر من حكم رضى
ويستعلى الرؤوس من الذنابى
ومن عاصاه دمع فى بلاء
وما أبكى لوفر لم يفده
ولا آسى على زمن تولى
ومن حدث تفوتنى المعالى
وإن يدى لتقصر عن هلاك ال
وما تلقى الحوادث إن ألت
وصبر ليس تنزحه الليالى
وليس بآيس من كان يخشى
وله عند صرفه من تقلده القضاء
وحضوره إلى بغداد :

لئن أشمت الاعداء صرفى ورحلتى
مقام وترحال وقبض وبسطة
وما زلت جلدا فى المهمات (٢) قبلها
فكم ليث غاب شرده تعالب (٢)

(١) بالاصل: حدث فى ولعل الصواب ما ابتناه (٢) فى حل العقال الملمات
(٣) فى الاصل يدلها وما أثبت رواية حل العقال

وكم جيفة تعلو وترسب درة ومنحسة تقوى إذا ضعف السعد
 ألم تر أن الغيث يجري على الربا فيحظى به إن جاد صبيه الوهد
 وكم فرج والخطب يعتاد (١) نبيله يحىء على يأس إذا ساعد الجدد
 لقد أقرض الدهر السرور فإن يكن أساء اقتضاء فالقروض لها رد
 فكم فرحة تأتي على إثر ترحة وكم راحة تطوى إذا اتصل الكد
 وكم منحة من محنة تستفيدها ومكروه أمر فيه للبرجى وفد
 على أننى أرجو لكشف الذى غدا مليكا له فى كل نائبة رقد
 فيمنع منا الخطب والخطب صاغر وتمسى عيون الدهر عناهى الرمد
 ونعتاض باللقيا من البين أعصرا مضاعفة تبقى ويستهلك البعد
 أنشدنى سعد بن محمد الشاعر الوحيد رحمه الله :

يأنفس كوني لروح الله ناظرة فإنه للأمانى طيب الأرج
 كم لحظة لك مخلوس تقلبها كانت تردد بين اليأس والفرج
 ولآخر غيره :

أتبأس أن يساعذك النجاح فأين الله والقدر المتاح
 هى الأيام والنعمى ستجزى يحىء بها غدو أو رواح
 ولآخر غيره (٢) :

إذا اشتد عسر فارح يسرا فإن قضاء الله أن العسر يتبعه يسر
 عسى ماترى ألا يدوم وأن ترى له فرجاً يوماً يحىء به العسر
 (إذا ما أملت شدة فاصطبر لها تغير سلاح المرء فى الشدة الصبر
 وإلى لأستحى من الله أن أرى إلى غيره أشكو وإن مسنى الضر) (٣)
 عسى فرج يأتى به الله إنه له كل يوم فى خليقته أمر
 فكن عندما يأتى به الدهر حازماً صبوراً فإن الخير مفتاحه الصبر

(١) فى حل العقال يعتاف .

(٢) هو - كما فى الأرج - أبو على محمد بن محمد بن الشاطر الأنبارى .

(٣) الزيادة عن الأرج وحل العقال .

فكم من هموم بعد طول تنكشفت وأخر معسور الأمور له يسر
ولغيره :

وأكثر ما تلقى الأمانى كواذبا فإن صدقت حادت بمساحبها العذرا (١)
وأخر إحسان الليالى إساءة على أنها قد تتبع العسر باليسر (٢)
ولغيره :

لا تجزعن فإن العسر يتبعه يسر ولا يؤس إلا بعده ريف
وللمقادير وقت لا تجاوزه وكل أمر على الاقدار موقوف
ورب من كان ممزولا فيه زل من ولى عليه والأحوال تصرف
ولغيره :

من ذا رأيت الزمان أيسره فلم يشب يسره يرما بتعسير
أم هل ترى عسرة تمت على أحد دامت فلم تنكشف إلا بتيسير
ولغيره :

الدهر (٣) لا يبقى على حالة والعسر قد يتبعه يسر
ولغيره :

صبرا قليلا فإن الدهر ذو غير مادام عسر على حال ولا يسر
قد يرحم المرء من رضى (٤) بمحنته وليس يعلم ما ينحى له القدر
والدهر حلو ومر فى تصرفه خير وشر وفيه العسر واليسر
ولغيره :

كل الأمور إلى من قد يتم الأمور
وافزع إليه إذا لم يحرك عجزا بحير
فكل صعب عسير عليه سهل يسير

(١) كذا بالأصل فليحرر .

(٢) فى الأصل باليسر .

(٣) فى الأصل المرء .

(٤) فى الأصل يغلف .

ولغيره :

أيها الإنسان صبرا إن بعد العسر يسرا
أشرب الصبر وإن كان من الصبر أمرا

ولغيره :

كن عن همومك معرضا وكل الأمور إلى القضا
وابشر بطول سلامة تسليك عما (١) قد مضى
(فلربما اتسع المضي ق وربما ضاق الفضا
ولرب أمر مسخط لك في عواقبه رضا
الله يفعل ما يشاء . فلا تكن متفرضا) (٢)

ولغيره :

صبرا وامهالا فكل ملة سيكشفها الصبر الجميل فأمله

ولغيره :

فقد يأمل الإنسان ما لا يناله ويأتيه رزق الله من حيث يبأس

ولغيره :

إذا استصعبت من دنياك حالا ففكر في صروف كنت فيها
وأحدث شكر من نجاح منها وابدلها بنعمى ترتضيها
ولآخر غيره :

الدهر اعراض واقبال وكل حال بعددها حال
ما أحسن الصبر ولا سيما بالحر إن حالت به الحال
فصاحب الأيام في غفلة وليس للأيام إغفال

أنشدني نصير بن محمد الأزدي مولى الأزدي :

لنى رأيت - وفي الأيام تجربة - للصبر عاقبة محمودة الاثر
فاصبر على مضض الادلاج في السحر وفي الرواح إلى الحاجات والبكر

(١) رواية الأرج بخير عاجل تلسى به ما .

(٢) الزيادة عن الأرج وحل العقال .

لا يعجزنك ولا يضجرك مطلبها فالتج يتلف بين العجز والصبر
وقل من جد في أمر يحاوله واستصحب الصبر إلا فاز بالظفر
لغيره:

قد فرج الله من الهجر ونلت ما أمل بالصبر
في ساعة اليأس أتاني المنى كذاك تأتي دول الدهر
لغيره:

فصبراً أبا جعفر إليه مع البر نصر من الصانع
فلا تيأسن أن تنال الذي يؤمك من فضله الواسع
ولغيره:

إذا ضاق زمن بامرء كان فيه بعض ضيق متسع
ولغيره:

قد ينعم الله بالبلوى وإن عظمت ويبتلى الله بعض القوم بالنعيم
محمود الوراق:

صابر الصبر على كر النوائب من كنوز الصبر كتمان المصائب
والبس الدهر على علاته تجدد الدهر مليئاً بالعجائب
أنشدني الوحيد لنفسه:

عليك رجاء الله ذي الطول واللفظ بجملة ما تبدى (١) من الأمر أو تخفى (١)
فقد خلق الأيام دائرة بنا تقلبنا من كل (٢) صرف إلى صرف
وكم فرج الله يأتى مرففاً على خافق (٣) الأحشاء في تلف مشف (٣)
فلا تمكن من قلبك اليأس والأسى لعل الذي ترجوه في مرجع الطرف
وصبرا جميلا إن للدهر عادة مجربة لإتباعه العسف بالعطف
لابن بسام:

(١) في الأصل يبدى . يخفى وما ثبت رواية حل العقال

(٢) في حل العقال . ككر .

(٣) في الأصل تلف . شف وما ثبت رواية حل العقال .

ألا رب ذل ساق للنفس عزة ويارب نفس بالتعزز ذلت (١)
 ينزل تبارك (٢) رزاق البرية كلها على ما رآه لاعلى ما استحققت
 وكم ماجد (٣) في القيد والباب دونه ترقى به أحواله وتعلت
 تشوب القذا بالصفو والصفو بالقذى فلو أحسنت في كل حال مللت
 سأصدق نفسي إن في الصدق راحة وأرضى بدنياي وإن هي قلت .
 وإن طرقتني الحادثات بنسكة تذكرت ما عوفيت منه فقلت
 (وما محنة إلا والله نعمة إذا قابلتها أدبرت واضمحلت (٤))
 ولاخر غيره :

كأنك بالأيام قد زال بؤسها وأعطتكم منها كل ما كنت تطلب
 فترجع عنها راضياً غير ساخط وتحمدوها من بعد ما كنت تعتب
 حدثني الحسن بن صافي قال : رأيت على حائط مسجد مكتوباً بالفحم :
 ليس من شدة تصيبك إلا سوف تمضي ويكشف الضر كشفاً
 لا يضيق ذرعك الرحيبان النار يعملو طيبها ثم تطفأ
 قد رأينا من كان أشقى على الهلا في فجاءت نجاته حين أشقى
 ولاخر غيره :

الدهر خدن مصاف ذو مخادعة لا يستقيم على حال لإنسان
 حلو ومر وذو من وذو قرف يخالط السوء منه فرط إحسان
 ولغيره (٥) :

لئن قدمت قبل رجال لطالما مشيت على رجلي فكنت المقدما

(١) في الأصل بالتذلل عزت . وفي حل العقال . للتعزز ذلت .

(٢) في الأصل تنزل أرزاق وما ثبت عن جل العقال .

(٣) في حل العقال فيكم حائل .

(٤) الزيادة عن حل العقال .

(٥) هو القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني والبيتان من قصيدته

المشهورة في فضل العلم .

ولكن هذا الدهر يعقب صرفه فيبرم منقوضاً وينقض مبرما
وأنشدني أبو الفرج البيهقي لنفسه :

كم كربة ضاق وسعى عن تحملها فلت عن جلدى فيها إلى جزعى
ثم استكنت فأدنتنى إلى فرج لم يجر بالظن فى يأسى ولا طمعى
• أنشدنى سيدوك الواسطى من قصيدة :

أبى الله إلا أن يعيظ (١) عباده فجلسنه تحت الشراع المطنب
إلى أن يموت المرء يرجى ويتقى ولا يعلم الإنسان مائى المغيب
ولآخر غيره :

ما أحسن الصبر فى موطنه والصبر فى كل موطن حسن
حسبك من حسنه عواقبه عاقبة الصبر مالها ثمن
وقال غيره :

إن ضقت من خطب ألم فعنده فرج يرجى عنده ويخاف
فاصبر على قبح النوائب مثل ما صبرت لها آباؤك الأشراف
أنشدت لعمر بن معد يكرب الزبيدى :

وكانت على الأيام نفسى عزيزة فلما رأت صبرى على الذل ذلت
وكم غمرة دافعتها بعد غمرة تجرعتها بالصبر حتى تولت (٢)
لأبى العتاهية :

الدهر لا ييسق على حالة لا بد ما يقبل أو يدبر
فان تلقاك بمكروهه فاصبر فان الدهر لا يصبر
لعلى بن الجهم :

هى النفس ما إن حملتها تتحمل وللهدر أيام تبحور وتعدل
وعاقبة الصبر الجميل جميلة وأجل أخلاق الرجال التحمل
ولآخر غيره :

لا تعبتن على النوائب فالدهر يرغم كل عاتب

(١) كذا بالأصل (٢) هذه رواية حل العقال وفى الأصل عنها فولت

واصبر على حدثانه إن الأمور لها عواقب
فلسكل صافية قذى ولكل خالصة شوائب
(والدهر أولى ما صبر ت له على رنق المشارب
كم نعمة مطوية لك تحت أنياب النوائب
ومسرة قد أقبلت من حيث تنتظر المصائب) (١)
ولآخر غيره :

فاصبر على حلو القضاء ومره فان اعتياد الصبر أدى إلى البر
خير الأمور خيارهن عواقباً وكم قد أتاك النفع من جانب الضر
وقال غيره :

ولمى لأرجو الله يكشف كربى ويسمع للمظلوم دعوة مضطر
لقد عجمتني العاجيات مثقفاً إذا ضاق أمر قد تنهى إلى الصبر
وما حزنى أن كر دهر بصرفه على ولكن أن يفوت به وترى
فان فاتنى وترى فأيسر فائت إذا أنا عوضت اشراب من الوفى
ولطف ككفايات الإله مبشر بليل الذى أملت لا بيد صفر
فإن يهل الأمر امرأ فهو آمل بلوغ الغنى فيما يهول من الأمر
ورب مضيق بالقضاء ووارط رأى مخرجا بين المثقة السمر
آخر غيره :

ليس لما ليست له حيلة موجودة خير من الصبر
والصبر مر ليس يقوى به غير رحيب الباع والصدر
ولآخر غيره :

وما التحف المرء بالصبر إلا وكفت عنه أيدي النائبات
وذو الصبر الجميل يفيد عزا ويسكرم فى الحياة وفى المهمات
ولآخر غيره :

الصبر مفتاح ما يرجى وكل خير به يكون (٢)

(١) الزيادة عن حل العقال (٢) رواية حل العقال وكل صعب به يهون

فاصبر وإن طالت الليالي فربما طارح الحروف (١)
 وربما نيل باضطبا ر ما قيل هيهات لا يكون
 لأبي الحسن الأطروش المصرى من أبيات :
 مازلت أدفع شدتي بتمصيري حتى استرحت من الأيادي والمئن
 فاصبر على نوب الزمان تكرماً فكأنما ما كان منه لم يكن
 وبما وجد على حجر قبر مكتوب :

اصبر لدمر نال منه يك فكذا مضت الدهور
 فرح وحزن تارة لا الحزن دام ولا السرور
 ولآخر غيره (٢) :

اصبر على الدهر إن أصبحت منه مسا بالضيق في لجج تهوى إلى لجج
 فإن تضايق باب (٣) عنك مرتج فاطلب لنفسك باباً غير مرتج
 لا تأسن إذا ماضقت من فرج يأتى به الله في الروحات والدج
 فما تجرع كأس الصبر معتصم بالله إلا أناه الله بالفرج
 ولآخر غيره :

والزمت نفسي الصبر في كل محنة فعادت بإحسان وخير عواقبه
 ومن لم ينط بالصبر والرفق قلبه يكن عرضاً أودت بليل جوانبه
 ولغيره (٤) :

وإني لأغضى مقلتي على القذى والبس ثوب الصبر أبيض أبلجا
 وإني لأدعو الله والأمر ضيق على فما ينمك أن يتفرجا
 وكمن (٥) قتي سدت عليه وجوهه أصاب لها في دعوة الله عرجا
 (أبو جعفر) محمد بن بشير (الحميري) :

-
- (١) رواية الأرج . ساعد (٢) هو كما في حل العقال - عبيد الله الحارثي
 (٣) كذا في الأرج وفي الأصل وحل العقال أمر
 (٤) هو كما في الأرج وحل العقال أبو إسحق الثعلبي المفسر
 (٥) في الأرج ورب

إن الأمور إذا اشتدت مسالكها فالصبر يفتح منها كل ما ارتجى
لا تأسن - وإن طالت مطالبة إذا استعنت بصبر أن ترى فرجا
(أخلق بذى الصبر أن يحظى بحاجته ومد من القرع للأبواب أن يلجأ) (١)
لمدرك بن محمد الشيباني:

مستعمل الصبر فقرون به الفرج يبلى ويصبر والأشياء ترجى
حتى إذا بلغت مكنون غايتها جاءتك تزهو في ظلماتها السرج
فاصبر ودم واقرع الباب الذي طلعت منه المطالع فالغرى به يلج
بقدره الله فارح الله وأرض به فمن إرادته الغمام تنفرج
ولآخر غيره :

ثبوت الخطب أوله غليل وآخره شفاء من عليل
فكم من علة كانت إلى ما يجيش عتابه أهدى سبيل
ورب منيحة بفناء قوم من الأحداث فهي إلى رحيل
كلا نجمي صروف الدهر خيرا وشرا لا بس ثوب الأفول
ولغيره (٢) :

قل من سره رضا الدهر إلا ساء سخطه بما لا يطاق
وكذا عادة الزمان شتات والتشأم وألفة واقتراق
لأبي أحمد يحيى بن علي المنجم إلى أبي علي محمد بن عبيد الله بن خاقان لما
ولى الوزارة من أبيات :

لقد كذبت فيك العدو ظنونه وقد صدقت فيك الصديق المواعد
وقد تحسن الأيام بعد إساءة وإن كان في الأمرين منها تباعد
ولغيره :

بيد الذي شغف القواد بكم تفريج ما ألقى من الهم
كرب بقلبي ليس يكشفه إلا ملك عادل الحكم

(١) الزيادة عن الأرج وحل العقال

(٢) هو - كما في حل العقال - عبيد الله الحارثي .

ولغيره :

أألفه الحبيب كم افتراق أظل وكان داعيه اجتماعي
وليس فرجة إلا وتأتى لموقوف على نزح الوداع
ولغيره :

ولله لطف يرنجى ولعله سيعقبنا من كسر أيدي الفدا جبرا
ورب أمر (١) مرتج بابيه عليه إن يفتح أقنال (٢)
ضائق بذى الحيلة في فتحه حياته والمرء محتمل
ثم تلقته مفاتيحه من حيث لا يخطر به البال
لعبد الله بن طاهر من أبيات جواباً :

دعوت مجيباً يا أبا الفضل سامعاً ويارب مدعو وليس بسامع
فأوقعت شكواي الزمان وصرفه إليه بحق في أحق المواقع
فصبرا قليلا كل هذا سينجلي ويدفع عنه السوء أقدر دافع
فما ضاق أمر قط إلا وجدته يؤول إلى أمر من الخير واسع
لمحمد بن حازم الباهلي :

إذا نابى خطب فزعت لكشفه إلى خالقي من دون كل حميم
وإن من استغنى وإن كان معسر على ثقة بالله — غير ملوم
ألا رب عسر قد أتى اليسر بعده وغمرة كرب فرجت لكظيم
وله أيضاً رحمه الله :

ألا رب أمر قد أضاق وحاجة لها بين أحشاء الضلوع عويل
فلم تلبث الأيام أن عاد عسرهما ييسر ونجح والأمر تحول
ولغيره (٣) :

كن لما لا ترجو من الأمر أرجى منك يوماً لما له أنت راجى

(١) كذا في حل العقال وفي الأصل امرى .

(٢) في حل العقال عليه إغلاق واقنال .

(٣) هو - كما في الأرج - وهب بن ناجية المرى .

إن موسى مضى ليقبس ناراً من شعاع يلوح (١) والليل داجى
فأنثنى راجعاً وقد كلم الله وناجاه وهو خير مناجى
وكذا الأمر حين (٢) يشتد بالمرء ، يودى إلى مرعة الانفراج

ولغيره :

إصبر على مضض الزمان وإن رمى بك فى اللجج
فلعل طرفك لا يعو د إليك إلا بالفرج

ولغيره :

فيا صاحبي رحلى على أن أراك كما
ولا تيأسن من فرحة بعد ترحه
سـيرحنا مولى شـعيب وصالح
كـما كنتما إن الزمان ينوب
فللهـر لغز حادث وخطوب
وأرحامنا تدلى بنا فتجيب

ولغيره :

خاف من فقر تعجله والغنى أولى المنتظره
ليس منكورا ولا عجبا أن يعود المساء فى نهـره

ولغيره :

ألا أيها الشاكي الذى قال مفصحا
رويدك لا تيأس من الله واصطبر
لقد كاد فرط اليأس أن يتلف المبهج
عسى أن يوافينا على غفلة فرج

ولغيره :

من ضاحك القدر اقتدر أولى بفوز من صبر

ولغيره :

إن سأل الزمان مر الصبر عنوان العظفر

ولغيره :

(١) رواية الأرج من ضياء رآه .

(٢) رواية الأرج ربما ضاق بالمرء ، فيتلوه سرعة .

إني وإن عصفت بالعيش نائمة سببط التبختر بين اليأس والطمع
لا أستندم إلى صبر بهجرته ولا أسوء زمان السوء بالجزع
كم نكبة في حشاها نعمة ويد لله نأملها من هول مطلع
وكم فزعت من الأيام ثم أتت تمتد أيديها نحوى من الفزع
إذا بدت نكبة فالخط آخرها فانظر إلى فرج للكرب تمتع
ولغيره :

يا هاربا من زمن جائر يهني الملمات على الحر
اصبر فما استمتعت في مطلب بشافع خير من الصبر
وابشر فإن اليسر يأتي الفتي أقنط ما كان من اليسر
أنشدني سعد بن محمد الأزدي لنفسه :

لا يوحشك من جميل تصبر خطب فإن الصبر فيه أحزم
العسر أكرمه ليسر بعده ولأجل عين ألف عين تكرم
لم يشك مني عسرة يوما ولا جورا ولا قلنا على ما يحكم
والمرء يكره بؤسه ولعله يأتيه فيه سعادة لا تعلم
ولغيره (١) :

كانت إليك من الحوادث ذلة (٢) فاصبر لها فعلمها تستغفر
إنا لننتهض (٣) الخطوب بصبرنا فالخطب تمهن لمن لا يصبر
ولرب ليل بت فيه بكربة وغدا بفرجتها الصباح المسمر
ولغيره :

أدبتني طوارق الحداث فتجاويت عن ذنوب زمانى
كنت أشكو من الزمان خطوبا أظهرت لي جواهر الاخوان
فتبينت منهم الخير والشر وأهل الوفاء والخلان
وتوكلت في أمورى على الله اللطيف المهيمن المنان

(١) هو - كما في حل العقال - سعد بن محمد الأزدي .

(٢) في حل العقال زلة . (٣) في حل العقال لمتن .

وتيقنت أنه سوف يكفني في صروف الدهور والأزمان
ثم يمحو بالسر يسرا وباله حمة ضرا كما أتى في القرآن
إن تصبرت وانتظرت غياث الله وافي كالبح في الأحيان
هو عوني في كل خطب لم عدمت فيه نصرة السلطان
ولغيره :

إن يكن خاني اجتهدى (١) فما ذا ك على مطلب الكريم بعد
يحرم الليث صيده وهو منه بين حشد الأنياب والأظفار
ويزل السهم السديد عن القص د وما تلك زلة الأسوار
ليس كل الأقطار يروى من الغي ث وإن عمها بصوت القطار (٢)
إن يخني رشاء دلوى فقد أحكت اكرابه بعقد مغار (٣)
أو يعد فارغاً إلى فسا ألقيت إلا إلى المياه الفزار (٤)
إن أساء الزمان بي فلقد أحسنت صبرا وما أساء اختياري
وعسى فرجة تفتح نحوى ناظر اليسر (٥) بعد طول انتظار
مالقيت الاعسار بالصبر بشرتني وجوهه باليسار
ولغيره :

صبرا فقد تتحقق الآمال وتحول عما تكره الأحوال
إن كان قد ظفر الصدود بوصلنا فلسوف يظفر بالصدود وصال
ولغيره :

فالامر في معنهما واحد لذاك شكر ولذلك صبر
حتى أرى الأقدار قد فرجت وكل عسر فله يسر

(١) كذا في حل العقال وفي الأصل إن أكن خبت إذا سألت .

(٢) في حل العقال بثوب .

(٣) كذا في حل العقال وفي الأصل اكرامه .

(٤) كذا في حل العقال وفي الأصل القرار .

(٥) كذا في حل العقال وفي الأصل ناصر النصر .

لغيره :

إن يأذن الله فيما بت آمله أنى التبحر حثيثاً غير بمطول
مالي سوى الله مأمول لثأبته والله أكرم مسئول ومأمول

لغيره :

حزنت وذو الأحزان يجرح صدره ألا رب حزن جاء من بعده فرج
كأنك بالمحبوب قد لاح نجمه وباليسر من بين المضايق قد خرج
لابن الرومي رحمه الله :

لعل الليالي بعد سخط من النوى ستجمعنا في ظل تلك المآلف
ألا إن للأيام بعد انصرافها عواطف من إحسانها المتضاعف
وله أيضاً :

ورب جلباب هم له من الصنع جيب
وكل خير وشر دون العواقب غيب

ولغيره :

أقول قول حكيم فأعرف بفهمك شرحه
كم فرجة إثر ضيق وفرحة بعد ترحه
فالعسر يعقب يسراً والهم يعقب فرحه
والعيش فاعلم ثلاث غنى وأمن وصحه

لمؤلف الكتاب :

قل لمن أودى به الترح كل هم بعده فرح
لاتضق ذرعاً بنازلة وارمها بالصبر تنفسح
غالط الأحداث مجتهداً كل ماقد حل منتزع
وأزح بالراح طارفاً فجلاء الكربة القدح
ألقي بالمزج المريح أذى حدها إن شئت تسترح

ولغيره :

وكان يرى من ذي هموم تفرجت وذى غربة عن داره وهو مسعود

ولغيره :

لا يرعك الشر إن ظهرت بتهاول (١) مخبائله
رب أمر سر آخره بعد ما ساءت أوائله

ولغيره (٢) :

فلا تجزع وإن أعسرت يوما فقد أيسرت في زمن طويل
ولا تيأس فإن اليأس كفر لعل الله يغني عن قليل
ولا تظنن بك ظن سوء فإن الله أولى بالجميل

ولغيره :

هل الهم إلا فرجة تنفرج لها معقب يجرى إليه ويزعج
أبى لي إغضاء الجفون على القذا يقين بأن لا عسر إلا مفرج
أخطط في ظهر الحصير كأنني أسير يخاف القتل والهم يفرج
ويا ربما ضاق الفضاء بأهله وأمكن من بين الأسنان مخرج

ولغيره :

أجارتنا أن التعفف بالباس فقير على استدرار دنيا بأساس
جدير بأن لا يؤذيا بمذلة كريماً فان لا يحوجاه إلى الناس
ولى مقلة تنفى القذا عن جفونها وتأخذ من إيماش دهر وإيناس
أجارتنا إن القداح كواذب وأكثر أسباب النجاح مع الياس

ولغيره :

ولا تحسبون الخير لا شر بعده ولا تحسبون الشر ضربة لازب

ولغيره :

ألا لا تموتن إغتما وحسرة وهما إذا ما سارح الهم أجذبا
وصبرا إذا ما الجذب ليس بدائم كالم يدم عشب لمن كان أعشبا

ولغيره :

إستقدر الله خيرا وأرضين به فبينما العسر إذ دارت مياسير

(١) في الأرج بتهاول (٢) تقدمت هذه الأبيات

ولغيره :

أما علمت بأن العسر يتبعه يسر كما الصبر مقرون به الفرج

ولغيره :

إذا ما البين أحوجني فليس على النوى حرج
دعى لومى على صلتى سيقطع بيننا حجج
سأركب هول مظلمة أفرجها فتتفرج

ولغيره :

عددا للبين موعداً فإن إلى غد فرج
ذنى الهجر (١) والدج فقصدى للمنى يلج
ولى هم يؤرقنى على بحر له لجج
أطاف بمالك وضع عليه من البلى بهج
أقول لنفس مكتتب عليه من الردى ثج
رضا مادمت سائلة فإن العيش مندعج
ولا تستخفين بها فوجه الحق منبلج
وزور الحق نمتن إذا دارت به اللجج
وقائلة تعاتبنى وجنح الفجر منبلج
فقلت رويد معتبى لكل ملّة فرج
ذرىنى خلف قاصية تضايق بى وتنفرج
أمرك أن أكون رفعت حيث الأمر والمهج
وأنى بت يصهرنى بحر جهنم وهج
فأدرك ما قصدت له ويبقى العار والخرج
إذا أكدت حائلة فلى فى الأرض منخرج

(١) فى الأصل التهجر وهو يخل بالوزن ، وفى هذه القصيدة تحريف كثير أصلحناه حسب الإمكان .

ولغيره (١)

عسى مشرب يصفو فيرى ظمأه أطل حسداها الممل المتحدر
عسى بالجنوب الغاديات سلتقى وبالمستلذ المستطاب سنظفر
عسى جابر العظم الكسير بلطفه سيرتاح للعظم الكسير فيجبر
عسى صور أمسى لها الجور دافنا سيبعثها عدل يحى فتظهر
عسى الله لا تياس من الله إنه يهون عليه مايعز ويكبر (٢)

ولغيره :

نحاول إذلال العزيز لأنه رمانا بظلم واستمرت مراره
ولغيره :

كفأك بهذا أيها المتجبر وإن قال فيك القائلون وأكثروا
ولغيره :

ما اشتد باب ولا ضاقت مذاهبه إلا أتاني وشيكا بعده الفرج
ولغيره :

لاني رأيت مغبة الصبر تفضى بصاحبها إلى الدير
لا بد من عسر ومن يسر بهما تدور دوائر الدهر
فكما يلذ اليسر صاحبه فكذلك فليصبر على العسر

ولغيره (٣) :

غنى النفس يكفى النفس حتى يكفها وإن أعسرت حتى يضربها الفقر
فما عسرة - فاصبر لها إن لقيتها بدائمة حتى يحى لها يسر
ولغيره :

(١) هو كما في الأرج - على بن محمد بن عبد الله الحسنى .

(٢) في الأرج ويعسر .

(٣) هو كما في الأرج وحل العقال - عثمان بن عفان رضى الله عنه وفيهما اختلاف كلمات البيتين .

ولغيره (١) :

لعمرك ما كل التعطل ضائر
إذا كانت الأرزاق في القرب والنوى
فان ضقت فاصبر يفرج الله ما ترى
ولا كل شغل فيه للمرء منفعة
عليك سواء فاعتنم لذة الدعة
ألا رب ضيق في عواقبه سعة

ولغيره (٢) :

يقولون صبراً والتصبر شيمتى
هل الدهر إلا نكبة وسلامة
ألم يعلموا أن الكريم صبور
ولإلا فبؤس مرة وحبور

ولغيره :

وكل كرب وإن طالت بليته
يوماً يفرج غمناه فينكشف

ولغيره :

مفتاح باب الفرج الصبر
والدهر لا يبقى على حالة
والكره (٣) تفنيه الليالى التى
وكيف يبقى حال من حاله
وكل عسر بعده يسر
فكل أمر بعده أمر
يفنى عليها الخير والشر
يسرع فيه النفع والضر

ولغيره :

عسى الكرب الذى أمسيت فيه
فيأمن خائف ويفك عان
يسكون وراءه فرج قريب
ويأتى أهله النأى الغريب

ولغيره :

فيا ليت الرياح مسخرات
فتخبرنا الشمال إذا أتينا
لحاجتنا تصبح أو تنوب
ويخبر أهلها عنا الجنوب

ولغيره :

الحمد لله حمداً لا شريك له
إن الزمان لذو جمع وتفريق

(١) هو كما فى الأرج - محمد بن عبد الله بن عبد الحكم

(٢) هو كما فى حل العقال - محمد بن يعقوب

(٣) فى الأرج . والكرب

قد ينقل المرء من ضيق إلى سعة ويسلس الأمر يوماً بعد تعويق
والدهر يأتي على كل بأجمعه وليس من سعة تبقى ولا ضيق
ولغيره :

ألا فاصبرن مادام في النفس مسكة عسى فرج يأتي به الله في غد
وإن امرأ رب السماء وكيله حرى بحسن الظن غير مبعد
ولغيره :

خلقان لا أرضى فعالهما تيه الغنى ومذلة الفقر
فإذا غنيت فلا تكن بطراً وإذا افتقرت فته على الدهر
واصبر فلست بواجد خلقاً أدنى إلى فرج من الصبر

غيره :

السل من واحد والشكل مختلف والدهر فيه بنو الدنيا على درج
إذا تضايق أمر فانتظر فرجا فاضيق الأمر أدناه إلى الفرج

تم الكتاب والحمد لله

فهرس المواضيع

ص	الموضوع
٣	ترجمة المؤلف
٥	تقدمة المؤلف ، سبب تأليفه لهذا الكتاب ، تنويعه للأخبار وجعلها أبواباً .
٩ - ١١	الباب الأول : فيما أنبأ الله تعالى به في القرآن الكريم من ذكر الفرج بعد البؤس ، سرد المؤلف لآيات كثيرة دالة على الفرج بعد الشدة ، قصة آدم عليه السلام قصة نوح عليه السلام ، قصة إبراهيم عليه السلام قصة إبراهيم عليه السلام وهجرته بولده إسماعيل الذبيح .
١٣ - ١٩	: قصة لوط عليه السلام ، قصة يعقوب ويوسف عليهما السلام ، قصة أيوب عليه السلام ، قصة يونس عليه السلام ، قصة ذو النون عليه السلام قصة موسى عليه السلام ، قصة شعيب مع موسى عليهما السلام .
١٩ - ٢١	: رواية أصحاب الحديث للمحن التي أصابت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، رواية لأبي ذر رضى الله عنه عن فضل قراءة « ومن يتق الله يجعل له الآية » ، كتاب عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى أبي عبيدة رضى الله عنه ، إخبار النبي صلى الله عليه وسلم عن دعاء يونس عليه السلام .
٢٢ - ٢٤	: فضل قراءة الشمس وضحاها ، والليل إذا يغشى وفائدتهما لمن خاف أمراً ، رواية الحسن بن الليث

ص

الموضوع

في هذا المعنى ، ما وجدته المؤلف في كتاب « الآداب والأخلاق النفيسة » : لمحمد بن جرير الطبري لمن دهمه أمر ماذا يقرأ من القرآن ، رواية أحمد بن أبي داود عن الهاتف الذي سمعه ركاب أحد السفن البحرية ، قصة المعلّى بن أيوب كما ذكرت « في كتاب الوزراء » .

٢٥ - ٢٦ : فضل قراءة سورة الفيل في ركعتي الفجر ، وسورة

الم نشرح لمن أصابه الكرب والهم .

٢٧ - ٢٩ الباب الثاني : فيما جاء من الآثار من ذكر الفرج بعد اللأواء ،

حديث سلوا الله من فضله ، حديث انتظار الفرج

حديث أفضل أعمال أمتي ، حديث إن النصر مع

الصبر والفرج ، حديث ألا أعلمك كلمات ، حديث

إن المعونة من الله عز وجل ، حديث من ستر

أخاه المسلم ، حديث من أجرى الله على يده ،

حديث من أكثر من الاستغفار ، حديث لا حول

ولا قوة ، قول جعفر بن محمد رضي الله عنه

لسفيان بن سعيد الثوري ، حديث الثلاثة من بنى

إسرائيل الذين انطبقت على باب مغارهم الصخرة

حديث ألا أخبركم بشيء ودعاء ذي النون .

٣٠ - ٣٢ : دعاء ربنا الذي في السماء ، حديث كلمات الفرج ،

حديث دعاء المكروب . أمر رسول الله صلى الله

عليه وسلم لأسماء بنت عميس أن تقول عند

الكرب : الله ربّي الخ . قول علي رضي الله عنه :

علمني رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نزل بي

كرب أن أقول : لا إله إلا الله الخ ، حديث أسماء

الموضوع

ص

بلت عيسى ، حديث دعاء اللهم إني عبدك الخ ، حديث
حسبي الرب من العباد ، حديث توكلت على الحي الذي
لا يموت حديث يا حي يا قيوم ، دعاء موسى عليه السلام
حين ذهابه إلى فرعون ، دعاء الفرج عن علي بن أبي طالب
رضي الله عنه . الدعاء المتوارث عن أهل البيت

: اشتكاه الإعرابي لعلي رضي الله عنه ضيق ذات يده ،
وتعليم علي رضي الله عنه له دعاء الاستغفار . قول عمر
ابن الخطاب رضي الله عنه : ما أبالي ، رواية الأعمش
عن إبراهيم ، قول محمد بن علي رضي الله عنه لمحمد بن
المشكدر : مالي أراك مغموماً ؟ . دعاء داود عليه السلام ،
رواية طاوس لدعاء علي بن الحسين رضي الله عنه .

٣٣ - ٣٤

: قول مالك بن دينار في مرضه الأخير ، كتاب سعيد بن
حميد إلى عبد الله بن طاهر ، كتاب عبد الواحد بن نصر
المخزومي ، ومحنة مؤلف هذا الكتاب ، رواية علي بن أبي
طالب رضي الله عنه عن أفضل ما يعمل الممتحن ، قول
بعض الصالحين ، شكاية عبد الله بن طاهر إلى سليمان بن
يحيى من بلاء خافه كاتبه وتوقعه ، استغفار عمر رضي الله
عنه أثناء القحط الذي أصاب المدينة وقوله في ذلك ،
قول أنو شروان ، قول الأصمعي في تفسير قول العرب
الشر خياراً ، قول علي بن أبي طالب عليه السلام : يابن
آدم الخ .

٣٥ - ٣٧

: قول وداعة السهمي في الصبر ، قول شريح في المصيبة ،
قول بزرجمهر الحكيم لما حبسه أنو شروان ، قول علي
ابن نصر بن علي في إتيان الفرج ، قول إسحاق العابد في
في امتحان الله سبحانه وتعالى لعبده ، قول عبد الله بن

٣٨ - ٣٩

ص

الموضوع

المعترز ، رواية بعض النصارى ان أحداً أنبياء الله قال : المحن تأديب من الله الخ .

٤٠ - فصل لبعض الكتاب : قول علي بن نصر بن بشر : ان الرجاء مادة الصبر

وعلة الرجاء حسن الظن بالله ، قول ابن مسعود رضى

الله عنه : الفرج في اليقين ، قول بعض الأعراب : من

أفضل آداب الرجال أنه إذا نزلت بأحدهم جائحة استعمل

الصبر عليها ، رواية الأصمعي عن أعرابي قوله : خف

الشر من موضع الخير ، قول قطري بن الفجاءة الخارجي .

: قول الحمسين بن الحمام المري ، وصف الحسن بن سهل

٤١ - ٤٥

للمجن ، كتاب محمد بن الحنفية إلى عبد الله بن عباس ،

كتاب بعض الكتاب إلى صديق له في محنة لحقته ،

قول الحسن البصري : الخير الذي لا شر فيه ، رواية

القاضي أبو الخير في كتابه الحديث : إني لأن أكون في

شدة الخ ، حديث لو كان العسر . حكاية للؤلف عن

هذا الحديث وعمله أحياناً بمعناه ، قول علي رضى الله عنه

عند تناهى الشدة . قول علي رضى الله عنه لرجل اشتكى

إليه المحن ، حديث محمد بن الحسين بن محمد المهلب عن

شدة لحقته ، منع المنصور الجعفر بن محمد من الحج وأثر

الدعاء في ذلك .

٤٦ - الباب الثالث : فيمن بشر بالفرج فنجا من محنة بقول أو دعاء ،

أو ابتهاج .

: دعاء امرأة ذهب زرعها بموجة من البرد ، قصة المعتضد

٤٦ - ٤٧

بالله مع وزير أبيه الموفق بالله إسماعيل بن بلبل ،

حكاية عبد الله بن سليمان بن وهب لما كان في حبس محمد

ابن عبد الملك الزيات .

- ص الموضوع
- ٤٨ : دخول الحسن البصري على الحجاج الثقفي وما كان بينهما ،
- ٤٩ - ٥٤ : كلمات الفرج لعل بن الحسين رضى الله عنه ، قصة الرجل مع الحية التي أجارها ، قصة الرجل الذي أهدر دمه عبد الملك بن مروان : قصة سليمان بن وهب مع الخليفة المتوكل وبيحته وكيفية نجاته ،
- ٥٤ : استجابة دعوات يحيى بن خالد الأزرق
- ٥٥ : دعاء سهل بن عبد الله التستري في الشفاء من العلل والأمراض .
- ٥٥ - ٥٦ : قصة مملوك ناذوك صاحب الشرطة مع شيخ يكتب كتب العطف .
- ٥٧ - ٥٨ : الانتقام الإلهي من الظالم أحمد بن سعيد الكوفي ، المحنة التي أدت بعلى بن مقلة إلى الوزارة
- ٥٩ : أحمد بن خالد والقول بخيانة جارية من أعز جواريه ،
- ٦٠ - ٦١ : قول عبد الله بن جعفر لا بلته إذا نزل بك أمر من أمور الدنيا قول « لا إله إلا الله الخ » . قصة الحسن بن الحجاج مع الحجاج الثقفي .
- دعاء الرجل الذي مثل أمام زياد ، قصة الرشيد مع أحد أبناء الرسول . رواية عبيد الله بن منصور في الدعاء الذي علمه الهاتف لرجل أصابته شدة .
- ٦٢ - ٦٤ : يحيى بن محمد بن القاسم بن عبيد الله بن وهب لابن الطاهر محمد بن الحسن وولده ، وكيفية نجاتهما . تطير يحيى بن خالد البرمكي من ضياع فص خاتمه ، وقول الشاعر له . حكاية داود بن الحجاج مع موسى بن عبد الملك
- ٦٥ : حكاية وضاح بن خيثمة مع يزيد أبي مسلم ، قول ابن ثوابة إلى عبد الله بن أبي عوف المروزي احفظ عني .
- ٦٦ - ٦٨ : غضب العباس بن المأمون على علي بن زيد ، قصة الإعرابية التي كانت تخدم نساء النبي وسبب قولها : ويوم الوشاح من تعاجيب ربنا ، ما بين الفضل بن الربيع والفضل بن يحيى البرمكي .

ص	الموضوع
٦٩	الباب الرابع: فيمن استعطف غضب السلطان بصادق لفظ الخ
٦٩	: بين الخليفة المأمون وعمرو بن مسعدة، وأحمد بن أبي خالد
٧٠	: قول جعفر بن محمد لأبي جعفر المنصور: إن سليمان أعطى فشكر الخ.
٧٢ - ٧١	: رسالة ابن مقلة إلى ابن الفرات.
٧٤ - ٧٣	: جواب طريح بن إسماعيل الثقفي لأبي جعفر حين قال له أما اتقيت الله عز وجل حيث تقول للوليد
٧٥ - ٧٤	: ما بين الخليفة المأمون والحسين بن الضحاك الشاعر، غضب المعتصم على الحسين بن الضحاك،
٨٢ - ٧٦	: غضب كسرى على بعض أصحابه، ما بين الحسن بن طالب ومحمد بن يزيد الأموي الحصيني، حكاية عبدالله بن طاهر مع محمد بن يزيد الأموي،
٨٣ - ٨٢	: مناقشة بين أحمد بن دؤاد والجاحظ، رواية لإسحاق الموصلي عن مجلس بينه وبين جعفر بن يحيى وعبد الملك بن صالح الهاشمي
٨٤	: غضب محمد الأمين على إبراهيم بن المهدي وصكيفة صفحه عنه،
٨٥	: قصة أحمد بن عروة مع الخليفة المأمون، حكاية لغلام الحسن ابن علي رضي الله عنهما، قصة الرجل الذي أراد عبد الملك بن مروان أن يقطع يده
٨٧ - ٨٦	: الخليفة المهدي والشاعر مروان بن أبي حفصة، دخول الشعراء في كل عام مرة على الخلفاء، غضب الخليفة الرشيد على العباس، قول الخليفة المأمون للفضل ابن الربيع: ما كان حقك عليك وحق آباءي.. وجواب الفضل له. مناظرة المأمون وعمرو بن مسعدة في مال الإهواز،

ص	الموضوع
٨٨ - ٨٩	: غضب الخليفة الرشيد على محمد بن الأشعث وقول جعفر إلى الرشيد، تولية هشام بن عبد الملك لإبراهيم بن أبي عليّة خراج مصر وقول إبراهيم ليس الخراج من عملي . حكاية بين موسى بن عبد الملك وعتاب بن عباب ،
٩٠	: قول رجل من بني تميم من قعدة الخوارج لزياد ، أول من تغنى بحضرة الخليفة المأمون بعد قدومه بغداد .
٩٢	الباب الخامس : فيمن خرج من حبس أو أسر ، أو اعتقل إلى سراح وعلامة وصلاح حال .
٩٢	: استعطف زهير بن صرد لرسول الله صلى الله عليه وسلم برد ما أصابه من هوزان يوم حنين ،
٩٣ - ٩٥	: حديث عبد الله بن المعتز عن سهره-ليسة قدوم الخليفة المكتفي وعدم نومه من شدة الخوف ، قصة البحترى وأبا معشر المنجم مع المعتز بالله وهو في سجنه قبل أن يتولى الخلافة .
٩٥ - ٩٦	: قصة الرجل الذي بال على نفسه امام بجيف أحد قواد السلطان ثم اتفق أن بال على قبره .
٩٦ - ٩٧	: قصة الشيخ الأسير الذي أراد مسلمة بن عبد الملك قتله مع فتي من جيش مسلمة من بني كلاب .
٩٨ - ١٠٢	: قصة الرجل الأموي مع الخليفة الرشيد ،
١٠٢ - ١٠٤	: قصة سليمان بن وهب وجماعة من الكتاب الذين سجنهم محمد بن عبد الملك وزير الوائق والإفراج عنهم بواسطة ابن أبي دؤاد .
١٠٤ - ١٠٧	: سبب قيام سليمان بن وهب لـ محمد بن خالد العرفي في الكتاب
١٠٨ - ١١٤	: قصة صاحب الخبر مع الوزير القاسم بن عبد الله ، قصة عبيد الله بن سليمان وهو وزير مع عمر بن محمد بن عبد الملك

ص	الموضوع
	الزيات ، رواية أخرى عن هذه القصة
١١٤	: قصة الإعرابي الذي تلبأ عن الدار التي بناها ابن زياد بعد قتل الحسين عليه السلام ، وصور عليها أسد كالح ، وكبش ناطح ، وكلب نائم .
١١٥	: إرسال الجنابي القرمطي لأبي عمرو الغنوي برسالة إلى المعتضد بالله ،
١١٦ - ١١٨	: قصة العامل الذي اتهمته زوجة ناصر الدولة بخيانة في مالها وكيقة هربه ،
١١٩	: قول حامد بن العباس بانتفاع الإنسان في نكبته بالرجل الصغير أكثر من منفعته بالكبير وإثباته لذلك ،
١٢٠ - ١٢٢	: سجن المهدي لأبي العتاهية بسبب تركه للشعر وقصته مع الشيخ المسجون معه بشأن عيسى بن زيد . قصة الوكيل الذي سجنته أم جعفر
١٢٣ - ١٢٤	: قصة يحيى بن خاقان مع الخليفة المأمون وإلزام المأمون له خمسة آلاف ألف درهم ، أمر المأمون بسجن عمرو بن بهنون بدار الفضل ، وقصته مع محمد بن يزيد .
١٢٦ - ١٢٨	: ذبح الخليفة لمحمد بن داود بن الجراح ، والقاضي أبي المنى في السجن ذبح الأغنام ، وتخلص القاضي أبي عمرو بواسطة الوزير ابن الفرات . قصة العريف على الفراشين المسكفين برش الخيوش في الصيف في دار الخليفة .
١٢٩	: ما بين سلمان بن الحسن والوزير ابن الفرات ،
١٣٠ - ١٣١	: قصة الرجل الذي حبس في المطبق ظلماً وعـدواناً ثم فرج الله عنه
١٣٢	: أمر الخليفة الأمين بسجن إبراهيم بن المهدي وسبب الإفراج عنه
	(٣١ - الفرج)

- ص الموضوع
- ١٣٢ : سجن عبد الله بن طاهر لمحمد بن أسلم الطوسي وقول محمد لمن يعزیه فی شأن حبسه .
- ١٣٣ : قصة الرجل الذي سجنه الحجاج الثقفي وتفسيره لتعيق الغراب .
- ١٣٤ : قصة علي بن عبد الأعلى الإسكافي مع بغاء الكبير وكيفية إخراجه من السجن وإعادته إلى وظيفة .
- ١٣٥ : تولية خالد بن عبد الله القسري والياً على العراق وقبضه على عمرو بن هبيرة . فرار ابن هبيرة من السجن بواسطة أصحابه وسفره إلى دمشق ونزوله على مسلة بن عبد الملك .
- ١٣٦ - ١٤٠ : أسر قيس بن قيسية بن كاثوم السكوني أثناء طريقه إلى الحج وكيفية خلاصه . اعتقال القاسم بن عبيد الله لأبي العباس أحمد بن محمد بن بسطام . اعتقال الخليفة المعتصم لمحمد بن القاسم ابن علي بن عمر بن علي بن الحسين الصوفي الخارج على المعتصم بجزان وكيفية فراره .
- ١٤٠ - ١٤١ : وفاة عيسى بن زيد بن علي رضي الله عنه وكيفية تسميته عن الخليفة المهدي . كيفية نجاة أحمد بن عيسى بن زيد الذي سجنه الرشيد بدار الفضل بن الربيع .
- ١٤٢ - ١٤٣ : سجن أبي تغلب محمد بن ناصر الدولة لأخيه محمد بالقاهرة وكيفية نجائه .
- ١٤٣ - ١٤٤ : رواية عمرو بن معدى كرت الزبيدي عن كيفية فكه لأسرى بني مذحج .
- ١٤٤ - ١٥٣ : قصة الأسير قبات بن رزين اللخمي الذي كان طرف الروم التي رواها إلى الخليفة عبد الملك عن قصة البطريق التي كان سبباً في إنقاذه .

ص	الموضوع
١٥٤	الباب السادس: فيمن فارق شدة إلى رخاء بعد بشرى منام ولم يشب صدق تأويله كذب الأحلام .
١٥٤ - ١٥٥	: رؤيا المعتضد أثناء وجوده في السجن . وعدم تعرضه للطالبين بعد توليته الخلافة .
١٥٥ - ١٥٦	: زيارة ابن ميمون الأفطس المتقي لسليمان بن وهب في سجنه . رواية سليمان بن وهب لرؤية رآها له . شعر .
١٥٦ - ١٥٩	: قصة الحسن بن مخلد مع شجاع بن القاسم ، وأوتامش .
١٥٩ - ١٦٤	: حكاية الرجل البزار الذي اعتقله سيف الدولة . قصة أبو حسان الزياى القاضى مع الخرساني الذي أودع عنده ماله وكيفية إرجاعه له وتعدد الروايات بذلك .
١٦٤ -	: سجن المهدي ليعقوب بن داود وزيره وكيفية خروجه من السجن ، وتعدد الروايات بذلك .
١٦٥ -	: استحضار المهدي لصاحب شرطته وأمره بإخراج مسجون علوى وسبب ذلك .
١٦٦ - ١٦٩	: قصة الخليفة المعتمد مع منصور الجمال . رواية أخرى عن هذا الخبر وحكايته مع الحداد .
١٧٠ - ١٧٢	: حكاية الحسن بن يوسف أثناء سفره إلى مصر عن طريق دمشق وما جرى له .
١٧٢ - ١٧٥	: حكاية أحمد بن المدبر عن سجنه مع أحمد بن إسرائيل وسليمان ابن وهب والرؤيا التي رآها سليمان بن وهب . حكاية أخرى عن سليمان بن وهب أثناء وجوده في سجن الوراق .
١٧٥ - ١٧٦	: حكاية الرجل الذي كان جاراً للقاضى أبي عمر ومحمد بن يوسف وسفره إلى مصر .
١٧٦ - ١٧٩	: جلوس خزيمة بن حازم في داره لقضاء حوائج الناس ، وقصته مع حامد بن عمرو الحراني .

- ص الموضوع
- ١٨٩ - ١٨٠ : قصة العطار الذي رأى النبي صلى الله عليه وسلم في منامه وقال له : اقصد على بن عيسى الوزير . قصة طاهر بن يحيى العلوي مع الرجل الخراساني .
- ١٨١ - ١٨٣ : رواية لأبي محمد يحيى بن محمد بن سليمان بن فهد الأردى الموصلى لقصة الجارية العلوية المريضة التي ماتت في جوار منزله وكيفية شفائها ، تعزيز المؤلف لقصة هذه العلوية بأخبار أخرى .
- ١٨٣ - ١٨٤ : رواية لأبي محمد بن يحيى بن فهد الأزدي لقصة السعدى الذي كان مشغولاً بغلام ، مابين ابن الفرات وابن بسطام وأثر الصداقة بينهما .
- ١٨٥ - ١٨٧ : وثوب على بن إسحاق بن يحيى على رجاء بن أبي الضحاك ، رؤيا للنصور ، رؤيا لابن أبي عون صاحب الشرطة .
- ١٨٧ : حديث لأبي العباس أحمد بن كشمرد عن أسرا بوطاهر القرمطى له ، وصورة للدعاء الذي دعى به فانقذه من القتل .
- ١٨٨ - ١٨٩ : حديث لمحمد بن سليمان عن كيفية وصوله إلى مركزه الذي هو فيه وشكره لله تعالى ، رؤيا أحمد بن طولون .
- ١٩٠ - ١٩١ : المرض الذي لازم لأبي الفرج عبيد الواحد بن نصر الكاتب المعروف بالبيغاء وكيف كان زواله ، رؤيا لأبي الفرج ابن دارم في ذلك .
- ١٩١ - ١٩٢ : تفسير ابن سيرين لرؤيا ابن الزبير . رؤيا لأبي أحمد طلحة بن الحسين بن المتنبى وتحققها .
- ١٩٢ - ١٩٤ : جفاء هارون الرشيد لإبراهيم بن المهدي وتحقق رؤيا لإبراهيم ابن المهدي . رؤيا لموسى بن عبد الملك وهو في سجنه . ذكر بعض ما جاء في كتاب « الفرج بعد الشدة والضيق » للبدائي .

ص	الموضوع
١٩٥	: ذكر بعض ما جاء في كتاب «الفرج بعد الشدة» للقاضي أبي الحسين ، انتهاء الجزء الأول .
١٩٦	الباب السابع : فيمن استنقذ من كرب وضيق خناق باحدى حالتي عمدا أو اتفاق .
١٩٨ - ٢٠٠	: قصة الأموي محمد بن زيد العلوي الداعي بطبرستان ، وروايته لحكاية المنصور مع محمد بن هشام بن عبد الملك وكيفية نجاحه بواسطة محمد بن زيد بن علي ابن الحسين .
٢٠١ - ٢٠٢	: قصة الإسكندر مع ملك الصين ، قول فتح غلام إسحاق الموصل لإسحاق ليس في هذا الدار أشق منك ومنى .
٢٠٢	: قول الخليفة المهدي لأبي عبيد الله وعمر بن بزيع ما أنسب بيت قالته العرب وجواب محمد بن صفوان الجمحي له .
٢٠٣ - ٢٠٧	: قصة الديان بن الصلت مع الفضل بن سهل ، حكاية الخليفة المأمون عما جرى له في أثناء توجيهه طاهر بن الحسين لقتال علي بن عيسى ، وما جرى له مع الفضل بن سهل ، المأمون وكتاب السواد .
٢٠٧ - ٢٠٨	: قصة محمد بن عبد الحميد الحسبي مع المهناة بنت المهيم الشيباني وكيفية تزوج مالك بن طوق منها . قصة لأبي الحسن بن أبي الفضل مع شيخ من الكتاب .
٢٠٩	: حكاية جحظة مع محبرة بن أبي عباد الكاتب .
٢١٠ - ٢١٣	: حديث لأحد تجار أهل الكرخ ببغداد عن صديق له .
٢١٣ - ٢١٥	: قصة الرجل الذي أضاع هميانه ودراهمه وعثوره عليهما بعد ضائقة شديدة أصابته .
٢١٥	: رواية لأبي سهل زياد القطان عن علي بن عيسى أثناء وجوده بمكة .

- ص الموضوع
- ٢١٦ - ٢١٨ : قصة الفتى الذى أضاع ماله على القيان ، وكيف صلحت حاله .
- ٢١٨ - ٢٢١ : قصة أبو يوسف القاضى مع والدته وأبى حنيفة . قصة التاجر الذى له عند بعض القواد مال كثير ، وكيفية حصوله عليه ، وقصة الخياط مع الخليفة المعتضد .
- ٢٢١ - ٢٢٣ : رواية الأصمعى عن نفسه حينما كان يطلب العلم بالبصرة .
- ٢٢٣ - ٢٢٦ : قصة المنذر بن المغيرة مع الخليفة المأمون وسبب نديه البرامكة .
- ٢٢٦ - ٢٢٨ : حكاية رجل من أهل الكوفة أصابه الفقر وحسن حاله .
- ٢٢٨ - ٢٢٩ : حكايات متفرقة عن التسامح والعفو .
- ٢٢٩ : عمرو بن هبيرة ويزيد بن عبد الملك .
- ٢٣١ : حكاية ابن صالح الأضخم مع أحمد بن أبى خالد وزير المأمون .
- ٢٣٢ : حكاية إبراهيم بن القاسم الخياط عن جارية له باعها بسبب ضائقة شديدة .
- ٢٣٣ - ٢٣٥ : قصة الرجل الذى تصدق بدرهم لا يملك غيره فأخلفه الله عليه بمائة وعشرين ألف درهم ، حكاية لأبى الحسين القاضى فى كتابه عن أحد جيرانه وكيف ساءت حالته وكيف فرج الله عليه .
- ٢٣٥ - ٢٣٧ : رواية لأبى الحسين القاضى عن أبى يوسف بن يعقوب بن ثابت ، حكاية عن إملاق بعض الكتاب فى أيام الرشيد .
- ٢٣٧ - ٢٤٠ : قصة زوج يعقوب بن على بعد سفر زوجها إلى مصر ، حكاية عن كرم سعيد بن العاص عامل عثمان بن عفان على الكوفة . قصة لزوم الأصمعى باب الخليفة الرشيد . ودخوله على الرشيد .
- ٢٤٠ - ٢٤٧ : إرسال الخليفة المأمون لعمرو بن مسعدة إلى الاهواز ، وما جرى لعمرو مع شيخ صادفه فى الطريق . رواية أخرى عن هذه القصة .

الموضوع	ص
: وقوع ستر آجرو جص على رأس رجل فلم يصب بأذى . غرق الفتح بن خاقان وإنقاذه . تهنتة الشاعر البحترى له .	٢٤٨
: قصة الرجل الحسينى الفقير وما جرى له أثناء أدائه لفريضة الحج .	٢٤٩ - ٢٥١
: حكاية إبراهيم بن المهدي مع المأمون وعفو المأمون عن إبراهيم بن المهدي .	٢٥٢ الباب الثامن :
: رواية أخرى عن عفو المأمون عن عمه إبراهيم بن المهدي .	٢٥٤ - ٢٥٦
: بين كسرى ابرويز وصاحب السروج ، قصة الخطابات السرية التي أرسلها الأمين إلى الفضل بن الربيع واسماعيل ابن صبيح إلى مدينة طوس أثناء مرض الرشيد .	٢٥٦ - ٢٥٨
: حديث إبراهيم بن علي النصبى المتكلم عن غدر أخى وكيفية نجاته .	٢٥٨ - ٢٦١
: رواية أخرى لإبراهيم بن علي النصبى عن إبراهيم بن علي الصفار عن قصة الرجل الذى خرج من نصيبين لإهداء عباس بن عمرو السلى أمير ديار ربيعة سيفاً ثميناً . وكيفية نجاته من اعرابي أراد قتله طمعا بماله .	
: حديث لأبي المغيرة محمد بن يعقوب بن يوسف الشاعر البصرى عن أبي موسى عيسى بن عبد الله البغدادى عن صديق له عن نباشة القبور بمدينة الرملة وما جرى له معها .	٢٦١ - ٢٦٥
: قصة الرجل الذى قال للإعرابي : لا جزاك الله من طارق خيراً ، أخذت فرسى ، وقتلت عبدى ، وطلقت ابنة عمى .	٢٦٥ - ٢٦٦
: قصة رجل من جند الشام مع راهب دير .	٢٦٧ - ٢٦٨

ص

الموضوع

٢٦٩ - ٢٧١ : قصة لأبي القاسم عبد الله بن محمد بن الحسين العبقي الشاعر مع مملوك كان لأبيه وجاعة من اللصوص .

٢٧١ - ٢٧٣ : قصة عباد المؤنث مع قوم من الخول ، قصة إسحاق بن إبراهيم المصعبي وعزمه على قتل بناته واستشارته ارجل كان يجالسه يسمى بأبي عبيدة وعدوله عن قتلهن بإشارته .

٢٧٤ - ٢٧٥ : إرسال الخليفة الرشيد لصالح صاحب الموصل إلى المنصور ابن زياد لمطالبته بعشرة آلاف ألف درهم وحملها إلى الرشيد في اليوم نفسه وإلا قتله وحمل رأسه إليه . إنقاذه بواسطة يحيى بن خالد البرمكي وكفره لنعمة من أنقذه .

٢٧٥ - ٢٧٦ : قول الخليفة المأمون ألي بن صالح حاجبه اذهب إلى علي بن عيسى القمي واطلب منه ما عليه من المال وانظره ثلاثة أيام فإن لم يحضر المال فاضربه بالسياط ، إنقاذه بواسطة غسان بن عباد ، قول أحمد بن أبردود صاحب السلطان أجد من عمر بن فرح الرجحي .

٢٧٧ : قول أحد أصحاب المختار لمصعب بن الزبير حين أراد قتله ٢٧٨ - ٢٨٠ : قصة الفضل بن يحيى مع عمارة بن حمزة وسبب تشبه الفضل بن يحيى بعمارة بن حمزة . حكاية ابرويز الملك مع مغنيه القليبيذ .

٢٨٠ - ٢٨٣ : قصة لأبي دلف القاسم بن عيسى فارس العرب مع الاقشين وكيفية خلاصه منه .

٢٨٣ - ٢٨٥ : تبم بن جميل والخليفة المعتصم ، معن بن زائدة والآمرى وكيفية نجاحهم على يد غلام منهم . مطالبة موسى الهادي أخاه هارون بملع نفسه من عهد الخلافة وقصة يحيى بن خالد البرمكي مع الهادي . ولادة عبد الله المأمون ، قصة الحاج

ص	الموضوع
	ابن يوسف مع بعض من أراد قتلهم
٢٨٨	الباب التاسع : فيمن شارب على الموت بحيوان مهلك فكفاه الله سبحانه ذلك بلطفه .
٢٨٨	: قصة إبراهيم الخواص والصوفية الذين ركبوا البحر ، وكيفية نجاة الخواص .
٢٨٩ - ٢٩٠	: حديث لأبي بكر البسطامي عن فضل الصدقة ، حديث الرجل الذي نجا من الأسد .
٢٩١ - ٢٩٤	: قصة الشاب الذي نجا بواسطة الأسد .
٢٩٤ - ٢٩٦	: حكاية القرد مع زوج صاحبه . حديث للحسن بن صافي مولى محمد بن المتوكل عن غلام كان أبى منه وكيفية نجاته من الأسد ، قصة الرجل الذي قتل فيل الملك بالهند
٢٩٧	: قصة السباع الذين أرادوا أن يثأروا من الذين قتلوا ولد أحدهم .
٢٩٨ - ٣٠٠	: حكاية عن نجاة المدين الذي قبض عليه صاحب الدين بالصحراء واقتراص السبع للدائن .
٣٠٠	: قصة الخاوى مع الأفعى التي تسمى الجراب لكبر حجمها
٣٠١	: قصة الرجل الذي شفى من الفالج وسبب شفائه .
٣٠١	: كيفية نجاة عبيد الله بن محمد بن الصرورى من البئر الذي اختبأ فيه والحية التي وجدها .
٣٠٣	: قصة الرجل الذي يعرف بالتمساح . وسبب تسميته .
٣٠٤ - ٣٠٦	: قصة لأبي القاسم بن الأعم العلوى الفيلسوف عن كيفية نجاته من الأسد . خبر زيلب الكذابة عند الشيعة .
٣٠٧ - ٣٠٨	: قصة لصياد مع القبيلة . عريضة بعض الشبان كان سيأى لخلاص رجل من فم الأسد .
٣٠٩	: حكاية عبد العزيز بن الحسن الأزدى عن الأفعى التي

ص	الموضوع
	قتلها ابن عرس .
٣٠٩	قصة نزول الحسن بن علي الأنصاري المقرئ إلى واد عميق مشهور بالسباع والوحوش .
٣١١	قول رجل لأمير المؤمنين هشام لقد رأيت في طريق عجباً .
٣١٢	: قصة قاضي القضاة أبي السائب عن السبع الذي بات معهم في المسجد .
٣١٢	: رواية لأبي عيسى محمد بن محمد بن علي بن مقله عن أخذ الأسد لوكيل أبي الحسن علي بن عمر بن يحيى العلوي .
٣١٥	الباب العاشر : فيمن اشتد بلاؤه بمرض ناله ، فعافاه الله بأيسر سبب .
	رواية عن عثمان بن أبي العاص الثقفي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له حينما شكى له وجعاً : ضع يدك وقل أعوذ بعزة الله وقدرته من شر هذا الوجع .
	مرض أبو عزة الجمحي الشاعر وسبب إبلاله من مرضه .
٣١٧ - ٣١٧	: مرض لييب العائد وسبب إبلاله من مرضه .
٣١٧ - ٣١٩	: مداواة الطبيب الرازي للرجل وإخراجه علقه من معدته بواسطة الطحلب .
	مداواة طبيب لغلان بإخراجه من معدته قرادة من قراد بقر .
٣١٩ - ٣٢٠	: مداواة طبيب لغلان انتفخ ذكره . حديث لأبي عبد الله الحسن بن محمد بن عبد الله الدقاق المعروف بابن العسكري عن مرضه وإبلاله منه . حديث لأبي الحسن بن علي ابن أبي محمد بن الحسين الصالحى عن مهارة الطبيب القطيعى المصرى .
٣٢١ - ٣٢٤	: دواء داء الاستسقاء ، شفاء رجل من داء الاستسقاء بأكل الأفاعى . معالجة الطبيب يزيد المائى لمرأة وأخراجه قرادة من فرجها .

ص	الموضوع
٣٢٥ - ٣٢٦	: شفاء جارية من علة بها بشر بها اللبن المنقوع . بالخنظل ، إصابة الخليفة الرشيد بالإغماء ومداواته بالحجامة . شفاء عليل من لسعة عقرب في دماغه .
٣٢٧	: شفاء عليل من مرض الاستسقاء بعد يأس أمهر الأطباء ببره . قول الطيب أن المستسقي إذا أكل لحم حية عتيقة مزمنة لها مائة سنة بره من علته .
٣٢٩	الباب الحادى عشر : فيمن امتحن من اللصوص بسرقة أو قطع ، فغرض بأكل صنع .
٣٢٩ - ٣٣١	: قصة دعبل الخزاعى الشاعر مع اللصوص الأكراد ، قصة عبد الله بن عمرو الواسطى مع ابن سيار الكردى وقول ابن سيار له أما قرأت ما ذكره الجاحظ فى كتاب اللصوص ومناقشته له فى ذلك .
٣٣١ - ٣٣٢	: حكاية اللص الذى تربى فى بيت القاضى ، قول اللس ابن حدود لعن الله السلطان الذى اسقط أرزاقنا فأخرجنا إلى اللصوصية .
٣٣٤ - ٣٣٥	: حديث للحسن بن صافى مولى ابن المتوكل القاضى عن اللصوص الذين خرجوا إليه وكيفية نجاته منهم بخاتم مزيف .
٣٣٦ - ٣٣٧	: قصة الرجل الذى سرقت دراهمه من دكانه وكيفية عشوره عليها .
٣٣٨ - ٣٤٠	: قصة الرجل الذى أنقذه الأسد من اللص الذى أراد قتله .
٣٤٠ - ٣٣٨	: حكاية اللصوص الذين يتعمى أحدهم بنظره لسرقة مع يركب معهم بالركب ويحملون بقراءة القرآن الكريم .

الموضوع	ص
: قصة اللص الذي خدع الحارس وسرق الدكان وعثور صاحب الدكان على مسروقاته واستتابته اللص .	٣٤٠
: قصة عاد وشداد مع الأسود الجبار .	٣٤١ - ٣٤٤
: قصة رجل من أهل شاس وفرغانه كان يريد الحاج مع اللصوص قطاع الطريق .	٣٤٤
٣٤٦ الباب الثاني عشر : فيمن الجاه الخوف إلى هرب واستتار .	
: حكاية يحيى بن طالب الحنفي وأمر الخليفة الرشيد بوفاء ما عليه من الدين . قول العتابي بالاهتزال وفاراه من الخليفة الرشيد .	٣٤٦
: كيف بيوع أبو العباس بالخلافة ، رواية أخرى عن هذا الأمر .	٣٤٧ - ٣٤٩
: قول عبد الله بن قيس الرقيات لما خرجت مع مصعب ابن الزبير . ابن قيس الرقيات والخليفة عبد الملك ابن مروان .	٣٥٠ - ٣٥٢
: قصة حماد الراوية مع أمير المؤمنين هشام ، دخول عبد الله بن الحاج الثعلبي على عبد الملك بن مروان وأكله من طعامه . رواية أخرى عن هذا الخبر .	٣٥٣ - ٣٥٥
: حكاية فضل بن الربيع عن طلب الخليفة المأمون له . قصة أخرى عن هذا الحادث .	٣٥٦ - ٣٥٩
: قصة ابن أحد ملوك الهند الذي ذهب عرشه ثم أعيد إليه ، وقصة الرجل البخيل الذي اجتمع به أثناء قراره .	٣٥٩ - ٣٦١
: حديث لأبي جعفر محمد بن يحيى بن شيرزاد عما جرى بينه وبين الأمير بحكم .	٣٦٢ - ٣٦٩

الموضوع	ص
: قصة سليمان البرقي مع عمر بن الفرج الرجعي . توسط الحجاج بن سلمة بينهما .	٣٦٩ - ٣٧٠
: قصة بين علي بن أبي طالب رضى الله عنه وسعيد بن قيس الهمداني بشأن حارثة بن بدر . مدح حارثة بن بدر لسعيد بن قيس « شعر » .	٣٧٠
: شعر لأبي الفير الثقفى .	٣٧١
: قصة ماجرى لمعن بن زائدة مع عبد أسود أثناء فراره من المنصور .	٣٧٢
: حكاية قطن بن معاوية مع أبي جعفر المنصور وكيفية عفو عنه .	٣٧٤
: قصة سيف الدولة صاحب حلب مع البغى المسمى بالناظرى .	٣٧٥ - ٣٧٧
: قصة الحجاج الثقفى مع أبي عمرو بن العلاء . قول لأبي القمير الثعلبى فى الخليفة الوليد بن عبد الملك « شعر » وعفو الوليد عنه .	٣٧٧ - ٣٧٨
: رواية زيلب بنت سليمان بن على الهاشمى عن مزرعة امراة مروان بن محمد .	٣٧٩ - ٣٨١
: حكاية لأبي عبد الله الحسين بن محمد النافطاني عن رجل يدعى بأبي غالب .	٣٨٢
٣٨٣ الباب الثالث عشر: فيمن نالته شدة فى هواه ، فكشفها الله تعالى عنه وملكه من هواه .	
: قصة خالد بن عبد الله أمير العراق مع عاشق ابنة عمه .	٣٨٣
: قصة ابن ميمون كاتب ابراهيم بن الخليفة المقتدر .	٣٨٤ - ٣٨٦

- ص الموضوع
- ٣٨٦ - ٣٩٢ : قصة الشاب الذى عشق جاريته فأنفق ماله عليها وما جرى له معها وحكايته مع الشاب الذى باعها له .
- ٣٩٢ : قصة أمير البصرة عبيد الله بن معمر التميمي مع الجارية التى اشتراها .
- ٣٩٣ - ٣٩٨ : رواية إسحاق بن إبراهيم الموصلى عن الجارية التى أراد يحيى بن جعفر شرائها من البصرة أثناء اجتيازه بالبصرة مع الرشيد . رواية أخرى عن أبي على بن محمد بن الحسن ابن جهور العجمي فى كتابه السهار والنسباء عن هذه القصة .
- ٣٩٨ : قصة الجارية التى اشتراها عبد الله بن جعفر بن أبي طالب .
- ٣٩٩ - ٤٠٠ : قصة الجارية التى اشترى لآبى بكر بن أبى حامد الخراساني وإرجاعها إلى صاحبها . روايات أخرى عن هذه الحكاية .
- ٤٠٢ - ٤٠٥ : حكاية الحسن بن سهل مع القسطنطين بشأن الجارية التى اشتراها الحسن بن سهل منه . رواية حماد بن إسحاق الموصلى لقصة وقعت لأبيه .
- ٤٠٥ - ٤٠٦ : قصة نعيم بن خلف الهلالى مع زوج جيداً الذى كان يعشقها سيرين بن عبد الله .
- ٤٠٦ - ٤١١ : قصة زواج جارية أم الخليفة المقتدر من قتي أجنته . سبب غسل زوجها ليديه أربعون مرة قبل الأكل .
- ٤١١ : فتوى أحد فقهاء الحنفية بعدم طلاق زوج عيسى بن موسى الهاشمي لقوله : أنت طالق إن لم تكونى أحسن من القمر .
- ٤١٢ : حديث لمحمد بن يونس عن أبي المغيث الرافعى .
- ٤١٣ : أين خبات المرأة الرجل الذى كاد أن يضبط فى دارها .
- ٤١٣ : بين جميل وعشيقته بثينة .

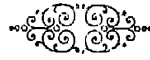
- ص الموضوع
- ٤١٤ : رواية عن أبي الفاسم علي بن أحمد الكاتب عن صديق له تزوج امرأة سرية وما جرى بينهما .
- ٤١٦ - ٤١٧ : قول عمرو بن هبيرة لعشرة من أصحابه فليحدثنا كل رجل منكم أحدوثة ، حكاية عبد الملك بن عمر أن امرئ القيس بن حجر الكندي حلف أن لا يتزوج امرأة حتى يسألها عن ثمانية أشياء .
- ٤١٨ - ٤٢٣ : سرد المؤلف لما جاء في كتاب الأغاني عن قصة قيس بن دريج الكنانى ولبنى بنت الحباب الكعبية ، سرد المؤلف لروايات كثيرة عن هذه القصة . قصيدة لقيس بن دريج يمدح ابن أبي عتيق .
- ٤٢٣ : رواية سليمان بن يحيى بن معاذ عما جرى بينه وبين إبراهيم ابن سبابة الشاعر البصرى .
- رواية لحماذ بن إسحاق الموصلى عن أبيه أن الخليفة الواثق سأله عن الأحاديث اللطيفة التى استفادها من العرب . رواية لإسحاق للواثق قصة طريفة .
- ٤٢٤ : قصة ما جرى بين أبو عبيد الله محمد بن علي بن حمزة وزوجه .
- ٤٢٥ - ٤٣٠ : سؤال عمر بن أبي ربيعة عن صديق له من بنى عذرة يقال له الجعد بن مهجع ، قصة زواج الجعد بن مهجع ووفاء عمر بن أبي ربيعة له .
- ٤٣٠ - ٤٣٢ : قصة معبد الصغير المغنى مع الفتى الذى عشق أحد بنات قبيلته وأبى عليه أبوها زفها اليه ثم زفت اليه بأمر من الخليفة الرشيد .
- ٤٣٣ : رواية لأبي الحسين محمد بن جعفر البصرى فى رسالته فى فضل الورد على النرجس عن قصة داود بن موسى التميمى مع النعمان ابن النذر ومقابلته له فى يوم يؤسه . « شعر » .

ص	الموضوع
٤٣٣	سردهذه القصة في كتاب فضائل الورد على النرجس لأحمد بن أبي طاهر .
٤٣٥	الباب الرابع عشر : فيما اختير من ملح الأشعار في أكثر معاني ما تقدم من الأمثال والأخبار .
	شعر للقيسط بن زرارمة التميمي . ولأبي ذؤيب الهندلي . ولعثمان بن عفان ، ولعياوية بن أبي سفيان .
٤٣٦ - ٤٣٧	: شعر لجارية ابن بدر العذائي ، ولتوبة بن الحبير العقيلي الخفاجي ، ولزيادة بن زيد العذري ، ولجابر ابن ثعلب الطائي ، وعن أبي بكر بن دريد الاصمعي ، ولسعيد بن رمضان الاسدي ، ولكثير ابن محمد بن الحنفية ، ولأعرابي ، ولمغرس الاسدي ، ولحوط بن ريان الاسدي .
٤٣٨ - ٤٣٩	: شعر للأضبط بن قريع ، ولأبي العباس ثعلب ، ولمؤلف هذا الكتاب ، وللعسرين بن مطير الاسدي ، ولمسكين الدارمي ، ولثعلب . رواية محمد بن الحسين ، للزبير رضي الله عنه .
٤٤٠ - ٤٤١	: شعر لسليمان بن مهاجر البجلي ، ولإبراهيم بن العباس الصولي ، ولأبي العتاهية ، ولعلي بن الجهم ، ولعبد الله بن المعتز ، ولأعرابي ، ولأُمير المؤمنين علي رضي الله عنه .
٤٤٢ - ٤٤٣	: شعر لعبيد الله بن طاهر ، ولأبي العتاهية ، ولمحمد ابن حازم الباهلي . وليحيى بن خالد بن برمك ، ولسلم بن عمرو الخاسر ، وللقاضي أبي جعفر أحمد بن محمد بن أبي الجهم التنوخي . ولأبي تمام الطائي .

- ص الموضوع
- ٤٤٤ - ٤٤٦ : شعر لمحمد بن عبد المهلب ، ولعبد الله بن المعتز رواية
لأبي بكر بن أبي الدنيا عن رجل من قريش ، شعر
لأبي الحسن علي بن هارون المنجم ، ولجحظة ، ولعلي
ابن جبلة العكوك ، وللمنجم الشاعر .
- ٤٤٧ - ٤٤٨ : شعر لسعيد بن حميد ، ولابن هاني ، ولمحمد بن
عبد الواحد بن الحسن بن طرخان ، ولسعد بن محمد
الأزدى البصرى .
- ٤٤٩ - ٤٥١ : شعر لأبي الفرج الأصبهاني ، ولآخرين : الشعر الذي كان
الإمام مالك يتمثل به أو لأبي عبد الله الحسين بن أحمد
الحجاج الكاتب ، ولآخرين ، شعر للعباس بن الأحنف ،
ولعليه بنت المهدي ، ولقيس بن الملوح مجنون
بنى عامر
- ٤٥٢ - ٤٥٤ : شعر لسعد بن محمد الأزدى الشاعر ، شعر لعللي بن مقلة
ولجعفر بن ورقاء الشيباني ، ولالحسين بن عبد الرحمن ،
ولابن أبي الدنيا ، ولحمود الوراق ، ولؤلف هذا
الكتاب . ولؤلف أيضا .
- ٤٥٥ - ٤٥٧ : شعر لسعد بن محمد الشاعر . ولأبي علي محمد بن محمد
ابن الشاطر الأنباري . شعر لآخرين . ولنصير بن محمد
الأزدى مولى الأزد .
- ٤٥٨ - ٤٥٩ : شعر لحمود الوراق ، ولآخرين ، وللوحيد لنفسه ، ولابن
بسام ، ولآخرين ، وللقاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني .
- ٤٦٠ - ٤٦٣ : شعر لأبي الفرج البيهقي ، ولسيدوك الواسطي ، ولآخرين
ولأبي العتاهية ، ولعلي بن الجهم ، ولآخرين ،
(٣٢ - الفرج)

- ص الموضوع
- ٤٦٠-٤٦٣ : ولأبي الحسن الأطروش المصري ، ولآخرين ،
ولأبي جعفر محمد بن بشير الحميري ، ولمدرك بن محمد
الشيبياني ، ولآخرين ، ولعبيد الله الحارثي .
- ٤٦٤-٤٦٧ : شعر لعبيد الله بن طاهر ، ولمحمد بن حازم الباهلي ،
ولوهب بن ناجية المري ، ولآخرين ، ولسعد بن محمد
الأزدى ، ولآخرين .
- ٤٦٨-٤٧٣ : شعر لآخرين ، ولأبن الرومي . شعر للمنفذ ،
ولآخرين ، ولعلي بن محمد بن عبد الله الحسني ، ولعثمان
ابن عفان رضي الله عنه ، ولمحمد بن عبد الله بن عبد الحمك ،
ولمحمد بن يعقوب ولآخرين .

تم فهرس المواضع للكتاب



فهرس الأعلام

إبراهيم بن المهدي ٨٤ و ٨٥	الرسول ﷺ : ١٨ و ١٩
و ١٣٢ و ١٤٤ و ١٩٢ و ٢٥٢	و ٢٠ و ٢١ و ٢٧ - ٣١ و ٤٣ و ٦٧
و ٢٥٤ و ٢٥٦	و ٧٢ و ٧٣ و ٩٢ و ٩٣ و ١٢٠
إبراهيم بن نوح ٦٧	و ١٦٢ و ١٦٥ و ١٦٦ و ١٧٢
إبراهيم بن ميمون ٢٢٦	و ١٧٩ - ١٨٢ و ٣١٥
إبراهيم بن عبد الله ٧٠ و ٢٧٣	آل محمد عليه السلام : ٢٠ مؤلف
إبراهيم الهاشمي ١١١ و ٢٥٦	الكتاب - التنوخي أبو علي المحسن بن
إبراهيم بن سيابة ٤٢٣	أبي القاسم : ١ و ٣ و ١٥٤ و ١٧٧
أبرويز الملك ٢٨٠	و ١٩٩ و ٤٥٣ و ٤٥٤ و ٤٦٨
أبان بن ثعلب ٤٠	ناشر الكتاب - الخانجي : ١٩٧ و ١
أحمد بن عبد الله ٥٥ و ٤٠٠	(١)
أحمد بن أبي دؤاد ٢٣ و ٨٢ و ١٠٢	آدم عليه السلام : ١١ و ١٢
و ١٠٣ و ١٨٥ و ٢٨٠ و ٢٨٢	إبراهيم عليه السلام : ١٢ و ١٣
و ٢٨٣	و ٤٨
أحمد بن محمد ٥١	إبراهيم ٣٤
أحمد بن إسرائيل ٥٢ و ١٧٢	إبراهيم بن المدبر ١٢٣
و ١٧٣	إبراهيم بن العباس ٥٩
أحمد بن المدبر ١٧٢	إبراهيم بن سعد ٢٩
أحمد بن عيسى بن زيد ١٤١	إبراهيم بن علي النصيبي ٢٥٨ و ٢٥٩
أحمد بن خالد ١٠٤ و ١٠٥ و ١٠٦	إبراهيم بن علي الصفار ٢٥٩
و ١٠٧ و ١٢٤	إبراهيم بن عبد السلام ٢٧١
أحمد بن أبي خالد ٥٩ و ٦٩	إبراهيم الخوص ٢٨٨
و ٨٧ و ٨٨ و ٢٣١ و ٢٥٢ و ٢٥٣	إبراهيم الموصلي ٣٩٧
أحمد بن بسطام ١٣٨	إبراهيم بن القاسم ٢٣٢
أحمد الثعلبي ٣٧٦	
أحمد بن يزيد المهدي ١٦٧	

اسحاق بن سعيد ١٢٣	أحمد بن عمار ١٣٨
اسحاق بن ابراهيم الطاهري ١٣٤	أحمد بن أبي طاهر ٤٢٣
و ٣٨١ و ٣٨٢	أحمد بن طولون ٢٨٨
اسحاق بن يوسف ١٧٠	أحمد بن سعيد الكوفي ٥٧ و ٧٠
اسحاق بن ابراهيم بن مصعب ١٨٦	أحمد بن يوسف - أبو الحسن ٥٥
و ٢٥٥ و ٢٧٣ و ٢٧٤ و ٢٨٤	و ١٧٠ و ٢٥٤ و ٢٥٥ و ٢٥٦
ابن أسلم ١٣٢	أحمد بن يوسف التتوخي ١١١
أسماء بنت عميس ٣٠	و ١٣٧ و ٣١٥ و ٤٤٣ و ١٣٨
الإسكندر ١٩١ و ٢٠١ و ٢٠٢	أحمد بن الخصيب ١٠٣
أشكرون الديلمي ٢٢	أحمد بن سيار - أبو بكر ٢٩٦
الأشتر ٤٠٥ و ٤٠٦	أحمد بن عروة ٨٥ و ٨٨
الأشرم أبو العباس ٣ و ٦٢	أحمد بن محمد بن جيش ١٣٠
أبو الأشعث بن قيس ١٣٧	أحمد بن هشام ١٢٣ و ١٢٤
أشناس ٢٣٠	أبو أحمد ٥٥
الأصمعي ٣٧ و ٤٠ و ٦٤ و ٨٥	الأحف محمد بن أبي الشوارب ٢٦
و ٢٢١ و ٢٢٢ و ٢٣٨ و ٤٣٧	ادمو مرد ٦١
أصبغ بن أحمد ٢٩١	اسماعيل عليه السلام ١٣ و ٤٨
الأضبط بن قريع ٤٣٨	اسماعيل بن أمية ٤٩
الأطروش أبو الحسن الشاعر	اسماعيل بن بلبل ١١٩ و ٤٦
المصري ٤٦٢	و ٤٧ و ١٥١
الأعشى ٣٤	اسماعيل بن فذك ٣١
أعشى همدان ١٢٢	اسماعيل بن صبيح ٢٥٦
أمية بن أبي الصلت ٢١	إسحاق ٤٨
أبو أمية الهاشمي ٩٨	إسحق العابد ٣٩
الأمين - محمد ٩٨ و ٢٥٦ و ٣٢٥	إسحق الموصلي ٨٢ و ٨٤ و ٩٠
و ٢٤٧ و ٨٤ و ٨٥	و ٩١ و ٢٠٢ و ٢٥٥ و ٣٩٣
أس بن مالك ٢٧	و ٣٥٦ و ٣٥٨ و ٥١ - ٥٤ و ٢٠٢
أنوشروان ٣٧ و ٣٨	إسحاق العرواني ٦١

أم البنين ٣٥١
الهلول بن محمد ١٣٠
البواب - أبو الحسين ٥٥

(ت)

ابن تعية ٤٣
بنو تغلب ١٤٣
أبو تمام ٤٠ و ٤٣٦ و ٤٤٣
تميم بن جميل ٢٨٣
التمار الواسطي ٣٣٨
التنوخى القاضى ٦٥
توبة العنبرى ١٩٤
توبة الخفاجى ٤٣٦

(ث)

ثعلب - أبو العباس ٤٣٨ و ٤٣٩
الثقفى - أبو بكر ٦٢

(ج)

جابر الطائى ٤٣٦
الجاحظ ٨٢ و ٨٣ و ٣٣٠
جبريل عليه السلام ٣١
جيريل بن بختيشوع ٣٢٥
جحظة البرمكى ٢٠٩
جرير ٤٣٦
ابن الجراح ٤٩
القاضى الجرجاني ٤٥٩
جعفر بن أبي القاسم ٦٢
جعفر بن محمد ٢٧ و ٢٨ و ٤٤
و ٦٥ و ٧٠ و ٢٤٩

أوثامش ١٥٧ و ١٥٩
أيوب عليه السلام ٧٠
أيوب بن العباس ٣٣
أبو أيوب ١١١ و ١٥٥ و ١٦٦
ايتاخ ٥١ و ٥٢ و ١٠٣ و ١١٢
و ١٥٥ و ١٧٣

(ب)

الباقطائى ٧٣
البحترى ٩٣ و ٩٥ و ٢٤٨
بختنصر ١٨
بدر الحاجب ١٥٥
البر القاضى ٤٦
بزرجمهر ٣٨ و ٣٩
ابن بشار ٣٠
بغاء الكبير ١٣٤
أبو الفرج - البيغاء الشاعر ١٣٣
و ١٥٩ و ٤٦٠
أبو الفرج - البيغاء الكاتب ١٧٦
و ١٩٠
البيغاش أبو بكر ٣٣٩
أبو بكر ٦٣
أبو بكر الصديق ١٩
أبو بكر الحافظ ٣٢٣
أبو بكر البسطامى ٢٨٩
أبو بكر بن شجاع ٢٦
أبو بكر أبى حامد ٤٠٠
أبو بكر بن دريد ٤٣٦
أبو بكر بن أبى الدنيا ٤٤٥
بكر بن المعتز ٢٥٦ و ٢٥٧

أبو حسان الزبائدي القاضي ١٥٩
و ١٦٠ و ١٦١ و ١٦٢ و ١٦٣
الحسن بن وهب ١١ و ١٧٤ و ٣٤٧
الحسن الأنصاري ٣٠٩
الحسن بن صافي ٢٩٥
الحسن السمرى ١٧٤
الحسن الدقاق ٣١٩
الحسن بن الحسن ٤٩ و ٦٠
الحسن بن يوسف ١٧٠
أبو الحسن علي بن عبد الأعلى ١٣٤
الحسن بن علي ٨٦
الحسن بن علي بن أبي طالب
٨٥ و ٤٢٢

الحسن بن طالب ٧٦
الحسن بن رجاء ٨٧
الحسن بن عيسى الأنباري ٨٧
أبو الحسن بن أبي الليث
الحسن بن مخلد ١٥٦ و ١٥٨
و ١٥٩
أبو الحسن بن أبي الطاهر ٦٢
أبو الحسن بن أبي الفضل ٢٠٨
و ٢٠٩
أبو الحسن بن جیشان ٤٣
الحسن بن محمد ٥٢
الحسن البصري ١١ و ٤٢ و ٤٨
الحسن بن سلية ١٧٦ - ١٧٨ و ١٧٩
الحسن بن سهل ٤١ و ١٢٣
و ١٦١ و ٢٥٥

جعفر بن سليمان ٤٢ و ٢٢٨
جعفر بن يحيى ٨٣ و ٨٤ و ٨٨
و ٢٣٨ و ٢٣٩ و ٢٤٠ و ٣٩٣ و ٣٩٦
٢٩٧ و ٤٣٢
جعفر بن محمد بن علي بن الحسين
٣٤٨ و ٣٤٩
جعفر بن ورقاء ٤٥٢
أبو جعفر بن مسعود الضبي ٢٩٨
أبو جعفر الحميري ٤٦٢
جميل بثينة ٤١٣ و ٤١٤
أبو جهل ١٩

(ح)

الحاتمي ٣٠٣
أبو حاتم ٩٦
حارثة بن بدر ٣٧٠ و ٣٧١
حامد ٧٣
حامد الحراني ١٧٦
حامد بن عمرو ١٧٧ - ١٧٩
حامد بن العباس ١١٩
ابن حازم ٣٤
حبيب بن سلية ٦١
حبيب بن نصر ٧٣
الحجاج ٤٨ و ٦٠ و ١٢٢ و ١٣٣
و ٢٨٥ و ٢٨٦ و ٣٧١ و ٣٧٧ و ٣٧٨
ابن الحجاج - أبو عبد الله ٣
و ٤٥٠
ابن الحداد ٣٠٩

حميد بن قحطبة ٣٤٧ و ٣٤٨
ابن حمدون ١٥٥
ابن الحنفية ٤٣٧
أبو حنيفة ٢١٨
حوط الأسدي ٤٣٧

(خ)

خالد القسري ١٣٥ و ٣٨٣
خزيمة بن خازم ١٧٦ - ١٧٩
ابن خلكان ٣
خليفة - أبو الجواد ٥٥
أبو الخير - القاضي ٤٢
الخيزران ٢٨٥ و ٣٨٩ و ٣٨٠
و ٣٨١

(د)

داود عليه السلام ٣٤
دود بن الجراح ٥٢ و ١١٢
وراجع ابن الجراح
داود بن الناصر - طباطبا ٣١
داود بن الحاج ٦٤
داود بن علي ٣٤٨
داود كاتب أم جعفر ١٢١ و ١٢٢
دارا ١٩١
دانيال ١٨
ابن دريد ٩٦ و ٢٨٩
أبو الدرداء ٢٠
دعبل ٣٢٩ و ٣٣٠ و ٣٤٠

الحسين بن علي ٧٠
الحسين رضي الله عنه ٣١٢ و ٤١٩
و ٤٢٢ و ٤٣٤

الحسين ١١٤
أبو الحسين علي بن أبي طالب ٢٥٠
أبو الحسين بن القاضي ٣٢٣
أبو الحسين القاضي ٦٦ و ٦٧
الحسين بن علي الباطناني ١٧٢
أبو الحسين بن ميمون ١٥٥
أبو الحسين بن نمير ٦٨
الحسين بن صالح ١٤٠
الحسين بن عبد الرحمن ٤٥٣
الحسين بن أحمد ١٣٨
الحسين بن مطير الأسدي ٤٣٨
أبو الحسين بن ميمون ١٥٥
الحسين بن محمد المهلب ٤٤
الحسين بن محمود ٣
الحسين بن عبد الرحمن ٦١
الحسين القاضي ١٤٣
الحسين بن زيد ٧٠
الحسين الأنباري ١٠٨
الحسين - عرق الموت ١٠٤
الحسين بن الضحاك ٧٤ و ٧٥
أبو الحسين الأنباري الكاتب ١٢٧
الحسين بن الحمام ٤١
حماد ٢٥ و ٣٥٣ و ٤٢٥
حماد بن إسحاق الموصلي ٤٠٣ و ٤٢٣
حميد الحميري ٣٠

« ز »	أبو دلف ٢٨١
الزبير ٤٣٩	دينار بن عبد الله ١٦٠ و ١٦٢
ابن الزبير ٤٢ و ١١٤ و ٣٥٥	و ٢٠٤
و ٤٣٧	(ذ)
الزبير بن بكار ٢٠٢	أبو ذؤيب الهذلي ٤٣٥
زهير بن حرد ٩٢	أبو ذر ٢٠
ابن الزيات ٤٨ و ٥٢	أبو ذكوان ٤١
زيادة العذري ٤٣٦	(ر)
زياد ٦٠ و ٩٠	ابن رائق ٣٣١
زياد القطان ٢١٥	الرازي أبو بكر ٣١٧ و ٣٢٧
زينب بنت يوسف ٣٧١	رجاء بن أبي الضحاك ١٨٥
زينب بنت سليمان ٢٧٨	الربيع ٧١ و ٧٤ و ١٨٥ و ١٧٦
« س »	و ٢٥٦ و ٢٧٣ و ٣٧٤
أبو السائب ٣١٢	ابن رزين اللخمي ١٤٥
سابور ٦٣	الرشيد هارون ٦٠ و ٦٨ و ٨٣
سارة ١٣	و ٨٤ و ٨٧ و ٨٨ و ٩٠ و ٩٨ و ١٠٢
سعيد بن قيس الحمداني ٣٧٠	و ١٤٠ و ١٦٤ و ١٩٢ و ١٩٣ و ٢١٨
سعيد بن عبد الله السمرقندي ٢٩٤	و ٢٢٢ و ٢٢٣ و ٢٣٨ و ٢٣٩ و ٢٤٠
سعيد بن عبد الرحمن أبو القاسم ٢٠٨	و ٢٤٦ و ٢٥٦ و ٢٥٧ و ٢٥٨ و ٢٧٤
سعيد بن حميد ٣٥ و ٤٤٧	و ٢٧٥ و ٢٨٥ و ٢٨٤ و ٣٢٥ و ٣٤٦
سعيد بن عنبسة ٢٠	و ٣٩٣ و ٣٩٦ و ٣٩٧ و ٤٢٢
سعيد بن هريم ٨٧	الرقاشي ٣٩٣
أبو سعيد الجنابي القرمطي ١١٥	ابن الرومي ٤٦٨
سعيد بن العاص ٢٣٧ و ٢٣٨	روح بن الحارث ٢٣
و ٤٦٦	ذو الرياستين ٣٢٩
سعيد بن محمد ٤٤٨ و ٤٥٢ و ٤٥٥	الرياشي ٣٩٢

(ش)

الشافعي ١٧٩
ابن شبرمة ٤٢
شجاع بن القاسم ١٥٧
شريح ٣٨
شرحبيل بن مسعود ٤٣٣
الشعبي ٦٠
شعيب عليه السلام ١٦
ابنة شعيب ١٦
ابن أبي شمر الغساني ٩٢
شفيع المقتدرى ١٨١
شيبه بن ربيعة ١٩
شيث عليه السلام ١٢
شيبان الطولوني ١٨٩
الشیطان ١١ و ٢٤

(ص)

صالح بن بابويه ١٤٢ و ١٤٣
صالح بن مسمار ٤٨
صالح الكلابي ٣٢١
الصالح أبو الحسن ٣٢٠
أبو صخر ٢١
الصولي - إبراهيم بن العباس ٤٤٠
الصولي - أبو بكر ٣ و ٤١ و ٤٦
و ٦٩ و ٨٧ و ٩٣ و ٩٥ و ١٥٤
و ١٦٦ و ٢٠٢
الصيرفي - أبو بكر ٦٢

السفاح - أبو العباس ٣٤٧ و ٣٤٨

أبو سفيان ١٩
سفيان الثوري ٢٨
سفيان بن عيينة ٣٤ و ٣٥
أبو سقيط ٢١
سلم الخاسر ٢١
أبو سلة الخلال ٣٤٧
أبو سلة الجهمي ٣١
سليمان بن الحسن - أبو القاسم ٧٢
و ٩٣ و ١٢٩

سليمان عليه السلام ٧٠
سليمان بن علي ٢٤٩
سليمان بن مهاجر ٤٤٠
سليمان بن يحيى ٣٧
سليمان بن وهب ٤٨ و ٥٢ و ٥٤

و ١٥٦ و ١٧٢ و ١٧٣ و ١٧٤

سليمان بن أبي شيخ ١٣٥
سليمان بن داود ١٧٥
سليمان بن أبي زياد ١٣٤
سليمان ١١٣
سهل بن سعد الساعدي ٢٧
سهل التستري ٥٥
سهل بن الصباح ١٢١ و ١٢٢
أبو سهل الداري ١٥٩
سيف الدولة ١٥٩ و ٣٧٥ و ٣٧٦
ابن سيرين ١٩١
ابن سيار الكردى ٣٣٠

العباس بن الخصيب ١٠٢
 العباس بن المأمون ٦٦ و ٦٧ و ٧٥
 العاص بن وائل ١٩
 عبد الواحد أبو الحسن ١٢١
 عبد الواحد الخزومي ١٧٦ و ١٩٠
 و ٣٥
 عبد الواحد بن محمد ١٩٤
 عبد الواحد الحصني ٣٤٦
 عبد الصمد القمي ٣٥
 ابن عبد الحيت ١٢٩
 عبد العزيز بن المعتمد ٩٣
 عبد العزيز الأزدي ٣٠٨
 عبد العزيز بن حماد ٦٣
 عبد العزيز بن إبراهيم ١٢١
 عبد الوهاب بن محمد ٣٠٠
 عبد الرحمن الصيرفي ٤٠٠
 عبد الرحمن بن أبي بكر ٣٠
 عبد الرحمن ٣١
 عبد الملك بن مروان ٤٩ - ٥١
 و ٨٥ و ١٤٤ و ١٤٥ و ١٩١ و ٣٥٠
 و ٣٥٢ و ٣٥٥ و ٣٥٦
 عبد الملك بن صالح الهاشمي ٨٣
 و ٨٤
 عبد الله بن الحسن ٢٨
 عبد الله بن الحسين ٣٤٨ و ٣٤٩
 عبد الله الواسطي ٣٣٠
 عبد الله بن أوفى ٢٩
 عبد الله بن أبي الهذيل ١٨

الصيرفي - أبو محمد ٤٣٨
 الصيدلاني ٣١٩

(ط)

طارق بن المبارك ٣٤٩
 أبو طالوت ٣٥٦
 طاوس ٣٤
 طاهر بن الحسين ٦٣ و ٢٠٥
 ابن طاهر ١٠٩ و ١١٠ و ٣٥٦
 طاهر بن يحيى العلوي ١٨٠ و ١٨١
 أبو طاهر القرمطي ١٨٧
 طريح الثقفي ٧٣
 طلحة بن عبد الله الطائي ٣٢٦
 طلحة بن محمد الشاهد ١٩٣
 طلحة بن الحسين بن المنتبي ١٩٢
 طلحة التميمي ٣٩٨
 أبو الطمجان القيني ١٣٦ و ١٣٧

(ع)

العباس بن عبد المطلب ٣٧٨
 العباس بن الحسين ١٣٨ و ٢٣٢
 العباس ٨٧
 ابن عباس ٢٧ و ٢٨ - ٣٠ و ٤٢
 عباس بن الأحنف ٤٥١
 عباس السلي ٢٦٠
 أبو العباس بن نوابه ٦٥

- عبد الله بن طاهر ٣٧ و ٧٦ و ٧٧
و ٨٠ و ١٣٢ و ١٣٣ - وراجع ابن طاهر
عبد الله بن الزبير ١٩١
عبد الله بن أحمد المصري ٨٢
عبد الله بن محمد بن الحسين ٢١٦
و ٢٦٨
عبد الله الصروري ٣٤٠ و ٢١٣
عبد الله بن طالب ١٣٤
عبد الله بن حمدون - أبو محمد ٤٦
عبد الله بن يحيى ٨٩
عبد الله بن يعقوب بن داود ١٦٤
عبد الله بن جعفر ٣٠ و ٦٠ و ٦٨
و ٩٥ و ٣٥١ - ٣٥٣ و ٣٩٨ و ٤٢٢
عبد الله البصري ٣٣٧
عبد الله بن سليمان بن وهب ٤٧
عبد الله بن مسعود ٢١ و ٤٠ و ٤٦
عبد الله بن المعلّى ٢٥
عبد الله بن المعتز ٣٩ و ٩٣ و ١٢٦
و ٤٤١ و ٤٤٤
عبد الله بن سعيد ٨٧
أبو عبد الله بن أبي عرف ٦٥
أبو عبد الله بن يحيى ٧١
أبو عبد الله البحرى ١٧
عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا -
أبو بكر ٦ و ٧ و ٢٧ و ٤٩
عبيد الله الأسنانى ٥٤
عبيد الله أبو القاسم ١١٣ و ١٥٦
عبيد الله بن يحيى بن خاقان ١٣٧
عبيد الله بن الحسين - أبو علي
- الجصاص ١١٨
عبيد الله الحرزى - أبو الحسين
١٢٦
عبيد الله بن عبد الله بن طاهر ٤٢٢
و ٣٥ و ٢٥٦
عبيد الله بن زياد ١١٤
عبيد الله بن منصور ٦١
عبيد الله بن محمد ٣٠١
عبيد الله بن سليمان بن وهب ٥١
و ٥٤ و ١٠٢ و ١١٩ و ١٥٥ و ٢١٨
أبو عبيدة ٣٧
أبو عبيدة بن الجراح ٢١
عتاب بن عباب ٨٩ و ٩٠
عتبة - أبو السائب ٣
عتبه بن ربيعة ١٩
عتبه بن عبد الله ٢٩٨
ابن أبي عتيق ١٩ و ٤٢٢ و ٤٢٣
أبو العتاهية ١٢٠ و ٢٥٨ و ٤٤٠
٤٤٢ و ٤٦٠
عثمان بن عفان ٢٣٧ و ٤٣٥ و ٤٣٩
عثمان بن أبي العاص ٣١٥
أبو عثمان مولى بني عقيل ٣١١
ابن عدى ٣٠
عدى بن الرقاع ٢٣٩
عدى بن ربيعة ٣٠٧
عدى بن زيد ٣٥٤
أبو عزة الجمحي ٣١٥
عصند الدولة ١٤٣

عقبة بن أبي معيط ١٩	علي بن إبراهيم ٢٢
ابن عقيل ٣٢٥	علي بن الوراق ٦٨
لعمرك - علي بن جبلة ٤٤٦	علي بن الحسين ٣٤ و ٤٩ و ١٢٠
علي بن الجهم ٤٤٠ و ٤٦٠	و ١٢٢ و ١٣٩ و ١٤٠
علي بن هارون المنجم ٤٤٥	علي بن الحسن ٦٢ و ٧٠
علي الدار قطنى ٣٩٩	علي بن زيد ٦٦
علي بن جيش ١٣٨	علي التنوفى ٦٩
علي بن موسى الرضا ٣٠٥ و ٣٠٦	علي بن عيسى بن ماهان ٦٣ و ١٠٢
و ٣٢٩	و ١٤ و ١٢٩ و ١٨٠ - وراجع
علي بن نصيف ٣٩٤	علي بن عيسى
علي بن الحسن الصيدلانى ٣١٨	علي بن هشام ٧١ و ١١٩ و ١٢٩
علي بن خلف ٢٩١	علي بن أبي الطيب ١٣٤
علي بن يوسف بن الأزرق ١٨٠	علي بن محمد المداينى - أبو الحسن
علي بن القاسم ١٩٤	٦ و ٧ و ٦٤ و ٩٠ و ١٩٤ و ٢٨٦
علي بن عيسى القمى ٢٧٥	علي بن نصر ٣٩ و ٤٠
علي بن عيسى ٢٠٥ و ٢٠٦ و ٢١٥	علي بن هاشم ٥١
و ٢٧٦	علي بن هشام ١٠٤ و ١٥٥ و ١٥٦
علي بن موسى ٢٥٦	أبو علي القاضى ١٢١
علي بن صالح ٢٧٥	أبو علي بن مقلة ٧٢ و ٧٣ و ٤٥٢
أبو علي الحسن بن وهب ١٥٥	عمران بن شاهين ٣٤٤
علي بن أبي طالب كرم الله وجهه	عمران بن النعمان ٦١
١٩ و ٢٠ و ٢٧ و ٢٩ - ٣١ و ٣٣	عمر بن علي بن الحسن ٣٤٨ و ٣٤٩
١٥٤ و ٣٦ و ٣٧ و ٤٣ و ٤٤ و ٧٠ و ١٥٤	عمر بن أبي ربيعة ٤٢٥ و ٤٢٨
١٩٠ و ٣٧٠ و ٤٤١	عمر التميمى ٣٩٢ و ٣٩٣
علي الاسكافى - أبو الحسين ١٢١	عمر العلوى ٣٢٢
علي بن محمد التنوخى ٢٧	عمر أبو الحسين بن القاضى ٦ و ٧
علي بن أبي الطيب ٤٩ و ٦٥	و ٢٦
علي بن الفتح - أبو الحسن ١٣٧	عمر ٢١ و ٣٤ و ٣٥ و ٣٧

عيسى بن فرخانشاه ١٥٧ و ٨٢ و ٦٥
عيسى بن موسى ٤١٢ و ٤١١

(غ)

غسان بن عباد ٢٧٦

(ف)

فاطمة ٣٠٦

فاطمة بنت رسول الله ﷺ ١٨٣

فاطمة بنت أحمد الكردي ١١٦

الفتح بن خاقان ٥٢ و ٢٤٨

ابن الفرات ٦٢ و ١١٤ و ١١٩

١٢٧ و ١٢٩ و ١٣١ و ١٣٨ و ١٨٤

أبو الفرج بن دارم ١٩٠

أبو الفرج الأصفهاني ٧٠ و ٧٣

٧٤ و ٨٣ و ٨٤ و ٨٦ و ٩٠ و ١٣٢

٢٠١ و ٢٠٢ و ٢٠٩ و ٣٥٢ و ٣٩٣

٤١٨ و ٤٢٣ و ٤٢٥

أبو الفرج الخزرجي ٧٦ و ٩٥ و ٩٨

١٥٩ و ٢٥٢

فرج الرجمي ١٢٣

الفرزدق ١٣٥

فرعون ١٦

آل فرعون ١٦

الفضل بن حماد الكوفي ١٤٠

فضل الله أبو تغلب ١٤٢

الفضل بن يعقوب ٤٩

الفضل بن مروان ٢٥

ابن عمر ٢٨ و ٢٩

عمر بن عبد العزيز ٦٤

عمر بن مرة ٢٧

عمر محمد بن عبد الملك ١١١

عمرو بن عتبة ٣٤٩

عمرو بن معد يكرب ١٤٣

عمرو بن هبيرة ١٣٥ و ٢٢٩

عمرو بن بنوفى ١٢٥

عمرو بن العاص ٣٥

عمرو بن مسعدة ٨٧ و ٦٩ و ١٢٤

١٢٥ و ٢٤٠ و ٢٤٤

أبو عمرو القاضي ١٢٦

أبو عمرو بن يحيى ٣٠٥

أبو عمرو بن العلاء ٣٧٧ و ٣٧٨

ابن عمرو الغنوي ١١٥

عمار بن ياسر ١٩٠

عمار بن عقبة ١٣٣

علوية ٩٠ و ٩١

أبو العوام ٣٠

أبو عون ١٨٦

عون بن محمد ٧٥ و ٨٧

العناني - أبو علي ٦٤

عنبه ٢٨٦

أبو عيسى بن الرشيد ٩٠

عيسى بن علي - أبو القاسم ٥١

عيسى ٤٨

عيسى بن زيد ١٢٠ و ١٢١ و ١٤٠

عيسى بن إبراهيم ٥٢

القطيعي ٣٢٠
قطن الكلبي ٢٧٣ - ٢٧٥
القليند ٧٥
قيس بن الملوحي ٤٢١
قيس بن قيسية السكوني ١٣٦ و ١٣٧
قيس بن السكن ١١٤
قيس بن ذريح ٤١٨ - ٤٢٢
ابن قيس الرقيات ٢٧٧ و ٣٥٣
و ٣٥٠ و ٣٥٢
قيس بن معد يكرب ١٣٧

(ك)

كافور الأخشيدى ٣٧٥
كثير ٤٣٧
كردوس بن عمرو ٢٧
كسرى ابرويز ٧٥ و ٢٥٦
الكلوباذى ٥٩
كلوى كاتب الحرم ١٢٧
ابن الكلبي ١٣٦

(ل)

لؤلؤ الطولوني ١٨٩
لبيب العابد ٣١٥
لبنى صاحبة قيس بن ذريح ٤١٨ -
٤٢٢
لقيط بن زرارة ٤٣٥
لوط ١٣ و ١٤

الفضل بن العباس ٣٧٨
الفضل بن الربيع ٦٨ و ٨٦ و ٨٧
و ١٤١ و ٢٥٧ و ٢٥٨ و ٣٥٦ و ٣٥٨
الفضل بن يحيى ٦٨ و ٢٧٨
الفضل ١٢٤ و ١٢٥
الفضل بن سهل ٢٠٣ - ٢٠٦
الفضل بن عياض ٢٣٣
الفضل بن ماهان ٣٥٩
الفضل بن صالح ١٢١ و ١٢٢

(ق)

القاسم بن عيسى ٢٨٠ - ٢٨٢
القاسم بن إسماعيل ٤١
القاسم ١١٠ و ١١١
القاسم بن عبد الله ١٩٣ و ١١١
و ١٣٨
القاسم بن كرسوع ١٧٦
القاسم بن علي ١٤١
أبو القاسم بن الأعلم ٣٠٤ و ٣٠٥
أبو القاسم ٣١ و ٥٦
أبو القاسم الأمدى ١٥٢
أبو القاسم اليزيدى ١٩٢
أبو القاسم التنوخى ٢٣١
القاهر بالله ٥٩ و ١٣٧
ابن أبي قبيصة ١١٦
قصي بن المؤيد ٩٣
قطرب ٣٥٤
قطرى بن الفجاءة ٤٠

« م »

المؤمن ٩٨

المأمون ٦٩ و ٧٠ و ٧٤ و ٨٧
و ٨٨ و ٩٠ و ٩٨ و ١٢٣ - ١٢٥
و ١٣٢ و ١٦٣ و ١٦٣ و ٢٠٣ و ٢٠٥
و ٢٢٣ و ٢٢٥ و ٢٢٦ و ٢٣١ و ٢٤٠
و ٢٤٥ و ٢٤٦ و ٢٥٢ - ٢٥٦ و ٢٥٦
و ٢٥٧ و ٢٧٥ و ٢٧٦ و ٢٨٥ و ٣٢٥
و ٣٢٩ و ٣٤٧ و ٣٥٦ و ٣٥٨ و ٤٠٤
مالك بن دينار ٣٥

المتوكل ٥١ و ٨١ و ٩٠ و ٩٥
و ١٠٥ و ١١٢ و ١١٦ و ١٢٣

أبو المثنى ١٢٦

مجاهد ٢٦

محمود الوراق ٤٥٣ و ٤٥٨

محمد الأثرم ٤٩

محمد بن جرير الطبري ٢٣

محمد بن مخلد ٢٠٦

محمد بن بحر ١٩٩

محمد بن أسلم الطوسي ١٣٢

محمد بن أبي العتاهية ١٢٠

محمد بن سليمان ٢٢١ و ٢٢٢

محمد بن عبد الواحد الهاشمي ١١٥

و ٢١٨

محمد بن الأزرق ١٧١

محمد بن عيسى ١٢٣

محمد بن عبد الملك الزيات ١١١

١١٢ و ١٧٢ و ١٧٣ و ١٧٧ و ٤٧

و ٨٢ و ١٠٢ و ١٠٣ و ٢٣٠

محمد الجرجاني الفقيه ٢٩٩

محمد بن محمد الزيايدي ١٦٠

محمد بن زكريا ٣٢٧ و ٢٤٦

محمد بن المرزبان ٣٢٢

محمد بن أحمد ٣٢٢

محمد بن علي الخلال ٣١٧

أبو محمد المهلب ١٩١

محمد المهلب ٤٤٤

محمد العقيلي ٢٦٥

محمد المتوكل ٢٩٥

محمد بن يعقوب ٢٦١

محمد بن الحسن بن سهل ٢٠٤

محمد بن عبد الواحد ٤٤٨

محمد بن يزيد العلوي ١٩٩

محمد الخزاعي ٤٣٠

محمد بن حازم الباهلي ٤٤٠ و ٤٤٣

محمد بن القاسم ٨٦ و ١٢١ و ١٣٩

و ١٤١ و ٦١ - ٦٣

محمد بن خلف ١٥٩

محمد بن علي بن يونس ١٨٥

محمد بن بزوان ٨٧

محمد بن يزداد ١٢٤ و ١٢٥

محمد بن سليمان الأزرق ١٨٩

محمد بن يوسف الثغري ٩٣ و ٩٤

محمد بن يحيى الجبشي ١٥٤

محمد بن الفضل الجرجاني ٩٥

محمد بن داود بن الجراح ٢٦ و ١٧٤١

المروزي الشافعي أبو إسحاق ٣٩٩

و ٤٠٠

المروزي ١٢٣

أبو مروان الخرايطي ١١٤

مروان بن أبي حفصة ٣٧٢ و ٣٧٣

و ٨٦

مروان العدوي ٣٠٧

مروان بن الحكم ٤٢١

مروان بن محمد ٨٨ و ٢٧٩

مرفعة زوج مروان بن محمد ٣٧٩

المستعين ٩٤

المستعني أبو بكر ٦٥

ابن مسلمة ٨١

مسلمة بن عبد الملك ٩٦

مسرور الخادم ١٢٣ و ١٣٨

أبو مسلم الأصبهاني ٢٠٠

المشدد الطنبوري ١٢٣

المطيع لله - الإمام ٣

مصعب بن عبد الملك ٢٧٧

مصعب بن الزبير ٣٥٢ و ٣٥٠

معاوية ١٤٥ و ١٩٩ و ٤٢١ و ٤٣٥

معز الدولة ٢٢

المعتز ٩٣ و ٩٤

ابن المعتز - راجع عبد الله بن المعتز

المعتصم ٢٣ و ٢٥ و ٤٥ و ٥١

٩٦ و ١٣٨ و ١٣٩ و ١٤١ و ١٨٥

٢٢٩ و ٢٣٠ و ٢٨١ و ٢٨٢

معبد الصغير المغني ٤٣٠

محمد بن زيد بن علي بن الحسين ٢٠٠

محمد بن عبد الملك بن الخصب ١٠٢

محمد بن هشام بن عبد الملك ٢٠٠

محمد بن الحسن ٢٠

محمد بن أحمد التنوخي ١٥٩

محمد بن حمارة الأسدي ٢٢

محمد بن سليمان الهاشمي ٢٧١

محمد بن يوسف القاضي ٦

محمد بن أبي الأزهر ٧٤

محمد بن عبد الله - أبو الفضل ٢٥

محمد بن محمد بن جعفر ١٦١ و ١٦٢

محمد بن محمد - أبو الحسن ٥٧

محمد بن علي بن إسحاق ١٨٧

محمد بن جعفر بن صالح ٢٨

محمد بن جعفر الكاتب ١٥٦

محمد بن الحنفية ٤٢ - وراجع

ابن الحنفية

محمد بن رجاء ٦٢

محمد بن علي ٦٤

محمد بن الحسن بن المظفر ١٦٤

محمد بن المنكدر ٣٤

محمد بن موسى بن القرات ٦٦

محمد بن يزيد ٨٢

مخارق ٨٧

مخلد الطيري ١٤٤

المختار بن الفيث ٣٠١

مدرك الشيباني ٤٦٣

امرؤ القيس بن حجر ٤١٦ و ٤١٧

و ٣١ و ٤٨	معن بن زائدة ٨٦ و ٣٧٢
موسى بن عبد الملك ٥٢ و ٥٣	و ٣٧٣
و ٥٤ و ٦٤ و ٨٩ و ١٩٤	أبو عشر المنجم ٩٣
المهلبى ١٠٨ و ١٢١ و ٤٠٢	المعلّى بن أيوب ٢٥
المهناة بنت الهيثم ٢٠٨	أبو معمر بن المثنى ٢٨٦
ميمون بن هارون ١١٢	أبو معمر ٩٦
د د مهران ١٩٤	المعتضد ٤٦ و ٩٣ و ١٠٨ و ١١٠
د د موسى ٣٢٩	- ١١٢ و ١١٥ و ١١٦ و ١٥٥ و ٢٢٠
(ن)	معين الدولة ٤٣
ناذوك ٥٦	ابن مقلة ٣٣٤
ناصر الدولة ١١٦ و ٣٠١	المقرىء البغدادى ١٣٨
نصير الأزدي ٤٥٧	مفرس الأسدى ٤٣٧
نصر بن زياد ٢٨	المقتدر ٥١ و ١١٨ و ١٢٧ و ١١٩
نصر بن شبك ٧٧ و ٨٠ و ٨١	و ٣٦٦ و ٣٨٤ و ٣٨٦ و ٤٠٨
النعمان بن المنذر ٩٢	و ٤٠٩ و ٤١٠
النعمان بن بشير ٢٩	المسكنى ٢٣٢
نعيم بن حازم ٢٩٤	المنصور بن زياد ٢٧٤
أبو نوح ٥٢	منصور الخال ١٦٦
نوح عليه السلام ١٢	المنصور ٤٤ و ٤٩ و ٧٠ و ٧٣
ذو النون ٢٩	و ٧٤ و ١٨٥ و ١٨٦ و ٢٣٩
(هـ)	٣٤٧ و ٣٧٣ و ٣٧٤ و ٤١١ و ٤١٢
الهادى ١٦٤	المهدي ٨٦ و ١٦٤ و ١٦٥ و ١٩٣
الهاشمى ١٠٩	و ٤٤٠ و ٤٤٤ و ١٦٤ و ١٦٥ و ٢٠٢
هاجر ١٣	و ٢٧٨ و ٢٧٩ و ٢٧٩ و ٢٧٩
الهادى ٦٣	و ٣٨١
ابن هانىء المغنى ٤٤٧	الموفق ٤٦ و ٤٧ و ١٥٥
	أم موسى ١٥
	موسى عليه السلام ١٥ و ١٨

هاريون ١٧	يحيى بن محمد - أبو محمد ١١٦
هاريون بن خمارويه ١٨٩	د خالد الأزرق ٥٤
ابن هيرة ٣١٢ و ٣٤٧ و ٤١٦	د الأزرق ١٣ و ١٨١
و ٣٧٢	د بن خالد البرمكي ٦٣ و ٦٨
أبو هريرة ٢١ و ٢٨	و ١٦٥ و ٢٧٤ و ٣٤٧ و ٤٤٣
هشام بن اسماعيل ٤٩	يحيى بن خاقان ١٢٣
هشام بن عبد الملك ٨٨ و ٨٩	يزيد معاوية ١٩٩
و ١٣٥ و ١٩٩ و ٣١١ و ٣٣٥ و ٣٥٣	اليزيدي أبو عبد الله ٣٣١
(و)	يزيد الماني ٢٢٣
الرائق ٢٣ و ٤٧ و ٤٨ و ٧٥	يزيد بن عبد الملك ٣٥٣ و ١٣٥
و ١٠٢ و ١٠٣ و ١٧٣ و ١٧٤ و ٤٢٣	و ٢٢٩
أبو وائل ٢٧	يزيد بن مسلم ٦٥
وداعة السهمي ٣٨	يزدجرد ٧٥
وضاح بن خيثمة ٦٥	يعقوب عليه السلام ١٤ و ٤٨
وصيف ١٥٨	يعقوب بن داود ١٦٤
(ي)	أبو يعقوب بن الأزرق الكاتب ١٧٢
ياقوت ٥٨	يموت بن المازع ٣٤٦
ابن يحيى ٧٢	يوسف عليه السلام ١٤ و ٧٠
يحيى الأزدي ١٨٣	أبو يوسف القاضي ١٦١ و ٢٢٥
د بن معاذ ١٨٥	و ١٦٣ و ٢١٨
	يوسف بن عمر ٣٥٣ و ١٩٣
	يونس عليه السلام ١٤ و ٢١
	يونس الخازن ٩٣

فهرس اسماء المواضع والقبائل

البرامكة ٦٨ و ٢٧٤ و ٤٣٠	(ا)
بستان موسى ١٣٨	الآبله - ٣٣٨
البطيحة ٤٣	الأتراك ١٠٣
البصرة ٣ و ٢٤ و ٤٣ و ٤٨ و ٦٩	أرد مشيت ١٤٢
٧٠ و ٩٢ و ١١٤ و ١٣٨ و ١٩٢	اذرييجان ٢٣٥ و ٢٩٨
٢٤٤ و ٣٠٠ و ٣٠٨ و ٣١٩ و ٣٠١	أرميا ١٨
٢٢٣ و ٣٣٥ و ٣٢٧ و ٣٢٨ و ٢٧٤	أرمينيا ٢٣٥
٢٧٥ و ٣٨٣ و ٣٨٧ و ٣٨٨ و ٣٨٩	ارجان ٢٤٩
٣٩٢ و ٣٩٣ و ٣٩٥ و ٣٩٦	بنو إسرائيل ١٧ و ١٨ و ٤٩
بغداد ٣٢ و ٥١ و ٥٧ و ١١٨	الأسمر ٣٧٦
١٣٠ و ١٣١ و ١٣٢ و ١٤١ و ١٤٢	أصفهان ٣٠٠
١٤٣ و ١٥٧ و ١٥٨ و ١٦٣ و ١٦٦	الأكراد ١٤٢
١٧٢ و ١٧٦ و ١٧٩ و ١٨١ و ١٧٩	الأنبار ١٨٥ و ٣١٣
٢١٩ و ٢١١ و ٢١٢ و ٢٢٢ و ٢٣٢	أنطاكية ١٥٧
٢٣٤ و ٢٣٦ و ٢٣٧ و ٢٤٠ و ٢٤٤	الاهواز ٢٢ و ٨٥ و ٨٧ و ٨٨
٢٥٥ و ٢٧٩ و ٢٩٠ و ٢٩١ و ٢٩٥	١٢٣ و ١٧٥ و ٢٤٠ و ٢٤٥
٣٠٤ و ٣١٥ و ٣١٧ و ٣١٩ و ٣٢١	٢٨٩ و ٣١٨ و ٣١٩ و ٣٢٣
٣٢٢ و ٣٢٣ و ٣٣٥ و ٣٤٠ و ٣٥٦	ايندج ٣
٣٨٢ و ٣٨٨ و ٣٩٠ و ٣٩١ و ٤١٢	
بغرش ١٢٩	(ب)
بنو بكر ابن كلاب ٢٦٥	بابل ٣ و ١٨
بيت المقدس ٣٠	باخرى ٧٠
	باب الطاق ٣٥٦
(ت)	باب إبراهيم ٢٤٩
تل أهواز ٣٠٧ و ٣٠٨	البحرين ٣٠٦

دار القطن ببغداد ٤٠٠	تتميم ١١٤ و ١١٥ و ٤١٧
دجلة ٢٠٨ و ٣٢١	(ج)
درب مهر و به ٣٢٦	جبل طي ٣١١
درب يعقوب ١١٠	جبل شيراز
درب سليمان ٣٢٥	الجزيرة ٢١١
دستي ١٢٢	(ح)
دمشق ٩٨ و ١٠٠ و ١٢٥ و ١٧٠	الحائر ٢٩٠ و ٣١٢
١٧١ و ١٧٢ و ١٨٥ و ١٩٣ و ٢٢٤	الحامدية ٥٧
٢٩٢ و ٣٥٤	الحامدة ٢٩٧
الديلم ١٢٢ و ٣٢٣	الحجاز ٧٠ و ٤٢٤
دير العاقول ٣٣٢	حلب ١٥٩ و ١٩٠ و ٢٧٥ و ٣٧٦
الديارات ١٨٧	الحراء ١٤٥
(ز)	الحرورية ١٢٣
رامهر مز ٣	حمام عمرو ٣٠٤
رأس العين ٢٦١	حصص ٦١ و ٤١٢
ربيعة ٩٦	حنين ٩٢
رحبة الجسر ١٨٦	(خ)
الرصافة ٣٦٦	الخابور ١١٧
الرقعة ٣٢٥ و ٣٢٧ و ٣٢٤ و ٣٣٥	الخربية ٣٥٨
الرملة ١٠٦ و ٢٦١ و ٣٠٩	خراسان ٥١ و ١٣٩ و ١٤٣
الروم ٩٦ و ١٤٥	١٧٦ و ٢٠٠ و ٢٠٥ و ٢١٠ و ٢٤٥
الري ٣١٧	٢٤٦ و ٢٥٧ و ٣٢٧ و ٣٢٩ و ٣٤٩
(س)	٣٩٩ و
سرمن رأى ٦٦ و ٩٥ و ٩٦	الخلد ١١٠
١٠٤ و ١٠٦ و ١٥٩ و ١٦٦	(د)
١٧٦ و ٤٢٣	دار الرقيق ٣٢٥
سنجار ٣٠١ و ٣٠٢	

فلسطين ٣٦٩ و ٣٧٠	سوق الأهواز ٢٦
(ق)	سوق يحيى ١٣٠
قريش ٩٣ و ١٨٣ و ١٩٩ و ٤٢٢	سوق النخاسين ٣٨٧
القصباء ٣٠٨ و ٣٠٩	الشام ١٣ و ١٨ و ٤٨ و ١١ و ١١٥
قصر الحصن ١٤٢	٢٦٦ و ٢٧٩ و ٣١٥ و ٣٤١
القصر ٣	شيراز ١٤٣ و ٢٩١
(ك)	الصين ٢٠١ و ٢٠٢ و ٢٩٦
الكرخ ٢٠ و ٢٢ و ٦١ و ١٨٦	(ط)
٢١٠ و ٢٢٤ و ٢٣١	الطائف ٤٢
بنو كعب من خزاعة ٤١٨	طبرستان ١٩٩
كليب ٦٤	طوس ٢٥٦ و ٢٥٧
كوخ رازويه ٣٢٧	(ع)
الكوكة ٩٦ و ١٠١ و ١١٦	بنو عامر ١٣٦
١٤٠ و ٢٠٠ و ٢٢٦ و ٢٣٧ و ٢٤٩	عرفات ٤٢٦
٢٥٠ و ٢٥١ و ٣٠٤ و ٣٠٥	العراق ١٨ و ٧٠ و ١٣٥ و ٢٢٩
٣١٢ و ٣٢٢ و ٣٢٢ و ٣٤٧	٢٣٠ و ٢٦٤ و ٢٧٩ و ٣١٢ و ٣٢٩
٢٤٨ و ٢٤٩ و ٣٥٠ و ٣٩٧	٣٨٣ و
٢٩٨ و ٤١٦	عسكر مكرم ٣ و ٣٠٠
كوئي ١٣١ و ١٣٢	عمان ١٠٨ و ٢٩٦ و ٣٠٠
(م)	(غ)
ماء سيدان ٦٦	الغوطة ١٠٠
مازن بن صعصعة ١٤٤	(ف)
مازنة ٢٤٤	فارس ٥٨ و ٥٩ و ٧٢ و ٧٣
المدن ٣٨٩	١٣٣ و ١٤٢ و ٢٤٥ و ٢٧٨ و ٢٧٩
المدينة ١٩ و ٣٧ و ٤٩ و ٧٠ و ١٦٥	فسطاط مصر ١٤٥
١٨٠ و ١٨١ و ٣٥١ و ٣٩١ و ٤١٨	
مذحج ١٤٤	

نهر سايس ٣٣٧	مصر ٧٦ و ٨٤ و ٨٨ و ١٠٤
نهر الدين ٢٩٨	١٠٥ و ١٠٦ و ١٠٧ و ٨ و ١٣٨
نهر جعفر ٢٩٧	١٧٠ و ١٧٢ و ١٧٥ و ١٧٦ و ١٨٩
النهر وان ٢٤٥	٢٧٧ و ٣٧٦ و ٣٧٥ و ٣٠٣ و ٢٢٧
نيسابور ٤٢٣ و ٣٢٧	٣٩٨ و ٣٨٢
النير ٢٩٦	المطبق ١٣٠ و ١٣١
(ه)	مكة ١٩ و ٤٢ و ٥٩ و ١٦٥
بنو هاشم ١٩ و ١٩٩	٣١٥ و ٣٢٢ و ٣٥١ و ٣٧٧
همدان ١٥٧ و ٣١٢	المسجد الحرام ٢١٥ و ٢٢٠
الهند ٦٥ و ٢٩٦ و ٣٠٦	المريد ٢٤٧ و ٢٤٧ و ٢٧٢
هوازن ٩٢	مرو ٢٠٤ و ٢٥٧
هيت ٣٣٤	الموصل ١١٦ و ١١٨ و ١٤٠
(و)	١٤٢ و ١٤٣ و ١٨٧ و ٢٧٤
واذان ٤١٤	منارة ٣٠٧
واسط ٣٣ و ٤٨ و ٥٧ و ١٣٥	منى ٢٤٩
٢٠٤ و ٢٤٤ و ٣٣١ و ٣٣٢ و ٣٣٣	المطيرة ٢٨١
٣٢٧ و ٢٦٥ و ٣٦٨ و ٢٨٩	مكران ٢٩٦
اليامة ٤٦	(ن)
الين ١٢٦ و ١٢٧ و ٢٧١ و ٢٧٢	نصيبين ١٨٧ و ١٩٠ و ٢٥٨
اليهود ١٧	٢٦٨ و ٢٧٠

